

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور[1]

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذى هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه فى الذاريات الذى هو مضمون الإنذار المدلول على صدقه فى ق، فان وقوعه أثبت و أمكن من الجبال التى أخبر الصادق بسيرها، وجعل دك بعضها آية على ذالك، و من الكتاب فى أثبت أوضاعه[2] لإمكان غسله و حرقه، و من البيت الذى يمكن عامره و غيره إخرابه، ٥
و السقف الذى يمكن رافعه وضعه، و البحر الذى يمكن من سجره أن يرسله، و قد بان أن اسمها أدل ما يكون على ذلك بملاحظة القسم و جوابه حتى بمفردات الألفاظ فى خطابه ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم ذى الملك و الملكوت ﴿الرحمن﴾ الذى عم بالرحموت من حققه الثبوت ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص برحمته و توفيقه أهل القنوت. ١٠

لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد، افتتحت هذه باثبات العذاب الذى هو روح الوعيد، فقال تعالى: ﴿و الطور لا﴾ و ذلك أنهم لما كانوا يقولون عما أتاهم به الرسول صلى الله عليه و سلم: إنه سحر خيال لاحقيقة

---

(١) الثانية و الخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٤٩ عند الكوفيين والشامى و ٤٨ عند البصريين و ٤٧ عند المدنيين و المكى - راجع نثر المرجان ٧ / ٥٣ (٢) من مد، و فى الأصل: أوضاعها .

له ، أقسم بالجبل - الذى هو عندهم و عند غيرهم من ذوى العقول - أثبت الأرض و أشدها و أصلبها ، و عبر عنه بالطور الذى هو مشترك بين مطلق الجبل و بين المضاف[١] إلى سينا / الذى كان فيه نبوة موسى عليه السلام و إنزال كثير من كتابه و غير ذلك - آيات تعلمها بنو إسرايل الذين يستنصحونهم و يسألونهم عن النبى صلى الله عليه و سلم و يرضون بقولهم فيه . فمن آياته أنه كانت فيه الرحمة بمناجاة موسى عليه السلام و ما كتب له فيه على ألواح الجوهر و ما أنزل عليه من الناموس الذى جعله هدى و رحمة و موعظة و ذكرا و تفصيلا لكل شيء و كان فيه مع الرحمة العذاب بما أتاهم من الصاعقة[٢] التى أماتتهم ثم أحياهم الله و بما كانوا يشاهدون من السحاب الذى تخلله فيكون كقتار الأتون ، و فيه بروق كأعظم[٣] ما يشاهد من النار ، و أبواق[٤] تزعق بصوت هائل ، و لما شوهد من اندكاك الجبل عند التجلى و صعق موسى عليه السلام إلى غير ذلك من الآيات التى تكشف[٥] الظلمات ، و أيضا فالطور كل جبل ينبت ، و إنبات الجبل عجيب ، فان نباته لا يكون إلا بسبب ، و سبب النبات الماء ، و الماء منبث فى الأرض لتركيبها عليه و هو مواز لما انكشف منه من ماء البحار ، و كلما علت الأرض بعدت عن الماء ، و الجبال أبعدها منه ، فسبب إنباته خفى جدا لا يعلمه إلا الله [و من فهمه إياه -[٦]] .

/٦٣

(١) من مد ، و فى الأصل : مضاف (٢) من مد ، و فى الأصل : الصناعه .
(٣) من مد ، و فى الأصل : كان عظم (٤) من مد ، و فى الأصل : البوارق .
(٥) فى مد : بعضها يكشف (٦) زيد من مد .

و لما

و لما كانت الأرض لوح السماء التي منها الوعيد، و كانت الجبال أشدها، فذكر أعظمها آية. و كان الكتاب لوح الكاتب[1]، و كانت الكتب الإلهية أثبت الكتب، و كان طور سينا قد نزل فيه كتاب إلهي قال: ﴿ و كتب﴾ وحقق أمره بقوله: ﴿مسطور ۙ﴾ أي متقن الكتابة بسطور مصفوفة من[2] حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة ككتاب ٥ موسى[2] عليه السلام الذي أنزله[3] عليه و كلمه بكثير منه في الطور [و - [4]] تنكيره للتعظيم لأنه إن كان المراد به الكتب الإلهية فهو أثبت الأشياء، و إن كان المراد القرآن بخصوصه فهو أثبتها لامبدل لكلماته، و إن كان المراد صحيفة قريش فقد [كانوا - [4]] ظنوها أثبت العهود، و [5]ذكر أمتن[5] ما يكتب فيه و أشده و أتقنه فقال: ﴿ في رق ﴾ أي في[6] جلد مهيأ ١٠ بالقشر للكتابة ﴿ منشور ۙ﴾ أي مهيأ للقراءة و الاتعاظ بما فيه، و يمكن أن يكون أراد به جميع الكتب المنزلة عاما بعد خاص، قال الرازي: قال الصادق: إن الله تجلى[7] لعبده [بكتابه - [4]] كما تجلى[7] بالطور لما كان محلا للتجلي خلقا، و الكتاب لما كان محلا للتجلي أمرا، أجرهما[8] [في قرن - [4]] - انتهى. و يجوز أن يكون أراد به سبحانه صحيفة ١٥ الظلم التي كتبوها بما تعاقدوا عليه من أنهم لايعاشرون بني هاشم

(١) من مد، و في الأصل: الكتاب (٢) في مد: في (٣) في الأصل: هو انزاله، و في مد: انزل (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد، و في الأصل: ذامين.
(٦) سقط من مد (٧) من مد، و في الأصل: يجتلى (٨) من مد، و في الأصل: مما جرا مما - كذا.

و لا يكلمونهم و لا يبايعونهم و لا يشاورونهم و لا يناكحونهم و لا يؤازرونهم و لا يعاملونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و علقوها فى جوف الكعبة فانجاز بنو هاشم إلى شعب / أبى طالب خلف ٦٤ / أبى قبيس و تبعهم بنو المطلب رهط إما منا الشافعى رضى الله عنه، فتحيزوا[1] ٥ معهم من بين بنى عبد مناف، فكان ذلك سبب شرفهم على مدى الدهر، فأرسل الله على الصحيفة ـ بعد أن مضى على ذلك سنتان حين جهدهم العيش و مضّهم الزمان و زلزلتهم القوارع زلزالا شديدا و هم ثابتون ليظهر الله [بذلك ـ[2]] شرف من شاء من عباده ـ الارضة، فأبقت[3] ما فيها من أسماء الله تعالى و محت[4] ما كان من ظلمهم و قطيعتهم، فكان ذلك سببا ١٠ لأن قام فى نقضها معشر منهم، فنقضها الله بهم، و كانوا إذ ذاك كفرة كلهم ليظهر الله قدرته سبحانه على كل من النقض و الإبرام بما شاء و من شاء ﴿ و البيت المعمور ۙ ﴾ الذى هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان قياما لبنى إسرائيل، هذا إن كان تعالى اراد به الكعبة التى علقوا فيها الصحيفة بعد أن كانوا لما عمروها اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى ١٥ موضعه، و زاد بهم الإختلاف حتى تهيأوا للقتال و تحالفوا عليه، فكان منهم لعقة الدم، و منهم المطيبون كما هو مشهور فى السير، ثم وفقوا لأن رضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب عينوه، فكان أول داخل منه النبى صلى الله عليه و سلم فقالوا بأجمعهم[5] : هذا محمد هذا الأمين، رضينا

(١) فى مد : لتحيزوا (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل : فالق (٤) من مد، و فى الاصل : سميت (٥) ليس فى مد.

بحكمه، فحكم صلى الله عليه و سلم بأن يوضع[1] الحجر الشريف فى ثوب و يأخذ رئيس كل قبيلة بطرف من أطرافه و يرفعوه كلهم، فلما وازى موضعه أخذه هو صلى الله عليه و سلم بيده الشريفة فوضعه فى موضعه، فكان الفخر له مضاعفا بحكمه و إصلاحه بينهم، و اختصاصه بوضعه و هو معمور بالزوار و الخدمة و كثرة الحاشية . ٥

و لما كان البيت لابد فى مسماه من السقف قال: ﴿و السقف المرفوع ۙ﴾ يريد سقف الكعبة إشارة إلى أنه محكم البناء مغلق الباب متقن السقف إتقانا هو أعظم [2]من إتقان[2] سقف قبة الزمان التى شاهد [فيها - [3]] بنو إسرائيل من العظمة الإلهية و الجلال ما إن سألتموهم عنه أخبروكم به، و مع ذلك ساط على الصحيفة - التى فى جوفه، و لعلها كانت فى سقفه ١٠ بحيث لايصل إليها أحد - ما أفسدها تحقيقا لثبوت ما أراد من أمره تحذيرا مما توعد به، و يمكن أن يراد به مع ذلك السماء التى فيها ما توعدون، و من المعلوم أن لكل ذى عقل أن أقل السقوف لايرتفع [4]بغير عمد[4] إلا بأسباب لاترى، فكيف بالسماء التى لها من السعة و العظمة و الثخن و ما فيها من الكواكب ما لها مما لايسع العقول شرحه، و هم ١٥ لاينظرون أسبابه كما قال تعالى " بغير عمد ترونها " و نقل عن ابن عباس[5] رضى الله عنهما أنه قال: إنه العرش و هو سقف الجنة .

و لما كان الماء أقوى من كل ما تقدم، ختم به فقال:

---

(١) فى مد : يضع (٢-٢) من مد، و فى الأصل : اتقانا من (٣) زيد من مد .
(٤-٤) من مد، و فى الأصل : عمد (٥) راجع البحر المحيط ١٤٦/٨ .

﴿و البحر المسجور ﴾ أى الذى فيه من الماء أكثر من[1] ملئه و هو ساجره - / أى مانعه - كما يمنع الكلاب بساجوره عن الانسباح، و لو أراد خلاه فاندفق لجرى فأهلك ما مر عليه من جبل و كتاب[1] و بيت كما شوهد لما سجره سبحانه لبنى إسرائيل فانفلق، و نشفت أرضه ثم لما أراد سيبه على ٥ آل فرعون فعذبهم به فأهلكهم حتى لم يبق منهم أحد .

/٦٥

و لما أقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام و ثلث بما أشار إلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و ثنى بما هو مشترك بينهما، و كان الأول مع ذلك دالا على استقرار الأرض، و الثالث على صلاحيتها للسكنى، و الثانى على الحافظ فى ذلك، و ربع بما كمل المنافع، و حذر ١٠ من السقوط كما خوف بالأول من الخسف، و خمس بما دل على ما أريد بالأول من الاستقرار [لأنه - [2]] لو كان ميل لانطلق البحر إلى جهته، أجاب القسم بقوله: ﴿ان عذاب﴾ و لما كان سبحانه [عظيم - [2]] الإكرام له صلى الله عليه و سلم، أضاف العذاب إلى صفة الإحسان و التربية الخاصة به، و أضاف الصفة إلى ضميره إيذانا بأنه يريه فى أمته ١٥ ما يسره، و أن مماثلة "ذنوبهم كذنوب اصحابهم" الماضين إنما هى فى مجرد الإذلال، لا فى أنه يستأصلهم كما استأصل أولئك فقال: ﴿ربك﴾ أى الذى تولى تربيتك أى عذاب أراده بكل من أراد به لاسيما المعادى لأوليائه سبحانه ﴿لواقع ﴾ أى ثابت نازل بمن أراد نزول ما هو ثقيل

---

(١) من مد . و فى الأصل : مما (٢) من مد . و فى الأصل : كتابت (٣) زيد من مد .

من

من مكان عال كما أنه لو أراد لقلب الأرض التي ثبتها و[1] أوقع السقف الذي رفع، و أطلق البحر الذي سجر، كما علم من إطلاقه البحر فلقة على آل فرعون حتى أغرقهم به ﴿ ما له من دافع ﴾ لأنه لاشريك لموقعه لما دلت عليه هذه الأقسام من كمال قدرته و جلال حكمته و ضبط أعمال العباد للجازاة سواء قلنا: إن الكتاب هو الذي يكتبه الحفظة ٥ [أو -[3]] الذي يضبط [الدين -[2]]، فلما أوقع الجزاء بهم في الصحيفة، و نقض معاقدتهم، و فض جمعهم، أخرج معاشرك[3] من ذلك الضيق فكذلك يؤيدك حتى توقع بهم و تنقض جمعهم و تكسر شوكتهم [و نقتل سرواتهم - [2]] و يظهر دينك على دينهم، و يصير من بقي منهم من حزبك و أنصار دينك، قال البغوي[4]: [قال جبير بن مطعم رضي الله ١٠ عنه -[5]]: قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم في أسارى بدر، فدفعت إليه و هو يصلي بأصحابه المغرب و صوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ "و الطور - إلى قوله: إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع" فكأنما صدع قلبي حين سمعته[6]، و لم أكن أسلمت[7] يومئذ، فأسلمت خوفا من نزول [العذاب -[5]] ما كنت أظن [أن -[5]] ١٥ أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب.

---

(١) من مد، و في الأصل: ما (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل: معاشره (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/ ٢٠٧ (٥) زيد من مد و المعالم. (٦) المعالم و في الاصل و مد: سمعت (٧) زيد في مد: حينئذ.

و قال[1] الإمام [ابو ـ[2]] جعفر بن الزبير : لما توعد تعالى كفار قريش و من كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله صلى الله عليه و سلم أنهم[3] سيصيبهم ما أصاب غيرهم من مكذبي الامم، المنبه على ذكرهم فى السورة قبل، ثم أشار سبحانه إلى عظيم / ما ينالهم من الخزى ٦٦ /

٥ و أليم العذاب بقوله " فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون" أقسم سبحانه على صحة ذلك و وقوعه ـ و العياذ به سبحانه من سخطه و أليم عذابه ـ فقال تعالى " و الطور ـ إلى قوله تعالى: ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع" ثم أومأ سبحانه إلى مستحقيه و مستوجبيه فقال "فويل للمكذبين" ثم ذكر [ما ـ[2]] يعنفون به و يوبخون على ما

١٠ سلف منهم من نسبته عليه الصلاة و السلام إلى السحر فقال تعالى " ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون" "افسحر هذا ام انتم لاتبصرون" ثم أعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين[4]، ثم ذكر ـ [إثر ـ[2]] إعلامه بحال الفريقين ـ نعمته على نبيه عليه الصلاة و السلام و عصمته و وقايته مما يقول المفترون فقال تعالى "فذكر فما انت بنعمة

١٥ ربك بكاهن و لا مجنون" ثم جرت الآى على توبيخهم فى مقالتهم و وهن انتقالاتهم، فمرة يقولون: كاهن، و مرة يقولون: مجنون، و مرة يقولون: شاعر يترقب موته. فوبخهم على ذلك كله و بين كذبهم و أرغمهم و أسقط ما بأيديهم [بقوله ـ[2]] "فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صٰدقين"

---

(١) من مد، و فى الأصل : اقام (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: ان (٤) من مد، و فى الأصل : المستوجبين .

و هذا هو المسقط لما تقولوه أولا و آخرا ، و هذا الذى لم يجدوا عنه جوابا، و رضوا بالسيف و الجلاء، لم يتعرضو [1]لتعاطى معارضته[1]، و هذا هو الوارد[2] فى قوله تعالى فى صدر سورة البقرة [3]"و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا [3]فاتوا بسورة من مثله"[3] - الآيات، فما نطقوا فى جوابه ببنت شفة " قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل ٥ هـــذا القرآن لا ياتون بمثله " فتبارك من جعله آية باهرة و حجة قاهرة - انتهى .

و لما أثبت وقوع العذاب، تشوفت[4] نفس الموقن إلى وقته، قال مستأنفا لبيان[5] أنه واقع على تلك الصفة: ﴿ يوم تمور ﴾ أى تتحرك و تضطرب و تجيء و تذهب و تتكفأ تكفأ السفينة و تدور دوران ١٠ الرحى، و يموج بعضها فى بعض، و تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض، و لا تزول عن مكان؛ قال البغوى[6]: و المور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب و المجيء و التردد و الدوران و الاضطراب، قال الرازى: و قيل: تجيء و تذهب كالدخان ثم تضمحل . ﴿ السمآء ﴾ التى هى سقف بيتكم الأرض ﴿ مورا ﴾ أى اضطرابا شديدا ﴿ و تسير الجبال ﴾ أى تنتقل ١٥ من أمكنتها انتقال السحاب، و حقق معناه بقوله: ﴿ سيرا ﴾ فتصير هباء

(١ - ١) من مد، و فى الأصل: المعارضة (٢) من مد، و فى الأصل: العار . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل: النفس أى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى مد: بيان (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٠٧ .

منثورا و تكون الأرض قاعا صفصفا .

و لما حقق العذاب و بين يومه ، بين أهله بقوله مسببا عن ذلك : ﴿ فويل ﴾ هي كلمة يقولونها لمن وقع في الهلاك . و معناه حلول شر فاضح يكون [1]فيه ندبة[1] و تفجع ﴿ يومئذ ﴾ أي يوم إذ يكون ما[2] تقدم ذكره ﴿ للمكذبين ﴾ / اي العريقين في التكذيب و هم[3] من مات على نسبة الصادقين إلى الكذب .

٦٧ / ٥

و لما كان التكذيب قد يكون في محله ، بين أن المراد تكذيب ما محله الصدق فقال : ﴿ الذين هم ﴾ أي من بين الناس بظواهرهم و بواطنهم ﴿ في خوض ﴾ أي أعمالهم و أقوالهم أعمال الخائض في ١٠ ماء ، فهو لا يدري أين يضع رجله . و لما كان ذلك قد يكون من دهشة بهم أو غم ، نفى ذلك بقوله : ﴿ يلعبون ﴾ فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل : الخوض و اللعب ، فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول و لا فعل في موضعه ، فلا يؤسس على بيان أو حجة . و لما[4] صور تكذيبهم بأشنع[5] صورة ، بين ويلهم ببيان ظرفه و ما يفعل فيه فقال[6] : ﴿ يوم يدعّون ﴾ ١٥ أي يدفعون دفعا عنيفا بجفوة و غلظة [7]من كل[7] من يقيمه الله لذلك ، ذاهبين و منتهين ﴿ الى نار جهنم ﴾ و هي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة و الكراهة و التغيظ[8] و الزفير ، و أكد المعنى و حققه بقوله : ﴿ دعّا ﴾

(١-١) من مد ، و في الأصل : بدمه (٢) من مد ، و في الأصل : مما (٣) من مد ، و في الأصل : هو (٤) من مد ، و في الأصل : او (٥) من مد ، و في الأصل : باصنع (٦) من مد ، و في الأصل : قال (٧-٧) من مد ، و في الأصل : بكل (٨) من مد ، و في الأصل : التغليظ .

قال البغوى[1] : و ذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم و يجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم و زجا فى أقفيتهم، مقولا لهم تبكيتا و توبيخا : ﴿ هذه النار ﴾ أى الجسم المحرق المفسد لما [أتى - [2]] عليه ، الشاغل عن اللعب ﴿ التى كنتم ﴾ بجبلاتكم الفاسدة .
و لما كان تكذيبهم [بها - [2]] فى أقصى درجات التكذيب ، و كان ٥
[سببا - [2]] لكل تكذيب ، كان كأنه مقصور عليه فقال مقدما للظرف إشارة إلى ذلك[3] : ﴿ بها[4] تكذبون ﴾ أى فى الدنيا على التجديد و الاستمرار .

و لما كانوا يقولون عنادا : إن القرآن بما فيه [من الوعيد - [2]] سحر ، سبب عن ذلك الوعيد [قوله - [2]] مبكتا موبخا متهكما :
﴿ افسحر هذآ ﴾ أى الذى أنتم فيه من العذاب مع هذا الإحراق الذى ١٠
تصلون منه ﴿ ام انتم ﴾ فى منام و نحوه ﴿ لاتبصرون ﴾ بالقلوب كما كنتم تقولون فى الدنيا " قلوبنا فى اكنة " و لا بالأعين كما كنتم تقولون للنذرين " من بيننا و بينك حجاب فاعمل اننا عاملون " ، اى أنتم عمى عن المخبر عنه مع إحراقه لهم كما كنتم[5] عميا عن الخبر أى هل تستطيعون
أن تقولوا أنكم لاتبصرون المخبر عنه كما كنتم تقولون فى الخبر كذبا ١٥
[و - [2]] فجورا ، ثم يقال لهم بعد هذا التبكيت الذى يقطع بأن جوابهم يكون بأن يقولوا : لا و عزة ربنا ما هو بسحر و لا خيال ، بل هو حقيقة ،

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٠٧ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) وقع فى الأصل قبل « بجبلاتكم الفاسدة » والترتيب من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : انتم .

و نحن فى غاية الإبصار [على سبيل ـ[1]] الإخزاء، و الامتهان و الإذلال: ﴿ اصلوها ﴾ أى باشروا حرها و قاسوه و واصلوه كما كنتم تواصلون أذى عبادى[2] بما يحرق قلوبهم ﴿ فاصبروآ ﴾ أى فيتسبب عن تكذيبكم[3] فى الدنيا و مباشرتكم لها الآن أن يقال لكم: اصبروا على هذا الذى ٥ لاطاقه لكم به ﴿ او لا تصبروا ج ﴾ فانه لامحيص لكم عنها ﴿ سوآء عليكم[4] ﴾ أى الصبر و الجزع .

و لما كان المعهود أن الصبر له مزية على الجزع ، بين أن ذلك /٦٨ حيث لاتكون المصيبة إلا على وجه الجزاء / الواجب[4] وقوعه فقال معللا : ﴿ انما تجزون ﴾ أى يقع جزاؤكم الآن و فيما ياتى على الدوام ١٠ ﴿ ما كنتم ﴾ أى دائما بما هو لكم كالجبلة ﴿ تعملون ﴾ [مع ـ[5]] الأولياء غير مبالين بهم ، فكان هذا ثمرة فعلكم بهم .

و لما ذكر ما للمكذبين من العذاب المشار إليه بكلمات القسم، أتبعه ما لأضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضا بتلك الكلمات ليتم الخبر ترغيبا و ترهيبا ، فقال جوابا لمن كأنه قال : فما لمن عاداهم فيك ؟ مؤكدا لما ١٥ للكفار من التكذيب : ﴿ ان المتقين ﴾ أى الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة ﴿ فى جنٰت ﴾ أى بساتين دائما فى الدنيا حكما و فى الآخرة . و لما كانت البساتين ربما يشق داخلها أو صاحبها ، [نفى هذا بقوله ـ[4]] :

---

(١) زيد من مد (٢) فى مد : عباد الله (٣) من مد ، و فى الأصل : تكذيبهم .
(٤) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (٥) زيد نظرا للسياق .

﴿ و نعيم ﴾ أى نعيم فى العاجل ، يعنى بما هم فيه من الأنس ، و الآجل بالفعل ، و زاد فى تحقيق التنعم بقوله : ﴿ فاكهين[1] ﴾ أى معجبين متلذذين ﴿ بما اتٰهم ربهم ج ﴾ الذى تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات إلى أن أوصلهم إلى هذا النعيم ، فهو لأن عظمته من عظمته لا يبلغ كنه و صفه . و لما كان المتنعم قد تكون نعمته بعد عذاب ، فبين أنهم ليسوا كذلك فقال: ٥ ﴿ و وقٰهم ﴾ أى قبل ذلك ﴿ ربهم ﴾ أى المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصى و القاذورات ﴿ عذاب الجحيم ﴾ أى النار الشديدة التوقد .

و لما كان من باشر النعمة و جانب النقمة فى هناء عظيم ، قال مترجما لذلك على تقدير القول : ﴿ كلوا ﴾ أى أكلا هنيئا ﴿ و اشربوا ﴾ شربا ﴿ هنيٓئا ﴾ أى لا نقص فيه ، و هو صفة فى موضع المصدر أى هنأتم ١٠ بمعنى أن كل ما تتناولونه مأمون العاقبة من التخمة و السقم و نحوها ﴿ بما كنتم ﴾ أى كونا راسخا ﴿ تعملون ﴾ اى مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم .

و لما كان النعيم لا يتم إلا بأن يكون الإنسان مخدوما ، نبه عليه بقوله : ﴿ متكئين ﴾ أى مستندين استناد راحة ، لأنهم يخدمون فلا ١٥ حاجة لهم إلى الحركة ﴿ على سرر مصفوفة ج ﴾ أى منصوبة واحدا إلى جنب واحد ، مستوية كأنها السطور على أحسن نظام و أبدعه ، قال الأصبهانى : و الصفة : مد الشيء على الولاء . و لما كان السرور لا يتم إلا بالتنعم بالنساء قال : ﴿ و زوجنٰهم ﴾ أى تزويجا يليق بما لنا من العظمة .

---

(١) و قراءة عاصم « فكهين » راجع نثر المرجان ٧ /٥٧ .

و لما كانت تلك الدار غنية عن الأسباب ، فكانوا غنيين عن العقد ، قال مشيرا بالباء إلى صرف الفعل عن ظاهره فانه إذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه ، و تضمين الفعل " قرناهم " أى جعلناهم أزواجا مقرونين ﴿بحور﴾ أى نساء هن فى شدة بياض العين و شدة سوادها و استدارة حدقتها ٥ و رقة جفونها فى غاية لا توصف ﴿عين ﴾ أى واسعات الأعين فى رونق و حسن .

و لما وصف حال المتقين من أعداء المكذبين و بدأ بهم لشرفهم ، أتبعهم من هو أدنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال : ﴿و الذين ءامنوا﴾ يعنى أقروا بالإيمان و لم يبدلوا و لابالغوا فى الأعمال ١٠ الصالحة . و لما كان من هؤلاء من لايتبعه ذريته بسبب إيمانه لأنه يرتد عنه ، عطف على فعلهم تمييزا لهم و احترازا عمن لم يثبت / قوله : ﴿و اتبعتهم[1]﴾ أى بما لنا من الفضل الناشىء عما لنا من العظمة ﴿ذريتهم[2]﴾ الصغار و الكبار و إن كثروا ، و القرار لأعينهم بالكبار بإيمانهم و الصغار بإيمان آبائهم ﴿بإيمان﴾ أى بسبب إيمان حاصل منهم ، و لو كان فى ١٥ أدنى درجات الإيمان ، و لكنهم ثبتوا عليه إلى أن ماتوا ، و ذلك هو شرط إتباعهم الذريات ، و يجوز ان يراد و هو أقرب : بسبب إيمان الذرية حقيقة إن كانوا كبارا ، و حكما إن كانوا صغارا ، ثم أخبر عن الموصول بقوله : ﴿الحقنا بهم﴾ أى بفضلنا لأجل عمل آبائهم ﴿ذريتهم[2]﴾ و إن لم يكن للذرية أعمال ، لأنه قيل فى المعنى : " و لأجل عين ألف عين تكرم "

٦٩ /

(١) و قراءة عاصم « اتبعتهم » راجع نثر المرجان ٧ / ٦٠ (٢) و قراءة عاصم : « ذريتهم » راجع نثر المرجان ٧/٦١ .

و يلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب و هو المحبة، فان كان معها آخذ لعلم أو عمل كانت أجدر، فتكون[1] ذرية الإفادة كذرية الولادة، و ذلك لقول النبي صلى الله عليه و سلم «المرء مع من أحب» فى جواب من سأل عمن يحب القوم و لم يلحق بهم.

و لما كان ربما خيف أن ينقص الآباء بسبب إلحاق ذرياتهم بهم ٥ شيئا من درجاتهم، قال: ﴿و مآ التنٰهم﴾ أى نقصنا الآباء وحبسنا عنهم ﴿من عملهم﴾ و أكد النفى بقوله: ﴿من شىء﴾ بسبب هذا الإلحاق و كان من فوق رتبتهم من الذين يؤمنون و المؤمنين و المتقين و غيرهم أولى منهم، و إنما فصلهم منهم لأن هؤلاء قد لا يوقنون قبل دخول الجنة العذاب، قال جامعا للفريقين، أو يقال - [و -[2]] لعله أقرب - أنه ١٠ لما ذكر إتباع الأدنى للأعلى فى الخير فضلا، أشفقت النفس من أن يكون إتباع فى الشر فأجاب تعالى بأنه لا يفعل بقوله: ﴿كل امرئ﴾ أى من الذين آمنوا و المتقين و غيرهم ﴿بما كسب﴾ أى من ولد و غيره ﴿رهين ه﴾ أى مسابق و مخاطر و مطلوب و آخذ شيئا بدل كسبه و موفى على قدر ما يستحقه و محتبس به إن كان عاصيا، فمن كان صالحا ١٥ كان آخذا بسبب صلاح[3] ولده لأنه كسبه، و لا يؤخذ به ذلا و هو حسن فى نفسه لأجل الحكم بإيمانه سواء كان حقيقة أو حكما و كل حسن مرتفع، فلذلك يلتحق بأبيه، و أما الإساءة فقاصرة على صاحبها يؤخذ بها و يرهن بذنبه و لا يؤخذ بذنب غيره، و الحاصل أن المعالى التى هى

(١) فى الأصل: فيكون (٢) زيد نظرا للسياق (٣) فى الأصل: صلاحه.

كالحياة تفيض من صاحبها على غيره فتحييه، و المساوئ التى هى كالموت
لايتعدى صاحبها، قال الرازى فى اللوامع . أعلم أن الذوات بقاؤها و دوامها
بيقاء صورها، فحيث ما كانت الصورة المقومة لها أدوم كانت الذوات
بها أقوم، و أن النفوس الإنسانية ذوات و صورها علومها و أخلاقها،
٥ فحيث ما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين، و الأخلاق مقومة
على نهج الشرع المبين، كانت النفوس دائمة بدوامها غير مستحيلة، إذ
لا تتطرق الاستحالة إلى اليقين و العلم الحق، و غير كائنة و لا فاسدة
٧٠/ / إذ ليس عين اليقين و لا العلوم الحقيقية من عالم الكون و الفساد، و إن
لم تبلغ النفس إلى كمال اليقين فتعلقت بدليل صاحبه كما انخرطت فى
١٠ سلكها حتى يخرط الإنسان فى سلك محبته، و لواحب أحدكم حجرا لحشر
معه، فان الدين هو الحب فى الله و البغض فى الله، و لهذا اكتفى الشرع
من المكلفين باسلام و تسليم و تفويض و تحكيم دون الوقوف على المسائل
العويصة بالبراهين الواضحة الصحيحة، و ما لم يبلغ الولد حد التكليف
و اخترم ألحقوا بآبائهم و حكم عليهم بحكم عقائدهم و آرائهم حتى يكون
١٥ [حكم -[١]] آبائهم جاريا عليهم و حكم القيامة نافذا فيهم، و أما إذا
كانت الصورة القائمة بالذوات مستحيله بأن كانت جهلا و باطلا ينقص
أوله آخره و آخره أوله، كانت ذات النفس لاتنعدم و لاتفنى بل تبقى
على حال لايموت فيها و لايحيى، فانها لوفنيت لاستراحت و لو بقيت
لاستطابت، فهى على استحالة بين الموت و الحياة، و هذه الاستحالة

(١) زيد نظرا للسياق .

لاتكون إلا فى أجساد و أبدان " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها " انتهى . و هو كما ترى فى غاية النفاسة ، و يؤيده « يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » و يجوز أن تكون الجملة تعليلا لما قبلها من النفى ، أى ما نقصناهم لأنه قد سبق فى حكمنا بأن يكون «كل امرئ» قدرنا أن يرتهن بما قد ينقصه "بما كسب" أى لايضر ما ٥ كسب ما كسبه غيره " رهين " أى معوق عن النعيم حتى يأتيه بما يطلق من العمل الصالح .

و لما جمعهم فى إلحاق الذرية بهم لأنه من أعظم النعيم ، و أمنهم مما قد يخشى من نقصهم بنقصه غيرهم ، و علل ذلك ليكون أرسخ فى النفس ، أتبعه بما يشاكله فقال : ﴿ و امددتهم ﴾ أى الذين آمنوا و المتقين و من ١٠ ألحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم ﴿ بفاكهة ﴾ . و لما كانت الفاكهة ظاهرة فيما يعرفونه فى الدنيا و إن كان عيش الجنة بجميع الأشياء تفكــهها ليس فيه شىء يقصد به حفظ البدن قال : ﴿ و لحم مما يشتهون ه ﴾ ليس فيه شىء منه مما لايعجبهم غاية الإعجاب .

و لما كان هذا النعيم العظيم المقيم يدعو إلى المعاشرة ، بالقرينة ١٥ العاطرة ، بين أن ذلك حالهم اللازمة الظاهرة ، من الخصال اللائقة الطاهرة ، فقال : ﴿ يتنازعون ﴾ أى يشربون متجاذبين مجاذبة الملاعبة لفرط المحبة و السرور و تحلية المصاحبة ﴿ فيها كاسا ﴾ أى خمرا من رقة حاشيتها تكاد ان لاترى فى كأسها . و لما كان فى خمر الدنيا غوائل نفاها عنها فقال : ﴿ لا لغو ﴾ أى سقط مما يضر و لا ينفع ﴿ فيها ﴾ ٢٠

أي في تنازعها و لا بسببها لأنها لا تذهب بعقولهم و لا يتكلمون إلا بالحسن الجميل ﴿ و لا تأثيم ﴾ أي و لا شيء فيها مما يلحق شاربها إثما و لا يسوغ نسبه .

و لما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها و لا يعظم إلا بخدم و سقاة قال:

/٧١ ٥ ﴿ و يطوف / عليهم ﴾ أي بالكؤس و غيرها من أنواع التحف ﴿ غلمان ﴾ و لما كان أحب ما إلى الإنسان[1] ما يختص به قال: ﴿لهم﴾ و لم يضفهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا في الدنيا بقول او فعل أن يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا، و أفاد التنكير أن كل من دخل الجنة ١٠ وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك ﴿كأنهم﴾ في بياضهم و شدة صفائهم ﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ أي مصون في الصدف لم تغيره العوارض، هذا حال الخادم فما ظنك بالمخدوم .

و لما كان ألذ ما إلى الحبيب و أعظم ما يكون من أربه ذكر محبوبه و الثناء عليه بما منّ به، قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره: ١٥ فأقبلوا على تعاطي ما ذكر من النعم: ﴿و اقبل بعضهم﴾ لما ازدهاهم من السرور، و راقهم[2] من اللذة و الحبور ﴿على بعض يتساءلون ﴾ أي يسأل بعضهم بعضا عن السبب الموصل له إلى هذا النعيم الذي لا يقدر مخلوق على وصفه حق وصفه، ثم استأنف شرح ذلك بقوله: ﴿ قالوا ﴾ أي

---

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد في الأصل: و اراقهم، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

قال

قال كل منهم مؤكدا استلذاذا بما أداهم إلى ما هم فيه لأنه [لا -[1]] يكاد يصدق، مسندين النعمة بفعل الكون إلى الله الذى جبلهم جبلة خير، مسقطين الجار إشارة إلى دوام خوفهم، تنبيها على أن الخوف الحامل على الكف عن المعاصى يشترط فيه الدوام، بخلاف الرجاء الحامل على الطاعات، فانه يكفى فيه ما تيسر كما تأتى الإشارة إليه باثبات الجار: ٥ ﴿انا كنا قبل﴾ أى فى دار العمل ﴿ فىٓ اهلنا ﴾ على ما لهم من العدد و العدد و النعمة و السعة، و لنا بهم من جوالب اللذة و الدواعى إلى اللعب ﴿مشفقين ۝﴾ أى عريقين فى الخوف من الله لا يلهينا عنه شىء مع لزومنا لما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بأنا[2] لا نقدره لما له من العظمة و الجلال و الكبرياء و الكمال حق قدره، و أنه لو واخذنا بأصغر ذنوبنا أهلكنا: ١٠ قال الرازى: و الإشفاق: دوام الحذر مقرونا بالترحم، و هو أن يشفق على النفس قبل أن تجمح إلى العناد، و له أقسام: إشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع، و إشافق على الخليقة لمعرفة مقاديرها، و إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق و على القلب أن يمازجه عارض [و -[1]] على النفس أن يداخلها سبب - انتهى. ١٥

و لما حكى عنهم سبحانه أنهم أثبتوا لأنفسهم عملا تدريبا لمن أريدت سعادته، فكان بحيث يظن أنهم رأوه هو السبب لما وصلوا إليه، قالوا نافين لهذا الظن، مبينين أن ما هم فيه [إنما هو -[1]] ابتداء تفضل من الله تعالى لأن إشفاقهم[3] منه سبحانه لكيلا يعتمد الإنسان على شىء من عمله

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: بان (٣) من مد، و فى الأصل: واشفاقه.

فلا يزال معظما لربه خائفا منه : ﴿فمنّ الله﴾ الذى له جميع الكمال بسبب إشفاقنا منه ﴿علينا﴾ بما يناسب كماله فأمّننا ﴿و وقٰنا﴾ أى و جنبنا بما سترنا / به[1] ﴿عذاب السموم ه﴾ أى الحر النافذ فى المسام نفوذ السم. /٧٢

و لما ذكروا إشفاقهم، بينوه مؤكدين أيضا لمثل ذلك بقولهم :

٥ ﴿انا كنا﴾ أى بما طبعنا عليه و هيئنا له . و لما كان الدعاء بمعنى فعل العبادة، و كانت تقع فى بعض الزمان، أثبت الجار إشارة إلى ذلك مع إسقاطه قبل هذا [2]فى الدعاء[2] بالقوة إشارة إلى أن التحلى بالفضائل يرضى منه باليسر، و التخلى عن الرذائل لابد فيه من البراءة عن كل قليل و كثير فقيل : ﴿من قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿ندعوه ط﴾ أى نسأله و نعبده

١٠ بالفعل، و أما خوفنا بالقوة فقد كان فى كل حركة و سكنة، ثم عللوا دعاءهم إياه مؤكدين لأن إنعامه عليهم مع تقصيرهم مما لايكاد يفعله غيره، [فهو - [3]] مما يعجب منه غاية العجب فقالوا : ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿البر﴾ الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة و منعه رحمة، لأنه لاينقصه إعطاء[4] و لايزيده منع، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره

١٥ بالنعمة و ربما بره بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له فى العقبى، فعلى المؤمن أن لايتهم ربه فى شىء من قضائه ﴿الرحيم ع﴾ المكرم لمن أراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته،

---

(١) زيد فى الأصل من، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢-٢) من مد، و فى الأصل : بالدعاء (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل : عطاء .

ثم بافضاله عليه و إن قصر في خدمته .

و لما كان هذا مع تشويقه[1] إلى الجنة و الأعمال الموصلة إليها وعظا يرقق القلوب و يجلي الكروب ، سبب عنه قوله : ﴿ فذكر ﴾ أي جدد التذكير بمثل هذا لكل من يرجو خيره و دم على ذلك ، و سماه تذكيرا لأنه مما يعلمه الإنسان إذا أمعن النظر من نفسه أومن الآفاق . و علل ٥ التذكير بقوله : ﴿ فمآ انت ﴾ أي و أنت اشرف الناس عنصرا و أكملهم [نفسا -[2]] و أزكاهم خلائق هم بها معترفون لك قبل النبوة ﴿ بنعمت ربك ﴾ أي بسبب ما أنعم به[3] عليك المحسن إليك من هذا الناموس الأعظم بعد تأهيلك له بما هيأك به من رجاحة العقل و علو الهمة و كرم الفعال وجود الكف و طهارة الأخلاق و شرف النسب ، و أكد النفي بقوله : ١٠ ﴿ بكاهن ﴾ ی تقول كلاما - مع كونه سجعا متكلفا - أكثره فارغ و تحكم على المغيبات بما يقع خلاف بعضه . و لما كان للكاهن[4] و المجنون اتصال بالجن ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و لا مجنون ﴾ أي تقول كلاما لانظام له مع الإخبار ببعض المغيبات ، فلا يفترك قولهم "هذا عن" التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرة أصلا ، و عما قليل يكون عيبا لهم لايغسله ١٥ عنهم إلا اتباعهم لك ، فمن اتبعك منهم غسل عاره ، و من استمر على عناده استمر تبابه و خساره .

(١) من مد ، و في الأصل : تشويقهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و في الأصل : الله (٤) من مد ، و في الأصل : بالكاهن (٥ - ٥) من مد ، و في الأصل : عن هذا .

و لما كانت نسبته صلى الله عليه و سلم فيما أتاهم به من هذا القرآن الآمر بالحكمة إلى أنه أتى به عن الجن الذين طبعهم الفساد مما[1] لا ينبغى أن يتخيله[2] أحد فضلا أن يقوله له صلى الله عليه و سلم، و لا يكاد / يصدق /٧٣ أن أحدا يرميه به، فكان فى [3]طيه سؤال[3] تقريع و توبيخ، نبه على ذلك

٥ بالعطف على ما تقديره : أيقولون هـذا القول البعيد من اقوال أهل العقول : ﴿ ام يقولون ﴾ ما هو أعجب فى مجرد قوله فضلا عن تكريره. فأم معادلة للاستفهام قبلها لامقطوعة، وكذا جميع ما بعدها و هو معنى ما نقله البغوى[4] عن الخليل أنه قال : ما فى سورة الطور من ذكر "أم" كله استفهام و ليس بعطف . ﴿ شاعر ﴾ يقول[5] كلاما موزونا بالقصد،

١٠ يلزمه التكلف لذلك فيغلب إلزام الوزن قائله حتى يجعل اللفظ[6] هو الأصل و يجعل المعنى تابعا له، فيأتى كثير من كلامه ناقص المعانى هلهل النسج مغلوبا فيه على أمره معترفا [إذا وقف عليه بتقصيره متعذرا -[7]] بما زانه به زعم من أوزانه، و ساق سبحانه هذا و كذا ما بعده من الاقسام على طريق الاستفهام مع أن نسبتها إليهم محققة، تنبيها على أن

١٥ مثل هذا لايقوله عاقل، و إن قاله أحد لم يكد الناقل عنه يصدق :

---

(١) من مد، و فى الأصل : بما (٢) من مد، و فى الأصل : محله (٢-٣) من مد، و فى الأصل : سواله طى (٤) لم نعثر عليه فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل فى مظانه، و القول أورده أبو حيان فى البحر ٨ / ١٥١ فقال : و حكى الثعلبى عن الخليل ـ فتأمل (٥) من مد، و فى الأصل : يقولون (٦) من مد، و فى الأصل : الوزن (٧) زيد من مد .

﴿ نتربص ﴾ أى ننتظر ﴿ به ريب المنون ﴾ أى حوادث الدهر من الموت و غيره القاطعة ، من المن و هو القطع .

و لما كان كأنه قيل لهم : إنهم ليقولون ذلك ، قال معلما جوابهم : ﴿قل تربصوا﴾ و لم يعرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه من السقوط بمنزلة لايحتاج معها إلى رد بمجادلة ، ثم سبب عن أمره لهم ٥ بالتربص قوله : ﴿ فانى معكم ﴾ و أكده تنبيها على أنه يرجو الفرج بمصيبتهم [كما يرجون الفرح بمصيبته -[1]] و إن كانت كثرتهم و قوتهم عندهم مانعة من مثل هذا التربص ﴿من المتربصين ﴾ أى العريقين فى التربص و إن ظننتم خلاف ذلك ، و أشار بالمعية إلى أنه مساو لهم [فى ذلك و إن ظنوا لكثرتهم و قوتهم و وحدته و ضعفه أن الأمر خلاف ١٠ ذلك ، قال القشيرى -[1]] : جاء فى التفسير أن جميعهم - أى الذين تربصوا به - ماتوا ، قال : و لاينبغى لأحد أن يؤمل نفاق سوقه بموت أحد لتنتهى النوبة إليه فقل من تكون هذه صفته إلا سبقته المنية ، و لا يدرك ما تمناه من الأمنية .

و لما كان قولهم هذا مما لايقال أصلا و إن قيل على بعده كان ١٥ قوله كأنه على جهة سبق اللسان أو[2] نحو ذلك ، نبه عليه بمعادلة ما تقديره : أ قالوا ذلك ذهولا : ﴿أم تامرهم﴾ أى تزين لهم تزيينا يصير مآلهم إليه من الانبعاث كالآمر ﴿احلامهم ﴾ اى عقولهم التى يزعمون أنهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث أنه كان يقال فيهم : أولوا الأحلام و النهى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل « و » .

﴿بهذآ﴾ أى و هم يعتقدون صحته و أنه العدل السواء لأنهم متقيدون بالأحلام و النهى على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته كما[1] تقدم بيانه، و هو توبيخ عظيم بالإشارة إلى أنه ليست لهم عقول أصلا لقولهم هذا، فان الكاهن شرطه أن يكون فى غاية
٥ المعرفة عندهم حتى أنهم يجعلونه حكما [و -[2]] ربما عبدوه، و المجنون لا يصلح لصالحة لأنه لا يعقل، و الشاعر بعيد الأمر بوزن الكلام و كثرته من سجع / الكاهن [3]و غيره[3] و كلام المجنون: ﴿ام هم﴾ بظواهرهم / ٧٤
و بواطنهم ﴿قوم﴾ أى ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك ﴿طاغون ﴿٣٢﴾﴾ اى مجاوزون للحدود، و ذلك عادة لهم بما أفهمه الوصف، فهم لذلك
١٠ لا يبالون بالعناد الظاهر فى مخالفته لما تأمر به الأحلام و النهى، و لا يقوله إلا الطغاة السفهاء مع ظهور الحق لهم، فهم يقولون الكلام المتناقض غير مبالين بأحد و لا مستحيين من أن ينسبوا إلى العدوان و المبالغة فى العصيان[4]، و الآية من الاحتباك: ذكر الأحلام أولا دليلا على ضدها ثانيا، و الطغيان ثانيا على ضده "العدل السواء" أولا، و سره أن ما ذكر أشد[5]
١٥ تنفيرا من السوء و أعظم تقبيحا له و تحذيرا منه ﴿[6]ام يقولون[6]﴾ ما هو أفحش عارا من التناقض: ﴿تقوله ج﴾ أى تكلف قوله من عند نفسه

(١) من مد، و فى الأصل: بما (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل: ام يقولون، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها. (٥) من مد، و فى الأصل: اولا (٦ - ٦) وقع فى الأصل قبل «و الآية من الاحتباك» و الترتيب من مد.

كذبا و ليس بشعر و لا كهانة و لا جنون، و هم على كثرتهم و إلمام بعضهم بالعلم و عراقة آخرين فى الشعر و الخطب و الترسل و السجع يعجزون عن مثله بل عن مثل شىء منه . و لما كان الكلام حقيقة فى النفسى، وكانوا يعلمون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك، كان التقدير: لم يقولوا شيئا من ذلك حقيقة و إعتقادا ﴿ بل لا يؤمنون ج ﴾ أى لا يقرون بالحق ٥ مع علمهم ببطلان قولهم و تناقضه عنادا منهم لا تكذيبا فى الباطن .

و لما كان هذا القول أظهر بطلانا من كل ما قالوه لأن تكذيبهم لهم على تقدير كذبه - على زعمهم - غير موقوف على شىء خارج عن القوة، طالبهم بالمعارضة لأنهم إذا عارضوه بمثله انفصل النزاع، و لذلك سبب عما مضى قوله تكذيبا لهم فى قولهم هذا الذى أظهروه بألسنتهم ١٠ يوقفون به غيرهم عن الخير: ﴿ فليأتوا ﴾ أى على أىّ تقدير أرادوه ﴿ بحديث ﴾ أى كلام مفرق يجدد إتيانه مع الأوقات لا تكلفهم أن يأتوا به جملة ﴿ مثله ﴾ أى القرآن فى البلاغة و صحة المعانى و الإخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هى عليه و الحكم .

و لما كان المقصود هنا مطلق التعجيز للمكذبين لا بقيد الاجتماع كما ١٥ فى سبحان لأن نزول هذه أوائل ما نزل، تحداهم بالإتيان بالمثل فى التنجيم و التطبيق على الوقائع سورا أو آيات أو دون ذلك، تحدث و تتجدد شيئا فى أثر شىء - بما أشار إليه التعبير بالحدوث، و لذلك أعراه عن تظاهرهم بالاجتماع و دعاء المستطاع، و لكونهم[1] كاذبين فى جزمهم[2] بنسبته إلى

---

(١) من مد، و فى الأصل: لكونكم (٢) من مد، و فى الأصل: جزمكم .

التقول و غيره، أشار إلى ذلك بقوله مقرعا لهم إلهابا إلى الخوض فى المعارضة: ﴿ان كانوا﴾ أى كونا هم راسخون فيه ﴿صٰدقين ۚ﴾ أى فى أنه تقوله من عند نفسه شيئا فشيئا، [كونا -[1]] هم عريقون فيه كما يزعمون سواء ادعوا أنه شاعر أو كاهن أو مجنون أو غير ذلك، لأن العادة تحيل أن يأتى واحد من قوم و هو مساو لهم بما لايقدرون [كلهم -[1]] على مثله، / و العاقل لايجزم بشيء إلا و هو عالم به، و يلزم[2] من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما ياتى به، فانه صلى الله عليه و سلم مثلهم فى الفصاحة و البلد و النسب، و بعضهم يزيد عليه بالكتابة و قول الشعر و مخالطة العلماء، و مزاولة الخطب و الرسائل و غير ذلك، فلا يقدر على ما يعجزون عنه إلا بتأييد إلهى، و هو المراد من تكذيبهم، و قد علم من هذا و مما تقدم من نحوه مفرقا فى السور التى فيها مثله أن المتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الأخرى - و الله الهادى، و هذه الأقسام الماضية من تكذيبهم تتأتى أن تكون على تقدير الاعتقاد للاله على ما هو عليه من صفات الكمال فأتبعها قسما على تقدير التعطيل، و إذا لم يكن إله لم يكن رسول فيأتى التكذيب، ثم أتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير إثبات الإله لكن مع الضعف بالشركة، و لكون[3] الشركة تارة تكون من المتكلم و تارة من غيره، قدم منها ما للمتكلم على زعمه، و قدم[4] تقدير شركته بالخلق ثم بضبط الخزائن ثم بالكتابة ثم بسماع

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: يلزمهم (٣) من مد، و فى الأصل: لكن (٤) من مد، و فى الأصل: قد تقدم.

الأسرار ثم بضعف السعة بالرضا بالصنف الأردأ .

و لما مضت فضيحتهم بالتحدى ، و كانت عندهم فضيحة التناقض دون فضيحة المعارضة ، فكانوا يقدمونها عليها ، فلم يحدث أحد منهم يوما من الأيام بشيء مما يعارضه به علما منهم بأنهم يصيرون بذلك إلى خزى لايمكن أن يغسل عاره كما صار مسيلمة ، لأنهم [كانوا -[1]] أعقل العرب ٥ وكان التقدير كما هدى إليه السياق : فانك مستو معهم بالنسبة إلى إيجاد الله لكم، هو سبحانه خالقهم كما أنه خالقك ، و لاخصوصية لك منه على زعمهم : أهو خالقهم كما هو خالقك فيلزمهم أن يأتوا بمثل ما تأتى به ، و كان ذلك على تقدير إقرارهم بالله و ادعائهم لكذبه صلى الله عليه و سلم ، عادله سبحانه تبكيتا لهم و إظهارا لفضائح هي أشنع مما فروا[2] ١٠ منه من المعارضة بقوله على تقدير أن يكونوا منكرين للاله أو مدعين لأن يكونوا آلهة[3] : ﴿ ام خلقوا ﴾ أى وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة ﴿من غير شيء﴾ فيكونوا مخالفين لصريح العقل إذ تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم كتعلقه بالمخلوق ليسلم لهم أنك تأتى بما لايقدرون على معارضته لأنك أقوى منهم بكونك مستندا إلى خالق و هم ليسوا مستندين ١٥ إلى شيء أو ليكونوا لذلك أقوى منك و أعلى ، فيكون لهم التكبر عليك ﴿ ام هم الخلقون ۟ ﴾ أى الذين لهم هذا الوصف فيكونون قد خلقوا أنفسهم ليكونوا بذلك شركاء فيكون[4] الخالق و المخلوق واحدا ،

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : قرارا (٣) زيد فى الأصل : فقالوا ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : فيكونوا .

و هو مثل القسم الذى قبله فى عدم الاستناد إلى شىء أو يكون ثبوت
هذا الوصف لهم موجبا لأن يكونوا على ثقة مما يقولون و للتكبر[1]
عليك ، فان ادعوا ذلك حكم أدنى الخلق بجنونهم ؛ ﴿ ام خلقوا ﴾ أى
[على - [2]] وجه الشركة ﴿ السموٰت و الارض ﴾ فهم / لذلك عالمون /٧٦
٥ بما فيها على وجه الإحاطة و اليقين حتى علموا أنك تقولته ليصير لهم رده
و التهكم عليه ؛

و لما كان التقدير: لم يكن شىء من ذلك ليكون لهم شبهة فى
الكلام فيك ، عطف عليه قوله : ﴿ بل لايوقنون ﴾ أى ليس لهم نوع
يقين ليسكنوا إلى شىء[3] واحد لكونه الحق أو ليعلموا أن هذه الملازم
١٠ الفاضحة تلزمهم فيكفوا عن أمثالها ﴿ ام عندهم ﴾ أى خاصة دون غيرهم
﴿ خزآئن ﴾ و لما كان ذكر الرحمة لايقتضيه مقصود السورة الذى هو
العذاب ، لم تذكر كما فى ص و سبحان فقيل[4] : ﴿ ربك ﴾ المحسن إليك
بارسالك بهذا الحديث فيعلموا أن هذا الذى أثبت به ليس من قوله
لأنه لاتصرف له فى الخزائن إلا بهم ، فيصح قولهم: إنك تقولته و حينئذ
١٥ يلزمهم فضائح لا آخرلها ، منها أن يأتوا بحديث مثله بل أحسن منه من
تلك الخزائن ﴿ ام هم ﴾ لا غيرهم ﴿ المسيطرون ﴾ أى الرقباء الحافظون
و الجبارون و المسلطون الرؤساء الحكماء الكتبة ، ليكونوا ضابطين للأشياء
كلها كما هو شأن كتّاب السر عند الملوك فيعلموا أنك تقولت هذا

(١) من مد ، و فى الأصل : لتنكر (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : قول (٤) زيد فى الأصل : رحمة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

الذكر لأنهم لم يكتبوا به إليك ﴿ ام لهم سلّم ﴾ يصعدون به [إلى -[1]] السماء ﴿ يستمعون ﴾ أى يتعمدون السمع لكل ما يكون فيها و منها ﴿ فيه ج ﴾ أى فى ذلك السلم و بسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس الملوك فى الدنيا [و يعلم ما - [1]] يقع فيها ليكونوا ضابطين[2] لما يأتى من الملك فيعلموا أن ما قالوه فيك حق . و لما كان من يكون هكذا متمكنا من الإتيان منها بالعجائب ، سبب عنه قوله : ﴿ فليأت مستمعهم ﴾ إن ادعوا ذلك ﴿ بسلطن مبين ؕ ﴾ أى حجة قاهرة بينة فى نفسها ، موضحة لأنها من السماء على صحة ما يرمونك به .

و لما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة ، وكان ادعاؤهم الولد[3] عظيما جدا لدلالته على حاجته و ضعفه ، و كان جعله بنات ١٠ أعظم لأنه دال مع ضعفه على سفهه ، دل على استعظامه بالالتفات إلى خطابهم بعذابهم فقال : ﴿ ام له البنت ﴾ [أى - [1]] كما ادعيتم ﴿ و لكم ﴾ أى خاصة ﴿ البنون ؕ ﴾ لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم و تردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه و قوتكم . و هذه[4] الأقسام كلها على تقدير ١٥ التكذيب ، و هى هنا بذكر ما على تقدير التصديق ، و إنما وقع الرد فيها لعارض عرض .

و لما كان المكذب بشيء قد يكون معترفا بأنه من عند إلهه ، و أن

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل : للاشياء كلها ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : هذا .

إلهه متصف بجميع [1]صفات الكمال[1] فلا شريك له، و إنما تكذيبه لقادح لايقدر عليه، وكرب رمى بجميع[2] أنكاده إليه، أعرض عنهم التفاتا إلى الأسلوب الأول فقال مخاطبا له صلى الله عليه و سلم تنويها بذكره و رفعا لعظيم قدره و تسلية لما يعلم من نفسه الشريفة البراءة منه :/ ﴿ام تسئلهم﴾ أى ٧٧ /

٥ أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواضع[3] التهم ﴿اجرا﴾ على إبلاغ ما أتيتهم به ﴿فهم من مغرم﴾ و لوقل، و المغرم : التزام[4] ما لا يجب ﴿مثقلون﴾ أى حمل عليهم حامل بذلك ثقلا فهم لذلك يكذبون من كان سببا فى هذا الثقل بغير مستند ليستريحوا مما جره لهم من الثقل .

و لما كان من يدعى الانفراد بشىء يحسد من يدعى مشاركته فيه

١٠ قال : ﴿ام عندهم﴾ اى خاصة بهم ﴿الغيب﴾ أى علمه ﴿فهم يكتبون﴾ أى يجددون للناس [كتابة -[5]] جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم و يضرهم حتى يحسدونك[6] فيما شاركتهم به منه، فيردوه لذلك، و ينسبوك إلى ما نسبوك إليه مما يعلم كل أحد ترفعك عنه و بعدك منه ﴿ام يريدون﴾ بهذا القول الذى يرمونك به ﴿كيدا﴾ [7]أى مكرا[7] أو ضررا عظيما

١٥ يطفئون به نور الله بزعمهم مع علمهم بأنك صادق فيه، [فهم -[5]] بسبب إرادتهم ذلك - هكذا كان الأصل، و لكنه قال تعميما و تعليقا للحكم بالوصف : ﴿فالذين كفروا﴾ أى ستروا الأدلة تارة عنادا و تارة

(١ - ١) من مد، و فى الأصل : انواع الكلام (٢) من مد، و فى الأصل : بعظيم (٣) فى مد : مواقع (٤) من مد، و فى الأصل : الزام (٥) زيد من مد . (٦) من مد، و فى الأصل : يحسدون (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد .

بالإعراض عن تأملها ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المكيدون ه ﴾ أى يختص وبال الكيد بلزومه لهم و قطعه لدابرهم لأن من كان الإله عليه كان خاسرا ، و أقرب ما آلهم من الكيد الظاهر فى بدر عن انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من "أم" و هى خمسة عشر مرة لأن بدرا كانت فى الثانية من الهجرة ، و هى الخامسة عشرة من النبوة ، فقد سبب الله فيها من الأسباب ٥ ما أوجب سعيهم[1] إلى هلاكهم بأمور خارقة للعادة ، فلو كانت لهم بصائر لكفتهم فى الهداية، و الرد عن الضلالة و الغواية .

و لما كان التقدير : أكذلك الأمر عادله بقوله : ﴿ أم لهم اله ﴾ يمنعهم من التصديق بكتابنا ، أو يستندون إليه للأمان من عذابنا ﴿غير الله ط﴾ الذى أحاط بجميع صفات الكمال ، فلا يمكن بوجه من الوجوه و لا على ١٠ تقدير من التقادير أن يكون معه إله ، و لذلك وصل بـه قوله : ﴿ سبحن الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى تعالى أن يدانى جنابه شائبة نقص ﴿عما يشركون ه﴾ من الأصنام و غيرها ، و أخر سبحانه هذا القسم و هو من الشركة لكن بالغير لأنه آت على تقدير التصديق للرسول صلى الله عليه و سلم و لأنه دينهم الذى أوقفهم عن الهدى ، فأوقعهم فى ١٥ الردى ، ليختم بنفسه و التنزيه عن الاقسام فيحصل به غاية القصد و المرام ، و الحاصل أنه قسم به سبحانه حالهم فى ردهم القرآن إلى التكذيب و غيره ، و لما كان التكذيب - و هو النسبة إلى الكذب و هو عدم المطابقة للواقع - إما فى الإرسال ، و إما فى المعانى ، [و-[2]] ما وقع به الإرسال

(١) من مد ، و فى الأصل : سبيهم (٢) زيد من مد .

إما لنقص فى الرسول [1]و إما[1] النقص فى المرسل، و الذى فى الرسول
إما أن يكون لأمر خارج عنه او لأمر داخل فيه. و لما كان الخارج
قد يكون معه نقص / دخل بذاته، و لما كان ذلك قد يكون فيه ما يمدح / ٧٨
به و لو من وجه، و هو الكهانة بدأ بها، و اتبعه الداخل لذلك بأدنا
٥ بما قد يمدح به و هو الشعر. و لما كان القول بجمع الكهانة و[2] الشعر
و الجنون[2] فى شخص واحد على غاية من ظهور التناقض لايخفى، اتبعها
الرمى بالتهكم على عقولهم. و لما كان الكذب فى الرمى بالتقول قد يخفى،
أتبعه دليله بالعجز عن المعارضة. و لما قسم ما رموا به الرسول، أتبعهم
ما ألزمهم به فى المرسل، و لما كان ذلك إما أن يكون بالتعطيل أو لا،
١٠ و كان التعطيل أشد، بدأ به و هو الخلق من غير شىء، و لما كان النقص
مع الإقرار بالوجود إما أن يكون بالشركة أولا، و كان ما بالشركة إما
أن يكون المكذب هو المشارك أولا، و كانت شركة المكذب [أقعد
فى التكذيب بدأ بها، و لما كانت شركة المكذب -[3]] إما أن تكون
فى الخلق أو لا، و كان الأول إما أن يكون بخلق النفس أو[4] الغير،
١٥ و كانت الشركة بخلق النفس ألصق، بدأ بها فى قوله: "أم هم الخالقون"
و لما كانت الشركة بغير الخلق إما أن يكون بضبط الحواس أو لا،
و كان الثانى إما أن يكون بضبط الكتابة فيها و إليه الإشارة بالمسيطر،
أو بضبط ما يؤمر به فيها و إليه الإشارة بالسلم أو بسفه صاحب الخزائن
لرضاه بالبنات، و كان كل قسم أشد مما بعده رتبه[5] هكذا. و لما انتهى ما يرجع

(١ - ١) فى مد: او (٢ - ٢) فى مد: الجنون و الشعر (٣) زيد من مد.
(٤) من مد، و فى الأصل «و» (٥) فى مد: رتبها.

إلى التكذيب، اتبعه الرد لا للتكذيب بل لأمر آخر . و لما كان ذلك
الأمر إما من الآتى أو من المأتى إليه [أو من غيرهما ، و كان ما من الآتى
ألصق بدأ به و هو المغرم ، و لما كان ما من المأتى إليه - [1]] إما الحسد
أو غيره ، و كان أمر الحسد أشد ، بدا به و هو المشاركة فى الأنباء بما
يكون به الفخر و الرئاسة و هو علم الغيب - [1]] الناظر توجه للكهانة ٥
المبدوء بها فى قسم التكذيب ، و أخر ما من الغير[2] و هو الشريك
المانع لهم من القبول ، و خلطه بهذا القسم مع كونه قسيما لما فرض فيه
المكذب مشاركا لخلوه عما قارن تلك الأقسام من التكذيب ، هذا
تمام القول فى إبطال ما لزمهم فيما تقولوه فى أمر القرآن ، و قد تضمن
ما ترى من تأصيله و تقسيمه و تفصيله من بيان مقدورات الله و عجائب ١٠
مصنوعاته ما ألزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة و الإذعان للحق
مع ما له من الإعجاز فى ترتيبه و نظمه و تهذيبه و تسهيله و تقريبه بجلوا
أسلوبه العظيم بألفاظ هى الدر النظيم ، و معان علت عن لاحق بغريزة
أو تعليم ، يكاد لها أثبت القلوب يهيم فيطير ، و أبلغ البلغاء فى افنان
روحها يتدله و يحير ، فكان ذلك كما قال جبير بن مطعم رضى الله عنه ١٥
كما روى البخارى و مسلم و أبو داود و النسائى و ابن ماجه رضى الله عنهم
أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ فى المغرب بالطور ، و قال البخارى
فى التفسير : فلما بلغ هذه الآية " ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون "
[ام خلقوا السموٰت و الارض بل لايوقنون أم عندهم خزائن ربك

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : الغيب .

أم هم المسيطرون" كاد قلبي يطير، و قال ابن ماجه: فلما سمعته يقرأ "ام من غير شيء أم هم الخالقون"-[1]] إلى قوله: "فليات مستمعهم بسلطن مبين" كاد قلبي يطير . و سبق فى أول السورة ما ذكره البغوى من هذا الحديث .

٧٩ / ٥ و لما كان التقدير تسكينا / لقلب من يريد إجابتهم إلى الآيات المقترحات طمعا فى إيمانهم: فلقد تلونا عليهم فى هـذه السورة و غيرها من الآيات، و خلونا من المعجزات البيـنات، و أتينا من تناقضهم فى هذه التقسيمات، بما يهد الجبال الشامخات، و بينا من فضائحهم[2] بحسن سوقها و حلاوة ذوقها، و صحة معانيها و إحكام مبانيها، ما يزلزل الراسيات، و يحل ١٠ العزمات، و يفرج الأزمات، و يصد ذوى المروات عن أمثال هذه النقائص الفاضحات، بما لها من الأدلة الواضحات، و لكنهم لما ألزمناهم به من العكس لايؤمنون، و كدناهم بما[3] أعمينا من بصائرهم فهم لايعلمون أنهم المكيدون، عطف عليه قوله: ﴿و ان يروا﴾ أى معاينة ﴿كسفا﴾ قطعة، و قيل: قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة و سدر ﴿من السمآء﴾ نهارا ١٥ جهارا ﴿ساقطا يقولوا﴾ لددا و تجلدا فى البغى إصرارا، و تعلقهم بما امكنهم من الشبه تخييلا على العقول و إيقافا لذوى الآراء و الفهوم دأب الأصيل فى نصر الباطل و مكابرة الحق لما لهم من العراقة فى عمى القلوب بما لنا من القدرة على صرفهم عن وجوه الأمر: هذا ﴿سحاب﴾ فان قيل

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: قضائهم (٣) زيد فى الأصل: اعيناهم و، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

لهم: هو مخالف للسحاب بصلابته، قالوا: ﴿مركوم﴾ أى تراكم بعضه على بعض فتصلب، و لذلك سبب عن هذا الحال الدال على أنهم وصلوا فى عمى البصائر إلى أنه لو جاءتهم كل آيـــة لا يؤمنون، قوله لنبيه صلى الله عليه و سلم و من تبعه: ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على شر أحوالهم ﴿حتى يلقوا﴾[1] سعيا [بسوء أعمالهم -[2]] ﴿يومهم﴾ كما [3]أنه هو[3] يسعى ٥ إليهم لاستحقاقهم لما فيه ﴿الذى فيه﴾ لا [فى -[2]] غيره لأن ما حكمنا [به -[2]] لا يتقدم و لا يتأخر ﴿يصعقون﴾ بالموت من شدة الأهوال وعظيم الزلزال كما صعق بنو إسرائيل فى الطور، و لكنا لانقيمهم كما أقمنا أولئك إلا عند النفخ فى الصور لنحشرهم إلى الحساب الذى يكذبون به، و الظاهر أن هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصرة فيه فما أغنى أحد ١٠ منهم عن أحد شيئا كما قال أبو سفيان بن الحارث: ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكـــتافنا يقتلوننا[4] كـــيف شاؤا و يأسروننا كـــيف شاؤا. ﴿يوم لا يغنى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم كيدهم﴾ الذى يزعمونه بهذه الأقوال المتناقضة ﴿شيئا﴾ أى من الإغناء فى دفع شيء يكرهونه من الموت و لا غيره كما يظنون أنه يغنى عنهم فى غير ذلك من أحوال ١٥ هذه الدار بتثبيط الناس عن اتباع القرآن بما يصفونه به من البهتان ﴿و لا هم ينصرون﴾ أى لا يتجدد لهم نصر من أحد ما فى ساعة ما.

و لما أفهم هذا الكلام السابق أن التقدير: فان لكل ظالم فى ذلك

---

(١) من مد، و فى الأصل: لاقوا (٢) زيد من مد (٣ - ٣) من مد، و فى الأصل: انهم (٤) من مد، و فى الأصل: فيقتلوننا.

اليوم عذابا لايحيط به الوصف ، فان الإصعاق من أشد ما يكون من
العذاب ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من الإنكار أن ينصر عليهم
المؤمنون و هم من الكثرة و القوة / بحيث لامطمع فيهم لأحد لاسيما /٨٠
لمن هم مثل فى الضعف و القلة ﴿و ان﴾ وكان الأصل : لهم ، و لكنه
٥ أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿للذين ظلموا﴾ أى أوقعوا
الأشياء فى غير مواقعها كما يقولونه فى القرآن و يفعلونه من العصيان
و يعتقدون من الشرك و البهتان ﴿عذابا دون ذلك﴾ أى غير عذاب
ذلك اليوم الصعب المرير ، أو أدنى رتبة منه ، إن كان المراد بالصعق ما
يكون بعد البعث فبعذاب البرزخ فى القبور ، و إن كان المراد به الموت
١٠ فبما يلقونه فى الدنيا من عذابى بواسطتكم مثل تحيزكم إلى الأنصار فى دار
الهجرة و معدن النصرة و صيرورتكم فى القوة بحيث تناصبوبهم[1] الحرب ،
و تعاطونهم الطعن و [2]الضرب ، فتكونوا بعد أن كنتم [طوع - ٢]
أيديهم قذى فى أعينهم و شجا فى حلوقهم و دحضا لأقدامهم و نقضا
لإبرامهم ، و مثل القحط الذى حصل لهم و السرايا التى لقيتموها[3] فيها
١٥ مثل سرية حمزة أسد الله و أسد رسوله ، و عبيدة بن الحارث و عبيد الله
ابن جحش التى كانت مقدمة لغزوة بدر .

و لما كان بعضهم يبصر هذا مثل عتبة بن ربيعة و الوليد بن مغيرة
و النضر بن الحارث و يقولون : و الله ما هو شاعر و لا كاهن و لا ساحر
و لا مجنون ، و ليكونن لقوله الذى يقول نبأ ، قال : ﴿و لكن اكثرهم﴾

---

(١) من مد ، و فى الأصل : تناصبوا منهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
و فى الأصل : لقيتموه .

بسبب ما يرون من كثرتهم و حسن حالهم فى الدنيا وقوتهم ﴿ لا يعلمون ۝ ﴾ أى يتجدد لهم علم بتقويتكم عليهم لأنهم[1] لاعلم لهم أصلا حتى يروا ذلك معاينة .

و لما كان العلم المحيط من الملك القاهر أعظم مسل للولى و أكبر مخيف للعدو، قال عاطفا على " فذرهم " أو على ما تقديره : فكن أنت ٥ من العلماء بذلك ليكون فيه لك أعظم تسلية : ﴿ و اصبر ﴾ أى أوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت فيه من أداء الرسالة و ما لها من الكلف من أذى الناس و غيره و لكونه فى مقام الإعراض[2] عن الكفار و كون إعراضه عنهم أصعب عليه من مقاساة إنذاره و إن نشأ عنها تكذيبهم و استهزاؤهم ، اشتدت العناية هنا بالصبر فقدم ، و أيضا فان الإعراض ١٠ عنهم مقتض لعدهم فانين ، و ذلك هو مقام الجمع ، و الجمع لايصلح إلا بالفرق ، فلذلك قدم الأمر بالصبر ، و ذكر الحكم إشارة إلى أنه متمكن فى مقام الفرق كما انه عريق فى مقام الجمع بخلاف المدثر ، فان سياقها للانذار الناشىء عنه غاية الأذى فاشتدت العناية هناك[3] بتقديم ذكر الإله نظرا إلى الفناء عن الفانين و إن كان مباشرا لدعائهم ، و عبر بما يذكر ١٥ بحسن التربية زيادة فى التعزية فاقتضى هذا السياق أن رغبه سبحانه بقوله : ﴿ لحكم ربك ﴾ أى المحسن إليك فانه هو المريد لذلك و لو لم يرده لم يكن شيء منه ، فهو إحسان [منه -[4]] إليك و تدريب لك و ترقية فى معارج

(١) فى مد : لأنه (٢) زيد فى الاصل : عن الناس ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل : هنا (٤) زيد من مد .

/٨١ الحكم، و سبب عن ذلك قوله لما يغلب على الطبع البشرى / فى بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان: ﴿فانك باعيننا﴾ جمع لما اقتضته نون العظمة[1] التى هذا سياقها، و هى ظاهرة فى الجمع و إشارة إلى أنه محفوف بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكلوء مرعى به و بجنوده و فاعل فى
٥ حفظه فعل من له أعين محيطة بمحفوظه من كل جهة من جهاته.

و لما كانت الطاعة أعظم ناصر و أكبر معز، و كانت الصلاة أعظمها قال: ﴿و سبح﴾ أى أوقع التنزيه عن شائبة كل نقص بالقلب و اللسان و الأركان، متلبسا ﴿بحمد ربك﴾ أى المحسن إليك، فأثبت له[2] كل كمال مع تنزيهه له عن كل نقص، فلا يكون فى ملكه ما لا يريد و لا يريد
١٠ إلا [ما - [3]] هو حكمة بالغة ﴿حين تقوم ﴾ أى من الليل فى جميع الأوقات التى هى مظنة القيام على الأمور الدنيوية و الأشغال النفسانية، و هى أوقات النهار الذى [هو - [3]] الانتشار بصلاة الصبح و الظهر و العصر، و تحتمل العبارة التسبيح عند كل قيام بكفارة المجلس و هو[4] «سبحانك اللهم و بحمدك اشهد أن لا إلٰه انت أستغفرك و اتوب ليك»
١٥ فانها تكفر ما كان فى المجلس - كما رواه أبو داود و الترمذى و قال: حسن صحيح غريب و النسائى و ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ﴿و من اليل﴾ الذى هو محل السكون و الراحة ﴿فسبحه﴾ كذلك بالنية و القول كلما انتبهت و بالفعل بصلاة

(١) من مد، و فى الأصل: عظمتنا (٢) من مد، و فى الأصل: لك (٣) زيد من مد (٤) فى مد: هى.

المغرب و العشاء و صلاة الليل ، و لتعظيمه صرح بذلك و قدمه على الفعل ، و الضمير يعود على المضاف إليه ، و أشار إلى التهجد بعد دخوله فيما قبله بقوله : ﴿ و ادبار النجوم ﴾ أي ر سبحه فى وقت إدبارها أى إذا أدبرت ، و ذلك من آخر الليل فى نصفه الثانى ، و كلما قارب الفجر كان أعلى و بالإجابة[1] أولى ، و إلى قرب الفجر تشير قراءة الفتح[2] جمع دابر أى فى ٥ أعقابها عند خفائها أو افولها ، و ذلك بصلاة الفجر سنة و فرضا أحق و أولى لأنه وقت إدبارها حقيقة ، فصارت [عبادة] الصبح محثوثا[3] عليها مرتين تشريفا لها و تعظيما لتدرها[4] فان ذلك ينجي من العذاب الواقع ، و ينصر على[5] العدو الدارع ، من المجاهر المدافع ، و المنافق المخادع ، و قد رجع آخرها على أولها ، و مقطعها على موصلها ، بحلول العذاب على الظالم ، و بعده عن[6] ١٠ الطائع السالم - [و الله الموفق - [7]]

(١) من مد ، وفى الأصل : بالاحاطة (٢) راجع نثر المرجان ٧/٧٩ (٣) من مد ، و فى الأصل : محبونا (٤) من مد ، و فى الأصل : نقدرتها (٥) من مد ، و فى الأصل : من (٦) من مد ، و فى الأصل : على (٧) زيد من مد ، و زيد بعده فيه « تم الجزء المبارك على يد أقل عبيده و أحوجهم إليه الفقير سالم السنهورى المالكى بعيد الثمين من يوم الأربعاء سابع عشرى محرم سنة ٩٧١ . وأدناه بيتان :

تم الكتاب تكاملت نعم السرور لصاحبه
و عفا الإله بفضله عن قارئيه و كاتبه

و من هنا أفل نجم نسخة مد لا للشروق مرة أخرى .

سورة النجم[1]

مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال و العمى بالإخلاد إلى الدنيا التى هى دار الكدور و البلاء ، و التصرم و الفناء ، و مدح العلم لإثماره الهدى فى الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء فى السعادة أو الشقاء ، و الحث
٥ على اتباع النبي صلى الله عليه و سلم فى نذارته التى بينتها سورة ق و صدقتها[2]
/ الذاريات و أوقعتها ، عينتها الطور كما تبع فى بشارته لأن علمه هو العلم /٨٢
لأنه لاينطق عن الهوى لا فى صريح الكناية و لا فى بيانه له لأن الكل عن الله الذى له صفات الكمال فلا [بد] من بعث الخلق إليه و حشرهم لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع أهل التزكى و الظهور ، و يضع أهل
١٠ الفجور ، و يفضح كل متحل بالزور ، متجل للشرور ، و على ذلك دل اسمها النجم عن تأمل القسم و الجواب و ما نظم به من نجوم الكتاب ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط بصفات الكمال فلا يكون رسوله إلا من ذى الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الموجودات بصفة الجمال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وده بالإنقاذ من الضلال و الهداية إلى ما يرضى من الخلال
١٥ و صالح الأعمال .

و لما ختمت الطور بأمره صلى الله عليه و سلم بالتسبيح و التحميد ، و كان أمره تكوينا لا تكليفا ، فكان فاعلا لا محالة ، و ذاك بعد تقسيمهم القول فى النبى صلى الله عليه و سلم بأنه كاهن و ساحر و مجنون ، و كان

---

(١) الثالثة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عددآيها ٦٢ عند الكوفيين و ٦١ عند غيرهم - كما فى نثر المرجان ٧ / ٧٩ (٢) فى الأصل : صدقها .

لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها و بمنعها بالرجوم من النجوم كما بين آخر الشعراء، افتتحت هذه بالحث على الاهتداء بهديه و الاستدلال بدله و اتباع أثره، و لما كان من ذلك تسبيحه بالحمد فى إدبار النجوم أقسم أول هذه بالنجم على وجه أعم مما فى آخر تلك فعبر بعبارة تفهم عروجه و صعوده لأنه لايغيب فى الأفق الغربى واحد من ٥ السيارة إلاوطلع من الأفق الشرقى فى نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، و الأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التى فيها ما توعدون و الحراسة من المردة حفظا لنجوم الكتاب و الاهتداء به فى الدين و الدنيا، و غير ذلك من الحكم التى يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ﴿ و النجم ﴾ أى هذا ١٠ الجنس من نجوم السماء أو القرآن لنزوله منجما مفرقا و هم يسمون[1] التفريق تنجيما - أو النبات، قال البغوى[2]: سمى النجم[3] نجما لطلوعه و كل طالع نجم. ﴿ اذا هوى لا ﴾ أى نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما إن كان المراد السمائى، فكانت عنده العبادة و الاستغفار و الدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد ١٥ فكان به اهتداء المصلى و القارئ و السارى، فانه يقال: هوى هويا - بالفتح إذا سقط، و بالضم - إذا علا و صعد، أو نزل به الملك للاصعاد و للابعاد إن كان المراد القرآنى لما يحصل من البركات فى الدين و الدنيا و الشرح

---

(١) فى الأصل: يسمعون (٢) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢١٢ .
(٣) فى المعالم: الكوكب (٤) راجع المعالم .

للصدور ، و الاطلاع على عجائب المقدور ، أو إذا سقط منبسطا على الأرض أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات ، لما فيه من غريب الصنعة و جليل التقدير الدال على عام القدرة و كمال العلم و التوحد بالملك و الغنى المطلق .

و لما أقسم / بهذا القسم الجليل ، أجابه بقوله معبرا بالماضي نفيا ٨٣ / لما كانوا رموه به و ليسهل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريق الأولى : ﴿ ما ضل ﴾ أى عدل عن سواء المحجة الموصلة إلى غاية المقصود أى إنه ما عمل عمل الضالين يوما من الأيام فتى تقول القرآن عنده و لاعلم فيه عمل المجانين و لا غيرهم ما رموه به و أما « وجدك ضالا » فالمراد غير عالم ، و عبر بالصحبة مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيها و مقبلة بهم إليه و مقبحة عليهم اتهامه فى إنذاره و هم يعرفون طيب أعرافه و طهارة شمائله و أخلاقه فقال : ﴿ صاحبكم ﴾ أى فى إنذاره لكم فى القيامة فلا وجه لكم فى اتهامه .

و لما كان الهدى قد يصحبه ميل لايقرب الموصول إلى القصد و إن حصل به نوع خلل فى القرب أو نحوه فقد يكون القصد مع غير صالح قال : ﴿ و ما غوىٰ ج ﴾ و ما مال أدنى ميل و لا كان مقصوده مما يسوء فانه محروس من أسبابه التى هى غواية الشياطين و غيرها ، و قد دفع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه و سلم ، و أما بقية الأنبياء فدفعوا عن أنفسهم « ليس بى ضلالة » « ليس بى سفاهة » ، و نحو ذلك - قاله القشيرى .

و لما كان قد يكون مع الهوى مصادقة [قال -[1]] : ﴿ و ما ينطق ﴾

---

(١) زيد ولا بد منه .

اى

أى يجاوز نطقه فمه فى وقت من الأوقات لا فى الحال و لا فى الاستقبال ، نطقا ناشئا ﴿عن الهوىٰ ﴾ أى من أمره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم و الشعراء و غيرهم ، و ما تقول هذا القرآن من عند نفسه . و لما أكد سبحانه فى نفسه ذلك عند التأكيد تنزيها له عما نسب إليه ، فكان ذلك مظنة السؤال عن أصل ما تقوله ، أجاب بالحصر و الآية أصرح و أدفع لإنكارهم البالغ فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾ أى الذى يتكلم به من القرآن و بيانه ، و كل أقواله و أفعاله و أحواله بيانه ﴿ الا وحى ﴾ أى من الله تعالى ، و أكده بقوله : ﴿ يوحىٰ ﴾ أى يجدد إليه إيحاؤه منا وقتا بعد وقت ، و يجوز أن يجتهد صلى الله عليه و سلم ، فاذا استقر اجتهاده على شيء أوحى إليه أنك قد أصبت الحق ، مع أنه سبحانه قد أذن له فى الاجتهاد بالوحى مع أن من يرد ما يجتهد فيه إلى ما أوحى إليه برئ من الهوى .

و قال أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما قطع سبحانه تعليقهم بقولهم : ساحر و شاعر و مجنون - إلى ما هو به مما علموا أنه لا يقوم على ساق ، و لكن شأن المنقطع المبهوت أن يستريح إلى ما أمكنه و إن لم يغن عنه ، أعقب الله سبحانه بقسمه على تنزيه نبيه و صفيه من خلقه عما تقوله و توهمه الضعفاء فقال تعالى : " والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى " ثم أتبع سبحانه هذا القسم ببسط الحال فى تقريبه عليه السلام و إدنائه و تلقيه لما يتلقاه من ربه و عظيم /منزلته لديه ، و فى إبداء ذلك يحركهم عز وجل و يذكرهم و يوبخهم على سوء نكاياتهم بلطف و استدعاء كريم

/ ٨٤

منعم فقال تعالى " افرأيتم اللات و العزى " و التحمت الآى على هذه الأغراض إلى الإعلام بانفراده سبحانه بالإيجاد و القهر و الإعزاز و الانتقام، لايشاركه فى شيء من ذلك غيره فقال " و ان الى ربك المنتهى و انه هو اضحك و ابكى " . و لما بين ذلك فقال " فباى 'الاء ربك تتمارى" اى فى أىّ نعمة تشكون أم بأى آية تكذبون؟ ثم قال " هذا نذير من النذر الاولى " و إذا كان عليه الصلاة و السلام .... فشأن مكذبيه شأن مكذبى غيره ـ انتهى .

و لما كان الوحى ظاهرا فيما بواسطة الملك، تشوف[1] السامع إلى بيان ذلك فقال مبينا له بأوصافه لأن ذلك أضخم فى حقه و أعلى لمقداره: ﴿ علمه ﴾ أى صاحبكم الوحى الذى أتاكم به ﴿ شديد القوٰى ﴾ أفلا تعجبون من هذه البحار الزاخرة التى فأقكم بها و هو أمى فان معلمه بهذه الصفة التى هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به ﴿ ذو مرة ﴾ أى جزم فى قوة و قدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به و الطاقة لحمله فى غير آية النشاط و الحدة كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس ماض فى مراوته على طريقة واحدة عل غايـــة من الشدة لاتوصف لا التفات له بوجه إلى غير ما أمر به، فهو على غاية الخلوص فهو مجتمع القوى مستحكم الشأن شديد الشكيمة، لايبان فى شيء بزواله و من جملة ما أعطى من القوه و القدرة على التشكل، و إلى ذلك كله أشار بما سبب عن هذا من قوله: ﴿ فاستوٰى ﴾ فاستقام و اعتدل بغاية ما يكون

(١) فى الأصل: تشوق .

من قوته على أكمل حالاته فى الصورة التى فطر عليها ﴿ و هو ﴾ أى
و الحال أن جبرئيل عليه السلام ، و جوزوا أن يكون الضمير المنفصل
للنبى صلى الله عليه و سلم أى استوى جبرئيل عليهما السلام معه
﴿ بالافق الاعلىؕ ﴾ أى الناحية التى هى النهاية فى العلو و الفضل من
السماوات مناسبة لحالة هذا الاستواء ، و ذلك حين رآه النبى صلى الله عليه ٥
و سلم جالسا على كرسى بين السماء و الأرض قد سد الأفق .

و لما كان الدنو من الحضرة الإلهية - التى هى مهيئة لتلقى الوحى -
من العلو و العظمة بحيث لايوصف ، أشار إلى ذلك بأداة التراخى فقال:
﴿ ثم ﴾ أى بعد ذلك الاستواء العظيم ﴿ دنا ﴾ أى جبرئيل عليه السلام
من الجناب الأقدس دنو زيادة فى كرامة لادنو مسافة ، و كل قرب يكون ١٠
منه سبحانه فهو مع أنه منزه عن المسافة يكون على وجهين : قرب إلى
كل موجود من نفسه ، و قرب ولاية حتى يكون سمع الموجود و بصره
بمعنى أنه لايسمع و لايبصر إلا ما يرضاه - أشار إليه ابن برجان ، فأخذ
الوحى الذى أذن له فى أخذه / فى ذلك الوقت ﴿ فتدلّىٰ ﴾ عقب /٨٥
ذلك من الله رسولا إلى صاحبكم أى أنزل إليه نزولا هو فيه كالمتدلى ١٥
إليه بحبل فوصل إليه و لم ينفصل عن محله من الأفق الأعلى لما له من
القوة و الاستحكام ، قال البيضاوى : فان التدلى هو استرسال مع تعلق
كتدلى الثمرة ﴿ فكان ﴾ فى القرب من صاحبكم فى رأى من
يراه منكم ﴿ قاب ﴾ أى على مسافة قدر ﴿ قوسين ﴾ من قسيكم ، قال
الرازى فى اللوامع : أى بحيث الوتر فى القوس مرتين ، و عن ابن عباس ٢٠

رضى الله عنهما : القوس الذراع بلغة أزدشنوءة ، و قال ابن برجان : قاب القوسين : ما بين السيين ، و قيل : ما بين القبضة و الوتر ﴿ أو ادنى ﴾ بمعنى أن الناظر منكم لو رآه لتردد و قال ذلك لشدة ما يرى له من القرب منه صلى الله عليه و سلم ، روى مسلم فى الإيمان من صحيحه[1] عن الشيبانى قال :
٥ سالت زر بن حبيش عن قوله تعالى " فكان قاب قوسين " فقال : أخبرنى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح ﴿ فاوحى ﴾ أى ألقى سرا من كلام الله بسبب هذا القرب ، و عقبه بقوله : ﴿ الى عبده ﴾ أى عبد الله ، و إضماره من غير تقدم ذكره صريحا لما هو معلوم مما تقدم فى آخر الشورى أن
١٠ كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول يوحى باذنه سبحانه ، و المقام يناسب الإضمار لأن الكلام هو الوحى الخفى ، و عبر بالبعد إشارة إلى أنه لم يكن أحد ليستحق هذا الأمر العظيم غيره لأنه لم يتعبد قط لأحد غير الله ، وكل من عاداه حصل منهم تعبـد لغيره فى الجملة ، فكان أحق الخلق بهذا الوصف مع [انه] كان يتعبد لله فى غار حراء و غيره ، و هذه النزلة
١٥ - و الله أعلم - كانت على هذا التقدير فى أول الوحى لما كان بحراء و فرق منه صلى الله عليه و سلم فرجع ترجف بوادره ، و قال : زملونى زملونى . و أشار إلى عظمة ما أنزل بقوله : ﴿ مآ اوحى ﴾ أى إنه يجل عن الوصف فأجمل له ما فصل له بعد ذلك ، هذا الذى ذكر من تفسير اضمار مظاهر العبارة و إن كان الإضمار فى جميع الأفعال لايخلو عن التباس

(١) راجع ١ / ٩٧ .

و اشكال

و إشكال، و يمكن لأجل احتمال الضمائر لما يناسبها من الظواهر أن يكون ضمير "دنا" و ما بعده لله تعالى، و حينئذ يصير في "عبده" واضحا كما تقدم في هذا الوجه جمله له سبحانه لأنه لايجوز لغيره، روى البخاري[1] في التوحيد في باب "و كلم الله موسى تكليما" عن أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء برسول الله صلى الله عليه و سلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ٥ ثلاثة[2] نفر قبل أن يوحى إليه و هو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، وكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه[3] و تنام / عينه و لاينام قلبه، و كذلك الأنبياء تنام أعينهم و لاتنام قلوبهم، فلم / ٨٦ يكلموه[4] حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه ١٠ السلام فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره و جوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا و حكمة فحشا [به -[5]] صدره و لغاديده[6]- يعني عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قالوا: و من ١٥ معك، قال: معي محمد، قالوا: و بعث إليه، قال: نعم، قالوا: فرحبا به

---

(١) راجع ٢ / ١١٢٠ - كتاب التوحيد (٢) من الصحيح، و في الأصل: ثلاث (٣) من الصحيح، و في الأصل: قبله (٤) من الصحيح، و في الأصل: فلم يكلموه (٥) زيد من الصحيح (٦) من الصحيح، و في الأصل: تفاديه - كذا.

و أهلا[1] - ثم ذكر عروجه إلى السماوات السبع، و أنه لما وصل إلى السماء السابعة [2]علا به[2] فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله [حتى - [3]] جاء سدرة المنتهى، و دنا الجبار رب العزة فتدلى منه فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه فيما يوحى الله إليه خمسين صلاة - فذكر مشورة موسى عليهما
٥ السلام فى سؤال التخفيف حتى صارت خمسا كل واحدة بعشرة، و دنا الجبار رب العزة فى هذا الوجـــه و هو رب العزة، و هو فى غاية الحسن إذا جمعته مع ما يأتى فى هذا الوجه المنقول عن جعفر الصادق رضى الله عنه فيكون المعنى أنه صلى الله عليه و سلم لما استوى بالأفق الأعلى فوصل إلى حد لا يمكن المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق سبحانه، و لذلك عبر
١٠ عنه بـ"ثم" يعنى أنه سبحانه تنزل له تنزلا[4] لا يمكن الاطلاع على كنه رتبته فى العلو و العظمة، ثم نزل ثم تنزل .

و لما كانت العبارة ربما أوهمت شيأ لا يليق [به -[5]] نفاه صلى الله عليه و سلم بما فى الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم أنه قربه تقريبا يليق به، و سمى ذلك دنوا فكان الدنو و التدلى تمثيلا لما وصل
١٥ منه سبحانه إلى عبده محمد صلى الله عليه و ســـلم بغاية السهولة و اليسر و اللطافة مع اتصاله بالحضرات القدسية، و التعبير بالتدلى لإفهام العلو مثل ما كنى بالنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا عن إجابة الدعاء بفتح أبواب

---

(١) من الصحيح، و فى الأصل : الملا ذا - كذا (٢ - ٢) من الصحيح، و فى الأصل : علاه (٣) زيد من الصحيح (٤) فى الأصل : تنزيلا (٥) زيد نظرا للسياق .

السماء كما رويناه فى جزء العيشى من حديث عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه تمثيلا بما نعرفه من[1] حال الملوك فى أن أحدهم يكون نزوله عن سريره أدنى فى إتيان خواصه إليه، و فتح بابه أدنى لمن يليهم، و كلما نزل درجه كان الإذن أعم إلى أن يصل إلى الإذن العام لجميع الناس، هذا علم المخاطبين بأن ذلك على سبيل التمثيل بمن يحتاج إلى هذه الدرجات، و أما ٥ من هو غنى عن كل شيء فله سبحانه المثل الأعلى و لا يشبه شيئا، و لا يشبهه شيء، و فى "قرآن الفجر" من سورة سبحان لهذا مزيد بيان، و قال القاضى عياض فى الشفاء[2] ما حاصله أن تلك الضمائر للنبى صلى الله عليه و سلم فقال: قال جعفر بن محمد - يعنى الصادق بن الباقر /: أدناه ربه حتى كان / ٨٧ منه كقاب قوسين، و قال أيضا[2]: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى ١٠ كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه و دنا محمد صلى الله عليه و سلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة و الإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه و زال عن قلبه الشك و الارتياب، و قال جعفر أيضا[2]: و الدنو من الله تعالى لا حد له، و من العباد بالحدود - انتهى. و حينئذ يكون ضمير «استوى» له صلى الله عليه و سلم، و يكون المعنى: فتسبب عن تعليم جبريل ١٥ له استواوه - أى اعتدال علمه - إلى غاية لم يصلها غيره من الخلق علما و كسبا بالملك و الملكوت و الحال أنه بالأفق الأعلى ليلة الإسراء، و تدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل حمل السبب للتدلى، و عبر به و هو ظاهر فى النزول من علو مع عدم الانفصال منه لئلا يوهم اختصاص

(١) فى الأصل: ما (٢) راجع ص ٩٥.

جهة العلو به سبحانه دون بقية الجهات، و منه «أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد» و كذا قيل فى الإشارة بـ "لا تفضلونى على يونس بن متى"، و من المحاسن جدا أن تكون ألف "تدلى" المنقلبة عن ياء فى هذا الوجه بدلا من لام فيكون من التدلل و هو الانبساط وثوقا ٥ بالمحبة، يقال: تدلل عليه، أى انبسط و وثق بمحبته فأفرط عليه، و انبساطه صلى الله عليه و سلم فى تلك الحالة إفراط كثرة سؤاله، و شفاعته فى أمته، و بذلك ظهر إلى عالم الشهادة أنه أرحم الخلق كما كان معلوما إلى عالم الغيب، فتسبب عنه زيادة تقريبه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، و إبراز هذا الكلام فى هذه الضمائر المتحملة لهذه الوجوه من غير ظاهر يعين ١٠ المراد يناسب لتلك الحالة، فانها كانت حالة غيب و خفاء و ستر، و كان العلم فيها واسعا، و سوق الضمائر هكذا يكثر احتمال الكلام للوجوه، فيتسع العلم مع أنه ليس فيها وجه يؤدى إلى لبس فى الدين و لا ركاكة فى معنى و لا نظم و لا مجال للعلم - و الله أعلم.

و لما أثبت هذا الكلام ما أثبت من القرب من النبى صلى الله عليه ١٥ و سلم ممن أوحى إليه على كلا التقديرين، قرره على وجه أفاد الرؤية فقال: ﴿ما كذب الفؤاد﴾ أى القلب الذى هو فى غاية الذكاء و الاتقاد ﴿ما رأى﴾ البصر أى حين رؤية البصر كان القلب، لا أنها رؤية بصر فقط تمكن فيها - للخلو[1] عن حضور القلب - النسبة إلى الغلط، و قال القشيرى ما معناه: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه و سلم ما رآه بصره، بل

(١) فى الأصل: الحلو - كذا.

رآه على الوصف الذى علمه قبل أن رآه فكان علمه حق اليقين، و فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله[1] عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم: هل رأيت ربك؟ قال: نور إنّى أراه، و فى صحيح مسلم أيضا[2] عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها لما أنكرت الرؤية: ألم يقل الله تعالى "و لقد رآه بالافق المبين" و "لقدا رآه نزلة أخرى" فقالت: ٥ أنا أول / هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: /٨٨ إنما هو جبرئيل عليه السلام، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء و الأرض. قال البغوى[3]: و ذهب جماعة إلى أنه رآه فقال بعضهم: جعل بصره فى فؤاده، ثم روى من صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٠ أنه قال: رآه بفؤاده مرتين، و ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه و هو قول أنس رضى الله عنه[4]، و قال ابن برجان ما معناه: إن النوم و الصعق من آيات الله على لقاء الله و هى مقدمات لذلك، و لكل حقيقة حق يتقدمها كأشراط الساعة، و الإسراء و إن لم يكن موتا و لا صعقا و لا نوما على أظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا إلى مشاهدات ١٥ الأفق الأعلى فلا تنكر الرؤية هنالك، فالإسراء حالة غير حالة الدنيا، بل هى من أحوال الآخرة و عالم الغيب - و الله الهادى.

و لما تقرر ذلك غاية التقرر، و كان موضع الإنكار عليهم، قال

(١) راجع ١ / ٩٩ (كتاب الإيمان) (٢) راجع ١ / ٩٨ (كتاب الإيمان).
(٣) فى المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢١٤ (٤) زيد فى المعالم: و الحسن و عكرمة.

مسببا عن ذلك: ﴿ افتمٰرونه ﴾ أى تستخرجون منه بجدالكم له فيما أخبركم به شكا فيه و لاشك فيه، و عبر بالمفاعلة فى قراءة الجماعة عن حمزة و الكسائى و يعقوب إشارة إلى اجتهادهم فى تشكيكه، من مرى الشيء: استخرجه، و مرى الناقة: مسح ضرعها، فأمرى: در لبنها، والمرية ٥ - بالكسر و الضم: الشك و الجدل ﴿على ما يرٰى ه﴾ على صفة مطابقة القلب و البصر، و ذلك مما لم تجر[1] العادة بدخول الشك فيه و لا قبوله للجدال، و زاد الأمر وضوحا بتصوير الحال الماضية بالتعبير بالمضارع إشارة إلى أنه كما أنه لم يهم لم يلبس الأمر عليه، بل كأنه الآن ينظر.

و لما كان الشيء أقوى ما يكون إذا حسر البصر، فاذا وافقه كون ١٠ القلب فى غاية الحضور كان أمكن، فاذا تكرر انقطعت الأطماع عن التعلق بالمجادلة منه. قال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿و لقد رٰاه﴾ أى الله تعالى أو جبرئيل عليه السلام على صورته الحقيقية، روى مسلم فى الإيمان[2] عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال "ما كذب الفؤاد ما رٰاى" "[و لقد رٰاه - [3]] نزلة اخرى"، قال: رآه بفؤاده مرتين، و جعل ١٥ ابن برجان الإسراء مرتين: الأولى بالفؤاد مقدمة و هذه بالعين.

و لما كان ذلك لايتأتى إلا بتنزل يقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر، عبر بقوله: ﴿نزلة﴾ و انتصب على الظرفية لأن الفعلة بمعنى المرة ﴿ اخرٰى لا ﴾ أى ليكمل له الأمر مرة فى عالم الكون و الفساد و أخرى فى المحل الأنزه الأعلى، و عين الوقت بتعين

---

(١) فى الأصل: لم تجرى (٢) راجع ١ / ٩٨ (٣) زيد من صحيح مسلم.

المكان فقال: ﴿ عند سدرة المنتهىٰ ﴾ اى الشجرة التى هى كالسدر و ينتهى إليها علم الخلائق و ينتهى إليها ما يعرج من تحت و ما ينزل من فوق، فيتلقى هنالك، و ذلك - و الله أعلم - ليلة الإسراء فى السنة الثالثة عشرة من النبوة / قبل الهجرة بقليل بعد الترقى فى معراج الكمالات /٨٩ من السنين على عدد السماوات و ما بينهما من المسافات، فانتهى إلى ٥ منتهى يسمع فيه صريف الأقلام؛ و عظمها بقوله: ﴿ عندها ﴾ أى السدرة ﴿ جنة المأوىٰ ﴾ الذى لا مأوى فى الحقيقة غيره لأنه لا يوازى فى عظمه، و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿ اذ يغشى السدرة ما يغشىٰ ﴾ أى يغطيها و يركبها و سمره(؟) من فراش الذهب و الرفرف الأخضر و الملائكة و النبق و غير ذلك فان الغشو النبق ﴿ ما يغشى ﴾ لا تحتملون وصفه و هو بحيث ١٠ يكاد أن لا يحصى، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم فى الحديث: و غشيها، ألا و إنى لا أدرى ما هى فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها أو كما قال صلى الله عليه و سلم، و أكد الرؤية و قررها مستأنفا بقوله: ﴿ ما زاغ ﴾ أى ما مال أدنى ميل ﴿ البصر ﴾ أى الذى لا بصر لمخلوق أكمل منه، فما قصر عن النظر فيما أذن له فيه و لا زاد ﴿ و ما طغىٰ ﴾ ١٥ أى تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بنى آدم، و فيه من العجائب ما يحير الناظر، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره و الزهادة على أتم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على حقيقته، و كما قال السهروردى فى أول الباب الثانى و الثلاثين من عوارفه: و أخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية، و هذه غامضة من ٢٠

غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و لما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكارا لم يقع لهم فى غيره مثله ، زاد فى تأكيده على وجه يعم غيره فقال: ﴿ لقد راى ﴾ أى أبصر بسبب ما أهلناه له من الرسالة إبصارا ساريا إلى البواطن غير مقتصر
٥ على الظواهر ﴿ من اٰيٰت ربه ﴾ أى المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد قبله و لا يصل إليه أحد بعده ، و من ادعى ذلك فهو كافر ﴿ الكبرٰى ﴾ من ذلك ما رآه فى السماوات من الأنبياء عليه و عليهم الصلاة و السلام إشارة بكل شىء إلى أمر دقيق جليل و حالة شريفة ، و قال الإمام أبو القاسم السهيلى فى الروض الأنف[1] : و الذى أقول فى هذا أن مأخذ
١٠ فهمه من علم التعبير ، فانه من علم النبوة ، و أهل التعبير يقولون : من رأى نبيا[2] بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى فى[3] شده أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء فى القرآن و الحديث ، و حديث الإسراء كان بمكة ، و مكة حرم الله و أمنه ، و قطانها جيران الله لأن فيها بيته ، فأول ما رأى صلى الله عليه و سلم من
١٥ الأنبياء عليهم الصلاة و السلام آدم عليه الصلاة و السلام / الذى كان /٩٠ فى أمن الله و جواره ، فأخرجه إبليس عدوه منها . و هذه القصة تشبهها[4] الحالة الأولى من أحوال النبى صلى الله عليه و سلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله و جوار بيته ، فكربه[5] ذلك و غمه فأشبهت قصته فى هذا

(١) راجع ١ / ٢٥٠ (٢) من الروض الأنف ، و فى الأصل : نبينا (٣) فى الروض : من (٤) من الروض ، و فى الأصل : تشبها (٥) من الروض ، و فى الأصل : كربه .

قصة آدم عليه الصلاة و السلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر و الفاجر منهم، فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لاتلج فى السماء و لا تفتح لهم أبوابها، كما قال الله تعالى، ثم رأى فى الثانية عيسى [و يحيى] عليهما الصلاة و السلام و هما الممتحنان باليهود، أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود و آذته و هموا بقتله ٥ فرفعه الله إليه[١]، و أما يحيى عليه السلام فقتلوه، و رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، و كانت محنته فيها باليهود[٢] آذوه و ظاهروا عليه و هموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى عليه السلام منهم، ثم سموه فى الشاة و لم تزل تلك الأكلة تعاوده[٣] حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت، و هكذا ١٠ [فعلوا - [٤]] بابنى الخالة يحيى و عيسى، لأن أم يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أمهما[٥] جنة، و أما لقاؤه ليوسف[٤] عليه السلام فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام، و ذلك أن يوسف ظفر باخوته من بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم، فصفح عنهم و قال: لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، الآية، و كذلك نبينا ١٥ صلى الله عليه و سلم أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوهم [فيهم -[٤]] عمه العباس و ابن عمه عقيل فمنهم من أطلق، و منهم من [قبل -[٤]] أفديته،

(١) سقط من الروض (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى الروض فحذفناها (٣) من الروض، و فى الأصل: معاه (٤) زيد من الروض (٥) من الروض، و فى الأصل: اختها.

ثم ظهر [عليهم - ١] بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم: أقول ما قال أخي يوسف: لاتثريب عليكم اليوم، ثم لقاؤه إدريس عليه السلام فى السماء الرابعة و هو المكان الذى سماه [الله - ١] مكانا عليا [و إدريس - ١] أول من آتاه الله الخط بالقلم، فكان ذلك مؤذنا ٥ بالحالة الرابعة و هو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك و كتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان و هو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي صلى الله عليه و سلم و رأى ما رأى من خوف هرقل: لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الأصفر، وكتب عنه بالقلم إلى [٢]جميع ملوك[٢] الأرض فنهم من اتبعه على دينه ١٠ كالنجاشى و ملك بنى عمان و منهم من هادنه وأهدى إليه و أتحفه كهرقل و المقوقس، و [منهم - ١] من تعصى عليه فأظهره الله عليه[٣]، فهذا مقام على، و خط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس عليه السلام، و لقاؤه فى السماء الخامسة لهارون عليه السلام المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش و جميع العرب له بعد بعضهم فيه، و لقاؤه فى السماء السادسة لموسى ١٥ عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر / بغزو /٩١ الشام، فظهر على الجبابرة[٤] الذين كانوا فيها، و أدخل بنى إسرائيل [البلد -١] الذى خرجوا منه بعد هلاك عدوهم، و لذلك غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم تبوك من أرض الشام و ظهر على صاحب دومة

(١) زيد من الروض (٢ - ٢) من الروض، و فى الأصل: اللوك جميع.
(٣) من الروض، و فى الأصل: به (٤) من الروض، و فى الأصل: الجبارة.

حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، و افتتح مكة و دخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه ، ثم لقاؤه فى السماء السابعة إبراهيم عليه السلام لحكمتين : إحداهما[1] أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه ، و البيت المعمور جبال مكة ، و إليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم عليه السلام هو الذى بنى الكعبة و أذن فى الناس بالحج إليها ، و الحكمة الثانية[2] أن آخر ٥ أحوال النبى صلى الله عليه و سلم [حجه -[3]] إلى البيت الحرام ، و حج معه [4]فى ذلك العام[4] نحو من سبعين ألفا من المسلمين ، و رؤية إبراهيم عليه السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعى إليه و الرافع لقواعد الكعبة المحجوجة - انتهى . و هذا المقام هو الإسراء و ما تفرع منه الموصل إلى أعلى ما يكون من تجريد التوحيد ، فجعل سبحانه عنوانه المفروض ١٠ فيه الحاجز بين الإسلام و الشرك و هو الصلاة الجامعة لمعانى الدين الشاملة لجميع البركات بأن جعلت خمسين مستغرقة لجميع الفراغ ثم ردت إلى خمس دون القوى بكثير ثم رتب عليها جزاء الخمسين و رفع كل واحدة من صلاة الجماعة إلى سبع و عشرين صلاة و فضل صلاتى الطرفين : الصبح الثنائية و العصر الرباعية بشهادة فريقى الملائكة و كتابتهما فى صحيفتى كل من ١٥ الجمعين ، فقال حمزة الكرمانى فى جوامع التفسير : فأسرى بـه فى شهر ربيع الأول قبل الهجرة من بيت أم هانىء رضى الله عنها ، ثم ساق حديث الإسراء مساقا عجيبا جدا طويلا .

---

(١) من الروض ، و فى الأصل : احداهما (٢) من الروض ، و فى الأصل : الثالثة (٣) زيد من الروض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من الروض .

و لما أخبر سبحانه من استقامة طريق نبيه عليه الصلاة و السلام مما ثبتت رسالته بما اوحى إليه و ما أراه من آياته التى ظهر بها استحقاقه سبحانه الإلهية متفردا بها ، سبب عنه الإنكار عليهم فى عبادة معبوداتهم على وجه دال على أنها لاتصلح لصالحة فقال: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى
٥ بسبب ما تلوت عليكم من هذه الآيات الباهرات . هل رأيتم رؤية خبرة بالباطن و الظاهر ﴿اللّٰت﴾ و هو صنم ثقيف ﴿و العزّٰى لا﴾ و هى شجرة لغطفان و هما أعظم أصنامهم فانهم كانوا يحلفون بهما ﴿و منٰوة﴾ و هو صخرة لهذيل و خزاعة، و دل على أنها عندهم بعدهما فى الربوبية بقوله مشيرا بالتعدد بالتعبير عنه بما عبر به إلى أن شيئا منها لا يصلح لصالحة حتى و لا أن
١٠ يذكر: ﴿ الثالثة الاخرٰى ه﴾ أى أنه ما كفاهم فى خرق سياج منها العقل فى مجرد تعديد الإله بجعله الاثنين حتى أضافوا ثالثا أقروا بأنه متأخر الرتبة فكان الإله عندهم قد يكون سافلا و يكون ملازما للا نزال و للسفول بكونه / أنثى . قال الرازى فى اللوامع : و أنثوا أسماءها تشبيها لها بالملائكة على زعمهم بأنها بنات الله ـ انتهى، و لا شك عند من له
١٥ أدنى معرفة بالفصاحة أن هذا الاستفهام الإنكارى و التعبير بما شانهم بالولادة التى هى أحب الأشياء إلى الإنسان بل الحيوان لا يوافقه أن يقال بعده ما يقتضى مدحا بوجه من الوجوه، فتبين بطلان ما نقل نقلا واهيا من أنه قيل حين قرئت هذه السورة فى هذا المحل : تلك الغرانيق العلا ـ إلى آخره لعلم كل عربى أن ذلك غاية فى الهذيان فى هذا السياق، فلا
٢٠ وصلة بهذا السياق المعجز بوجه .

/ ٩٢

و لما

و لما كان التقدير بما أفهمه السياق : كيف ادعيتم أنها آلهة أهي كذلك مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولادا ، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة و تكونوا لها عبادا مع أنها لم تنزل لكم وحيا و لا أرسلت لكم رسولا و لا فعلت مع أحد منكم شيئا مما كرمنا به عبدنا محمدا صلى الله عليه و سلم و لا أرتكم قط آية و لا هي متأهلة لشيء من ٥ ذلك ، بل لا تملك ضرا و لا نفعا و ادعيتم أنها بناته و استوطنها جنيات هي بناته و ادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يلم به حاجة و لا شبه له أن له أردأ الصنفين ، فكان ذلك نقصا مضموما إلى نقص ـ و علا سبحانه تعالى عن صاحبة أو ولد ، فاستحققتم بذلك الإنكار الشديد ، و علم بهذا التقدير الذي هدى إليه السياق بطلان حديث الغرانيق و لاسيما مع تعقيبه ١٠ بقوله : ﴿ الكم ﴾ أي خاصة ﴿ الذكر ﴾ أي النوع الأعلى ﴿ و له ﴾ أي وحده ﴿ الانثى ۝ ﴾ أي النوع الأسفل .

و لما كان الاستفهام إنكاريا رد الإنكار بقوله فذلكة لفعلهم : ﴿ تلك ﴾ أي هذه القسمة البعيدة عن الصواب ﴿ اذا ﴾ اي إذ جعلتم البنات له و البنين لكم ﴿ قسمة ضيزى ۝ ﴾ أي جائرة ناقصة ظالمة فيما يحسن للحق ١٥ للغاية عرجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حيا ، و قد علم أن الآية من الاحتباك : دل ذكر اسمها في أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة و إنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته .

و لما أفهم هذا الإنكار بطلان قولهم هذا ، حصر القول الحق فيها ٢٠

فقال مستأنفا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هى﴾ أى هذه الأصنام ﴿الآ اسمآء﴾ أى لاحقائق لها، فما ادعيتم لها من الإلهية ليس لها من ذلك إلا الأسماء، وأكد ذلك بقوله مبينا: ﴿سميتموهآ﴾ أى ابتدعتم تسميتها أنتم، واجتث[1] قولهم من أصله فقال: ﴿واٰنتم واٰبآؤكم﴾ أى لاغير بمجرد الهوى لم تروا

٥ منها آية ولا كلمتكم قط كلمة تعتدونها، وعلى تقدير أن تتكلم الشياطين على ألسنتها فأى طريقة قويمة شرعت لكم وأى كلام مليح أو بليغ وصل إليكم وأى آية كبرى أرتكموها - انتهى.

/٩٢ / ولما علم بهذا أن الله تعالى لم يأمرهم بشيء من ذلك، صرح به نافيا أن يدل على ما وسموه بـه دليل فقال: ﴿مآ﴾ ولما قدم فى

١٠ الأعراف ترك النافى للتصريح لما تقدم بما اقتضاه، نفى هنا الإفعال النافى لأصل الفعل سواء كان بالتدريج أو غيره لأن المفصل لباب القرآن فهو للقاصد، وذلك كاف فى ذم الهوى الذى هو مقصود السورة فقال: ﴿انزل الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿بها﴾ أى بالاستحقاق للأسماء ولا لما وسمتموها به من الإلهية، وأعرق فى النفى بقوله:

١٥ ﴿من سلطٰن﴾ أى حجة تصلح مسلطا على ما يدعى فيها.

ولما كان هذا النفى المستغرق موجبا للخصم إيساع الحيلة فى ذكر دليل على أى وجه كان، وكان هؤلاء قد أبلسوا عند سماع هذا الكلام ولم يجدوا ما يقولون ولا يجدوا، فكان من حقهم أن يرجعوا فلم يرجعوا، أعرض عنهم إيذانا بشديد الغبن قائلا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿يتبعون﴾

[1] فى الأصل: اخبث.

أى فى وقت من الأوقات فى أمر هذه الأوثان بغاية جهدهم من أنها آلهة، و أنها تشفع لهم أو تقربهم من الله ﴿الا الظن﴾ أى غاية أمرهم لمن يحسن الظن بهم، فالظن ترجيح أحد الجائزين على رغم الظان.

و لما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال: ﴿و ما تهوى الانفس ج﴾ أى تشتهى، و هى - لما لها من النقص - لاتشتهى ٥ أبدا إلا بما يهوى بها عن غاية أوجها إلى أسفل حضيضها، و أما المعالى و حسن العواقب فانما تشوق إليها العقل، قال القشيرى: فالظن الجميل بالله فليس من هذا الباب، و التباس عواقب الشخص عليه ليس من هذه الجملة بسبيل، إنما الظن المعلول فى الله و صفاته و أحكامه. ﴿ولقد﴾ أى العجب أنهم يفعلون ذلك و الحال أنه قد ﴿جآءهم من ربهم﴾ أى ١٠ المحسن إليهم ﴿الهدى ط﴾ أى الكامل فى بابه إلى الدين الحق الناطق بالكتاب الناطق بالصواب على لسان الرسول صلى الله عليه و سلم، و الرأى يقتضى أن من رأى الهدى تبعه و لو أتاه به عدوه، فكيف إذا أتاه به من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط. و لما كان التقدير: أعليهم أن يتركوا أهويتهم و يهتدوا بهدى ربهم الذى لاملك ١٥ لهم معه ﴿ام﴾ لهم ما تمنوا - هكذا كان الأصل، و لكنه ذكر الأصل الموجب لاتباع الهوى فقال: ﴿للانسان﴾ أى الآنس بنفسه المحسن لكل ما يأتى و ما يذر ﴿ما تمنى ز صلے﴾ أى من اتباع ما يشتهى من جاه و مال و طول عمر و رفاهية عيش و من كفره و عناده، و قوله "لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى". ٢٠

و لما كان الاستفهام إنكاريا، كان المعنى : ليس له ما تمنى، وكان ذلك دليلا قطعيا[1] على أنه مربوب مقهور ممن له الأمر كله، فسبب عنه قوله : ﴿ فلله ﴾ أي الملك الأعظم وحده . و لما كانت الأخرى دار اللذات و بلوغ جميع الأماني و حرمانها، وكانوا يدعون فيها / على ٩٤ /
٥ تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة آلهتهم و إجابتها إلى إسعادهم و نحو ذلك، قدم قوله : ﴿ الاخرة ﴾ فهو لايعطى الأماني فيها إلا لمن تبع هداه و خالف هواه ﴿ و الاولىٰ ؏ ﴾ فهو لايعطى جميع الأماني فيها لأحد أصلا كما هو مشاهد، فمن ترك هواه فيها نال امانيه فى الآخرة، و من تبع هواه لم يصل إلى مراده فى الدنيا و حرم أمانيه فى الآخرة :
١٠ فلهذا قدمها لا للفاصلة فانه لو قيل « الأخرى » لصلحت للفاصلة .

و لما كان التقدير : فكم من شخص ترونه فى الأرض مع أنه فى غاية المكنة فيما يظهر لكم لايصل إلى ربع ما يتمناه، عطف عليه قوله، مظهرا لضخامة ملكه و أنه لا يبالى بأحد، دالا على الكثرة : ﴿ وكم من ملك ﴾ أي مقرب، و دل على زيادة قربه بشرف مسكنه فقال : ﴿ فى السمٰوٰت ﴾
١٥ أي و هم فى الكرامة و الزلفى ﴿ لا تغنى ﴾ أي لا تجزى و تسد و تكفى، و لما كان رد الجمع لحال اجتماعهم أدل على العظمة، عبر بما يحتمل ذلك فقال : ﴿ شفاعتهم ﴾ أي عن أحد من الناس ﴿ شيئا ﴾ فقصر الأمر عليه و رده بحذافيره إليه بقوله : ﴿ الا ﴾ و دل باثبات[2] الجار على أنه مع ما يحده سبحانه لامطلقا فقال : ﴿ من بعد ان ياذن ﴾ أي يمكن و يريد ﴿ الله ﴾

---

(١) فى الأصل : قطعا (٢) فى الأصل : باسباب .

أي

أى الذى لا أمر لأحد أصلا معه، و عبر بأن و الفعل دلالة على أنه لا عموم بعد الإذن بجميع الأوقات، و إنما ذلك يجدد بعد تجدد الإذن على حينه و قبل الأمر الباب؟ لعموم العظمة بقوله: ﴿ لمن يشآء ﴾ أى بتجدد تعلق مشيئته به لأن يكون مشفوعا أو شافعا.

و لما كان الملك قد يأذن فى الشفاعة و هو كاره، قال معلما أنه ليس ٥ كأولئك: ﴿ و يرضىٰ ﴾ فحينئذ تغنى شفاعتهم إذا كانوا من المأذون لهم - كل هذا قطعا لأطماعهم و عن قولهم بمجرد الهوى أى آلهتهم تشفع لهم. و لما أخبر باتباعهم للهوى و نفى أن يكون لهم من ذلك ما يتمنونه، دل على اتباعهم للهوى بقوله موضع "انهم": ﴿ ان الذين ﴾ و أكد تنبيها على أنه قول بالغ فى العجب الغاية فلا يكاد يصدق أن عاقلا بالآخرة ١٠ يقوله بما جرى لهم على قولهم ذلك و أمثاله بقوله: ﴿ لا يؤمنون ﴾ [أى - [1]] لا يصدقون و لا هم يقرون بالآخرة، و لذلك أكد قوله: ﴿ ليسمون الملٰٓئكة ﴾ أى كل واحد و هم رسل الله ﴿ تسمية الانثى ﴾ بأن قالوا: هى بنات الله، كما يقال فى جنس الأنثى: بنات ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنهم ما ﴿ لهم به ﴾ أى بما سموهم به، و أعرق فى النفى بقوله: ١٥ ﴿ من علمٍ ﴾ و لما نفى علمهم تشوف السامع إلى الحامل لهم على ذلك فقال: ﴿ ان ﴾ اى ما ﴿ يتبعون ﴾ أى بغاية ما يكون فى ذلك و غيره ﴿ الا الظن ج ﴾.

و لما كانوا كالقاطعين بأن ذلك ينفعهم، أكد قوله: ﴿ و ان الظن ﴾

---

(١) زيد من السياق.

أى مطلقا فى هذا و غيره ، و لذلك اظهر فى موضع الإضمار ﴿ لا يغنى ﴾ إغناء مبتدئا ﴿ من الحق ﴾ أى الأمر الثابت فى نفس الأمر الذى هو حقيقة الشيء و ذاته بحيث يكون الظن بدله ، و الظن إنما يعبر [به] فى العمليات لا العلميات و لاسيما الأصولية / ﴿ شيئا ج ﴾ من الإغناء[1] عن أحد من الخلق /٩٥

٥ فانه لايؤدى أبدا إلى الجزم بالعلم بالشيء على ما هو عليه فى نفس الأمر فهو ممنوع فى أصول الدين ، فان المقصود بتحقق الأمر على ما هو عليه فى الواقع ، و أما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه المأذون فيه ، و هو رده إلى الأصول المستنبط منها لعجز الإنسان على القطع فى جميع الفروع ، تنبيها على عجزه و افتقاره إلى الله ليقبل عليه

١٠ و يتبرأ من حوله و قوته ليكشف له من الأحقاف .

و لما كانوا بعد مجيء الهدى قد أصبروا على الهوى ، و كانت هذه السورة فى أوائل ما نزل ، و المؤمنون قليل . سبب عن ذلك : ﴿ فاعرض عن من تولى لا ﴾ أى كاف نفسه[1] خلاف ما يدعو إليه العقل و الفطرة من ولى ﴿ عن ذكرنا ﴾ أى ذكره إيانا ، فأعرض

١٥ عن الذكر الذى أنزلناه فلم ينله و لم يتدبر معانيه فلا يلتفت إلى شيء علمه فانه مطموس[2] على قلبه و لو كان ذهنه أرق من الشعر فانه لايؤل[3] إلا إلى شر "و لا تذهب نفسك عليهم حسرات" فانه ما عليك إلا البلاغ .

(١) فى الأصل : الاغنياء (٢) فى الأصل : ملموس (٣) فى الأصل : لا يقول .

و لما كان المعرض فى وقت قد يقبل فى آخر ، دل على دوامه على وجه بليغ بقوله : ﴿ و لم يرد ﴾ أى فى وقت من الاوقات ﴿الا الحيوٰة الدنيا ﴾ أى الحاضرة ليقصده بالمحسوسات كالبهائم فى العمى عن دناءتها و حقارتها، ثم ترجم جملتى الإعراض و الإرادة بقوله : ﴿ذلك﴾ أى الأمر المتناهى فى الجهل و القباحة ﴿ مبلغهم ﴾ أى نهايه بلوغهم ٥ و موضع بلوغهم و الحاصل لهم ، و تهكم بهم بقوله : ﴿ من العلم ﴾ أنه لا علم لهم لأن عيون بصائرهم عمى ، و مرائيها كثيفة مظلمة لا تكشف عن نظر الآخره التى هى أصل العلوم كلها ، ثم علل هذه الجملة بقوله مؤكـدا قطعا لطمع من يظن أن وعظه و كلامه يرد أحدا من غيه و إن أبلغ فى أمره و دعائه فى سره و جهره ، و إعلاما بأن ذلك إنما ١٠ هو من الله ، فمن وعظ له سبحانه راجيا منه فى إيمانه أوشك أن ينفع به كما فعل فى وعظ مصعب بن عمير رضى الله عنه فصغى له أسيد ابن حضير و سعد بن معاذ رضى الله عنهما فى ساعة واحدة كما هو مشهور ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإرسال و غيره ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ ضلالا مستمرا ، فلا تعلق أملك بأن يصل ١٥ عليه إلى ما وراء الدنيا ، و عبر بالرب إشارة إلى أن ضلال هذا من الإحسان إليه صلى الله عليه و سلم لأنه لو دخل فى دينه لأفسد أكثر مما يصلح كما قال تعالى "لا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة[1] و فيكم سماعون لهم[1]" و ذلك لأنه جبل جبلة غير قابلة للخير ﴿ و هو ﴾ أى وحده

(١) ءاية ٤٧/ ٩ .

﴿ اعلم بمن اهتدٰى ۝ ﴾ أى ظاهرا و باطنا .

و لما كان هذا ربما أوهم أن من ضل على هذه الحالة ليس فى قبضه ، قال نافعا لهذا الإبهام مبينا أن له الأسماء الحسنى و مقتضياتها فى العالم موضع "و الحال أنه له" أو عطفا على ما تقديره : فلله من فى السماوات

٥ و من فى الأرض: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ من / الذوات و المعانى فيشمل ذلك السماوات و الأراضى ، فان كل سماء فى التى تليها ، و الأرض فى السماء ﴿ و ما فى الارض لا ﴾ وكذلك الأراضى و الكل فى العرش و هو ذو العرش العظيم . ٩٦ /

و لما أمره صلى الله عليه و سلم بالإعراض عنهم و سلاه و أعلمه أن

١٠ الكل فى ملكه ، فلو شاء لهداهم و رفع النزاع ، و لكنه له فى ذلك حكم تحار فيها الأفكار ، علل الإعراض كما تقدم فى الجاثية فى قوله "قل للذين امنوا يغفروا" بقوله : ﴿ ليجزى ﴾ أى يعاقب هو سبحانه كافيا لك ما أهمك من ذلك ، و يجوز أن يكون التقدير : وكما أنه سبحانه مالك ذلك فهو ملكه ليحكم بجزاء كل على حسب ما يستحق ، فان الحكم نتيجة الملك

١٥ ﴿ الذين أسآؤا ﴾ بالضلال ﴿ بما عملوا ﴾ أى بسببه و بحسبه إما بواسطتك و بسيوفك و سيوف أتباعك إذا أذنت لكم فى القتال ، و إما بغير ذلك بالموت حتف الأنف بضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم ، ثم بعذاب الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم فى الدنيا شىء ينقص بسببه عذاب الآخرة ﴿ و يجزى ﴾ أى يثبت و يكرم ﴿ الذين احسنوا ﴾

٢٠ أى على ثباتهم على الدين و صبرهم عليه و على أذى أعدائهم ﴿ بالحسنى ۚ ﴾ أى

أى الثبوت الذى هو فى غاية الحسن ما بعدها غاية، فان الحسنى تأنيث الأحسن •

و لما وعد الذين وقع منهم الإحسان ، وصفهم فقال: ﴿ الذين يجتنبون ﴾ أى يكلفون أنفسهم و يجهدونها على أن يتركوا ﴿ كبٰئر الاثم ﴾ أى ما عظم الشارع إثمه بعد تحريمه بالوعيد و الحد، ٥ و عطف على " كبائر الاثم " قوله: ﴿ و الفواحش ﴾ و الفاحشة من الكبائر ما يكرهه الطبع و ينكره العقل و يستخبثه •

و لما أفهم هذا التقييد [أن] من خالط ما دون فما دون كان مغفورا له، صرح به فقال: ﴿ الا ﴾ أى لكن ﴿ اللمم ﴾ معفو، فمن خالطه لا يخرج عن عداد من أحسن ، فهو استثناء منقطع، و لعله وضع فيه ١٠ " الا " موضع " لكن " إشارة إلى[1] أن الصغير يمكن أن يكون كبيرا باستهانته مثلا كما قال تعالى " و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم[2] " و اللمم هو صغار الذنوب، و المراد هنا ما يحصل منها فى الأحيان كانه وقع فى صاحبه فلتة بغير اختيار منه، لا ما يتخذ عادة أو يكثر حتى يصير كالعادة، قال الرازى فى اللوامع : و أصله مقاربة الذنب ثم الامتناع ١٥ منه قبل الفعل، قال ذو النون: ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره - انتهى • يقال: و ألم بالمكان - إذا قل لبثه فيه، و قال البغوى[3]: قال السدى: قال أبو صالح أنه سئل عن اللمم فقال: هو الرجل يلم بالذنب

---

(١) فى الأصل: الا (٢) آية ١٥/ ٢٤ (٣) فى المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٢٠ •

ثم لايعاوده، قال: فذكرت [ذلك - [1]] لابن عباس رضى الله عنهما فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم، ثم قال البغوى: فأصل اللمم و الإلمام [ما - [1]] يعمله الإنسان الحين بعد الحين، و لا يكون له إعادة[2] و لا إقامة [عليه - [1]]- انتهى - و على هذا يصح أن يكون الاستثناء ٩٧ / ٥ / متصلا.

و لما كان الملوك لايغفرون لمن تكررت ذنوبه إليهم و إن صغرت، فكان السامع يستعظم أن يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا، علل ذلك بقوله: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك رحمة للعالمين و التخفيف عن أمتك ﴿ واسع المغفرة ﴾ فهو يغفر الصغائر حقا أوجبه على نفسه ١٠ و يغفر الكبائر إن شاء بخلاف غيره من الملوك فانه لو أراد ذلك ما أمكنه أتباعه، و لو جاهد حتى تمكن من ذلك فى وقت فسدت مملكته فأدى ذلك إلى زوال الملك من يده أو اختلاله.

و لما وصف الذين أحسنوا فكان ربما وقع فى وهم أنه لايعلمهم سبحانه إلا بأفعالهم، و ربما قطع من عمل بمضمون الآية أنه ممن أحسن، ١٥ قال نافيا لذلك: ﴿ هو اعلم بكم ﴾ أى بذواتكم و أحوالكم منكم بأنفسكم ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ انشا كم ﴾ ابتداء ﴿ من الارض ﴾ التى طبعها طبع الموت: البرد و اليبس بانشاء أبيكم آدم عليه السلام منها و تهيئتكم للتكوين بعد أن لم يكن فيكم تقوية قريبة و لابعيدة أصلا يميز الثواب الذى يصلح لتكونكم منه و الذى لايصلح ﴿ و اذ ﴾ أى حين ﴿ انتم اجنة ﴾ أى مستورون.

---

(١) زيد من المعالم (٢) من المعالم، و فى الأصل: عادة.

و لما كان البشر قد يكون فى بطن الأرض و إن كان الجنين معروفا للطفل فى البطن، حقق معناه بقوله: ﴿فى بطون امهتكم ج﴾ بعد أن مزج بذلك التراب البارد اليابس الماء و الهواء، فنشأت الحرارة و الرطوبة، فكانت هذه الأربعة الأخلاط الزكية و الدنية، و لكن لاعلم لكم أصلا، فهو يعلم إذ ذاك ما انتم صائرون إليه من خير و شر و إن عملتم مدة من ٥ العمر بخلاف ذلك فانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك و أنتم لاتعلمون إلا ما يكون فى أنفسكم حال كونه أنكم لاتحيطون به إذ ذاك علما.

و لما كان من عادة من سلم من الذنوب أن يفتخر على من قارفها لما بنى الإنسان عليه من محبة الفخر لما جبل عليه من النقصان، و كان حاله قد يتبدل فيسبق عليه الكتاب فيشقى، سبب عن ذلك قوله: ﴿فلا تزكوآ﴾ ١٠ أي تمدحوا بالزكاة و هو البركة و الطهارة عن الدناءة ﴿انفسكم﴾ اى حقيقة بأن يثنى على نفسه فان تزكيته لنفسه من علامات كونه محجوبا عن الله - قاله القشيرى - أو مجازا بأن يثنى على غيره من إخوانه فانه كثيرا ما يثنى بشىء فيظهر خلافه، و ربما حصل له الأذى بسببه "و إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها إلا باع أو ذراع" ١٥ الحديث، و لذلك علل بقوله: ﴿هو اعلم﴾ أى منكم و من جميع الخلق ﴿بمن اتقى ع﴾ أى جاهد نفسه حتى حصل فيه تقوى، فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب فى الدارين، فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا.

و لما أمره سبحانه بالإعراض / عمن تولى عن التشرف بذكر الملك ٢٠ ٣/ ٩٨

الأعظم و اللجاء إليه، و نهى عن التزكية للجهل بالعواقب، و كان قد ارتد ناس عن الإسلام، كان سبب ارتدادهم إخباره صلى الله عليه و سلم عن بعض ما رأى من الآيات الكبرى ليلة الإسراء، و كان لما نزلت عليه صلى الله عليه و سلم سجدة النجم و سجد فيها صلى الله عليه و سلم سجد معه
٥ - كما فى البخارى[1] - المسلمون و المشركون و الجن و الإنس، و لم يكن فى ظن أحد من الخلق انقلابهم على أدبارهم بعد حتى و لا فى ظن المرتدين، سبب عن ذلك قوله: ﴿ افرءيت ﴾ أى أخبرونى ﴿ الذى تولّىٰ ﴾ أى [عن] ذكرنا بعد أن كان حريصا عليه، يظن هو و أهله أنه عريق فى أهله بأيمانه و أعماله فى ايام إيمانه ﴿و اعطى قليلا و اكدىٰ ﴾ أى قطع
١٠ ذلك العطاء على مكده و قلته و أبطله و أفسده فصار كالحافر الذى وصل فى حفره إلى كدية، يقال لحافر البئر: أجبل - إذا وصل إلى جبل، و أكدى - إذا وصل إلى كدية أى صفاة عظيمة شديدة لاتعمل فيها المعاول، فصار لايقدر معها على شيء من عمله، و لايستطيع النفوذ فيها بشيء من حيله، و قد كان قبل ذلك لما صادف التراب اللين يظن أنه
١٥ لايمنعه مانع مما يريد، فهذا دليل خبرى شهودى على أنه لا علم لأحد من الخلق بما حباه الله فى نفسه فضلا عن غيره، فلا ينبغى لأحد أن يزكى نفسه و لاغيره، قيل[2]: نزلت فى الوليد بن المغيرة أسلم ثم ارتد لتعيير بعض المشركين له، و قوله له "ارجع و أنا أتحمل عنك العذاب" و هى تصلح لكل من ارتد ظاهرا أو نافق أو انهمك فى المعاصى بعد

(١) راجع ٢ /٧٢١ (٢) راجع البحر المحيط ٨/١٦٦ .

إيمانه معرضا عن الأعمال الصالحة .

و لما كان هذا ـ و قد وقع فى خطر عظيم من إفساد العمل فى الماضى و تركه فى المستقبل فصار على خطأ عظيم فى أحدهما ـ يتعلق بأصل الدين: الكفر و الإيمان ، و كان مثل هذا لايفعله عاقل بنفسه إلا عن بصيرة ، قال تعالى موبخا له مقرعا: ﴿ اعنده ﴾ أى خاصة ﴿ علم الغيب ﴾ أى ٥ كله بحيث لايشاركه فيه مشارك يمكن أن يخفى عليه شيء منه ﴿ فهو ﴾ أى فيتسبب[1] عن ذلك أنه ﴿ يرى ه ﴾ أى الرؤية الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه فيرتكبه و جميع ما يضره فيجتنبه و يعلم أن هذا القليل الذى أعطاه قد قبل و أمن به من العطب فاكتفى به .

و لما كان الغبى قد يظن أن عمل غيره ينفعه ، عبر عنه جامعا للوعظ ١٠ و التهويل بقوله: ﴿ ام لم ينبا ﴾ أى يخبر إخبارا عظيما متابعا ﴿ بما فى صحف موسىٰ ﴾ أى التوراة المنسوبة إليه بانزالها عليه وكذا ما يتبعها من أسفار الأنبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها .

و لما قدم كتاب موسى عليه السلام لكونه أعظم كتاب بعد القرآن مع أنه موجود بين الناس يمكن مراجعته ، قال: ﴿ و ابرٰهيم ﴾ ١٥ و مدحه بقوله دالا بتشديد الفعل على غاية الوفاء: ﴿ الذى وفىٰٓ ﴾ أى أتم ما أمر به و ما امتحن به و ما قلق شيئا من قلق ، و كان أول من هاجر قومه و صبر على حر ذبح الولد و كذا على حر النار و لم يستعن بمخلوق ، و خص هذين النبيين لأن المدعين / من بنى إسرائيل اليهود /٩٩

(١) زيدت الواو فى الأصل .

و النصارى يدعون متابعة عيسى عليه السلام، و من العرب يدعون متابعة إبراهيم عليه السلام، و من عداهم لامتمسك لهم و لا سلف فى نبوة محققة و لا شريعة محفوظة، ثم فسر الذى فى الصحف أو استأنف بقوله: ﴿ الا تزر ﴾ أى تأثم و تحمل ﴿ وازرة ﴾ أى نفس بلغت مبلغا
٥ تكون فيه حاملة ﴿وزر اخرٰى﴾ أى حملها الثقيل من الإثم، يعنى فمن يحمل عنه أثم أحد الشقين الذى لزمه فلا بد أن يكون آثما و هما قبل التولى و ما بعده.

و لما نفى أن يضره إثم غيره، نفى أن ينفعه سعي غيره فقال: ﴿و ان ليس للانسان ﴾ كائنا من[1] كان ﴿ الا ما سعىٰ ﴾ فلا بد ان
١٠ يعلم الحق فى أى جهة فيسعى، و دعاء المؤمنين للمؤمن سعيه بموادته لهم و لو بموافقته لهم فى الدين وكذا الحج عنه و الصدقة و نحوهما، و أما الولد فواضح فى ذلك، و أما ما كان لسبب العلم و نحوهما (؟) فكذلك، و تضحية للنبى صلى الله عليه و سلم فى عزامته أصل كبير فى ذلك، فانه من تبعه فقد واده، و هذا أصل فى التصدق عن الغير و إهداء ما له
١٥ من الثواب فى القراءة و نحوها.

و لما ثبت أنه ليس له و لا عليه إلا ما عمل، وكان فى الدنيا قد يفعل الشيء من الخير و الشر و لا يراه من فعله لأجله و لا غيره، نفى أن يكون الآخرة كذلك بقوله: ﴿و ان سعيه﴾ أى من خير و شر ﴿ سوف ﴾ أى من غير شك بوعد لاخلف فيه و إن طال المدى.

---

(١) فى الأصل: ما.

و لما كان الاطلاع نفسه مرضيا أو مخزيا لا بالنسبه لأحد بعينه، بناه للجهول بقوله : ﴿ يرٰى ص ﴾ و لما كان الخوف منه المجازاة مطلقا لا من مجاز معين قال: ﴿ ثم يجزىه ﴾ و لما كان فى هذه الدار ربما وقعت المسامحة ببعض الأشياء و الغفلة عن بعضها ، قال : ﴿ الجزآء الاوفىٰ لا ﴾ أى الإثم الأكمل، إن كان خيرا فمع المضاعفة ، و إن كان غيره فعلى السواء لمن ٥ أراد الله ذلك له و يعفو عن كثير، لكنه تذكرة له .

و لما كانت رؤية الأعمال لا تقطع رؤية المتوكلين بها من الملائكة أو غيرها ممن أقامه الله لذلك، و كان الرائى كلما كان أكثر كان الأمر أهول، و كان رؤية الملك الأعظم أخوف، قال عاطفا على "لا تزر" مبينا بحرف الغاية أن الرائين للأعمال كثير لكثرة جنوده سبحانه : ١٠ ﴿ و ان الى ربك ﴾ أى المحسن اليك لاغيره ﴿ المنتهى لا ﴾ أى الانتهاء برجوع الخلائق حسا بالبعث و معنى بالعمل و العلم ، و إسناد الأمور و إرسال الآمال، و مكان رجوعهم و زمانه كما كان منه المبتدأ، أكد ذلك خلقا لذلك كله و حسابا عليه . روى البغوى[1] من طريق أبى جعفر الرازى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم فى ١٥ هذه الآية قال : لا فكرة فى الرب ، قال : و مثل هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : تفكروا فى الخلق و لا تتفكروا فى الخالق فانه لايحيط به الفكرة . و رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس رضى الله عنهما : و لا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره ، هذا [هو]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٢٣ .

المراد و هو واضح ، فمن أول الآية باتحاد أو غير ذلك من الإلحاد فعليه لعنة الله و على الذاب عنه و الساكت عنه .

١٠٠ / و لما ذكر تعالى الأمور الاختيارية / و قدمها لأنها محط للبلاء و سلب علمها عن أصحابها ، و حذر من عاقبتها باحاطته بكل شيء ، و كان
٥ معنى ذلك انه القادر لا غيره و العالم لاغيره ، عطف عليه قوله ذاكرا للامور الاضطرارية التي هي في غاية التنافي إكمالا للدليل على أنه يعلم ما في النفوس دون أصحابها و غيرهم و أنه إليه المنتهى إعادة و إبداء يوقف ما يشاء على ما يريد من الأسباب التي تفعل باذنه من الضحك أو البكاء و غيرهما من الأمور المتنافية التي لولا الالف لها لقضى الإنسان
١٠ أن المتلبس بأحدهما لا يتلبس بضده أصلا و من غيرها ﴿ و انه ﴾ و لما كانت التأثيرات الإدراكية تحال على أسبابها ، أكد الكلام فيها فقال : ﴿ هو ﴾ أي لا غيره ﴿ اضحك و ابكى ﴾ اى و لا [يعلم] أحد قبل وقت الضحك أو البكاء انه يضحك أو يبكي و لا أنه يأتيه ما يعجبه أو يحزنه ، و لو قيل له حالة الضحك أنه بعد ساعة [يبكي] لأنكر ذلك . و ربما أدركه
١٥ ما أبكاه و هو في الضحك و بالعكس .

و لما كانت الإماتة و الإحياء أعظم تنافيا بما مضى ، فكانت القدرة على إيجادهما في الشخص الواحد أعظم ما يكون ، و كان ربما نسب إلى من قتل او داوى من مرض أو أطلق من وجب قتله ، أكد فقال : ﴿ و انه هو ﴾ أي لاغيره . و لما كان الإلباس في الموت أكبر ، و كان
٢٠ الموت أنسب للبكاء ، و الإحياء أنسب للضحك ، و كان طريق النشر المشوش أفصح

أفصح، قدمه فقال: ﴿ امات و احيا ﴾ و ان رأيتم اسبابا ظاهرية فانه لاعبرة بها اصلا فى نفس الأمر بل هو الذى خلقها.

و لما كان ذكر الإحياء، و كان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهرا فى اختصاصه، بل و هو فى غاية التعذر على [من] سواه، أعراه عن مثل التأكيد فى الذى قبله فقال: ﴿ و انه خلق الزوجين ﴾ ثم فسرها بقوله: ٥ ﴿ الذكر و الانثى ﴾ فانه لو كان ذلك فى غيره لمنع البنات لأنها مكروهة لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر و لا بد أنه من صنعه فتسبب أن مادة الاثنين واحدة و هو الماء الذى هو أشد الأشياء امتزاجا فقال: ﴿ من نطفة ﴾ و صور كونها منها بقوله: ﴿ اذا تمنى ﴾ أى تراق و تدفق بالفعل لاقبل ذلك ليمكن فيه طعن بأنه كان بدؤا أو غيره بل أنتم تعلمون أنه لايخلق ١٠ الولد إلا بعد الإمناء بالفعل، و خرج أصله ما يمكن خلقا من خلق الله ان يعرف بمجرد رؤيته أهو صالح للانثى فقط أو للذكر فقط أو لهما أو للاشكال بالخنوثة.

و لما ساق هذه الأشياء دليلا على إحاطة علمه فلزمها أن دلت على تمام قدرته، و ختمها بالنشأة الأولى فلزم من ذلك الإقرار حتما بأنه قادر ١٥ على البعث، عبر بما يقتضى أنه لما تقدم به وعده على جميع ألسنة رسله صار واجبا عليه بمعنى أنه لابد من كونه لأنه لايبدل القول لديه، لاغير ذلك، فعبر بحرف الاستعلاء تأكيدا له ردا لإنكارهم إياه فقال: ﴿ و ان عليه ﴾ أى خاصا به علما و قدرة ﴿ النشأة ﴾ أى الحياة و هو ممدود[1] لابن

(١) راجع نثر المرجان ٧/١٠٣.

كثير و أبى عمرو و مقصور لغيرهما مصدر نشا ـ اذا حيّ و ربى و سن
﴿ الاخرىٰ لا ﴾ أى التى ينشأ بها الخلق بعد ان يميتهم . و لما كان الغنى
و الفقر من الأمور المتوسطة بين الاختيارية و الاضطرارية له بكل الأمرين
لسبب و كان مقسوما بين الإناث و الذكور بحكمة ربانية لاينفع الذكر
١٠١ / ٥ فيها / قوته و لا يضر الأنثى ضعفها ، و كان ذكر النشأة الآخرة كالمعترض
إنما أوجب ذكر النشأة الأولى ، تعقب ذكرهما به و كان ذكر الغنى مع
انه يدل على الفقر أليق بالامتنان ، و النسبة إلى الرب ، و كان الغني الحقيق
إنما يكون فى تلك الدار ، أخر ذكره فقال : ﴿ و انه ﴾ و لما كان ربما
سبب إلى السعى و غيره ، أكد بالفعل فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده من
١٠ غير نظر إلى سعى ساع و لا غيره ﴿ اغنىٰ ﴾ و لما كان الغنى فى الحقيقة
إنما هو غنى النفس ، و هو رضاها بما قسم[1] لها و سكونها و طمأنينتها ،
و إنما سمى ذو المال غنيا لأن المال بحيث تطمئن معه النفس ، فمن كان
راضيا بكل ما قسم الله به فهو غنى ، و هو فى الجنانه مغنى و إن كان
فى الدنيا ﴿ و اقنىٰ لا ﴾ أى أمكن من المال و أرضى بجميع الأحوال ،
١٥ قال البغوى[2] : أعطى أصول المال و ما يدخر بعد الكفايه ، قال : و قال
الأخفش أقنى أفقر ـ انتهى . و نقل الإصبهانى مثله عن أبى زيد ، فتكون
الهمزة للازالة[3] و يقال ، أقناه بكذا أرضاه ، و اقناه الصد :
أمكنه منه .

و لما كانت الشعرى لأنها تقطع السماء عرضا ادل النجوم بعد تمام

(١) فى الاصل : قسما (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/ ٢٢٤ (٣) فى
الأصل : للازليه .

القدرة على الفعل بالاختيار مع أنها مما دخل تحت ذلك الجنس المقسم به اول السورة، و هي لمرورها في سيرها عرضا على جميع المنازل التي كانت العرب تستمطر بها و تنسب بالإتيان بالحد الموجب للغنى إليها كانت قد عبدها من دون الله أبو كبشة الخزاعي لكونها عنده أجل الكواكب، قال تعالى دالا بالتأكيد على سفاهة من عبدها: ﴿و انه هو﴾ ٥ أي لا غيره ﴿رب الشعرى ﴾ أي الكاملة في معناها و هي العبور، و أهل علم النجوم يقولون: إن الأحكام النجومية المنسوبة إليها أصح ما ينسب إلى العالم العلوي، و هي نجم يضيء [خلف] الجوزاء، و يسمى كلب الجبار، و سميت الجوزاء بالجبار تشبيها لها بملك على كرسيه و على رأسه تاج، و قال الرازي في اللوامع: هي أحد كوكبي ذراعي الأسد، و قال ابن القاص في كتاب ١٠ دلائل القبلة: و ترى عند صلاة الصبح نيرة زائدا نورها على نور سائر الكواكب حولها، و قد طمس الصبح نور سائر الكواكب، و أما الشعرى الأخرى فهي الغميصاء - بالغين المعجمة و الصاد المهملة - فهي أقل نورا منها، و لذلك سميت الغميصاء، و قال القزاز في جامعه: و قيل: بكت على أختها فغمصت عينها، أي غارت و ذهبت . ١٥

و لما دل سبحانه على كمال علمه و شمول قدرته بأمور الخافقين: العلوي و السفلي، فكان ذلك داعيا إلى الإقبال على ما يرضيه، و ناهيا عن الإلمام بما يسخطه، شرع في التهديد لمن وقف عن ذلك بما وقع في مصارع الاولين من عجائب قدرته فقال: ﴿و انه اهلك عادا﴾ و لم يأت بضمير الفصل لأنه لم يدع في أحد غيره إهلاكهم، و هول أمرهم بقوله: ٢٠

﴿الاولى﴾ أى القدماء فى الزمان جدا دلالة على أنه المنصرف فى جميع الأزمنة، و قدمهم لأن الشر أتاهم من حيث ظنوه خيرا و جزموا بأنه من الأنواء النافعة التى كانت عادتهم استمطارها، و قيل: إن عادا قبيلتان: و الأولى قوم هود عليه السلام و الأخرى أرم ذات [العماد - ١] - قاله ٥ جماعة منهم القشيرى. قال البغوى[٢]: و كان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى، و قال ابن جرير[٣]: و عادا الأولى / هم الذين عنى الله بقوله "الم تر كيف ١٠٢ / فعل ربك بعاد ارم" و إنما قيل لهم عادا الأولى [لأن] بنى لقيم بن هزال هزيل بن عنبل بن عاد كانوا ايأم ارسل الله على هؤلاء عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه ١٠ السلام فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم و هم عاد الآخرى، ثم هلكوا بعد بغى بعضهم على بعض فتفانوا، و قال غير ابن جرير: إن أرم هم عاد الآخرى، و عطف عليهم قوله: ﴿و ثمودا﴾ أى أهلكهم ثم سبب عن الإهلاك قوله: ﴿فما ابقى﴾ أى من الفريقين أحدا، و من قال: إن عادا قبيلتان جعل عدم الإبقاء خاصا بثمود، و قراءة عاصم ١٥ و حمزة و يعقوب[٤] بمنع الصرف نص فى أنهم قوم صالح عليه السلام، و قراءة الباقين بالصرف أنسب للاهلاك و الإعدام.

و لما قدم من كان إهلاكهم بنفس الريح التى هى مبدأ الأمطار الآتية لهم و السحاب، و أتبعهم من إهلاكهم بها بحملها للصيحة و إرجافها

---

(١) زيد من القرآن (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٢٥ (٣) راجع تفسيره ٢٧ / ٤١ (٤) راجع نثر المرجان ٧ / ١٠٦.

بهم، أتبعهم من كان إهلاكهم بالماء الذى هو غاية السحاب فقال: ﴿ و قوم نوح ﴾ اى أهلكهم لأجل ظلمهم بالتكذيب، و لما كان إهلاكهم فى بعض الزمان الماضى قال: ﴿ من قبلُ ﴾ أى قبل الفريقين فصار فى الكلام تهويلان يهزان القلب و يفعلان فى النفس وصف هؤلاء بالقبيلتين و أولئك بالأولى، و لو لا تقديمهم ما كان هذا، و علل ٥ هلاكهم بما يؤذن أنه لافرق عنده بين قوى و ضعيف و قليل و كثير مؤكدا لأن ما اشتهر من طغيان عاد يوجب أنهم أطغى الناس: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى بما لهم من الأخلاق التى هى كالجبال التى لا انفكاك عنها ﴿ هم ﴾ اى خاصة ﴿ أظلم ﴾ من الطائفتين المذكورتين ﴿ و اطغىٰ ﴾ أى و أشد تجاوزا فى الظلم و علوا و إسرافا فى المعاصى و تجبرا و عتوا لمادي ١٠ دعوة نوح عليه السلام و لأنهم أطول أعمارا و أشد أبدانا، وكانوا مع ذلك ملء الأرض، و يجوز أن يكون الضمير للفرق الثلاثة .

و لما ذكر الهلاك بالريح العاصفة الناشئة عنها ثم بالماء الناشئ عن السحاب الناشئ عن الريح، ذكر الإهلاك بالريح والنار و الماء إعلاما بأنه الفاعل وحده بما أراد من العذاب من العناصر التى سبب الحياة مجتمعة و منفردة، ١٥ فقال مقدما عن العامل إعلاما بالتخصيص بما ذكر من العذاب إفادة بأنه تعالى قادر على كل شىء فلم يعذب فرقة بما عذب به الأخرى: ﴿ و المؤتفكة ﴾ أى المدن المنقلبة عن وجوهها إلى أقفائها بقدرة جعلتها من شدتها و عظمتها كأنها انقلبت بنفسها من غير قالب و ذلك أنه سبحانه فتقها من الأرض ففتقها ثم دفعها فى الهواء إلى عنان السماء ثم ٢٠

قلبها و أتبعها حجارة النار الكبريتية و غمرها بالماء الذى لايشبهه شيء من
مياه الدنيا ، و لذلك قال: ﴿ اهوى ۝ ﴾ أى رفع و حط و أزل ، فكان الإزال
إهواء حقيقيا ، و الرفع مجازيا لأنه سببه و هى مدن قوم لوط عليه السلام ،
و أشار إلى الحجارة و الماء بقوله مسببا عن الإهواء و معقبا له :
٥ ﴿ فغشّٰها ﴾ أى أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء ، و هولها بقوله :
﴿ ما غشّٰى ۝ ﴾ أى أمرا عظيما من الحجارة و غيرها لايسع العقول وصفه ،
و قد اشتمل ما ذكره سبحانه من الصحف على بيان ما ينفع من الأعمال
و ما يضر / و بيان التوحيد باحاطة الله سبحانه بالنهايات التى لانهاية /١٠٣
بعدها علما و قدرة لاختصاصه ببيان المصنوعات و ببيان البعث للتخويف
١٠ بالآجل و إهلاك المرتدين للتخويف بالعاجل لمن كان قلبه جافيا عن النفوذ
إلى الآجل .

و لما أهلك كل واحدة من هذه الفرق فلم يبق من فجارها احد ،
و أنجى من أطاعه منهم فلم يهلك منهم أحد ، و كان إهلاكه لكل منها
بشيء غير ما هلك به الفريق الآخر ، فدل كل من ذلك على تمام علمه
١٥ و كمال قدرته ، و كان كل ما تقدم فى هذه السورة من النعم و النقم لكونه
كان أم أوجه الحكم نعمة على كل مؤمن لما فيها من الترغيب فى ثوابه
و الترهيب من عقابه ، خاطب سبحانه رأس المؤمنين لأن خطابه له أشد
فى تذكر غيره فقال مسببا عما مضى: ﴿ فبأىّ الآء ربك ﴾ أى عطية المحسن
إليك التى هى وجه الإنعام و الإكرام و هى إشارة المعرفة به سبحانه
٢٠ بمنزلة ظل الشخص من الشخص كما أنه لايتصور ظل إلا لشخص

فكذلك فعل الفاعل و لا أثر للمؤثر ﴿ تتمارى ٥ ﴾ أى تشك باجالة الخواطر
فى فكرك فى إرادة هداية قومك بحيث لا تريد أن أحدا منهم يهلك
و قدحكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته ، و كان بعض خطرك
فى تلك الإجالة يشكك بعضا ، و لما تم الكلام على هذا المنهاج البديع
و النمط الرفيع فى حسان البيان للمواعظ و الشرع و القصص القديمة ٥
و الإنذار العظيم التام على وجه معجز من وجوه شتى ، أنتج قوله مرغبا
مرهبا خاتما السورة بما بدأ هنا به من ذكره صلى الله عليه و سلم : ﴿ هذا ﴾
النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ نذير ﴾ أى محذر بليغ التحذير ، و لما كانت
الرسل الماضون عليهم الصلاة و السلام قد تقررت رسالتهم فى النفوس
و سكنت إليها القلوب ، بحيث أنه لا يسع إنكارها ، فكان قد أخبر عن ١٠
إنكار من كذبهم لأجل تكذيبهم ، و إنجائهم و إنجاء من صدقهم لأجل
نصرتهم ، و كان لا فرق بينه صلى الله عليه و سلم و بينهم فى ذلك إلا أن
الرحمة به أبلغ و أغلب ، مرغبا فى اتباعه مرهبا من نزاعه ، قال :
﴿ من النذر الاولى ٥ ﴾ يجب له ما وجب لهم و أنتم كالمنذرين الأولين ،
فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم و ارجوا ما كان للصدقين . ١٥

و لما كان كل آت قريبا ، و كانت الساعة - و هى ما أنذر به من
القيامة و مما دونها - لابد من إتيانها لما وقع من الوعد الصادق به المتحف
بالدلائل التى لا تقبل شكا بوجه من الوجوه ، فكان باعتبار ذلك لاشىء
أقرب منها ، قال دالا على ذلك بصيغة الماضى الذى قد تحقق وقوعه
و باشتقاق الواقع الفاعل مما منه الفعل : ﴿ ازفت الأزفة ٥ ﴾ أى دنت ٢٠

الساعة الدانية فى نفسها التى وصفت لكم بالفعل بالقرب غير مرة لأنها محط
الحكمة و إظهار العظمة ، و ما خلق الخلق / إلا لأجلها ، المشتملة على الضيق ١٠٤ /
و سوء العيش من القيامة ، و كل ما وعدتموه فى الدنيا مما يكون به ظهور
هذا الدين وقمع المفسدين . و لما ضاق الخناق من ذكرها على هذا الوجه ،
٥ تشوف السامع إلى دفعها ، فاستأنف قوله : ﴿ ليس لها ﴾ و استدرك
بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل
شىء قدرة و علما ﴿ كاشفة ۭ ﴾ أىّ كاشف يوجدها و يقيمها و يجلى علمها ،
أو يدفع كربها و همها و إن بالغ فى الكشف و بذل الجهد فيه ، فالهاء
للبالغة ، و يجوز أن تكون مصدرا كالجائية و الكاذبة و الباقية فيكون
١٠ الهاء للتأنيث .

و لما أفهم هذا أن الله يكشفها أى يكشف كربها ممن يريد من
عباده و يثقله على من يشاء ، و يكشف علمها باقامتها ، و لا حيلة لغيره فى
شىء من ذلك بوجه ، سبب عنه و عما تقدمه من الإنذار[1] قوله منكرا
موبخا : ﴿ افمن هذا الحديث ﴾ أى القول العظيم الذى يأتيكم على سبيل
١٥ التجدد بحسب الوقائع و الحاجات ﴿ تعجبون ۙ ﴾ إنكارا و هو فى غاية
ما يكون من ترقيق القلوب .

و لما كان المعجب قد يمسك نفسه عن الضحك ، بين أنهم ليسوا كذلك
فقال : ﴿ و تضحكون ﴾ أى استهزاء تجددون ذلك فى كل وقت مبتدأ
ضحككم منه و هو بعيد من ذلك ، و لما كان إنما يورث الحزن بكونه

(١) زيدت الواو فى الأصل .

نزل

نزل بالحزن قال: ﴿ و لا تبكون ﴾ أى كما هو حق من يسمعه .

و لما كان البكاء قد يكون على التقصير فى العمل ، بين أن الأمر أخطر من ذلك [فقال] : ﴿و انتم ﴾ أى و الحال أنكم فى حال بكائكم ﴿ سمدون ﴾ أى دائبون فى العمل جاهدون فى العمل ، فان الأمر جد، فالدأب فى العمل و الجد فيه حينئذ علة للبكاء ، فكأنه قيل : و لا تدأبون فى ٥ العمل فتبكون ، و إنما قلت ذلك لأن " سمد " معناه دأب فى العمل و رفع رأسه تكبرا و علا ، و سمد الإبل : جد فى السير ، و سار سيرا شديدا ، و اسمادّ : ورم ، و سمد : قام متحيرا و حزن و سر و غفل و لها و قام و حصل و نام و اهتم و تكبر و تحير و بطر و أشر ، و سمد الارض : سهلها ، و أيضا جعل فيها السماد ، أى السرقين ، و الشعر : استأصله ، و هو لك سمدا ١٠ أى سرمدا ، و السميـــد : الحوارى ، ذكر ذلك مبسوطا القزاز فى جامعه و صاحب القاموس . فالمادة كما ترى تدور على انتشارها على الدأب فى العمل فتارة بذكر مبدئه الباعث عليه ، و تارة الناشيء عنه ، و تارة ما بينهما ، و هو الجد فى العمل ، فينطلق الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة و مرة بمجاز الاول ، و أخرى بمجاز الكون ، فالقصد باعث ، و كذا ١٥ الاهتمام و القيام و رفع الرأس ناشئان عنهما ، و ذلك أوله ، و السدم بمعنى الحرص و الهم و اللهج بالشيء ، و السديم : الضباب الرقيق ، هو مبدأ الكشف ، و المسدم : البعير المهمل و ما دبر ظهره ، كأنه من الإزالة ، و ركية سدم : متدفقه - للمعالجة فى فتحها ، و لأن تدفقها دأب فى العمل ، و كذا سدم الباب أى ردمه ، و الدسم / : الودك ، لأنه منشط على العمل و منشأ ٢٠ / ١٠٥

منه، و الوضر و الدنس، و دسم المطر الأرض: بلها قليلا، لأنه مبدأ الكثير، و القارورة: سدها ، و الباب : أغلقه ، لأنه يعالج فى فتحه، و الدسمة: غبرة إلى السواد - كأنه مبدأ السواد، و الدسيم لما لم يكن أبواه من نوع واحد - كأنه مبدأ لكل نوع منهما و لأنه يلزم الخلط فى العادة العلاج، ٥ و منه الدسمة للردىء من الرجال - كأنه لم يكمل فيه النوع ، و لأن نقص الشىء عن عادته يلزمه العلاج و الفعل بالاختيار ، و الديسم : الرفيق بالعمل المشفق ، و أنا على دسم من الأمر أى طرف منه ، و المسد - محركة : المحور من الحديد، لأنه آلة الفتل ، و حبل من الليف أو ليف المقل لأنه محل الدأب ، و المساد : نحى السمن ، و دمسه : دفنه ، يصلح أن يكون مبدأ ١٠ و مقصدا ، و منه دمس بينهم : أصلح ، لأنه دفن أحقادهم و عالج فى ذلك ، و الدمس : إخفاء الشىء و الظلام ، لأنه منشق التعب ، و دمس الموضع : درس - للتعب فى معرفته ، و دمس الإهاب : غطاه فيمشط شعره، و الدمس : الشخص ، و بالتحريك : ما غطى ، و الدودمس بالضم : حية مجرنفشة الغلاصيم تنفخ فتحرق ما أصابت بنفخها ، و من آثاره الناشئة عنه الورم ، و كذا ١٥ القيام متحيرا و الغفلة و السرور و الحزن و اللهو و النوم و الكبر و التبختر و العلو و العتا ، و السميد أى الحوارى ، و السمد بمعنى السرمد : و السمد : الهم مع ندم أو الغيظ مع حزن ، و الديماس : الكن ، و مما بين ذلك سمد الأرض و الشعر و السير الشديد و الجد فيه ، و هو نفس الدأب ، و كذا السديم للكثير الذكر ، و ماء مسدم و عاشق مسدم : شديد العشق ، و الدسيم : ٢٠ ظلمة السواد ، و الدسيم : الكثير الذكر ، و دسم البعير : طلاه بالحناء - و المسد :

إدآب السير - و بالتحريك: المضفور المحكم الفتل، و رجل ممسود: مجدول الخلق - شبه به - و هي بهاء، و دمس[1] بينهم: أصلح، و هو من الدفن أيضا لأنه دفن أحقادهم فتبين أن جعل السمود فى الآية بمعنى الدأب فى العمل هو الأولى، و أن كون الجملة حالا من جعلها معطوفة على "تضحكون" - انتهى و الله أعلم. ٥

و لما حث على السمود، فسره مسببا عن الاستفهام و مدخوله قوله: ﴿ فاسجدوا ﴾ أى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود الذى فى الصلاة ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ و اعبدوا ۩ ﴾ أى بكل أنواع العبادة فانه "ما ضل صاحبكم" عن الأمر بذلك "و ما غوى" قال الرازى فى اللوامع: قال الإمام محمد بن على الترمذى: تعبدنا ربنا مخلصين أن نكون له كالعبيد ١٠ و أن يكون لعبيده كما هو لهم - انتهى، و لو كان السمود بمعنى اللهو كان الأنسب تقديمه على "تبكون" - و الله أعلم، و قد ظهر أن آخرها نتيجة أولها، و مفصلها ثمرة موصلها - و الله الهادى.

* * * * *

(١) من القاموس، و فى الأصل: مس.

/١٠٦

سورة القمر[١] و تسمى "اقتربت" /

مقصودها بيان آخر النجم فى أمر الساعة من تحققها و شدة قربها و تصنيف أهلها - باعتبار ما ذكر هناك من العجب من القرآن و الضحك و البكاء و العمل - إلى طالب علم مهتد به، و إلى متبع نفسه هواها و شهواتها ٥ ضال باهمالها فهو خائب، و ذلك لأنه سبحانه وعد بذلك باخبار نبيه صلى الله عليه و سلم و تحقق صدقه بما أيده به من آياته التى ثبت بها اقتداره على ما يريد من الإيجاد و الإعدام، فثبت تفرده بالملك و أيد اقترابها بالتأثير فى آية الليل بما يدل على الاقتدار على نقض السماوات المستلزم لإهلاك ... فان ذلك ... بأنه ما بقى إلا تأثير آية النهار و عند ما ١٠ يكون طى الانتشار و عموم البوار المؤذن بالإحضار لدى الواحد القهار، و أدل ما فيها على هذا الغرض كله أول آياتها، فلذلك سميت بما تضمنته من الاقتراب و الساعة و القمر، و كانت تسميتها بالقمر أشهر لدلالته بسرعة سيره و كثرة تقلبـــه على الاقتراب المنجم به النجم بالإشارة لا بالعبارة، و لم تسم بالانشقاق لأنه إذا أطلق انصرف إلى الأتم، فالسماء ١٥ أحق به ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط علمه فتمت قدرته ﴿ الرحمن ﴾ الذى وسعت رحمته كل شىء فعمت الشقى و السعيد ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص باتمام النعمة من اصطفاه فأسعدتهم رحمته .

لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التى ينكرونها بعد أن

---

(١) الرابعة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها (٥٥) بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ١١٠ .

فتحها بالأقسام البلس(؟) فى النجم الذى هو أعم من القمر و غيره بتسييره طلوعا و أفولا و صعودا و هبوطا، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلا و سمعا فى التأثير فى أعظم آيات الله و غير ذلك ليقطع العباد عن الفساد، و يستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد، فقال دالا على عظيم اقتداره عليها بتأنيث فعلها: ﴿ اقتربت الساعة ﴾ اشتدت قربا الساعة: اللحظة التى ٥ لاساعة فى الحقيقة غيرها التى تقوم فيها القيامة لأنه قل ما بقى بيننا و بينها بالنسبة إلى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الأنبياء الذى لم يبق بعد أمته أمة تنتظر، فيكون فى الزمان مهلة لذلك.

ولما كان الإخبار باقترابها يحتاج عند المعاند [إلى] آية دالة عليه، وكانت الآيات السماوية أعظم، فالتأثير فيها أدل على تمام الاقتدار، و كان القمر ١٠ أدل على الأنواء التى بها منافع الخلق فى معاشهم، و كانت العرب أعرف الناس بها، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شدائد العذاب باعدام الأسباب فقال: ﴿ و انشق ﴾ بغاية السرعة و السهولة ﴿ القمر ﴾ آية للرسول المنذر لكم بها، فكان انشقاقه - مع الدلالة على ذلك باعجاز القرآن وغيره - دالا على كونها و قربها أيضا بالتأثير ١٥ العظيم الخارق لعادة ما قبله من التأثير فى احد النيرين اللذين هما أعظم الأسباب / المقامة للمعايش الدال على القدرة على التأثير فى الآخرة الدال ١٠٧ / ذلك على القدرة على تمام التصرف فيهما من جمعهما و خسفهما و اعدامهما و لسبهما(؟) الذى هو من أسباب خراب الأرض، يقول الإنسان عنده: أين المفر؟ المؤذن بطىّ العالم المعلم بأن له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكمة ٢٠

الدال على بعث عباده ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، فيثيب من
تابع رسله و يعاقب من خالفهم، و انشقاق القمر على حقيقته فى زمان
النبي صلى الله عليه و سلم أمر شهير جدا، و إجماع أهل التفسير عليه كما
قاله القشيرى، و قال: رواه ابن مسعود رضى الله عنه و لا مخالف له
٥ فيه - انتهى . و ذلك أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه و سلم أن
تريهم آية فأراهم انشقاق القمر بحيث طلعت فرقة عن يمين حراء و أخرى
عن يساره - رواه الشيخان[1] عن ابن مسعود و أنس رضى الله عنهما، و معلوم
أن الأمة تلقت كتابيهما بالقبول فهو يكاد يلحق بالمتواتر و قد أيده
القرآن فلم يبق فيه شك، قال القشيرى: و روى أيضا ابن عمر و حذيفة
١٠ و ابن عباس و جبير بن مطعم رضى الله عنهم، و قال أبو حيان[2]: سبب
نزولها أن مشركى العرب من قريش قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم: إن
كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، و وعدوه بالإيمان إن فعل ذلك،
و كانت ليلة البدر فسأل ربه فانشق - انتهى، و من قال: المراد به "سينشق"
يحتاج فى صرف الماضى عن حقيقته إلى المستقبل إلى صارف و أنى له
١٥ ذلك و لا سيما و قد تأيدت الحقيقة بالنسبة الصحيحة الشهيرة .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أعلمهم سبحانه بأن إليه المنتهى،
و أن عليه النشأة الأخرى، و إذ ذاك يقع جزاء كل نفس بما أسلفت،
أعلمهم سبحانه بقرب ذلك و حسابه ليزدجر من وفقه للازدجار فقال
تعالى "اقتربت الساعة و انشق القمر" ثم إن سورة ص تضمنت من عناد

---

(١) راجع صحيح البخارى - التفسير و صحيح مسلم - أبواب المنافقين (٢) راجع البحر المحيط ٨/١٧٣ .

المشركين و سوء حالهم و توبيخهم فى عبادتهم ما لايضر و لاينفع ما
يكاد يوجد فى غيرها مما تقدمها، و بعد التنبيه فى السورة قبلها و التحريك
بآيات لايتوقف عنها إلا من أضله الله و خذله، و أثبتت السورة بعد
على تمهيد ما تضمنته سورة ص فلم يخل سورة منها من توبيخهم و تقريعهم
لقوله فى الزمر "و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا ٥
الى الله زلفى" و قوله "لواراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء"
و قوله "قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه" و قوله مثلا
لحالهم "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون" الآية إلى ما بعد
من التقريع و التوبيخ، و قوله فى سورة غافر "ما يجادل فى آيات
الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد" و قوله "ذلكم بانه ١٠
اذ دعى الله وحده كفرتم و ان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله" و قوله
"افلم يسيروا فى الارض" الآية، و قوله "ان الذين يجادلون فى اٰيٰت
الله بغير سلطن اتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه /" و قوله /١٠٨
"الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون" "الذين كذبوا
بالكتٰب و بما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون" إلى قوله "فاما نرينك بعض ١٥
الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون" و قوله "اولم يسيروا فى الارض" إلى
ما تخلل هذه الآيات، وقوله فى السجدة "فاعرض اكثرهم فهم لايسمعون
و قالوا قلوبنا فى اكنة" "و قال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن
و الغوا فيه" "ان الذين يلحدون فى اٰياتنا لايخفون علينا" إلى قوله
"اولٰئك ينادون من مكان بعيد" و قوله "سنريهم اٰيٰتنا فى الآفاق ٢٠

و فى انفسهم " إلى آخر السورة ، و قوله فى الشورى " و الذين اتخذوا
من دونه اولياء الله حفيظ عليهم و ما انت عليهم بوكيل" " كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه و الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له
حجتهم داحضة عند ربهم " الآية " ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين
٥ ما لم ياذن به الله " الآية ، " فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان
عليك الا البلٰغ " و قوله فى الزخرف " افنضرب عنكم الذكر صفحا "
الآية ، " و جعلوا له من عباده جزءا " إلى ما تردد فى هـذه السورة
مما قرعوا به أشد التقريع ، و تكرر فى آيات كثيره فتأملها مثل قوله تعالى
فى الدخان "بل هم فى شك يلعبون" إلى قوله "يوم نبطش البطشة الكبرى"
١٠ انا منتقمون " و قوله " ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين " إلى قوله هذا
" ما كنتم به تمترون " وقوله فى الجاثية "فبأىّ حديث بعده يؤمنون"
إلى قوله " و الذين كفروا بايٰت ربهم لهم عذاب من رجز اليم " و قوله
" افرءيت من اتخذ الهه هواه " إلى آخر السورة، و قوله فى الأحقاف
" و الذين كفروا عما انذروا معرضون " و معظم هذه الآية لم يخرج
١٥ عن هذا إلى ختامها ، و كذلك سورة القتال و لم يتضمن إلا الأمر
بقتلهم و أسرهم و تعجيل حربهم " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب " و أما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة و الفتح أشد
على الكفار من كل ما قرعوا بـه ، و لم تخرج عن الغرض
المتقدم ، وكذا سورة الحجرات لتضمنها من الأمر بتقدير النبي صلى الله
٢٠ عليه و سلم و إجلاله ما يقر عين المؤمن و يقتل العدو الحاسد و ما فيها
أيضا

أيضا من إتلاف أمر المؤمنين و جمع كلمتهم و تآخيهم، و موقع هذا لايخفى على أحد، و أما سورة الذاريات والطور و النجم فما تضمنته مما ذكرناه قبل أوضح شيء، و بذلك افتتحت كل سورة منها فتأمل مطالعها ففي ذلك كفاية في الغرض - و الله تعالى هو أعلم بالصواب، فلما انتهى ما قصد من تقريع مكذبي رسول الله صلى الله عليه و سلم ٥ و بلغت الآي في هذه السورة من ذلك أقصى غاية، و تمحض باطلهم و انقطع دابرهم، و لم يحيروا جوابا فيما عرض عليهم سبحانه في سورة القمر من أحوال الأمم مع أنبيائهم، و كان القصد من ذلك - و الله أعلم - مجرد التعريف بأنهم ذكروا فكذبوا فأخذوا ليتبين لهؤلاء أن لافرق بينهم و بين غيرهم و أن لايغرهم عظيم حلمه سبحانه عنهم، فهذه ١٠ السورة إعذار عند تبكيتهم و انقطاع حجتهم بما تقدم و بعد أن انتهى الأمر في وعظهم و تنبيههم بكل آية إلى / غاية يعجز عنها البشر، و لهذا /١٠٩ افتتح سبحانه هذه السورة بقوله تعالى "و لقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر" و ختمها سبحانه بقوله "اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر" و هذا يبين ما قدمنا، و كان قد ١٥ قيل لهم: أي فرق بينكم و بين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم و تظنوا أنكم ستفوزون بعظيم جزائكم، فذكر سبحانه لهم قصة كل أمة و هلاكها عند تكذيبها بأعظم إيجاز و أجزل إيراد و أفخم عبارة و ألطف إشارة، فبدأ بقصة قوم نوح بقوله "كذبت قوم نوح" إلى قوله "و لقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي و نذر" ثم استمر في ذكر الأمم ٢٠

مع أنبيائهم حسبما ذكروا فى السورة الوارد فيها إخبارهم من ذكر أمة
بعد أمة إلا أن الواقع هنا من قصصهم أوقع فى الزجر و أبلغ فى الوعظ
و أعرق فى الإفصاح بسوء منقلبهم و عاقبة تكذيبهم، ثم ختمت كل
قصة بقوله "فكيف كان عذابى و نذر" و تخلل هذه القصص بقوله
٥ تعالى "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" و هى إشارة إلى
ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الأمور على زواجره و تنبيهاته و مواعظه
و يدعى بعد ذلك و استعلاءه فقيل له أنه ميسر قريب المرام، و هذا
فيما يحصل عند التنبيه و التذكير لما عنده بكون الاستجابة باذن الله
تعالى و وراء ذلك من المشكل و المتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكره و حسب
١٠ عموم المؤمنين الإيمان بجميعه و العمل بمحكمه، ثم يفتح الله تعالى فهم
ذلك على من شرفه به و أعلى درجته، فيتبين بحسب ما يشرح الله تعالى
صدره "يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات" و من
تيسر المقصود المتقدم تكرار قصص الأنبياء مع أممهم فى عدة سورة
أىّ حفظ منها اطلع على ما هو كاف فى الاعتبار بهم، ثم إذا ضم بعضه
١٥ إلى بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السورة، فسبحان
من جعله حجة باهرة و برهانا على صدق الآتى به محمد صلى الله عليه و سلم،
و صراطا مستقيما و نورا مبينا . و لما ذكر سبحانه عواقب الأمم فى
تكذيبهم قال لمشركى العرب "اكفاركم خير من اولئكم" و من هذا
النمط قول شعيب عليه السلام "و يقوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم
٢٠ مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح و ما قوم لوط منكم ببعيد"

ثم قال تعالى "ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع و يولون الدبر"
أى إنكم تعلقتم بتألفكم و جماعتكم فسأفرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر / بقتل ١١٠
صناديدكم فما حجتكم بعد هذا، إنما مساق القصص فى هذه السورة و اعتماد
التعريف بحال من ذكر فى أن كذبوا و عاندوا، فأعقب تكذيبهم
أخذهم و هلاكهم، ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام فى مشركى ٥
العرب فى قوله "أكفاركم خير من أولئكم" و ليس شىء من السور المذكورة
فيها قصص على هـــذا الاستيفاء كالأعراف و هود، و بظاهرهما ليس
فى شىء من ذلك تعقيب بذكر مشركى العرب على الصفة الواردة هنا، فأنبأ
ذلك بكمال المقصود من الوعظ و التحريك بذكره و انقضاء هذا الغرض،
و ذلك أنهم ذكروا أولا بعرض أحوال الأمم و التعريف بما آل إليه ١٠
أمرهم، و كان ذلك فى صورة عرض من يريد تأديب طائفة من إليه
نظرهم قبل أن يظهر منهم تمرد و عناد، فهو يستلطف فى دعائهم
و لا يــكلمهم تـكليم الواجـــد عليهـم، بـــل يفهم الإشفاق
و الاستعطاف و إرادة الخير بهم ثم يذكرهم بذلك و يكرره عليهم المرة
بعد المرة و إن تخلل ذلك ما يبين منهم فظاعة التهديد و شدة الوعيد، ١٥
فلا يصحبه تعيين المخاطب و صرف الكلام بالكلية إليه، بل يكون ذلك
على طريق التعريض و التوبيخ، ثم لوكان لايحتقر بما قبله و ما بعده من
التلطف حتى إذا تكررت الموعظة فلم تقبل، فهنا محل الغضب و شدة
الوعيد، و على هذا وردت السور المذكور فيها حال الأمم كسورة
الأعراف و هود و المؤمنين و الظلة و الصافات، و ما من سورة منها إلا ٢٠

و التي بعدها أشد فى التعريف و أمل فى الزجر بعد التعريف، فتأمل تعقيب
القصص فى سورة الأعراف بقوله تعالى " و كذلك نفصل الآيات
و لعلهم يرجعون" و قوله بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد إشرافه
على الفوز و هو الذى أخلد إلى الأرض و اتبع هواه فقال بعد ذلك
٥ " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" و تذكيره إياه لمحه الغفلة إلى
ما ختمت به السورة و ذلك غير خاف فى التاطف بالموعظة و قال تعالى
بعد قصص سورة هود " و كذلك أخذ ربك" الآية، و قال تعالى
" فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء - إلى قوله: و انا لموفوهم نصيبهم غير
منقوص" و تكررت الآى إلى آخر السورة يجارى ما ذكر و لم تبق
١٠ هذه و آى الأعراف فى تلطف الاستدعاء، و قال تعالى فى قصص آخر
سورة المؤمنين " فذرهم فى غمرتهم إلى حين - إلى قوله: لا يشعرون"
ثم قال " و لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا
مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون" استمرت الآى على شدة الوعيد يتلو
بعضها بعضا إلى قوله " أفحسبتم انما خلقنكم عبثا و انكم الينا لاترجعون"
١٥ و قوله تعالى بعد " انه لايفلح الكافرون" و لم يبين هذه الآى، و بين
الواقعة / عقب قصص سورة هود، و قال فى آخر قصص الظلة " و انه ‎/ ١١١
لتنزيل رب العلمين" إلى قوله خاتمة السورة " و سيعلم الذين ظلموا أى
منقلب ينقلبون" فوبخهم و عنفهم و نزه نبيه صلى الله عليه و سلم [عن]
توهمهم و عظيم إفكهم و افترائهم، و كل هذا تعنيف و إن لم يتقدم له مثله
٢٠ فى السورة المذكورة، ثم هو صريح فى مشركى العرب معين لهم فى غير

تلويح

تلويح و لا تعريض، ثم إنه وقع عقب كل قصة فى هذه السورة قوله تعالى " ان فى ذلك " و فيه تهديد و وعيد، و قال تعالى فى آخر و الصافات " فاستفتهم الربك البنات و لهم البنون ام خلقنا الملّئكة اناثا و هم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله و انهم لكاذبون " و هذا أعظم التوبيخ و أشد التقريع، ثم نزه نبيه سبحانه عن بهتان مقالهم و سوء ٥ ارتكابهم و قبح فعالهم، بقوله " سبحان ربك رب العزة عما يصفون "، فلما أخذوا بكل مأخذ فما أغنى ذلك عنهم قال تعالى فى سورة القمر " و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر" "حكمة بالغة فما تغنى النذر"، ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم " فتول عنهم " و لم يقع أمره صلى الله عليه و سلم بتركهم و الإعراض عنهم و التولى إلا بعد حصول ١٠ القصص فى السورة المذكورة و أخذهم بكل طريق، و أول أمره بذلك صلى الله عليه و سلم فى سورة السجدة " فأعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون " ثم فى سورة و الذريات " فتول عنهم فما انت بملوم " بأشد وعيد و أعظم تهديد بعقب كل قصة بقوله " و لقد تركناها آية فهل من مدكر " و قوله " فكيف كان عذابى و نذر " ثم صرف اليهم ١٥ بما تقدم قوله " اكفاركم خير من اولّئكم أم لكم براءة فى الزبر " فبلغ ذلك أعظم مبلغ فى البيان و إعذار، ثم قال تعالى " و كل شئ فعلوه فى الزبر " ففرق سبحانه بسابق حكمته فيهم " انا كل شيء خلقناه بقدر " و انقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب - فسبحان من رحم به عباده المتقين و جعله آية و أى ٢٠

آية باهرة إلى يوم الدين، و قطع عناد الجاحدين و غائلة المعتدين و جعله بيانا كافيا و نورا هاديا و واعظا شافيا - جعلنا الله سبحانه و تعالى ممن اهتدى و اعتاق بسببه إنه أهل الاستجابة و العفو و المغفرة - انتهى •

و لما كان التقدير: فأعرض الكفار عن آية انشقاقه و قالوا :

٥ سحر، مع علمهم بأنه دال قطعا على صدق من انشق لتصديقه، عطف عليه الإعلام بحالهم فى المستقبل فطما لمن يطلبه من المؤمنين إجابة مقترحة من مقترحاتهم رجاء إيمانهم فقال: ﴿ و ان يروا ﴾ أى فيما يأتى ﴿ اية ﴾ أى أية آية كانت ﴿ يعرضوا ﴾ أى عن / الانتفاع بها كما أن أعرضوا /١١٢ عن هذه لما رأوها، و قال بعضهم: سحر، و قال بعضهم: أمهلوا حتى

١٠ يجيء السفار، فان قالوا: إنهم رأوا كما رأيتم فليست بسحر، فان محمدا لايستطيع أن يسحر أهل الأرض كلهم، فجاء السفار و شهدوا برؤيته منشقا، و مع ذلك فلم يؤمنوا ﴿ و يقولوا ﴾ أى على سبيل التجديد منهم و الاستمرار: هذا ﴿ سحر ﴾ أى هذا الذى يأتينا به هذا الرجل من وادى الخيال الذى لا حقيقة له و هو ﴿ مستمر ﴾ أى لأنه

١٥ فارق السحر بأنه لاينكشف فى الحال لأنه محكم قوى ثابت دائم بشموله و إحاطته بجميع الأنواع، و لذلك يتأثر عنه غاية الخوارق المتباينة الأنواع الكثيرة •

و لما فطم عن التشوف إلى إجابتهم فى المقترحات على ما قدرته، تسبب منهم عن الانشقاق بقوله: ﴿ وكذبوا ﴾ أى بكون الانشقاق

٢٠ دالا على صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و جزموا بالتكذيب عنادا

و خبثا

أو خبثا منهم . و لما كان التكذيب فى نفسه قد يكون حقا ، قال مبينا
أنه باطل ، فبين عن حالهم بقوله : ﴿ و اتبعوآ ﴾ أى بمعالجة فطرهم
الأولى المستقيمة فى دعائها إلى التصديق ﴿ اهوآءهم ﴾ أى حتى نابذوا
ما دلتهم عليه بعد الفطر الأولى عقولهم ، قال القشيرى : إذا حصل اتباع
الهوى فمن شؤمه يحصل التكذيب ، لأن الله سبحانه و تعالى يلبس على ٥
قلب صاحبه حتى لايستبصر الرشد ، و اتباع الرضى مقرون بالتصديق
لأن الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتى بالتصديق -
و الله الهادى . و لما كان ذلك مفظعا لقلوب المحقين ، سلاهم بالوصول
إلى محط تظهر فيه الحقائق و تضمحل فيه الشقاشق ، فقال عاطفا على ما
تقديره : فسيستقر أمر كل من أمر المحق و المبطل فى قراره ، و يطلع على ١٠
دقائقه و أسراره : ﴿ وكل أمر ﴾ من أموركم و غيرها ﴿ مستقره ﴾
أى ثابت و موجود ، انتهاؤه إلى غاية تظهر فيها حقيقته من غير حيلة تصاحبه
إلى رد ذلك القرار و لا خفاء على أحد ، فلابد ان ينتهى الحق من كل
شيء من الآجال و الهدايات و الضلالات و السعادات و الشقاوات
و غيرها إلى نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له ، و ينتهى الباطل مما دعاه ١٥
الخلق فيه إلى غايته فيتلاشى تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه ، فاذا
استقرت الأمور ظهر ما لهم عليه و علموا الخاسر من الفائز ، و فى مثل
هذا قال ابن عمرو التيمى أخو القعقاع فى وقعة السى (؟) من بلاد العراق :

و الموت خيلنا لما التقينا بقارن و الأمور لها انتهاء .

و قرأ أبو جعفر[1] بالجر صفة لأمر ، فيكون معطوفا على الساعة أى و اقترب ٢٠

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١١٢ .

/ ١١٣ / كل أمر مستقر أى ثابت و هو الحق أى اقترب الظهور و ثباته ، و ذلك
لايكون إلا وقد كان خفاء الباطل و فواته. و لما حذر و بشر قال معلما
أنه محيط العلم بأمرهم من قبل الإجابة إلى شق القمر و أنـــه ما شقه
لطامع فى إيمانهم بل للاعلام بخذلانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاؤه بأن
٥ تواتر الآيات ربما أوجب لهم التصديق المتضمن لأن ما جاءهم ليس فيه
كفاية: ﴿ و لقـد جآءهم ﴾ من قبيل الانشقاق ﴿ من الانبآء ﴾ أى
الأمور العظيمة المرئية، المسموعة التى تستحق لعظمتها أن يخبر بها إخبارا
عظيما سيما ما جاء فى القرآن من تفصيل أصول الدين و فروعه و أخبار
الأولين و الآخرين و الأولى و الأخرى ﴿ما فيه﴾ خاصة ﴿مزدجر ۙ﴾
١٠ أى موضع للزجر من شأنه أن يكون لهم به انزجار عظيم عما فيه من
الباطل، و لكن لم يزدجر منهم إلا من أراد الله، قال القشيرى: لأن الله
أسبل على أبصارهم سجوف الجهل فعموا عن مواضع الرشد.

و لما كان ما فيه ذلك قد لايكون محكما، بينه بقوله: ﴿حكمة﴾
عظيمة ﴿ بالغة ﴾ أى لها معظم البلوغ إلى منتهى غايات الحكمة لصحتها
١٥ و طهارتها و وضوحها، ففيها مع الزجر ترجية و مواعظ و أحكام و دقائق
تجل عن الوصف. و لما تسبب عنها انزجارهم. سبب عن ذلك قوله:
﴿فما﴾ نفيا صريحا أو باستفهام إنكارى موبخ ﴿تغن النذر ۙ﴾ الإنذارات
و المنذرون و الأمور المنذر بها ـ إنما المغنى بذلك هو الله تعالى، فما
شاءه كان و ما لم يشأه لم يكن، و لعل الإشارة باسقاط ياء "تغنى"
٢٠ باجماع المصاحف من غير موجب فى اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية

أحرف

أحرف الكلمة سقطت ثمرة الإنذار و هو القبول.

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد التعلق بطلب نجاتهم، فهو لذلك ربما اشتهى إجابتهم إلى مقترحاتهم، سبب عن ذلك قوله: ﴿فتول عنهم ؕ﴾ أى كاف نفسك الإعراض عن ذلك فما عليك إلا البلاغ، و أما الهداية فالى الله وحده. و لما بين اقتراب الساعة بالإجابة إلى بعض مقترحاتهم ٥ القائمة مقامها كلها بدلالته على القدرة عليها، و أتبع ذلك الفطم عن طلب الإجابة إلى شيء فيها لأنها لاتغنى شيئا، تطلعت النفوس الكاملة إلى وصف الساعة فأجاب عن ذلك على سبيل الاستئناف بذكر ظرفها و ذكر... ما يقع فيه من الأهوال، فقال معلقا بما تقديره: الساعة كائنة على وجه الاقتراب الشديد: ﴿يوم يدع﴾ و يجوز - و الله أعلم - أن يكون الناصب له "تول" ١٠ لأنهم لما أعرضوا حين دعاهم كان جزاءهم أن يعرض عنهم يوم حاجتهم إليه لأن الجزاء من جنس العمل، فكأنه قيل بعد أن عد القيامة / أمرا / ١١٤ محققا لايأتى النزاع فيه: تول عنهم فى ذلك اليوم العبوس الذى أنت فيه الشافع المقبول... و اتركهم لأهواله و دواهيه، فقد بان الخاسر فتوليهم إنما يضرهم، لأن توليهم عنك لايضرك شيئا أصلا، و توليك عنهم يضرهم ١٥ ضررا ما بعده ضرر - و الله أعلم، و حذف واو «يدعو» للرسم باجماع المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها، فكأنه إشارة إلى كونها بأدنى دعاء، و أيضا ففى حذفه تشبيه للخبر بالأمر إشارة إلى أن هذا الدعاء لابد على أن يكون على أعظم وجه و أتقنه و أهوله و أمكنه كما يكون كل مأمور من الآمر المطاع، و الوقف على هذا و أمثاله ٢٠

بغير واو لجميع القراء موافقة للرسم لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية
اتبعت و إن خالفت الرسم أو الأصل، و ما لم يرد فيه عن أحد منهم
رواية اتبع فيه الرسم و إن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود فى
كلام العرب كالوال و المتعال من أسمائه الحسنى، لكن قال علامة
٥ القراءات شمس الدين الجزرى فى كتابه المسمى بالنشر فى هذه الأحرف
الأربعة : هذا و "يدع الانسان" فى سبحان و "يمح الله الباطل" فى شورى
و "سندع الزبانية" فى العلق : نص الحافظ أبو عمرو الداني عن يعقوب
على الوقف عليها بالواو على الأصل، ثم قال : قلت : و هو من انفراده،
و قد قرأت به من طريقه ﴿الداع﴾ اى النفخ فى الصور ﴿الى شىء نكرٍ﴾
١٠ عظيم الوصف فى النكارة بما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لأنه
لاشىء منه إلا و هو خارج عما تقدمه من العادة .

و لما بين دعاءه بما هال أمره، بين حال المدعوين زيادة فى الهول
فقال : ﴿ خشعا ابصارهم ﴾ أى ينظرون نظرة الخاضع الذليل السافل
المنزلة المستوحش الذى هو بشر حال، و نسب الخشوع إلى الأبصار
١٥ لأن العز و الذل يتبين من النظر، فان الذل ان يرمى به صاحبه إلى الأرض
مثلا مع هيئة يعرف منها ذلك كما قال تعالى "خاشعين من الذل ينظرون
من طرف خفى" و إفراده فى قراءة أبى عمرو و يعقوب و حمزة و الكسائى[1]
على أن الخشوع بلغ فى النهاية من الشدة و نسبته إلى كل بصر على
حد سواء، و جمع على لغة "أكلونى البراغيث" فى قراءة الباقين بضم

(١) راجع نثر المرجان ٧/١١٥ .

الخاء و تشديد الشين مفتوحة أو مستندا المدعوين، و الإبصار يدل بعض الإشارة إلى أن كل ذلك موزع على الأبصار .

و لما بين من حالهم هكذا ما يدل على نكارة ذلك اليوم، بين كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تصوره زيادة الذعر فقال: ﴿يخرجون﴾ أى على سبيل التجدد الأشرف فالأشرف ﴿من الاجداث﴾ أى القبور ٥ المهيأة لسماع النفخ فى الصور ﴿كأنهم﴾ فى كثرتهم و تراكم بعضهم على بعض من كبيرهم / و صغيرهم و ضعيفهم و قويهم ﴿جراد منتشرٌ﴾ / ١١٥ أى منبث متفرق حيران مطاوع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون مختلط بعضه ببعض، لاجهة له فى الحقيقة يقصدها لو خلى و نفسه .

و لما كان الانتشار قد يكون وجه المهل و الوقار، قال مبينا أن ١٠ الأمر عل خلاف ذلك زيادة فى هول ذلك اليوم و تقريرا لما تقدم من وصفه: ﴿مهطعين الى الداعِ﴾ أى مسرعين خائفين مقبلين بأبصارهم عليه لايقلعون عنه، مادين أعناقهم نحوه مصوبى رؤسهم لايلتفتون إلى سواه كما يفعل من ينظر فى ذل و خضوع و صمت و استكانة .
و لما بين حال الكل حصر حال المبطلين فقال: ﴿يقول﴾ أى على ١٥ سبيل التكرار: ﴿الـكٰفرون﴾ أى الذين كانوا فى الدنيا عريقين فى ستر الأدلة و إظهار الأباطيل المضلة: ﴿هذا﴾ أى الوقت الذى نحن فيه بما نرى من الاهوال ﴿يوم عسرٌ﴾ أى فى غاية العسر و الصعوبة و الشدة، و ذلك بحسب حالهم فيه .

و لما تقدم أمره سبحانه لنبيه صلى الله عليه و سلم بالتولى عنهم ٢٠

تهديدا لهم، و صرح بما أراد من أمر الساعة لما دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها، و لأنها أشد هول يهددون به، و بيانا أن الخلق ما خلق إلا لأجلها لأنها محط الحكمة، و ختم بعسرها على الكافرين، تمم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعا لأهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات، فذكر عسر ٥ يوم كان على الكافرين فيها، فقال مهددا لقريش بجعل القصة مثلا لهم فى إهلاكهم و فى أمر الساعة من حيث أنه كما أهلك أهل الارض فى آن واحد بما أرسله من الماء فهو قادر على أن يهلكهم فى آن واحد بالصيحة، و كما صرف هذا التصريف الذى [ما] سمع بمثله فى الإهلاك فهو قادر على أن يصرفه فى الاحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت ١٠ فيه الأجساد و تحيا فيه العباد، جوابا لمن كأنه قال: هذا ما يوعدونه بعد الموت، فهل لهم عذاب قبله دال على كمال القدرة: ﴿كذبت﴾ أى أوقعت التكذيب العظيم الذى عموا به جميع الرسالات و جميع الرسل، و أنث فعلهم تحقيرا لهم و تهوينا لأمرهم فى جنب قدرته.

و لما كان ما كان من تصميمهم عليه و عزمهم على عدم الانفكاك ١٥ عنه لكونه جبلة مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان، و كانوا قد سنوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم وزر من أتى بعدهم، و كان ما قبلهم من الزمان يسيرا فى جنب ما بعده عدما، فلذلك ذكر الظرف من غير حرف [جر] لأنه مع أنه الحق أعظم فى التسلية فقال: ﴿قبلهم﴾ أى فى جميع ما سلف من الزمان و مضى بعضه بالفعل و بعضه بالقوة لقوة ٢٠ العزم /: ﴿قوم نوح﴾ مع ما كان بهم من القوة و لهم من الانتشار ١١٦/ فى

فى جميع الأقطار •

و لما ذكر تكذيبهم إشارة إلى أنه جبلة لهم جحدوا بها النبوة رأسا فلاحظ لهم فى التصديق للحق فلا يفترق حالهم بالنسبة إلى أحد من الناس كان من كان، فلذلك سبب عن هذا المطلق قوله : ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾ أى على ما له من العظمة نسبة إلينا لكونه لم يتعبد لغيرنا قط مع تشريفنا ٥ إياه بالرسالة، فكان تكذيبهم فرا مما دخل فى تكذيبهم المطلق الشامل لكل ما يمكن تكذيبه و هو ميد(؟) ﴿ و قالوا ﴾ مع التكذيب أيضا زيادة على تغطية ما ظهر منه من الهداية : ﴿ مجنون ﴾ أى فهذا الذى يظهر له من الخوارق من أمر الجن •

و لما كان إعلاء الصوت على النبي كائنا من كان عظيم القباحة جدا ١٠ زائد الفظاظة فكيف إذا كان مرسلا فكيف إذا كان من أولى العزم فكيف إذا كان على سبيل الإنكار عليه، فكيف إذا كان على صورة ما يفعل بمن لاخطر له بوجه، قال بانيا للمجهول إشارة إلى تبشيعه من غير نظر إلى قائل و إيذانا بأن ذلك لم يكن من أكابرهم فقط بل من كبيرهم و صغيرهم : ﴿ و ازدجر ه ﴾ أى أعملوا أنفسهم فى انتهاره و توعده ١٥ و تهديده و انتشر ذلك فى جميعهم بغاية ما يكون من الغلظة كفا له عن الرسالة و منعا له عنها، و المعنى أنهم قالوا : إنه استظهر عليهم بالجنون •

و لما طال ذلك منهم و مضت عليه أجيالهم جيلا بعد جيل حتى مضى له من إنذارهم أكثر مما مضى من الزمان لأمة هذا النبى الخاتم إلى يومنا هذا، و أخبره الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن معه، ٢٠

تسبب عن ذلك الدعاء بالراحة منهم، فلذلك قال صارفا وجه الخطاب إلى صفة الإحسان و الربوبية[1] و الامتنان إيذانا بأنه أجاب دعاءه و لبى نداءه: ﴿ فدعا ربهٗ ﴾ أي الذي رباه بالإحسان إليه برسالته معلما له لما أيس من إجابتهم: ﴿ انى مغلوب ﴾ أي من قومي كلهم بالقوة و المنعة ٥ لا بالحجة، و أكده لأنه من يأبى عن الملك الأعظم يكون مظنة النصرة، و إبلاغا في الشكاية إظهارا لذل العبودية، لأن الله سبحانه عالم بسر العبد و جهره، فما شرع الدعاء في أصله إلا لإظهار التذلل، و كذا الإبلاغ فيه ﴿ فانتصر ۝ ﴾ أي أوقع نصري عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه.

و لما استجاب له سبحانه، سبب عن دعائه قوله، عائدا إلى مظهر ١٠ العظمة إعلاما بمزيد الغضب الموجب دائما للاستيعاب بالغضب: ﴿ ففتحنآ ﴾ أي تسبب عن دعائه [أنا فتحنا -[2]] فتحا يليق بعظمتنا ﴿ ابواب السمآء ﴾ كلها في جميع الأقطار، و عبر بجمع القلة عن الكثرة / لأن عادة العرب /٢١٧ أن تستعيره لها و هو أرشق و أشهر من بيان، و سياق العظمة يأبى كونه لغيرها. و لما كان المراد تهويل أمر الماء بذكر حاله التي كان عليها حتى ١٥ كأن المحدث بذلك شاهده جعلت كأنه آية فتحت بها السماء فقال: ﴿ بمآء منهمر ۝ ﴾ أي منصب بأبلغ ما يكون من السيلان و الصب عظما و كثرة، و لذلك لم يقل: بمطر، لأنه خارج عن تلك العادة، و استمر ذلك أربعين يوما ﴿ و فجرنا ﴾ أي صدعنا بما لنا من العظمة و شققنا و بعثنا و أسلنا ﴿ الارض عيونا ﴾ أي جميع عيون الأرض، و لكنه

---

(١) في الأصل: الرتبة (٢) زيد نظرا للسياق.

عدل عنه للتهويل بالإبهام ثم البيان، و إفادة لأن وجه الأرض صار كله عيونا .

و لما كان الماء اسم جنس يقع على الأنواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد، و كان قد ذكر ماء السماء و الأرض، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فالتقى المآء ﴾ أي المعهود و هو ماء السماء و ماء الأرض بسبب ٥ فعلنا هذا، و زاد في تعظيمه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ على امر ﴾ و لما تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة، فكان ربما ظن أنه صار جزافا، و زاد على الحد المأمور به، أشار إلى أنه بالنسبة إلى عظمته في غاية الحقارة فقال: ﴿قد قدر ج﴾ أي مع كونه مقدورا عليه في كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره في الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ١٠ و لا أن يهلك غير من أمرناه باهلاكه، و أشار بالتخفيف إلى غاية السهولة في ذلك سبحانه .

و لما ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة، و أن إجابته لدعوته عليه الصلاة و السلام، ذكر تمام الانتصار بنجاته فقال: ﴿و حملنه﴾ أي بما لنا من العظمة على متن ذلك الماء بعد أن صار جميع وجه الأرض ١٥ مجرى واحدا، و حذف الموصوف تهويلا بالحث على تعرفه بتأمل الكلام فقال: ﴿ على ذات ﴾ أي سفينة ذات ﴿الواح﴾ أي أخشاب نجرت حتى صارت عريضة ﴿ و دسر لا ﴾ جمع دسار و هو ما يشد به السفينة و توصل بها ألواحها و يلج بعضها ببعض بمسمار من حديد أو خشب أو من خيوط الليف على وجه الضخامة و القوة و الدفع و المتانة، و لعله ٢٠

عبر عن السفينه بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد من فتق الرتق و رتق الفتق بحيث يصير ذلك المصنوع، فكان إلى ماهيأه ليراد منه و إن كان ذلك المراد عظيما و ذلك المصنوع .

و لما كان ذلك خارقا للعادة فكان يمكن أن يكون فى السفينة خارق ٥ آخر باسكانها على ظهر الماء من غير حركة، بين أن الأمر ليس كذلك فقال مظهرا خارقا آخر فى جريها: ﴿تجرى﴾ / أى السفينة ﴿ باعيننا ج ﴾ أى محفوظة أن تدخل بحر الظلمات، أو يأتى عليها غير ذلك من الآفات، بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة و لا يغيب عنه أصلا، و جوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء، ثم علل ذلك بقوله: ١٠ ﴿جزآء﴾ أى لعبدنا نوح عليه السلام، و لكنه عبر هنا بما يفهم العلة ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له إن وقع منه مثل فعل قومه فقال: ﴿لمن﴾ و عبر عن طول زمان كفرهم [بقوله]: ﴿كان كفره﴾ أى وقع الكفر به و هو أجل النعم، فقال (؟) على أهل ذلك الزمان و ذلك جزاء من كفر النعم، و يجوز أن يكون المراد به قومه بين أنه وقع الكفر ١٥ منهم وقوعا كأنهم مجبولون عليه حتى كأنه وقع عليهم لتوافق قراءة[1] مجاهد بالبناء للفاعل .

١١٨ /

و لما تم الخبر عن نجاته بحمله فيها، نبه عن آثارها بقوله: ﴿ و لقد تركنهآ ﴾ أى هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا الوجه و إبقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة، و قيل: تلك السفينة

(١) راجع نثر المرجان ٧ /١٢٠ .

بعينها

بعينها بقيت على الجودى حتى أدرك بقايا ما هذه الأمة ﴿ ءاية ﴾ أى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط و القدرة التامة ﴿فهل من مدكر ه﴾ أى مجتهد فى التذكير بسبب هذا الأمر لما يحق على الخلق من شكر الخالق بما هدت إليه رسله كما قالوه .

و لما قدم تعالى قوله "فما تغن النذر" و أتبعه ذكر إهلاكه ٥ المكذبين، وكان ما ذكره من شأنهم أمرهم فى الجلالة و العظمة بحيث يحق للسامع أن يسأل عنه و يتعرف أحواله ليهتدى بها على ذلك بقوله مسببا عن التذكير باستفهام الإنكار و التوبيخ: ﴿ فكيف كان ﴾ أى وجد و تحقق ﴿عذابى﴾ أى لمن كذب و كفر و كذب رسلى ﴿ونذر ه﴾ أى الإنذارت الصادرة عنى و المنذرون المبلغون عنى فانه أنجى نوحا عليه ١٠ السلام و من آمن معه من أولاده و غيرهم و متعهم بعد إهلاك عدوهم و جعل الناس الآن كلهم من نسله، قال القشيرى: فى هذا قوة لرجاء أهل الدين إذا لقوا فى دين الله محنة لجحد غيرهم ما آتاه الله أن يهلك الله عن قريب عدوهم و يمكنهم من ديارهم و بلادهم و يورثهم ما كان إليهم، وكذلك سنة الله فى جميع أهل الضلال - انتهى . وكان المعنى ١٥ فى تكرير ذلك عليهم بعد التذكير بما أتيناهم به من قصص هذه الأمم ميسرا لفهم صغيرهم و كبيرهم و ذكرهم و أنثاهم كيف كان أخذى لهم و عاقبة تخويفى إياهم لعلهم يتعظون فينفعهم إنذار المنذرين .

و لما كان هذا التفصيل مما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة، نبه على ذلك / بقوله: ﴿ و لقد يسرنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ٢٠ / ١١٩

﴿ القرآن ﴾ أى على ما له من الجمع و الفرق و العظمة المناسبة لكونه صفة لنا ﴿ للذكر ﴾ أى الاتعاظ و التذكر و التدبر و الفهم و الحفظ و التشريف لمن يراعيه، قال ابن برجان: أنزلناه باللسان العربى و أنزلناه للأفهام تنزيلا و خاطبناهم بعوائدهم و أعلمنا من قبل أعمالهم و أقبسناهم المعرفة و اليقين من قبل ذواتهم و ضربنا لهم الأمثال وأطلنا لهم فى هذه الأعمال ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم، و قال القشيرى: يسر قراءته على ألسنة قوم، و علمه على قلوب قوم، و فهمه على قلوب قوم، و حفظه على قلوب قوم، وكلهم أهل القرآن وكلهم أهل الله و خاصته - انتهى. و الآية ناظرة بالعطف و المعنى إلى "و لقد جاءهم من الانباء" الآيتين، فالمعنى أنا و لو شئنا بما لنا من العظمة لجئناهم بعبارات لا يشمون رائحتها، و بلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلا لكننا لم نفعل ذلك بل خاطبناهم بأبلغ من بلاغتهم مع تيسير فهم ما خاطبناهم به فكان [فى] ذلك إعجازان: أحدهما أنه فوق بلاغتهم، و الثانى أنه مع علوه يشترك فى أصل فهمه الذكى و الغبى. و لما كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لأفعاله سبحانه فى هذا الوجود الشاهد و الغائب الذى أخبرنا عنه و شرحنا لما أنزل علينا من أسمائه الحسنى و صفاته العليا التى تعرف لنا بها، و كان سبحانه قد جعل خلق الآدمى جامعا، فما من شيء من أفعاله إلا و فى نفسه منه أثر ظاهر ناظر للتفكر فى القرآن و التعرف للأسرار منه بالتذكر الذى يكون ... لما كان الإنسان يعرفه ثم نسيه حتى صار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به ذكره، فقال منبها على عظيم فضل العلم و القرآن الذى هو طريقه بالتكرار

و التعبير

و التعبير بما هو من الذكر على أنه المحفوظ للانسان بما هيأ له من تيسير أمره ﴿فهل من مدكر ه﴾ قال البخارى فى آخر صحيحه: قال مطر الوراق: هل من طالب علم فيعان عليه، و قد تكررت هذه الموعظة فى هذه السورة أربع مرات، و ذكرت الجملة الأخيرة منها منفكة عن تيسير القرآن مرتين: مرة فى أول القصص و هى قصة نوح عليه السلام، و مرة كما يأتى ٥ فى آخرها، و ذلك عقب قصة فرعون و هو قوله "فكيف كان عذابى و نذر" مثل ذلك، و كررت "فباى آلاء ربكما تكذبان" فى الرحمن إحدى و ثلاثين مرة، فنظرت فى سر ذلك فظهر لى - و الله الهادى - أن الذى تقدم فى سورة المفصل على هذه السورة أربع سور هذه السورة خاتمتها فأشير إلى التذكر بكل سورة منها حثا على تدبرها بآية ختمت كلماتها بكلمة ١٠ عادت حروفها [فى] السور الخمس / و ادغم حرف منها فى آخر بعد قلب / ١٢٠ كل منهما، فكانت هذه الكلمة التى مدلولها الذكر مشيرة إلى الحواس الخمس الظاهرة التى هى مبادئ العلم، و كان ما فى أول هذه المواعظ و آخرها لخلوه عن ذكر القرآن موازيا للحرفين اللذين طرفهما للوهن بالتعبير و القلب لكن لما كان الحرفان بالإدغام كحرف واحد، كانت الجملتان الموازيتان ١٥ لهما كآية واحدة من تلك الأربع، و كان هذا الأول و الآخر مشارا به إلى هذه السورة التى جمعت التذكير بالسور الأربع، و أعريت عن ذكر تيسير القرآن لافتتاح السور بمحو و ما يقرب من المحو و هو آية الليل و التيسير فيها و الساعة التى هى أغيب الغيب، و كل من فيها سوى الله محوصرف لسلب الأمر كله عنهم و خصت بها الأولى و الآخرة ٢٠

لجامع بينهما من غرق العصاة فى الماء و نجاة المطيعين بعضهم بالسفينة
و بعضهم بنفس البحر الذى هو مسرح السفن، و كانت الموعظة المذكور
فيها القرآن فى ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها لجميع القرآن
إشارة إلى خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الإحاطة باحاطة
٥ جبل ق بالأرض كلها و طوفان قوم نوح عليه السلام بعموم جميع
الأرض و التى فى سورة عاد إشارة إلى سورة الذاريات لأن كلامهم
كان بالريح، و التى فى قصة ثمود إشارة إلى التذكر بالطور بجامع ما بينهما
من الرج و الرجف و الذل و الصعق، أما فى قصة ثمود فظاهر، و أما فى
الطور فلما كان من دكه و صعق بنى إسرايل فيه، و قد ذكر الصعق فى
١٠ آخر الطور، و ما فى قصة لوط إشارة إلى النجم لأن مدائنهم ارتفعت
إلى عنان السماء ثم أهويت و أتبعت الحجارة. فلما كان الأمر هكذا،
و كانت النعم محيطة بالإنسان من جهاته الست. فضربت الحواس الخمس
فى الجهات الست، فكانت ثلاثين. كأنه قيل: هل مدكر بهذا القرآن،
و لا سيما ما تقدم [على] هذه السورة منه فى المفصل ما لله عليه من النعم
١٥ فى نفسه و فى الآفاق المشار إلى القسم الأول منها بمدكر. و إلى الثانى
بتكرير ذكر الآلاء فكل آية تكرير انتهى إلى العدد المخصوص و إلى
المجموع بالمجموع ليعلم أن نعم الله محيطة به على وجه لا يقدر على صنعه
إلا الله الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال التى أعظمها - من حيث
كونه أساسا يبنى عليه - الوحدانية المنزهة عن الشركة فيخشى من معصيته
٢٠ أن يسلبه نعمه أو واحدة منها فلا يجد من يقوم بها و لا بشيء منها

غيره

غيره أو يعذبه بشيء مثل عذاب هذه الأمم أو بغير ذلك مما له من
إحاطة القدرة و العلم فلا يجد من يرد عنه شيئا منه سبحانه، و أما الواحد
الزائد فهو إشارة إلى أن المدار فى / ذلك الإدراك هو العقل و الحواس / ١٢١
كما أن المقصود بذلك كله واحـــد و هو الله تعـالى، و كل هذه
الأشياء أسباب لمعرفته و أيضا فالواحد إشارة إلى أن زيادة الآلاء من ٥
فضل الله تعالى لاتنقطع كما أن الواحد الذى هو أصل العدد لايزال،
فكلما أغنت زيادتها [ابتدأ] دور ثم ابتدأ دور اخر دائما أبدا، و للتكرير
نكتة أخرى بديعة جدا، و هى تأكيد التقرير دلالة على اشتداد الغضب
المقتضى لأنهى العقوبة كما أن من اشتد غضبه من إنكار شخص لشيء من
قتله إذا بينه غاية البيان بأمور متنوعة و هو يتمرد و يلد غاية اللدد يأخذه ١٠
فيجمع له جمعا لايقدر على العدول عن الحق بحضرتهم، و هو يذعن
و هو فى قبضته فيذكر تلك المعانى بين ذلك الجمع، فيصير كلما ذكر له
نوعا منها بحضرتهم، قال له: هل ظهر لك هذا؟ فيقول ذاك المنكر: نعم
ظهر لى، فلا يريد ذلك إلا غضبا لما تقدم له من عظيم غضبه [و] لدده فيذكر
له معنى آخر ثم يقول: هل ظهر لك هذا؟ فيقول: نعم و الله لايعرج ١٥
على اعترافه ذلك و يذكر له نوعا آخر، و يقول مثل ذلك يريد الزيادة
فى تبكيته و تخجيله. و هكذا إلى أن يشتفى - كل ذلك للتنبيه على لدده
وكفاية كل نوع منها لما أريد منه من البيان، و قال فى الكشاف:
فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا و اتعاظا
و أن يستأنفوا تنبها و استيقاظا إذا سمعوا الحث عليه و البعث على ذلك ٢٠

كله و أن يقرع لهم العصى مرات و يقعقع لهم السن تارات، لئلا يغلبهم السهود و يستولى عليهم حكم الغفلة، و هكذا حكم التكريرات لتكون العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى أوان - انتهى، و لمثل ما مضى أو قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات:
٥ أربع منها " فكيف كان عذابى و نذر " و اثنان منها " فذوقوا عذابى و نذر " فهما بمنزلة واحدة من الأربع ليرجع الست إلى الخمس الدال عليها " مدكر " إشارة إلى أن الحواس الخمس كما ضربت فى الجهات الست لأجل النعم التى هى جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع النقم الذى هو درأ المفاسد و التحذير منها، و من فوائد تكرر الست
١٠ الراجعة إلى الخمس مرتين: مرة لجلب النعم و أخرى لدفع النقم أن الحواس مكررة ظاهرا و باطنا، فمن ذل لسانه بالقرآن ظاهرا صحت حواسه الظاهرة و نورت له الباطنة، و من أبى عذب بسبب الباطنة فتفسد الظاهرة، و اختير للوعظتين عدد الست مع إرادة جماعة إلى خمس لأن الست عدد تام و ذلك لأن عدد كسورها إذ جمعت سادتها و لم تزد عنها و لم
١٥ تنقص و هى النصف و الثلث و السدس، و هذا العدد مساو لدعائم الإسلام الخمس و حظيرته الجهاد التى هى عماد تقوى المتقين أهل مقعد الصدق الذين يؤمنون بالغيب و يقمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون و الذين يؤمنون بما أنزل إلى نبيهم صلى الله عليه و سلم و ما أنزل من قبله المشار به إلى الصيام " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم"
٢٠ و الحج " و اذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا " و الجهاد " أم حسبتم إن تدخلوا

تدخلوا الجنة" إلى قوله "كتب عليكم القتال و هو كره لكم" و ذلك إشارة إلى أن هذا الدين تام لا زيادة فيه؛ و لا نقص لأن النبي الذى أرسل ختام الأنبياء، و تمام الرسل الأصفياء. و لما كان قوم عاد قد تكبروا بشدتهم وقوتهم، و كانت حال قريش قريبة من ذلك لقولهم إنهم أمنع العرب و أفواهم و أجمعهم للكمالات و أعلام، كرر ذلك فى قصتهم مرتين ٥ زيادة فى تذكير قريش و تحذيرهم و لا سيما و قد كان بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح فى قصتهم، وكرر الأمر بالذوق فى قصة لوط عليه السلام لأنهم عذبوا بما ردع من كان له قلب بالطمس، فلما لم ينفعهم ذلك أتاهم أكبر منه فكانوا كأمس الدابر، فلكل مرة من العذاب من الأمر بالذوق، و خصوا بالأمر بالذوق لما فى فاحشتهم ١٠ الخبيثة ما يستلذونه، و قد عم عذاب هذه الأمم جميع الجهات بما لقوم نوح ولوط عليهما السلام من جهة الغرق بالماء الماطر و حجارة السجيل و من الحب (؟) من الماء النابع و الخسف، و ما فى عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات - و الله الهادى .

و لما انقضت قصه نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم، كان ١٥ ذلك موجبا للسامع أن يظن أنه لايقصر أحد بعدهم وإن لم يرسل برسول فكيف إذا أرسل، فتشوف إلى علم ما كان بعده هل كان كما ظن أم رجع الناس إلى طباعهم؟ و كانت قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح أن يكون واعظا لهم، وكان عذابهم بالريح التى أهلكتهم و نسفت جبالهم التى كانت فى محالهم ٢٠

من الرمال المتراكمة ، فنقلها إلى أمكنة أخرى أقرب دليل إلى أنه تعالى
يسير الجبال يوم الدين ، هذا إلى ما فى صفها الخارج عن العوائد من
تصوير / النفخ فى الصور تارة للقيامة و تارة للاحياء ، فأجيب بقوله : ١٢٣ /
﴿ كذبت عاد ﴾ أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب
٥ تكذيبهم رسولى هود عليه السلام فى دعوته لهم إلىّ و إنذاره لهم عذابى .

و لما كان عادة الملوك أو بعضهم أنه إذا أهلك قوما كثيرين من
جنده نجا ناس مثلهم بمثل ذنوبهم أن رفع بهم ، و يستألفهم لئلا يهلك
جنده ، فيختل ملكه ، عقب الإخبار بتكذيبهم الإعلام بتعذيبهم لأنه
لايبالى بشيء لأن كل شيء فى قبضته ، و لما كان تكذيبهم إلا بارادته
١٠ كما أن عذابه بمشيئته ، قال مسببا عن ذلك : ﴿ فكيف ﴾ أى فعلى الأحوال
لأجل تكذيبهم ﴿ كان عذابى لهم و نذره ﴾ أى و إنذارى إياهم بلسان
رسولى ، و كرر فى آخر قصتهم هذا الاستخبار ، فكان فى قصتهم مرتين
كما تقدم من سره - و الله أعلم .

١٥ و لما ذكر تكذيبهم و أعقبه تعذيبهم ، علم السامع أنه شديد العظمة
فاستمطر أن يعرفه فاستأنف قوله ، مؤكدا تنبيها على أن قريشا أفعالهم
فى التكذيب كأفعالهم كأنهم يكذبون بعذابهم : ﴿ انآ ارسلنا ﴾ بعظمتنا ،
و عبر بحرف الاستعلاء إعلاما بالنقمة فقال : ﴿ عليهم ريحا ﴾ و لما
كانت الريح ربما كانت عيانا ، وصفها بما دل على حالها فقال : ﴿ صرصرا ﴾
أى شديد البرد و الصوت . و لما كان مقصود السورة تقريب قيام الساعة

وصف

و وصف سيرهم إلى الداعى بالإسراع ، ناسب أن يعبر عن عذابهم بأقل ما يمكن ، فعبر باليوم الذى يراد به الجنس الشامل للقليل و الكثير و قد يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواء لحظة أو أياما أو شهورا أو كثيرا من ذلك أو أقل كيوم البعث و يوم بدر و يوم الموت بقوله تعالى -"الى ربك يومئذ المساق"-: ﴿في يوم﴾ و أكد ٥ شؤمها بذم زمانها فقال: ﴿نحس﴾ أى شديد القباحة ، قيل : كان يوم الأربعاء آخر الشهر و هو شوال لثمان بقيت إلى غروب الأربعاء ، و حقق لأن المراد باليوم الجنس لا الواحد بالوصف فقال: ﴿ مستمرٍّ ﴾ أى قوى فى نحوسته نافذ ماض فيما أمر به من ذلك شديدة أسبابه ، موجود مرارته وجودا مطلوبا من مرسله فى كل وقت ، مستحكم المرارة قويها ١٠ دائمها إلى وقت إنفاذ المراد .

و لما علم وصفها فى ذاتها ، أتبعه وصفها [بما] يفعل فيه فقال: ﴿تنزع﴾ أى تأخذ من الأرض بعضهم من وجهها و بعضهم من حفر حفروها ليمتنعوا بها من العذاب ، و أظهر موضع الإضمار ليكون نصا فى الذكور / و الإناث فعبر بما هو من النوس تفضيلا لهم فقال: ﴿الناس﴾ الذين هم ١٥ / ١٢٤ صور لا ثبات لهم بأرواح التقوى ، فتطيرهم بين السماء و الأرض كأنهم الهباء المنثور ، فتقطع رؤسهم من جثثهم و تغير ألوانهم تعتيما لهم إلى السواد ، ولذا قال : ﴿ كأنهم ﴾ أى حين ينزعون فيلقون لا أرواح فيهم كأنهم ﴿اعجاز﴾ أى أصول ﴿نخلٍ﴾ قطعت رؤسها . و لما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم و كان الظاهر دون الباطن ، حمل على اللفظ قوله: ﴿منقعرٍ﴾ ٢٠

أى منقصف أى منصرع من أسفل قعره و أصل مغرسه، و التشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤسهم، و فى الحاقة وقع التشبيه فى الباطن الذى فيه الأعضاء الرئيسة، و المعانى اللطيفة، فأنث الوصف حملا على معنى النخل لا للطفها - و الله أعلم.

٥ و لما طابق ما أخبر به من عذابهم ما هوله به أولا، أكد ذلك لما تقدم من سره فقال مسببا عنه مشيرا إلى أنه لشدة هوله مما يجب السؤال عنه: ﴿فكيف كان﴾ أيها السائل، و لفت القول إلى الإقرار تنبيها للعبيد على المحافظة على مقام التوحيد: ﴿عذابى﴾ لمن كذب رسلى ﴿و نذره﴾ أى و إنذارى أو رسلى فى إنذارهم هل صدق.

١٠ و لما أتم سبحانه تحذيره من مثل حالهم بأمر ناظر أتم نظر إلى تدبير ما فى سورة الذاريات، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغى للسامع أن يتوقع الحث على ذلك، فقال مؤكدا لما لأكثر السامعين من التكذيب بالقال أو بالحال معلما أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه، و سوى من الاعتماد عليه، عائدا إلى مظهر العظمة إيذانا بأن تيسير

١٥ القرآن لما ذكر من إعجازه لايكون إلا لعظمة تفوت قوى البشر، و تعجز عنها القدر ﴿و لقد يسرنا﴾ على ما لنا من العظمة فى الذات و الصفات ﴿القرآن﴾ الجامع الفارق كله و ما أشارت إليه هذه القصة من مفصله ﴿للذكر﴾ للحفظ و الشرف و الفهم و التدبير و الوعظ و الاتعاظ ما صرفنا فيه من أنواع الوعظ مع التنبيه للحفظ بالإيجاز و عذوبة اللفظ

٢٠ و قرب الفهم و جلالة المعانى و جزالة السبك و تنويع الفنون و تكثير

الشعب و إحكام الربط ﴿فهل من مدكر﴾ أى تسبب عن هذا الأمر
العظيم الذى فعلناه أنه موضع السؤال عن أحوال السامعين : هل فيهم من
يقبل على حفظه ثم تدبره و فهمه و يتعظ بما حل بالأمم السالفة ، و يتذكر
جميع ما صرف من الأقوال و ينزلها على نفسه و ما لها من الأحوال ،
و يجعل ذلك لوجهنا فيلقيه بتشريفه به أمر دنياه و أخراه . ٥

و لما كان هذا موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن ، و كان
ثمود أعظم وعظ كان بعد عاد لما فى صيحتهم / الخارجة عن العهود من / ١٢٥
تصوير الساعة بنفختيها المميتة ثم المحيية ، و قال مؤنثا فعلهم إشارة إلى
سفول هممهم و سفول فعلهم معلما أن من كذب هلك - على طريق الجواب
لمن لعله يقول استبعادا للتكذيب بعد ما جرى فى القصتين الماضيتين من ١٠
التعذيب : ﴿كذبت ثمود﴾ أى قوم صالح ﴿بالنذر﴾ الإنذارات والمنذرين
كلهم لأنهم شرع واحد ، ثم علل ذلك و عقبه بقوله معلما بالضمير أن
المباشر لهذا الكفر رجالهم لئلا يظن أنهم نساء فقط : ﴿فقالوا﴾ منكرين لما
جاءهم من الله غاية الإنكار : ﴿ابشرا﴾ إنكارا لرسالة هذا النوع ليكون إنكار
النبوة [إنكارا] لنبوة نبيهم على أبلغ الوجوه . و أعظم الإنكار بقولهم مقدمين ١٥
عدم الانفراد عنهم لخصوصيته : ﴿منا﴾ أى فلا فضل له علينا فما وجه
اختصاصه بذلك من بيننا ، و زادوا ذلك [تأكيدا] فقالوا : ﴿واحدا﴾
أى ليس معه من يؤيده ، ثم فسر الناصب لقوله "بشرا" بقوله :
﴿نتبعه﴾ أى نجاهد نفسنا فى خلع مألوفنا و خلاف آبائنا و الإقرار
على أنفسنا بسخافة العقل و العراقة فى الجهل و نحن [أشد] الناس كثرة ٢٠

و قوة و فهما و دراية ، ثم استنتجوا عن هذا الإنكار الشديد قولهم مؤكدين الاستشعار بأن كلامهم أهل لأن يكذب ﴿ انآ اذًا ﴾ اى إن اتبعناه ﴿ لفى ضلل ﴾ أى ذهاب عن الصواب محيط بنا ﴿ و سعر ﴾ اى تكون عاقبتنا فى ذلك الضلال الكون فى أوائل أمر لاندرى عاقبته ، ٥ فانه لم يجرب و لم يختبر و لم يمض أحد قبلنا سلفا لنا فيجرنا ذلك إلى جنون و جوع و نار كما يكون من يأتوه فى القفار فى أنواع من الحر بتوقد حر الجبال و حر الضلال و حر الهموم و الأوجال ـ و ذلك من النار التى توعدنا بها ، و هو معنى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما له بالعذاب[1] ، و جعل سفيان ابن عيينه له جمع سعير ، و المعنى انا [نكون] إذا اتبعناك ١٠ كما تقول جامعين بين الضلال و العذاب بسائر انواعه .

و لما كان فيما قالوه أعظم تكذيب مدلول على صحته فى زعمهم بما اوماوا إليه من كونه ادميا مثلهم ، و هو مع ذلك واحد من أحادهم فليس هو بأمثلهم و هو منفرد فلم يتأيد فكره بفكر غيره حتى يكون موضع الوثوق به، دلوا عليه بأمر آخر ساقوه أيضا مساق الإنكار . ١٥ و اوماوا بالإلقاء إلى انه فى إسراعه كأنه سقط من علو فقالوا : ﴿ ءالقى ﴾ اى أنزل بغتة فى سرعة لأنه لم يكن عندهم فى مضمار هذا الشأن و لم يأتمروا فيه قبل إتيانه به شىء منه بل أتاهم به بغتة فى غاية الإسراع . و لما كان الإلقاء يكون للأجسام غالبا ، فكان لدفع هذا الوهم تقديم النائب عن الفاعل أولى بخلاف ما تقدم فى ص فقالوا : ﴿ الذكر ﴾

(١) راجع البحر المحيط ٧ / ١٨٠ .

أى الوحى الذى يكون به الشرف الأعظم، و عبروا بعلى إشارة إلى أن مثل هذا الذى تقوله لا يقال إلا عن قضاء غالب و أمر قاهر فقال: ﴿عليه﴾ و دلوا على وجه التعجب و الإنكار بالاختصاص بقولهم: ﴿من بيننا﴾ أى و بيننا من هو أولى بذلك سنا و شرفا و نبلا.

و لما كان هذا الاستفهام / لكونه إنكاريا بمعنى النفى، أضربوا عنه ٥ / ١٢٦ بقولهم على وجه النتيجة عطفا على ما أفهمه الاستفهام من نحو: ليس الأمر كما زعم: ﴿بل هو﴾ لما أبديناه من الشبه ﴿كذاب﴾ أى بليغ فى الكذب ﴿اشر ه﴾ أى مرح غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه بمرح و تجبر و بطر، و نشط فى ذلك حتى صار كالمنشار الذى هو متفرغ للقطع مهيأ له خشن الأمر سيء الخلق و الأثر فهو يريد الترفع. ١٠

و لما كان هذا غاية الذم لمن يستحق منهم غاية المدح، أجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلمون بطلانه أو يقولوا ما لا يعلمون صحته بقوله: ﴿سيعلمون﴾ بوعد لا خلف فيه. و لما كان المراد التقريب لأنه أفعد فى التهديد، قال: ﴿غدا﴾ أى فى الزمن الآتى القريب لأن كل ما حقق إتيانه قريب عند نزول العذاب فى الدنيا و يوم ١٥ القيامة، و قراءة ابن عامر و حمزة و رويس عن يعقوب بالخطاب[1] التفات يعلم بغاية الغضب ﴿من الكذاب الاشر ه﴾ أى الكذب و الأشر و هو احتقار الناس و الاستكبار على ما أبدوه من الحق مختص به و مقصود عليه لا يتعداه إلى مرميه و ذلك بأنهم جعلوا الكذب ديدنه و لم يتعدهم حتى

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٢٥.

يدعى شيء منه لصالح عليه الصلاة و السلام، فكان الكلام معينا لهم فى الكذب قاصرا عليهم بسياقه على هذا الوجه المبهم المنصف الذى فيه من روعة القلب و هز النفس ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى، وكلما كان الإنسان أسلم طبعا و أكثر علما كان له أعظم ذوقا.

٥ و لما علم من هذا أنه سبحانه فصل الأمر بينهم، تشوف السامع إلى علم ذلك فقال تعالى مستأنفا دالا بأنهم طالبوه بآية دالة على صدقه: ﴿انا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿مرسلوا الناقة﴾ أى موجدوها و مخرجوها كما اقترحوا من حجر أعلناه لذلك و خصصناه من بين الحجارة دلالة على إرسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه، و ذلك أنهم ١٠ قالوا لصالح عليه السلام: نريد أن نعرف المحق منا بأن ندعو آلهتنا و تدعو إلهك فمن أجابه إلهه علم أنه المحق، فدعوا أوثانهم فلم تجبهم، فقالوا: ادع أنت. فقال: فما تريدون؟ قالوا: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تبعر (؟) عشراء، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان، فوعدوه بذلك و أكدوا فكذبوا بعد ما كذبوا فى أن آلهتهم تجيبهم، و صدق هو صلى الله ١٥ عليه و سلم فى كل ما قال. فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم إلى إخراجها ﴿فتنة لهم﴾ أى امتحانا يخالطهم به فيميلهم عن حالتهم التى وعدوا بها و يجيبهم عنها، و سبب سبحانه عن ذلك أمره بانتظارهم فيما يصنعون بعد إخراجهم لما توصلهم إليه عواقب الفتنة فقال: ﴿فارتقبهم﴾ أى كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار ن يحرسهم و هو ٢٠ عالم عليم فانهم واصلون بأعمالهم إلى الداهية التى تسمى بأم العرقوب

ليكونوا كمن جعل فى رقبته، و دل بصيغة الافتعال على أنه يكون / له منه /١٢٧
أذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال: ﴿ و اصطبر ه ﴾ أى عالج نفسك
و اجتهد فى الصبر عليهم ﴿ و نبئهم ﴾ اى أخبرهم إخبارا عظيما بأمر
عظيم، و هو أن الماء الذى يشربونه و هو ماء بئرهم ﴿ ان المآء قسمة بينهم ج ﴾
أى بين ثمود و بين الناقة، غلب عليها ضمير من يعقل، يعنى إذا بعثناها ٥
كان لهم يوم لا تشاركهم فيه فى الماء، و لها يوم لا تدع فى البئر قطرة يأخذها
أحد منهم، و توسع الكل بدل الماء لبنا. و لما أخبر بتوزيع الماء، أعلم أنه
على وجه غريب بقوله استئنافا: ﴿ كل شرب ﴾ أى من ذلك و حظ
منه و مورد البر و وقت يشرب فيه ﴿ محتضر ه ﴾ اى أهل لما فيه من الأمر
العجيب أن يحضره الحاضرون حضورا عظيما، و تتكلف أنفسهم لذلك ١٠
لأنه صار فى كثرته و حسنه كماء الحاضرة للبادية و تأهل لأن تعارضه
حاضروه من حسنه و رجعوا إليه و أن يجتمع عليه الكثير و يعودوا
أنفسهم عليه.

و لما كان التقدير: فكان الأمر كما ذكرنا، و استمر الأمد الذى
ضربنا فافتتنوا [كما] أخبرنا ﴿ فنادوا ﴾ بسبب الفتنة ﴿ صاحبهم ﴾ قدار بن ١٥
سالف الذى انتدبوه بطرا و أشرا لقتل الناقة، و كذبنا فيها بوعدهم الإيمان
و إكرامها بالإحسان و هو أشقى الأولين ﴿ فتعاطى ﴾ أى أوقع بسبب
ندائهم التعاطى الذى لا تعاطى مثله، فتناول ما لا يحق له أن يتناوله بسبب
الناقة و هو سيفه بيده قائما فى الأمر الناشىء عن هذا الأخذ على كل
حال. و رفع رأسه بغاية الهمة و مد يديه مدا عظيما و رفعها و قام على ٢٠

أصابع رجليه حين عاطوه ذلك أى سألوه فيه فطاوعهم و تناول الناقة بذلك السيف غير مكترث و لا مبال ﴿ فعقر ه ﴾ أى فتسبب عن هذا الجد العظيم أن صدق فيما أثبت لهم الكذب فى الوعد بالإحسان إليها و الأشر، و هو إيقاع العقر الذى ما كان فى ذلك الزمان عقر مثله ٥ و هو عقر الناقة التى هى آية الله و إهلاكها .

و لما وقع كذبهم على هذا الوجه العظيم المبنى على غاية الأشر، حقق الله تعالى صدقه فى توعدهم على تقدير وقوع ذلك، فأوقع عذابهم سبحانه على وجه هو من عظمه أهل لأن يتساءل عنه، فنبه سبحانه على عظمه بايراده فى أسلوب الاستفهام مسببا عن فعل الأشقى فقال: ١٠ ﴿ فكيف كان ﴾ و حافظ على مقام التوحيد كما مضى فقال: ﴿عذابى﴾ أى كان على حال و وجه هو أهل لأن يجتهد فى الإقبال على تعرفه و السؤال عنه ﴿ و نذر ه ﴾ أى إنذارى . و لما علم تفرغ ذهن السائل الواعى، استأنف قوله مؤكدا إشارة إلى أن عذابهم مما يستلذ و ينجح به، و إرغاما لمن يستبعد النصيحة الواحدة بفعل مثل ذلك، و إعلاما بأن القدرة ١٢٨ / ١٥ على عذاب من كذب من غيرهم / كهى على عذابهم فلا معنى للتكذيب: ﴿ انآ ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنا ﴾ إرسالا عظيما، و دل على كونه عذابا بقوله: ﴿ عليهم صيحة ﴾ و حقر شأنهم بالنسبة إلى عظمة عذابهم بقوله تعالى: ﴿ واحدة ﴾ صاحها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة، و تلاشى عندها صياحهم حين نادوا ٢٠ صاحبهم لعقر الناقة . و لما تسبب عنها هلاكهم قال: ﴿ فكانوا ﴾ كونا عظيما

عظيما ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ أى محطمين كالشجر اليابس الذى جعله الراعى و من فى معناه ممن يجعل شيئا يأوى إليه و يحتفظ به و يحفظ به ماشيته فى وقت ما لا يقاله (؟) و هو حظيره أى شيء مستدير مانع فى ذلك الوقت لمن يدخل إليه فهو يتهشم و يتحطم كثير منه و هو يعمله فتدوسه الغنم ثم تتحطم أولا فأولا ، و كل ما سقط منه شيء فداسته الغنم كان ٥ هشيما ، و كأنه الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته .

و لما كان التقدير : فلقد أبلغنا فى الموعظة لكل من يسمع هذه القصة ، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل من يعرض عن هذا القرآن و يعلل إعراضه عنه بصعوبته : ﴿ و لقد يسرنا ﴾ أى على ما لنا من القدرة و العظمة ﴿ القرآن ﴾ أى الكتاب الجامع لكل خير ، الفارق بين كل ١٠ ملبس ﴿ للذكر ﴾ أى الحفظ و التذكير و التذكر و حصول النباهة به و الشرف إلى الدارين . و لما كان هذا غاية فى وجوب الإقبال عليه لجميع المتولين ، قال : ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى ناظر فيه بسبب قولنا هذا بعين الإنصاف و التجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فنعينه عليه .

و لما كان النذير : كأنه قال المنذرين (؟) لم يتعظوا به فزاد فى وعظهم ، و كانت ١٥ قصة لوط عليه السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب بالأخبار و رؤية الآثار ، و مع ما فى قصتهم من تصوير الساعة من تبديل الأرض غير الأرض ، استأنف قوله : ﴿ كذبت قوم لوط ﴾ أى و هم فى قوة عظيمة على ما يحاولونه و إن كانوا فى تكذيبهم هذا فى ضعف وقوع النساء عن التجرد بما دل عليه تأنيث الفعل بالتاء و كذا ٢٠

ما قبلها من القصص ﴿ بالنذر ﴾ أى الإنذار و الإنذارات و المنذرين ، و دل على تناهى القباحة فى مرتكبهم بتقديم الإخبار عن عذابهم فقال : ﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنا ﴾ و دل على أنه إرسال إهانة بقوله : ﴿ عليهم ﴾ و دل على هوانهم و بلوغ أمره كل ما يراد به بقوله :
٥ ﴿ حاصبا ﴾ أى ريحا ترمى بحجارة هى دون ملء الكف فكانت مهلكة لهم محرقة خاسفة مفرقة ﴿ الآ ال لوط ﴾ و هم من آمن به و كان بحيث إذا رأيته فكأنك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله و المشى على منواله فى أقواله و أحواله و أفعاله .

و لما كان استثناؤهم مفهما إنجاءهم مع التجويز لإرسال شىء عليهم
١٠ غير مقيد بما ذكر ، قال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال: ما حالهم : ﴿ نجينهم ﴾ أى تنجية عظيمة بالتدريج ، و ذكر أول الشروع لإنجائهم فقال : ﴿ بسحر ﴾ أى بآخر ليلة من الليالى و هى التى عذب فيها قومه ، فكأن تنكيره لأنا لا نعرف تلك الليلة بعينها ، و لو قصدت سحر الليلة التى صبحت منها كان معرفة لا ينصرف ، و السحر : السدس الأخير من الليل : الوقت الذى يكون فيه
١٥ الإنسان لا سيما النساء و الأطفال فى غاية الغفلة بالاستغراق فى النوم ، و يفتح الله فيها أبواب السماء بإذن الدعاء ليحصل منه الإجابة لأن الملوك إذا فتحوا أبوابهم كان ذلك إذنا للناس فى الدخول لقضاء الحوائج ، فالنزول و فتح الأبواب كناية عن ذلك ـ و الله سبحانه و تعالى متعال عن حاجة إلى نزول أو فتح باب أو غير ذلك .

٢٠ و لما كان المراد من الموعظين الطاعة التى هى سبب النجاة ، فلذا

قال ذاكرا للانعام معبرا عنه بغاية المقصود منه معرفا أن انتقامه عدل و معافاته فضل، لأن أحدا لا يقدر أن يكافئ نعمه و لا نعمة منها، معللا للنجاة: ﴿نعمة من عندنا﴾ أى عظيمة غريبة جدا لشكرهم، و لما كان كأنه قيل: هل هذا مختص بهم... الإنجاء من بين الظالمين و هو مختص بهم، أجاب بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الإنجاء العظيم الذى جعلنا ٥ جزاء لهم ﴿ نجزى ﴾ بقدرتنا و عظمتنا ﴿ من شكر ﴾ أى أوقع الشكر بجميع انواعه فآمن و أطاع ليس .... بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كائنا من كان من سوقة أو سلطان جائر شجاع أو جبان، فاننا عليه بالإنجاء بعد هلاك عدوه، قال القشيرى: و الشكر على نعم الدفع أتم من الشكر على نعم النفع، و لا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس، ١٠ فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولا - لأنه السبب الحقيق - دليلا على حذفه ثانيا، و الشكر ثانيا - لأنه السبب الظاهر - دليلا على حذفه أولا.

و لما كان التقدير دفعا لعناد .... استشراف السامع إلى ما كان من حاله صلى الله عليه و سلم معهم قبل العذاب: لقد بالغ فى شكرنا بوعظهم و نصحهم و دعائهم إلينا صرفا لما أنعمنا به عليه من الرسالة فى أتم مواضعه، ١٥ عطف عليه إيماء إليه قوله، مؤكدا لأن تمادى المحذور من العذاب على الإقامة فى موجبه يكاد أن لا يصدق: ﴿ و لقد انذرهم ﴾ أى رسولنا لوط عليه السلام ﴿ بطشتنا ﴾ أى أخذتنا لهم المقرونة بشدة ما لنا من العظمة، و وحد إشارة إلى أنـه لا يستهان بشيء من عذابه سبحانه بل الأخذة الواحدة كافية لما لنا من العظمة فهى غير محتاجة إلى التثنية، ٢٠

ودل على أن إنذاره كان جديرا بالقبول لكونه واضح الحقيقة بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿ فتماروا ﴾ أى تكلفوا الشك الواهى ﴿ بالنذر ﴾ أى الإنذار مصدرا والإنذارات أو المنذرين حتى أداهم إلى التكذيب. فكان سببا للأخذ.

١٣٠ / ٥ ولما كان ترك الاحتياط فى / إعمال الحيلة فى وجه الخلاص من إنذار النذير عظيم العراقة فى السفه، دل على أنهم تجاوزوا ذلك إلى انتهاك حرمة النذير، فقال مقسما لأن مثل ذلك لايكاد يقع فلا يصدق من حكاه: ﴿ ولقد راودوه ﴾ أى زادوا فى التكذيب الموجب للتعذيب أن عالجوا معالجة طويلة تحتاج إلى فتل ودوران ﴿ عن ضيفه ﴾ ليسلمهم إليهم وهم ١٠ ملائكة فى هيئة شباب مرد، وأفردوا وإن كان المراد الجنس استعظاما لذلك لوكان الضيف واحدا ﴿ فطمسنآ ﴾ اى فتسبب عن مراودتهم أن طمسنا بعظمتنا ﴿ اعينهم ﴾ فسويناها مع سائر الوجوه فصارت بحيث لا يرى لها شق، قال البغوى[1]: هذا قول أكثر المفسرين، وذلك بصفقة صفقها لهم جبريل عليه الصلاة والسلام، وقال القشيرى: مسح بجناحيه ٥ على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج، وقال ابن جرير[2]: والعرب تقول: طمست الريح الأعلام - إذا دفنتها بما يسفى عليها من التراب. فانطلقوا هرابا مسرعين إلى الباب لايهتدون إليه ولا يقعون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك وهم يقولون: عند لوط أسحر الناس، وما أدتهم عقولهم أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم مما حل بهم، قال القشيرى:

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٣٠. (٢) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه.

وكذلك

و كذلك أجرى الله سبحانه سنته فى أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه و يخلصهم من كيدهم. و لما كان ..... أول عذابهم قال: ﴿ فذوقوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن قال قائل عن الله بلسان القال أو الحال: أيها المكذبون ذوقوا بسبب تكذيبكم لرسلى فى إنذارهم ﴿ عذابى و نذره ﴾ أى و عاقبة انذارى على ٥ ألسنة رسلى.

و لما كان بقاؤهم بعد هذا على حال كفرهم عجبا إذ العادة قاضية بان من أخذ ارعوى و لو كان أفجر الخلق، و سأل العفو عنه صدقا أو كذبا خداعا و مكرا ليخلص مما هو فيه ...بثباتهم على تكذيبهم حتى عذبوا على قرب العهد فقال مقسما: ﴿ و لقد صبحهم ﴾ أى أتاهم فى وقت ١٠ الصباح، و حقق المعنى [بقوله]: ﴿ بكرة ﴾ أى فى أول النهار العذاب، و لو كان أول نهارك الذى أنت به كان معرفة فامتنع... ﴿ عذاب ﴾ أى قلع بلادهم و رفعها ثم قلبها، و حصبها بحجارة من نار و خسفها و غمرها بالماء المنتن الذى لايعيش به حيوان ﴿ مستقر ﴾ أى ثابت عليهم غير مزايل بخيال و لاسحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل ١٥ بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر فى الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال إن لم ينطق لسان القال: ﴿ فذوقوا ﴾ بسبب أعمالكم ﴿ عذابى و نذره ﴾.

و لما كرر هذا التكرير، علم منه أن سبب العذاب / التكذيب بالإنذار لأى رسول كان، و كان استئناف كل قصة منبها على أنها أهل ٢٠ / ١٣١

على حدتها لأن يتعظ [بها] ، علم أن التقدير : فلقد بلغت هذه المواعظ النهاية لمن كان له قلب ، فعطف عليه قوله مذكرا بالنعمة التى لا عدل لها : ﴿ و لقد يسرنا ﴾ أى تعالى جدنا و تناهى مجدنا ﴿ القرآن ﴾ الجامع الفارق ﴿ للذكر ﴾ و لو شئنا لأعليناه بما لنا من العظمة إلى الحد حتى تعجز
٥ القوى عن فهمه ، كما أعليناه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضته فى نظمه ، أو مطلع لا يتشبث بأذيال أدنى علمه ، إلا الأفراد من حذاق العباد ، فكيف بما فوق ذلك .

و لما كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة إليه و الإقبال عليه ، قال تلطفا بهم و تعطفا عليهم مسببا عن ذلك : ﴿ فهل ﴾ و أكد فقال :
١٠ ﴿ من مدكر ﴾ مفتك لنفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظنا منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه جهلا منهم و عدم اكتراث بالعواقب .

و لما كان الآخر ينبغى له أن يحذر ما وقع للأول ، وكان قوم فرعون قد [جاء] بعد قوم لوط عليه السلام ، فكان ربما ظن أنهم لم ينذروا
١٥ لأن من علم أن العادة جرت أن من كذب الرسل هلك أنكر أن يحصل ممن تبع ذلك تكذيب ، قال مقسما : ﴿ و لقد جآء آل فرعون ﴾ اى ملك انقبط بمصر و أشرافه الذين [إذا] رؤا كان كأنه رئى فيهم لشدة قربهم منه و تخلقهم بأخلاقهم ﴿ النذر ﴾ أى الإنــذارات و المنذرون بنذارة موسى و هارون عليهما السلام ، فان نذارة بعض الأنبياء
٢٠ كنذارة الكل لأنه لم يأت أحد منهم إلا و له من الآيات ما مثله آمن

عليه البشر ، و المعجزات كلها متساوية فى خرق العادة ، و كان قد أنذرهم يوسف عليه السلام ، و لما كان كأنه قيل : فما فعلوا عند مجيء ذلك إليهم ، قال : ﴿ كذبوا ﴾ أى تكذيبا عظيما متسهين ﴿ بايٰتنا ﴾ التى أتاهم بها موسى عليه السلام و غيرها لأجل تكذيبهم بها على ما لها من العظمة المعروفة قطعا [عن] أنها من عندنا . ٥

و لما كانت خوارق العادات كما مضى متساوية الأقدام فى الدلالة على صدق الآتى بها ، و كانوا قد صمموا على أنه مهما آتاهم بآية كذبوا بها ، كانوا كأنهم قد أتتهم كل آية فلذلك قال : ﴿ كلها ﴾ وسبب عن ذلك قوله : ﴿ فاخذنٰهم ﴾ أى بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الإغراق ﴿ اخذ عزيز ﴾ أى لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء ١٠ ﴿ مقتدر ه ﴾ أى لا يعجل بالأخذ لأنه [لا] يخاف الفوت و لا يخشى معقبا لحكمه ، بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه لأن صيغة الافتعال مبناها على المعاجلة و من عاجل فعلا اجهل نفسه فيه ، فكان على أتم الوجوه ، و هذه الغاية هى المرادة ليس غيرها ، فهو تمثيل لأنه سبحانه يخاطبنا بما نعبده ، و بهذه المبالغة فلم يلفت منهم أحد ، و قد ختمت القصص / بمثل ١٥ / ١٣٢ ما افتتحت به من عذاب المفسدين بالإغراق ليطابق الختم البدأ ، و كانت نجاة المصلحين من الأولين بالسفينة ، و كانت نجاة المصلحين من الآخرين بأرض البحر كانت هى سفينتهم ، ليكون الختم اعظم من البدأ كما هو شأن أهل الاقتدار .

و لما بلغت هذه المواعظ الانتهاء ، و علت أقدامها على رتبة السها ، ٢٠

و لم يثن ذلك كفار قريش عن شرادهم، و لا فتر من جحودهم و عنادهم، كان لسان حالهم قائلا : إنا لانخاف شيئا من هذا، فكان الحال مقتضيا لأن يقال لهم إلزاما بالحجة : ﴿اكفاركم﴾ الراسخون منكم فى الكفر الثابتون عليه يا أيها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه ﴿خير﴾ ٥ فى الدنيا بالقوة و الكثرة أو الدين عند الله أو عند الناس ﴿من اولٓئكم﴾ أى الكفار العظماء الجبابرة الأشداء الذين وعظناكم بهم فى هذه السورة ليكون ذلك سببا لافتراق حالهم منهم فيأمنوا العذاب مع جامع التكذيب و إن لم يكن لهم براءة من الله ﴿ ام لكم ﴾ اجمعين دونهم كفاركم و غير كفاركم ﴿ براءة ﴾ من العذاب من الله ﴿فى الزبرج﴾ أى الكتب ١٠ الآتية من عنده أمنتم بها من العذاب مع أنهم خير منكم، فالآية من الاحتباك : أثبت الخيرية أولا دليلا على حذفها ثانيا، و البراءة ثانيا دليلا على حذفها أولا .

و لما بلغوا إلى هذا الحد من التمادى فى الكفر مع المواعظ البالغة و الاستعطاف المكين، استحقوا أعظم الغضب، فأعرض عنهم الخطاب ١٥ إيذانا بذلك و إهانة لهم و احتقارا و إقبالا على النبي صلى الله عليه و سلم تسلية له فقال عاطفا على ما تقديره : أيدعون جهلا و مكابرة شيئا من هذين الأمرين : ﴿ ام يقولون ﴾ أى هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم تعاملهم باللين فى القال و القيل و الصفح الجميل امتثالا لأمرنا تعظيما لقدرك فاستهانوا بك : ﴿ نحن جميع ﴾ أى جمع واحد مبالغ فى اجتماعه ٢٠ فهو فى الغاية من الضم فلا افتراق له ﴿ منتصر ه ﴾ أى على كل من

يناويه لأنهم على قلب رجل واحد. فالإفراد للفظ «جميع» و لإفهام هذا المعنى، أو أن كل واحد محكوم له بالانتصار.

و لما كان لسان الحال ناطقا بأنهم يقولون: هذا كله فأى الفريقين خير مقاما و أحسن نديا و نحوها. و قال بعضهم: لئن بعثنا لأوتينا مالا و ولدا، و لاشك أنهم كانوا فى غاية الاستحالة لغلبة المؤمنين لهم على قلتهم و ضعفهم، ٥ أستأنف الجواب بقوله: ﴿سيهزم﴾ بأيسر أمر من أى هازم كان بوعد لاخلف فيه، و قراءة الجمهور[1] بالبناء للمفعول مفهمة للعظمة بطريقة كلام القادرين، فهى أبلغ من قراءة يعقوب بالنون و البناء للفاعل الدالة على العظمة صريحا ﴿الجمع﴾ الذى تقدم أنه بولغ فى جمعه فصدق الله وعده و هزموا فى يوم بدر و غيره فى الدنيا عن / قريب، و لم يزالوا يضعفون حتى ١٠ / ١٣٣ اضمحل أمرهم و زال بالكلية سرهم، و هى من دلائل النبوة البينة ﴿و يولون الدبر ﴾ أى يقع توليتهم كلهم بهذا الجنس بأن يكون و اليا لها من منهم مع الهزيمة لأنه لم يتولهم فى حال الهزيمة نوع مسكنة يطمعون بها فى الخيار، و كل من إفراد الدبر و المنتصر و جمع المولين أبلغ مما لو وضع غيره موضعه و أقطع للتعنت. ١٥

و لما وقع هذا فى الدنيا، و كان فى يوم بدر، و كان ذلك من أعلام النبوة، و كان ربما ظن ظان أن ذلك هو النهاية، كان كأنه قيل: ليس ذلك الموعد الأعظم: ﴿بل الساعة﴾ القيامة التى يكون فيها الجمع الأعظم و الهول الأكبر ﴿ موعدهم ﴾ أى الأعظم للجزاء المتوعد به

(١) راجع نثر المرجان ٧ /١٣٢.

﴿و الساعة ادهى﴾ من كل ما يفرض وقوعه فى الدنيا، أفعل تفضيل من الداهية و هى أمر هائل لايهتدى لدوائه ﴿و امر ه﴾ لأن عذابها للكافر غير مفارق و مزايل . و لما أخبر عن الساعة بهذا الإخبار الهائل، علله مقسما لأهلها بجملا بعض ما لهم عند قيامها بقوله مؤكدا لما [أظهروا]
٥ من التكذيب: ﴿ان المجرمين﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل ﴿فى ضلل﴾ اى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم مانع من الخلاص من دواهى الساعة و غيرها، و من الوصول إلى شيء من مقاصدهم التى هم عليها الآن معتمدون ﴿و سعر ﴾ أى نيران تضطرم و تتقد غاية الاتقاد ﴿يوم﴾ أى فى ذلك اليوم الموعود به ﴿يسحبون﴾
١٠ أى فى الساعة دائما بأيسر وجه إهانة لهم من أى صاحب كان ﴿فى النار﴾ أى الكامنة فى النارية ﴿على وجوههم﴾ لانهم فى غاية الذل و الهوان جزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى، مقولا لهم من أى قائل اتفق: ﴿ذوقوا﴾ أى لأنهم لامنعة لهم و لاحمية عندهم بوجه ﴿مس سقر ه﴾ أى ألم مباشرة الطبقة النارية التى تلفح بحرها فتلوح الجسم و تذيبه فيسيل ذهنه ...
١٥ و عصارا كما يسيل الديس و عصارة الرطب فتسمى النخلة بذلك مسقارا .

و لما أخبر بقيام الساعة و ما يتفق لهم فيها جزاء لأعمالهم التى قدرها عليهم و هى ستر فرضوا بها لاتباع الشهوات و احتجوا على رضاه بها، و كان ربما ظن ظان أن تماديهم على الكفر لم يكن بارادته سبحانه، علل ذلك منبها على أن الكل فعله، و إنما نسبته إلى العباد بأمور ظاهرية،
٢٠ تقوم عليهم بها الحجة فى مجارى عاداتهم، فقال: ﴿انا﴾ أى بما لنا من

العظمة ﴿ كل شيء ﴾ أى من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها و كبيرها.

و لما كان هذا التعميم فى الخلق أمرا أفهمه النصب، استأنف قوله تفسيرا للعامل المطوى و إخبارا بجعل ذلك الخلق كله على نظام محكم و أمر مقدر مبرم ﴿ خلقنه بقدر ه ﴾ أى قضاء و حكم و قياس مضبوط / و قسمة محدودة و قودة بالغة و تدبير محكم فى وقت معلوم و مكان ٥ / ١٣٤ محدود مكتوب فى ذلك اللوح قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان و غيره من العد و جميع أنواع الأقيسة - فلا يخرم عنه مثقال ذرة لأنه لامنازع لنا مع ما لنا من القدرة الكاملة و العلم التام، فهذا العذاب بقدرتنا و مشيئتنا فاصبروا عليه و ارضوا به كما كنتم ترضون أعمالكم السيئة ثم تحتجون على عبادنا بأنها بمشيئتنا بنحو "و لو شاء الله ما اشركنا" ١٠ فقد أوصلكم إلى ما ترون و انكشف أتم انكشاف أنه لايكون شيء على خلاف مرادنا، و لا يقال لشيء قدرناه: لم؟ قال الرازى فى اللوامع: الكمية ساقطة عن أفعاله كما أن الكيفية و الكمية ساقطتان عن ذاته و صفته - انتهى. و لا يكون شيء من أمره سبحانه إلا ما هو على غاية الحكمة، و لوكان الخلق لايبعثون بعد الموت ليقع القصاص و القياس ١٥ العدل ليكون القياس جزافا لابقدر وعدل، لأن المشاهد أن الفساد فى هذه الدار من المكلفين من الصلاح أضعافا مضاعفة، و قرئ فى الشواذ برفع "كل" و جعله ابن جنى أقوى من النصب، و ليس كذلك لأن الرفع لايفيد ما ذكرته، و ما حمله على ذلك إلا أنه معتزلى، و النصب على [ما] قدرته قاصم لأهل الاعتزال. ٢٠

و لما بين أن كل شيء بفعله ، بين يسر ذلك و سهولته عليه فقال : ﴿ و مآ امرنآ ﴾ أى كل شيء أردناه و إن عظم أثره ، و عظم القدر و حقر المقدورات بالتأنيث فقال : ﴿ الا واحدة ﴾ أى فعلة يسيرة لامعالجة فيها و ليس هناك إحداث قول لأنه قديم بل تعلق القدرة ٥ بالمقدور على وفق الإرادة الأزلية ، ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما يعقله و أخفه فقال : ﴿ كلمح بالبصره ﴾ فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه ، فكذلك الأفعال كلها ، بل أيسر من ذلك .

و لما أخبر بتمام قدرته ، و كان إهلاك من ذكر من الكفار و إنجاء من ذكر من الأبرار فى هذه السورة نحوا مما ذكر من أمر الساعة فى ١٠ السهولة و السرعة ، دل على ذلك بانجاء أوليائه و إهلاك أعدائه فذكر بهم حملة و بما كان من أحوالهم بأيسر أمر لأن ذلك أوعظ للنفوس و أزجر للعقول ، فقال مقسما تنبيها على عادتهم فى الكفر مع هذا الوعظ فعل المكذب بهلاكهم لأجل تكذيبهم عاطفا على ما تقديره : و لقد أنجينا رسلنا و أشياعهم من كل شيء خطر : ﴿ و لقد اهلكنآ ﴾ أى بما لنا من ١٥ العظمة ﴿ اشياعكم ﴾ الذين أنتم و هم شرع واحد فى التكذيب ، و القدرة عليكم كالقدرة عليهم ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فلذلك سبب عنه قوله : ﴿ فهل من مدكره ﴾ أى بما وقع لهم أنه مثل من مضى بل أضعاف ... ، و أن قدرته سبحانه عليه كقدرته / عليهم ليرجع عن غيه /١٣٥ خوفا من سطوته سبحانه .

٢٠ و لما تمت الدلالة على إحاطة القدرة بما شوهد من الأفعال الهائلة

التى

التى لاتسعها قدرة غيره سبحانه، و كانوا يظنون أن أحواله غير مضبوطة لأنه لايمكن ضبطها و لا يسعها علم عالم و لا سيما إذا ادعى أنه واحد، شرع فى إتمام الإخبار بعظمة القدرة بالإخبار بأن أفعالهم كلها مكتوبة فضلا عن كونها محفوظة فقال: ﴿ وكل شىء فعلوه ﴾ أى الأشياع فى أىّ وقت كان، كائن بالكتابة ﴿ فى الزبر ه ﴾ أى كتب الحفظة فليحذروا ٥ من أفعالهم فانها غير منسية، هذا ما أطبق عليه القراء مما أدى إلى هذا المعنى من رفع كل، لأنه لو نصب لأوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم أنهم فعلوا فى الزبر كل شىء من الأشياء و هو فاسد.

و لما خصهم، عم بقوله واعظا و مخوفا و محذرا بأن كل شىء محفوظ فمكتوب فمعروض على الإنسان يوم الجمع: ﴿ و كل صغير و كبير ﴾ ١٠ من الجواهر و المعانى منهم و من غيرهم ﴿ مستطر ه ﴾ أى مكتوب على وجه عظيم من اجتهاد الحفظة فى كتابته و تحريره مع يسر ذلك و سهولته.

و لما أخبر عن أحوال الكفرة فى الدنيا و الآخرة واعظا بها و إعلاما بعظمته و علىّ صفاته وسعة مملكته و شامل علمه و قدرته، ختم ١٥ بأحوال القسم الآخر من أهل الساعة و هم أهل طاعته تتميما لذلك و إشارة و بشارة للسالك فى أحسن المسالك، فقال مؤكدا ردا على المنكر: ﴿ ان المتقين ﴾ أى العريقين فى وصف الخوف من الله تعالى الذى أدام إلى أن لايفعلوا شيئا إلا بدليل. و لما كان من البساتين و المياه ما هو ظاهر بكل مراد على عكس ما عليه الضال البعيد عن القصد ٢٠

الواقع فى الهلاك و النار [قال]: ﴿ فى جنت ﴾ أى فى بساتين ذات أشجار تسر داخلها، قال القشيرى : و الجمع إذا قوبل بالجمع فالآحاد تقابل الآحاد . و لما كانت الجنان لاتقوم و تدوم إلا بالماء قال : ﴿ و نهر ﴾ و أفرده لأن التعبير بـ «فى» مفهم لعمومهم به عموم ما كأنه ظرف و هم مظروفون ٥ له، و لكثرة الأنهار و عظمها حتى أنها لقرب بعضها من بعض و اتصال منابعها و تهيء جميع الأرض لجرى الأنهار منها كأنها شيء واحد، و ما وعد به المتقون من النعيم فى تلك الدار فرقائقه معجلة لهم فى هذه الدار، فلهم اليوم جنات العلوم و انهار المعارف، و فى الآخرة الأنهار الجارية و الرياض و الأشجار و القصور و الزخارف، و هو يصلح مع ذلك لأن يكون مما ١٠ منه النهار فيكون المعنى: أنهم فى ضياء و سعة لا يزايلونه أصلا بضد ما عليه المجرم من العمى الناشيء عن الظلام، [و] لمثل هذه الأغراض أفرد مع إرادة الجنس لا للفاصلة فقط .

/١٣٦ و لما كانت البساتين لا تسكن / فى الدنيا لأنه ليس فيها جميع ما يحتاجه الإنسان، بين ان حال تلك غير حال هذه، فقال مبدلا مما[1] ١٥ قبله: ﴿ فى مقعد ﴾ أى تلك الجنان محل إقامتهم التى تراد للقعود ﴿ صدق ﴾ أى فيما أراده الإنسان صدق وجوده الإرادة و لا يقعد فيه إلا اهل الصدق، و لا يكون فيه إلا صدقه، لا لغو فيه و لا تأثيم، و التوحيد لإرادة الجنس مع أن الإبدال يفهم أنه لاموضع فى تلك الجنان إلا و هو الصالح للتسمية بهذا الاسم و لأنهم لاتحاد قلوبهم و رضاهم

(١) فى الأصل : ما .

كأنهم فى مقعد واحد على أنه قرئ بالجمع .

و لما كان هذا غير معهود ، بين أن سببه تمكين الله لهم منه لاختصاصه لهم و تقريبه إياهم لارضائه لهم ، فقال مقيدا لذلك بالتعبير بالعندية لأن عنديته سبحانه تعالى منزهة عن قرب الأجسام و الجهات : ﴿عند مليك﴾ أى ملك تام الملك ﴿ مقتدر ﴾ أى شامل القدرة بالغها إلى حد لا يمكن ٥ إدراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا . فهو يوصلهم إلى كل خير و يدفع عنهم كل ضير ، و كما أن لهم فى الآخرة عندية الإشهاد ، فلهم فى الدنيا عندية الإمداد ، و لهذا الاسم الشريف سر فى الانتصار على الظالمين ، و لقد ختمت السورة كما ترى كما ابتدئت به من أمر الساعة ، و كانت البداية للبداية و النهاية للنهاية ، و زادت النهاية بيان السبب الموجد لها ، و هو ١٠ قدرته سبحانه و عز شأنه و عظمت رحمته و إحسانه ، و عفوه و مغفرته و رضوانه ، و لتصنيف الناس فيها إلى كافر مستحق للانتقام ، و مؤمن مؤهل لغاية الإكرام ، لم يذكر الاسم الأعظم الجامع الذى يذكر فى سياق مقتضى جمع الجلال و الإكرام لصنف واحد و هو من يقع منه الإيمان و [لا] يتدنس بالعصيان ، و هم الذين آمنوا ، و لمشاركتها للسورتين اللتين بعدها ١٥ فى هذا الغرض ، و هو الكلام فى حق الصنفين فقط من غير ذكر عارض ممن آمن . أشرك الثلاثة فى الخلو عن ذكر الاسم الأعظم ، فلم يذكر فى واحدة منها و جاء فيها من الصفات ما يقتضى العظمة على أهل الكفران ، و ما ينبئ عن الإكرام و الإحسان لأهل الإيمان "و لمن خاف مقام ربه جنتان " و لهذا ختمت هذه بصفة الملك المقتضى للسطوة التامة ٢٠

و الإكرام البالغ و عدم المبالاة بأحد كائنا من كان، لأن الملك من حيث هو ملك إنما يقتضى مقامه إهانة العدو و إكرام الولى، و جعل ذلك على وجه المبالغة أيضا، كل ذلك للاعلام بأن تصريفه سبحانه لأحوال الآخرة كما قصد فى هذه السورة من تصريفه فى أحوال الدنيا ٥ من إهلاك الأعداء و إنجاء الأولياء. و كأن هذه السورة كانت هكذا لأنها جاءت عقب النجم التى شرح فيها الإسراء وكان للنبي صلى الله عليه و سلم من العظمة بخرق العوائد باختراق /السماوات، و الوصول إلى أنهى[1] الغاية /١٣٧ من المناجاة، و غيرها من سر الملكوت و محل الجبروت، بعد أن لوح بمقامه عليه الصلاة و السلام بالطور ليعلم الفرق و يوصف كل بما هو ١٠ الحق، فكان ذلك مقتضيا لئلا يكون بعده من الناس إلا مؤمن خالص، فان كان غيره فهو معاند شديد الكفر، و كأنها جعلت[2] ثلاثا لإرادة غاية التأكيد لهذا المعنى الشديد، فلما انقضت الثلاث كان متبركا به فى معظم آيات الحديد ثم توجت كل آية من آيات المجادلة به إشارة إلى أنه قد حصل غاية التشوف إليه و ترهيبا لمن يعصى و لاسيما من يظاهر، ١٥ و ترغيبا فى الطاعة للملك الغافر، و الله الموفق [3]لما يريد إنه قوى فعال لما يريد[3] .

* * * * *

---

(١) فى الأصل : انتهى (٢) و من هنا تستأنف نسخة ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

سورة الرحمن[1] عز و جل و تسمى عروس القرآن[2]

مقصودها الدلالة على ما ختمت به سورة[3] القمر من عظيم الملك و تمام الاقتدار بعموم رحمته و سبقها لغضبه، المدلول عليه بكمال علمه، اللازم عنه شمول قدرته، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته و بدائع مصنوعاته فى أسلوب التذكير بنعمائه، و الامتنان بجزيل آلائه، على وجه ٥ منتج للعلم باحاطتــه بجميع أوصاف الكمال، فمقصودها[4] بالذات إثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيبا فى إنعامه و إحسانه، و ترهيبا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه. و على ذلك دل اسمها الرحمن لأنه العام الامتنان و اسمها عروس القرآن واضح البيان فى ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من حلى و حلل، و جواهر وكلل. و العروس بجميع النعم و الجمال، و البهجة ١٠ من نوعها و الكمال ﴿ بسم الله ﴾ الذى ظهرت إحاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته ﴿ الرحمن ﴾ الذى ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعاته و اشتهر من عظيم آياته و بيناته ﴿ الرحيم ۞ ﴾ الذى ظهر اختصاصه لأهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته.

لما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك و بليغ القدرة، و كان الملك ١٥ القادر لايكمل ملكه إلا بالرحمة، و كانت رحمته لاتتم إلا بعمومها، قصر

---

(١) الخامسة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها (٧٨) عند الكوفيين و الشامى و (٧٧) عند المدنيين و المكى (٧٦) عند البصريين كما فى نثر المرجان ١٣٦/٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ.

(٤) من ظ، و فى الأصل: فالمقصود.

هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه فى الدارين، و ذلك من[١] آثار
الملك، و فصل فيها ما أجمل فى آخر القمر من مقر[٢] الأولياء و الأعداء
فى الآخرة، و صدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال،
و موازنة لما حصل بالملك و الاقتدار من غاية التبرك و الظهور و الهيبة
٥ و الرعب باسم هو مع أنه فى غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتتحا
لها بأعظم النعم و هو تعليم الذكر الذى هز ذوى الهمم العالية فى القمر
إلى الإقبال عليه بقوله " و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر "
لأنه لما كان للعظمة الدالة[٣] عليها نون / " يسرنا " التى هى عماد الملك ١٣٨ /
نظران: نظر الكبرياء و الجبروت يقتضى ان يتكلم بما يعجز خلقه من
١٠ كل جهة فى الفهم و الحفظ و الإتيان بمثله و كل معنى من معانيه، و نظر
الإكرام و الرحمة، و كانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها لخلقه لاسيما هذه
الأمة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة بعد أن أبقى من آثار الجبروت
الإعجاز[٤] عن النظر، و من الإعجاز عن الفهم الحروف المقطعة أوائل
السور، و منع المتعنت من أن يقول: إنه لامعانى لها بأن فهم [بعض -[٦]]
١٥ الأصفياء بعض اسرارها، فقال جوابا لمن كأنه قال: من هذا المليك
المقتدر . فقيل: ﴿ الرحمن لا ﴾ أى العام الرحمة ﴾قال ابن برجان: و هو
ظاهر اسمه الله، و باطن اسمه الرب، جعل هذه الأسماء الثلاثة فى ظهورها

---

(١) من ظ، و فى الأصل: فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: الدال (٤) من ظ، و فى الأصل: الايجاز (٥) من ظ، و فى الأصل: يكون (٦) زيد من ظ .

مقام الذات يخبر بها عنه و حجابا بينه و بين خلقه ، يوصل بها الخطاب منه إليهم ، ثم أسماؤه الظاهرة مبينة لهذه الأسماء الثلاثة - انتهى .

و من مقتضى اسمه " الرحمن " انبثت جميع النعم ، و لذا ذكر فى هذه السورة أمهات النعم فى الدارين .

و لما كان لاشيء من الرحمة أبلغ و لا أدل على القدرة من إيصال ٥ بعض صفات الخالق إلى المخلوق نوع إيصال ليتخلقوا به بحسب[1] ما يمكنهم منه فيحصلوا على الحياة الأبدية و السعادة السرمدية قال : ﴿علم القرْان ۝﴾ أى المرئى المشهود بالكتابة و المتلو و المسموع - [2] الجامع لكل خير ، الفارق بين كل لبس ، و كان القياس [يقتضى - [2]] أن لايعلم المسموع أحد لأنه صفة من صفاته ، و صفاته فى العظم كذاته ، و ذاته غيب ١٠ محض ، لأن الخلق أحقر من أن يحيطوا به علما ، « و أين الثريا من يد المتناول » فدل تعليمه القرآن على أنه يقدر أن يعلم ما أراد من أراد " و علم ءادم الاسماء كلها " و لا يخفى ما فى تقديمه على جميع النعم من المناسبة لأن [أجل النعم - [2]] نعمة الدين التى تتبعها نعمة الدنيا و الآخرة ، و هو أعلى مراتب ، فهو سنام الكتب السماوية و عمادها ١٥ و مصداقها و العيار عليها ، و فائدتها[3] الإيصال إلى مقعد[4] الصدق المتقدم لأنه بين ما يرضى الله ليعمل به و ما يسخطه ليجتنب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : من المعلوم أن الكتاب العزيز

(١) فى ظ : بسبب (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : فائدته .
(٤) من ظ ، و فى الاصل : معدم .

و إن [كانت - ١] آية كلها معجزة باهرة و سورة فى جليل النظم
و بديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة، فبعضها أوضح من بعض فى
تبين إعجازها، و تظاهر بلاغتها و إيجازها، ألا ترى إلى تسارع الأفهام إلى
الحصول على بلاغة آيات و سور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله
٥ تعالى "[و - ١] قيل يا ارض ابلعى ماءك و يا سماء اقلعى" و قوله
"فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين" الآيات، لايتوقف فى باهر
إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم فانى له بر لوجه
وقوعه، و سورة القمر من هذا النمط / ، ألا ترى اختصار القصص فيه /١٣٩
مع حصول أطرافها و توفية أغراضها، و ما جرى مع كل قصة من
١٠ الزجر و الوعظ و التنبيه و الإعذار، و لو لا أنى لم أقصد التعليق مما بنيته
عليه من ترتيب السور لأوضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه، و لعل
الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به و يسر فيه، فلما
انطوت هذه السورة على ما ذكرنا و بان فيها عظيم[2] الرحمة فى تكرر
القصص و شفع العظات، و ظهرت حجة الله على الخلق، و كان ذلك
١٥ من أعظم ألطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن[3] و وفقه لفهمه و اعتباره،
أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك و تعالى "الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان" و خص من أسمائه الحسنى هذا
الاسم إشعارا برحمته بالكتاب و عظيم إحسانه به "و ان تعدوا نعمة الله
لاتحصوها" ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار و من أين للعباد بجميل

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عظام (٣) فى ظ : الكتاب .

هذا اللطف و عظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات و إيضاح البينات إن تعذر إليهم زيادة فى البلاغ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال "الرحمن علم القرآن" ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها و إعذارها خاصا ببنى آدم بل بمشركى العرب منهم فقط، فاتبعت سورة القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين و إعذارا إليهم و تقريرا للجنسين على ٥ ما أودع سبحانه فى العالم[1] من العجائب و البراهين الساطعة فتكرر فيها التقرير و التنبيه بقوله تعالى " فباى آلاء ربكما تكذبان " خطابا للجنسين و إعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان - انتهى.

و لما كان كأنه قيل: كيف [علمه - [2]] و هو صفة من صفاته و لمن علمه، قال مستأنفا أو معللا : ﴿خلق الانسان لا﴾ أى قدره و أوجده ١٠ على هذا الشكل المعروف و التركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات و أصله [3]منها ثم[3] عن سائر الناميات[4] ثم عن غيره من الحيوانات، و جعله أصنافا، و فصل بين كل قوم بلسانهم عمن عداهم و خلقه[5] لهم دليل على خلقه لكل شيء موجود "انا كل شيء خلقنه بقدر" و الإنسان و إن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم و هو آدم عليه ١٥ السلام، و إرادته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - لا تمنع إرادة الجنس من حيث هو.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: العام (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل: فيها، مع يسير من البياض (٤) من ظ، و فى الأصل: المناسبات.
(٥) من ظ، و فى الأصل: خلقهم.

و لما كان كأنه قيل : فكان ما ذا بخلقه[1] له ، قال : ﴿علمه البيان ه﴾ و هو القوة الناطقة ، و هى الإدراك للأمور الكلية و الجزئية و الحكم على الحاضر و الغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم[2] و أخرى بالحساب و مرة بالعيافة و الزجر و طورا بالنظر فى الآفاق و غير ذلك من الأمور ٥ مع التميز بين الحسن و القبيح و غير ذلك مما أودعه سبحانه و تعالى له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب فى ضميره و إفهامه للغير / تارة بالقول و تارة بالفعل نطقا و كتابة و إشارة و غيرها ، فصار بذلك ١٤٠ / ذا قدرة على الكمال فى نفسه و التكميل لغيره ، فهذا تعليم البيان الذى مكن من تعليم القرآن ، و هذا و إن كان سبحانه جبلنا عليه و خلقنا به ١٠ قد صار عندنا مألوفا و مشهورا معروفا ، فهو عند غيرنا على غير ذلك [3]مما أوضحه لنا[3] سبحانه نعمة علينا بمحاجته لملائكته الكرام عن نبينا آدم عليه الصلاة و السلام و ما أبدى لهم من علمه و بهرهم من رسم كل شيء بمعناه و اسمه .

و لما بين سبحانه النعمة فى تعليم القرآن الذى هو حياة الأرواح ، ١٥ و بين الطريق فيها ، دل على البيان بذكر البينات التى يجمعها أمر و يفرقها آخر ، و لها مدخل فى حياة الأشباح ، و عددها[4] على سبيل الامتنان بيانا لأنها من اكبر النعم فقال فى جواب من قال : ما بيانه ؟ بادئا بالكوكب الأعظم الذى هو أعظم نورا و أكبر جرما و أعم نفعا ليكون خضوعه

(١) من ظ ، و فى الأصل : من خلقه (٢) من ظ ، و فى الاصل : بالنوم .
(٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : كما أوضحته (٤) من ظ ، و فى الأصل : عدد .

لقبول الآثار أدل على خضوع غيره بيانا لحكمته فى تدبيره و قوته فى تقديره: ﴿الشمس﴾ و هى آية النهار ﴿و القمر﴾ و هو آية الليل اللذان[١] كان بهما البيان الإبراهيمى، و لعله بدأ لهذه الأمة بغاية بيانه عليه الصلاة و السلام تشريفا لها بالإشارة إلى علو أفهامها ﴿بحسبان ﴾ أى جريهما، يجرى كل منهما - مع اشتراكهما فى أنهما كوكبان سماويان[٢] - ٥ بحساب عظيم جدا لا تكاد توصف جلالته فى دقته و كثرة سعته و عظم ما يتفرع عليه من[٣] المنافع الدينية و لدنيوية، و من عظم[٤] هذا الحساب الذى أفادته صيغة الفعلان أنه على نهج واحد لا يتعداه، تعلم به الأعوام و الشهور و الأيام و الساعات و الدقائق و الفصول فى منازل معلومة، و يعرف موضع كل منهما فى الآفاق العلوية و ما يحدث له و ما يتأثر ١٠ عنه فى الكوائن السفلية بحيث أن به انتظام غالب الأمور السفلية إلى غير ذلك من الأمور التى خلقهما[٥] الله عليها و لها، و بين الإنسان و بين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرير إلا العليم الخبير، و هذا على تطاول الأيام و الدهور لا يختل ذرة دلالة على أن صانعه قيوم لا يغفل، ثم بعد هذا الحساب المستجد و الحساب الأعظم الذى قدر ١٥ لتكوير الشمس و انكدار القمر دلالة على أنه فاعل بالاختيار مع ما أفاد ذلك من تعاقب الملوين تارة بالاعتدال و تارة بالزيادة و أخرى بالنقص، و غير ذلك من الأمور فى لطائف المقدور.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: اللذين (٢) من ظ، و فى الأصل: نعايان (٣) من ظ، و فى الأصل: عن (٤) فى ظ: عظمة (٥) من ظ، و فى الأصل: خلقها.

و لما كان سيرهما على هذا المنهاج مع ما لهما فيه من الدؤب فيه بالتغير و التنقل طاعة منهما[1] لمدبرهما و مبدعهما و مسيرهما ، و كان خضوعهما - وهما النيران الأعظمان - دالا على خضوع ما دونهما من الكواكب بطريق الأولى ، كان ذكرهما مغنيا عن ذكر ما عداهما بخصوصه ،
٥ فأتبعهما حضور ما هو للأرض كالكواكب للسماء في الزينة و النفع و الضر و الصغر و الكبر / و الكثرة و القلة من النبات مقدما صغاره لعموم /١٤١ نفعه و عظيم[2] وقعه بأن منه أكثر الأقوات لجميع الحيوان و الملابس من القطن و الكتان و غير ذلك من عجيب[3] الشأن، معبرا بما يصلح لبقية الكواكب فقال: ﴿ و النجم ﴾ أي و جميع الكواكب السماوية و كل
١٠ نبت ارتفع من الأرض و لا ساق له من النباتات الأرضية التي هي أصل قوام الإنسان و سائر الحيوان ﴿ و الشجر ﴾ و كل ما له ساق و يتفكه به أو يقتات ﴿ يسجدٰن ﴾ أي يخضعان و ينقادان لما يراد منهما و يذلان للانتفاع بهما انقياد الساجد من العقلاء لما أمر به بجريهما لما سخرا له و طاعتهما لما [4]قدرا فيه[5] من غير إباء على تجدد الأوقات من
١٥ نمو [في - [6]] النبات و وقوف و اخضرار و يبس و إثمار و عطل ، لا يقدر النجم أن يعلو إلى رتبة الشجر و لا الشجر أن يسفل إلى وهدة النجم إلى غير ذلك مما صرفنا فيه من سجود الظلال و دوران الجبال[7]

(١) من ظ ، و في الأصل : منه (٢ - ٢) من ظ ، و في الأصل : عموم دفعه .
(٣) في ظ : عظم (٤) في ظ : فيما (٥-٥) من ظ ، و في الأصل : قدر .
(٦) زيد من ظ (٧) في ظ : الخلال .

و المثال مما يدل على وحدانية الصانع و فعله بالاختيار، و نفى الطبائع، و من تسيير فى الكواكب و تدبير فى المنافع فى الحر و البرد اللذين جعل سبحانه بهما الاعتدال فى النبات من الفواكه و الأقوات، و غير ذلك من وجود الانتفاعات.

و لما كان تغير ما تقدم من الشمس و القمر و النجم و الشجر يدل ٥ دلالة واضحة على أنه سبحانه هو المؤثر فيه، و كانت السماء و الأرض ثابتتين على حالة واحدة، فكان ربما أشكل أمرهما كما ضل فيهما خلق من أهل الوحدة أهل[1] الجمود و الاغترار و الوقوف مع الشاهد و غيرهم، و كان إذا ثبت أنه تعالى المؤثر فيهما، فلذلك قال مسندا التأثير فيهما إليه بعد أن أعرى ما قبلهما من مثله لما أغنى عنه من الدلالة ١٠ بالتغير و السير و التنقل عطفا على ما تقديره: و هو الذى دبر ذلك: ﴿و السمآ رفعها﴾ أى حسا بعد أن كانت ملتصقة بالأرض ففتقها منها و أعلاها عنها بما يشهد لذلك من العقل عند كل من له تأمل فى أن كل جسم ثقيل ما رفعه عما تحته إلا رافع، و لا رافع لهذه إلا الله فانه لايقدر على التأثير غيره، و لعظمها قدمها على الفعل تنبيها على التفكر فيما ١٥ فيها من جلالة الصنائع[2] و أنواع البدائع، و معنى بأنه جعلها منشأ أحكامه و مصدر قضاياه و متنزل[1] أوامره و نواهيه و مسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه.

و لما كانت السماء مع علوها الدال على عزة موجدها و مدبرها

(١) من ظ، و فى الأصل: هو (٢) من ظ، و فى الأصل: مشترك.

دالة على عدله باعتدال جميع أحوالها من الحر و البرد و المطر و الثلج [و الندى -[1]] و الطل و غير ذلك فى أن كل فصل منها معادل [2]لضده و أنها[2] لا ينزلها سبحانه إلا بقدر معلوم، و إلا لفسدت الأرض [كلها - [1]]، و دلنا على أنه شرع لنا مثل ذلك العدل لتقوم
٥ /١٤٢ أحوالنا و تصلح أقوالنا و أفعالنا بما قامت به السماوات و الأرض / فقال: ﴿ و وضع الميزان ﴾ أى العدل الذى دبر به الخافقين من الموازنة و هى المعادلة لتنتظم أمورنا .

و لما ذكر أولا القرآن الذى هو ميزان المعلومات ، و دل على رحمانيته بأنواع من البيان ، الذى رقى به الإنسان فصار أهلا للفهم ، و ذكره نعمة
١٠ الميزان للمحسوسات ، أقبل بالخطاب عليه لافتا له عن أسلوب الغيبة تنشيطا له إلى ارتقاء مراتب الكمال بحسن الامتثال معللا فقال: ﴿ان﴾ أى [لأن -[1]] ﴿لا تطغوا﴾ أى لا تتجاوزوا الحدود ﴿فى الميزان ﴾ أى الأشياء الموزونة من الموزونات المعروفة و العلم و العمل المقدر أحدهما بالآخر، و فى مساواة الظاهر و الباطن و القول و الفعل، فالميزان الثانى عام لميزان
١٥ المعلومات و ميزان المحسوسات .

و لما كان التقدير : فاقتدوا بأفعالى و تخلقوا بكل ما امر به من أقوالى، عطف عليه قوله: ﴿ و اقيموا الوزن ﴾ اى جميع الأفعال التى يقاس لها الأشياء ﴿ بالقسط ﴾ .

و لما كان المراد العدل العظيم ، بينه بالتأكيد بعد الأمر بالنهى عن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : لضدها و انه .

الضد فقال: ﴿و لا تخسروا الميزان ﴾ أى توقعوا فى شىء من آلة العدل التى يقدر بها الأشياء من الذرع و الوزن و العدل و الكيل و نحوه - نوعا من أنواع الخسر - بما دل عليه تجريد الفعل فتخسروا ميزان أعمالكم و جزائكم يوم القيامة، و قد علم بتكرير الميزان ما[1] أريد من التأكيد فى الأمر به لما له من الضخامة سواء كان بمعنى واحد أو بمعان مختلفة. ٥

و لما ذكر إنعامه الدال على اقتداره برفع السماء، ذكر [2]على ذلك[2] الوجه مقابلها بعد أن وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيها على شدة[3] العناية و الاهتمام به فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى و وضع الأرض: ثم فسر ناصبها ليكون كالمذكور[4] مرتين إشارة إلى عظيم تدبيره لشدة ما فيه من الحكم فقال: ﴿ وضعها ﴾ أى دحاها و بسطها على الماء ﴿ للانام ﴾ ١٠ أى كل من فيه قابلية النوم أو[5] قابلية الونيم و هو الصوت بعد أن وضع لهم الميزان الذى لاتقوم الأرض إلا به.

و لما كان فى [6]سياق بيان[6] الرحمة بمزيد الإنعام، و كانت إقامة البينة أعظم نعمة، و كانت الفواكه ألذ ما يكون، و كانت برقتها و شدة لطافتها منافية للأرض فى يبسها وكثافتها، فكان كونها فيها عجبا دالا على عظيم ١٥ قدرته، و كان ذكرها يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الأقوات،

---

(١) من ظ، و فى الأصل: من (٢ - ٢) من ظ، و فى الأصل: ذلك على.
(٣) من ظ، و فى الأصل: الشدة (٤) فى ظ: المذكور (٥) من ظ، و فى الأصل: « و » (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: بيان سياق.

بدأ بها ليصير[1] ما يتقدمها كالمذكور مرتين، فقال مستأنفا وصفها بما هو أعم: ﴿فيها فاكهة﴾ أى ضروب منها عظيمة جدا يدرك الإنسان بما له من البيان تباينها[2] فى الصور و الألوان، و الطعوم و المنافع - و غير ذلك من بديع الشأن.

٥ و لما كان المراد بتنكيرها[3] تعظيمها، نبه عليه بتعريف نوع منها، ونوه به لأن فيه مع التفكه التقوت، و هو أكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الأول فقال: ﴿ و النخل ﴾ و دل على تمام القدرة بقوله: ﴿ذات﴾ أى صاحبة / ﴿ الاكمام ﴾ أى أوعية ثمرها، و هو الطلع قبل أن ينفتق بالثمر، و كل نبت يخرج ما هو مكمم فهو ذو كمام، ١٤٣ /

١٠ و لكنه مشهور فى النخل لشرفه و شهرته عندهم، قال البغوى[4]: و كل ما ستر شيئا فهو كم و كمة، و منه كم القميص، و فيه تذكير بثمر الجنة الذى ينفتق عن نباهم، و ذكر أصل النخل دون ثمره للتنبيه على كثرة منافعه من الليف و السعف و الجريد و الجذوع و غيرها من المنافع التى الثمر منها.

١٥ و لما ذكر ما يقتات من الفواكه و هو فى غاية الطول، أتبعه الأصل فى الاقتيات للناس و البهائم و هو بمكان من القصر[5]، فقال ذاكرا ثمرته لأنها المقصودة بالذات: ﴿و الحب﴾ أى من الحنطة و غيرها، ونبه[6] على

---

(١) من ظ، و فى الأصل: البصير (٢) فى ظ: شانها (٣) من ظ، و فى الأصل: بانكارها (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٣ (٥) من ظ، و فى الأصل: الفضة (٦) زيد فى الأصل: عنه، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

تمام القدرة بعد تنبيهه بتمايز هذه المذكورات مع أن أصل الكل الماء
بقوله: ﴿ذو العصف﴾ أي الورق و البقل الذي إذا زال عنه ثقل الحب
كان مما تعصفه الرياح التي تطيره، و هو التبن الذي هو من قوت البهائم .
و لما كان الريحان يطلق على كل نبت [طيب الرائحة خصوصا، و على
كل نبت -١] عموما، أتبعه به ليعم و يخص جميع ما ذكر من سائر ٥
النبات و غيره على وجه مذكر بنعمه بغذاء الأرواح بعد ما ذكر غذاء الأشباح
فقال: ﴿و الريحان ﴾ و لما كان من كفر به سبحانه بانكاره أو إنكار
شيء من صفاته، أو كذب بأحد من رسله قد انكر نعمه أو نعمة منها
فلزمه ٢بانكاره لتلك٢ النعمة إنكار جميع النعم، لأن الرسل داعية إلى الله
بالتذكير بنعمه، و كان ما مضى من هذه السورة إلى هنا اثنتى عشرة آية ١٠
على عدد الكوفى و الشامى، عدد فيها أصول نعمه سبحانه على وجه دل
بغاية البيان على أن له كل كمال، وكان هذا العدد أول عدد زائد إشارة
إلى تزايد النعم لأن كسوره النصف و الثلث و الربع و السدس تزيد
على أصله، و كان قد مضى ذكر الثقلين الجن و الإنس فى قوله "الانام"
قال تعالى إشارة إلى أنهم المقصودون بالوعظ، منكرا موبخا مبكتا لمن ١٥
أنكر شيئا من نعمه أو قال قولا أو فعل فعلا يلزم منه إنكار شيء منها
مسببا عما مضى من تعداد هذه النعم المتزايدة التى لايسوغ إنكارها
و لا إنكار شيء منها فيجب شكرها: ﴿ فباىّ الآء ﴾ اى نعم و عطايا
﴿ ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بما أسدى من المزايا التى أسداها إليكم على

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : لانكار تلك .

وجه الكبرياء و العظمة و هي دائمة لاتنقطع من غير [حاجة إلى -[1]]
مكافأة أحد و لاغيرها - أيها الثقلان - المدبر لكما الذي لامدبر و لا سيد
لكما غيره، من آياته و صنائعه و حكمه و حكمته و عزته في خلقه و استسلام
الكل له و خضوعهما إليه، فان كل هذه النعم الكبار آيات دالة عليه
٥ و صنائع محكمة و أحكام و حكم ظهرت بها عزته و بانت بها قدرته
﴿ تكذبٰن ﴾ فمخاطبته بهذا الثقلين دليل على أن هذه الأشياء تعم على
الجن كما أنها تعم على الإنس[2]، و أن لهم من ذلك ما لهم، و ذكره
لهذه الآية بعد ذكر هذا العدد من الآيات إشارة إلى أن زيادة النعم
إلى حد لايحصى بحيث ان استيفاء عددها لا تحيط به / عقول المكلفين /١٤٤
١٠ لئلا يظنوا أنه لانعمة غير ما ذكر في هذه السورة، و التعبير عنها بلفظ
الآلاء من أجل أنها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللعان و الصف
المميز لها [من] غيرها و لما لرؤيتها من الخير و الدعاء، و هي و إن كانت
من الوا فيمكن أخذها من اللؤواء إلى أن الأصل الهمزة و اللام، فاذا
انضم إليهما لام أخرى أو ألف ازداد المعنى الذي كان ظهورا لأن الألف
١٥ غيب الهمزة و باطنها، و اللام هي عين ما كان فلم يحصل خروج عن
ذلك المعنى، فاذا نظرت إلى الآل كان المعنى أن تلك النعم الكبار
الملوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه و أنه يؤول إليه كل شيء أولا من
غير نزاع كما أنه كان بكل شيء، و تكل عن نظرها الأبصار النوافذ
كما تكل عن رؤية الأشخاص التي يرفعها الآل لأنها تدل عليه سبحانه...

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الانسان .

نعم عظيمة و إن كانت نقما لأنه لا نعمة تدل مثل ما دل عليه سبحانه، وكرر هذه الآية فى هذه السورة من هنا بعد كل آية إلى آخرها لما تقدم فى القمر من أن المنكر إذا تكرر إنكاره جدا بحيث أحرق الأكباد فى المجاهرة بالعناد حسن سرد ما أنكره عليه، و كلما ذكر بفرد منه قيل له: لم تنكره؟ سواء أقر به حال التقرير أو استمر على العناد، فالتكرار ٥ حينئذ يفيد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد، و لتغاير النعم و تعددها و اختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة تنبيها على جلالتها، فان كانت نعمة فالأمر فيها واضح، و إن كانت نقمة [فالنعمة - [1]] دفعها أو تأخير الإيقاع بها، و لما تقدم [من - [1]] أن كل تذكير[2] بما أفاده الله تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة فى الجهات الستّ على أنك ١٠ إذا اعتبرت نفس الآية وجدتها مشيرة إلى ذلك، فان كل كلمة منها - إلا الأخيرة فى رسم من أثبت ألفها من كتبة المصاحف - خمسة أحرف إن اعتبرت هجاء الأولين و الثالثة خمسة فى الرسم ستة فى الهجاء و النطق، فهى للحواس و للجهات لأن الكل من الرب، و الكلمة الأخيرة ستة أحرف إن اعتبرت رسمها فى المصاحف التى أسقطت ألفها، فان فى ١٥ إثباتها و حذفها اختلافا بين أئمة المصاحف، و هى إشارة إلى الجهات لأنها التى يملك الإنسان التصرف فيها، أما[3] الحواس فلا اختيار له فيها، و إن اعتبرت هجاءها بحسب النطق كانت سبعة أحرف إشارة إلى أن النعم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: مذكور تذكرا (٣) من ظ، و فى الأصل: او.

أكثر من أن تحصى لما تقدم من أسرار عدد السبعة و إلى أن تكذيب
المكلفين متكاثر جدا ، فلذلك كان فى غاية المناسبة ان تبسط هذه النعم
على عدد ضرب الحواس الخمس فى الجهات الست ، و ذلك فى الحقيقة فائدة ،
فانه من المألوف المعروف و الجميل الموصوف أن التكرير [عند] التكذيب
٥ يوجب التكرير عند التقرير ، و يبلغ به النهاية فى حسن التأثير ، و زاد
العدد على مسطح الخمس فى الست واحدة / إشارة إلى أن نعم الواحدة ١٤٥ /
لا انقطاع لها ، و لذلك فصلت إلى ثمان ذكرت أولا عقب النعم ، فكانت
على عدد السبع الذى هو أول عدد تام لأنه جمع الفرد و الزوج و زوج الفرد
و زوج الزوج ، و زاد بواحد إشارة إلى أنه كلما انقضى دور من عدد
١٠ تام جدير لنعم أخرى فهى لاتتناهى لأن موليها له القدرة الشاملة
و العلم التام و رحمته سبقت غضبه ، و فى كونها ثمانية إشارة إلى أنها سبب
إلى الجنة ذاتو الأبواب الثمانية إن شكرت ، و فى تعقيبها بسبع نارية
إشارة إلى أنها سبب للنار ذات الأبواب السبعة إن كفرت ، و فى تعقيبها
بها إشارة إلى أن سببيتها للنار أقرب لكونها حفت بالشهوات ، و فى ذلك
١٥ إشارة إلى أن من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وقى أبواب النار
السبعة ، ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين إشارة إلى أن من عمل
لما وعده كما أمره به الله نال أبواب الجنة الثمانية ، و ثمانية أخرى عقب جنة
أصحاب اليمين إشارة إلى مثل ذلك و الله أعلم ، و كان ترتيبها فى غاية
الحسن ، ذكرت النعم أولا استعطافا و ترغيبا فى الشكر ثم الأهوال ترهيبا
٢٠ و درأ للفسدة بالعصيان و الكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح ، و بدأ
بأشرفها

بأشرفها فذكر الجنة العليا لأن القلب إثر التخويف يكون أنشط و الهمم تكون أعلى و العزم يكون أشد ، فحينئذ هذه الآية الأولى من الإحدى و الثلاثين مشيرة إلى أن نعمة البصر من جهة الأمام ، فكأنه قيل : أبنعمة البصر بما يواجهكم أو غيرها [تكذبان] .

و لما كان قد تقدم فى إشارة الخطاب الامتنان بخلق الإنسان ، ٥ ثم ذكر أصول النعم عليه على وجه بديع الشأن ، إلى أن ذكر [١]غذاء روحه[١] : الريحان ، أتبع ذلك تفصيلا لما أجمل فقال : ﴿ خلق الانسان ﴾ أى أصل هذا النوع الذى هو من جملة الأنام الذى خلقنا الريحان لهم و الغالب عليه الأنس بنفسه و بما ألفه .

و لما كان أغلب عناصره التراب و إن كان من العناصر الأربعة ، ١٠ عبر عنه إشارة به[٢] إلى مطابقة اسمه - بما فيه مما يقتضى الأنس الذى حاصله الثبات على حالة واحدة - لمسماه الذى أغلبه التراب لنقله و ثباته ما لم يحركه محرك ، و عبر عن ذلك بما هو فى غاية البعد عن قابلية البيان فقال : ﴿ من صلصال ﴾ أى طين يابس له صوت إذا نقر عليه ﴿ كالفخار ﴾ أى كالخزف المصنوع المشوى بالنار لأنه أخذه [٣]من التراب[٣] ثم خلطه ١٥ بالماء حتى صار طينا ثم تركه حتى صار حماء مسنونا منتنا ، ثم صوره كما يصور الإبريق و غيره من الأوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة فصار كالخزف الذى إذا نقر عليه صوت صوتا يعلم [منه - [٤]] هل

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : روجه - كذا (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : بالتراب (٤) زيد من ظ .

فيه عيب أم لا، كما أن الآدمي بكلامه يعرف حاله و غاية أمره و مآله، فالمذكور هنا [١]غاية / تخليقه[١] و هو أنسب بالرحمانية، و في غيرها تارة مبدأوه و تارة إنشاؤه، فالأرض أمه و الماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذي هو من فيح جهنم، فمن التراب [٢]جسده و نفسه[٢]، و من الماء روحه و عقله، و من النار غوايته وحدته، و من الهواء حركته و تقلبه في محامده و مذامه.

/ ١٤٦

و لما كان الجان الذي شمله أيضا اسم الأنام مخلوقا من العناصر الأربعة، و أغلبها في جبلته النار، قال تعالى: ﴿ و خلق الجآنّ ﴾ أي هذا النوع المستتر عن العيون بخلق أبيهم، و هو اسم جمع للجن. و لما كان الجن [يطلق ـ[٣]] على الملائكة لاستتارهم، بين أنهم لم يرادوا به هنا فقال: ﴿ من مارج ﴾ أي شيء صاف خالص مضطرب شديد الاضطراب جدا و الاختلاط، قال البغوي[٤]: و هو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه، و قال القشيري، هو اللهب المختلط بسواد النار ـ انتهى. و مرجت نارهم ـ أي اختلطت ـ ببرد الزمهرير. و لما كان المارج عاما[٥] في النار و غيرها، بينه بقوله: ﴿ من نارٍ ﴾ هي أغلب من عناصر، فتعين المراد بذكر النار لأن الملائكة عليهم السلام من نور لا من نار، و ليس عندهم مروج و لا اضطراب، بل هم في غاية الثبات على الطاعة فيما أمروا به، و قد عرف بهذا كل مضطرب[٦] قدره

(١ ـ ١) في ظ : آخر تخليقة (٢ ـ ٢) من ظ ، و في الأصل: نفسه وجسده.
(٣) زيد من ظ (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤ (٥) من ظ ، و في الأصل : ما (٦) من ظ ، و في الأصل : مطرب .

لئلا يتعدى طوره .

و لما كان خلق هذين القبيلين على هذين الوجهين اللذين هما فى غاية التنافى مستورا أحدهما عن الآخر مع منع كل [من - [1]] التسلط على الآخر إلا نادرا، إظهارا لعظيم قدرته و باهر حكمته من أعظم النعم، قال مسببا عنه : ﴿ فبأيّ الآء ربكما ﴾ أى النعم الملوكية الناشئة عن مبدعكما ٥ و مربيكما و سيدكما ﴿ تكذبٰن ﴾ أى بنعمة البصر من جهة الوراء [2] و غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب، و إيداعكم ما أودعكم [3] من القوى، و جعلكم خلاصة مخلوقاته، و من منع أحد قبيليكم عن الآخر، و تيسيره لكم الأرزاق و المنافع، و حملكم على الحنيفية السمحة، و قدرته على إعادتكم كما قدر على ابتدائكم . ١٠

و لما ذكر سبحانه هذين الجنسين اللذين أحدهما ظاهر و الآخر مستتر، إرشادا إلى التأمل فيما [3] فيهما من الدلالة على كمال قدرته، فكانا محتاجين إلى ما هما فيه من المحل، و كان صلاحه بما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذى هو سبب الأنوار و الظهور، و الغروب الذى هو منشأ الظلمة و الخفاء، أتبعه قوله منبها على النظر فى بديع صنعه الدال ١٥ على توحيده : ﴿ رب ﴾ أى هو خالق و مدبر ﴿ المشرقين ﴾ و مدبرهما على كيفية لايقدر على شيء منها غيره ﴿ و رب المغربين ﴾ كذلك، و هذه [4] المشارق و المغارب هى ما للشتاء من البروج، السافلة الجنوبية التى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : ابدعكم (٣) من ظ، و فى الأصل : لما (٤) من ظ، و فى الاصل : هى .

هى سبب الأمطار و الثلوج ، التى هى سبب الحياة و الظهور ، حال[1] كون
الشمس منحدرة فى آفاق السماء ، و ما للصيف من البروج العالية / فى ١٤٧ /
جهة الشمال التى هى سبب التهشم و الأفول و الشمس مصعدة فى جو
السماء ، و ما بينهما من الربيع الذى هو للنمو ، و الخريف الذى هو
٥ للذبول ، فهى آية الإيجاد و الإعدام ، فأول المشارق الصيف وقت استواء
الليل و النهار [عند - ٢] حلول الشمس بأول البروج الشمالية صاعدة
و هو الكبش ، يعتدل الزمان حينئذ بقطعها الجنوبية و استقبالها الشمالية ،
ثم آخر مشارقه إذا كانت الشمس فى آخر الشمالية و أول الجنوبية عند
حلولها برأس الميزان يعتدل الزمان ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبية ، ثم
١٠ بحلولها بآخر القوس و رأس الجدى يكون الانتهاء فى قصر الأيام و طول
الليالى لتوسطها البروج الجنوبية ، ثم بحلولها كذلك عند خروجها من برج
التوأمين إلى السرطان من بروج الشمال ، و هى آخر درجات الشمس ،
يكون طول الأيام و قصر الليالى ، فيختلف على هذين الفصلين الحر
و البرد ، و كون الشمس فى أول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق
١٥ فى أول كل نهار ، و كونها فى الاعتدال الثانى عند استقبالها البروج الجنوبية
إذا حلت رأس الميزان هو بمثابة غروبها ، ثم بكونها فى الانتهائين فى
طول الأيام حين حلولها برج السرطان هو بمنزلة استوائها فى الصيف
فى كبد السماء كما أن حلولها برأس الجدى عند الانتهاء فى الشتاء
[فى - ٢] قصر الأيام و طول الليالى هو بمثابة استوائها فيما يقابل

(١) من ظ ، و فى الأصل : بحال (٢) زيد من ظ .

استواءها

استواءها فى الشتاء فى كبد السماء فى النهار[١] - ذكر ذلك ابن برجان و قال بعد ذلك : سخر سبحانه لعباده جهنم - أى بواسطة الشمس - و هى أعدى عدو لهم ، فأخرج لهما بواسطتها الزرع و الزيتون و الرمان و النخيل و الأعناب و الجنان المعروشات و غير المعروشات و من كل الثمرات .

و لما كان فى [٢]هذا من[٢] النعم مالايحصى، قال مسببا : ﴿فبأى الآء ربكما﴾ ٥ الذى [٣]دبر لكم[٣] هذا التدبير العظيم ﴿تكذبن ﴾ أى بنعمة البصر من جهة اليمين أو غيرها من تسخير الشمس و القمر دائبين دائرين لإدارة الزمان و تجديد الأيام ، و عدد الشهور و الأعوام ، و اعتدال الهواء و اختلاف الأحوال على الوجه الملائم لمصالح الدنيا و معايشها على منهاج محفوظ و قانون لايزيغ . ١٠

و لما كانت باحة البحر لجرى[٤] المراكب كساحة السماء لسير الكواكب مع [ما - [٤]] اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق و المغارب للشتاء الحاصل فيه من الأمطار ما لو جرى على القياس لأفاض البحار ، فأغرقت البرارى و القفار، و علت[٥] على الأمصار و جميع الأقطار ، فقال : ﴿مرج﴾ أى أرسل الرحمن ﴿البحرين﴾ أى الملح و العذب فجعلهما مضطربين ، ١٥ من طبعهما الاضطراب ، حال كونهما ﴿يلتقين ﴾ أى يتماسان[٦] على ظهر الأرض بلا فصل بينهما فى رؤية العين و فى باطنها ، فجعل الحلو آية دالة

(١) من ظ ، و فى الأصل : النار (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : دبر لما (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرى (٥) من ظ ، و فى الأصل : غلب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتمسان .

/ ١٤٨ على مياه الجنة، و الملح آية دالة على بعض شراب أهل النار / لايروى شاربه و لايغنيه، بل يحرق بطنه و يعييه، أو بحرى فارس و الروم هما ملتقيان فى البحر المحيط لكونهما خليجين منه.

[1] و لما كان التقاء المايعين و لاسيما مع الاضطراب الدائم الاختلاط[1] ٥ فيحيل ما لأحدهما أو لكل منهما من الصفات إلى الصفات الأخرى، فتشوفت النفس إلى المانع[2] من مثل ذلك فى البحرين، قال[3] مستأنفا: ﴿بينهما برزخ﴾ أى حاجز عظيم من القدرة المجردة على الأول و تسبيب الأرض على الثانى يمنعهما مع[4] الالتقاء من الاختلاط، و قال ابن برجان: البرزخ ما ليس هو بصريح هذا و لابصريح هذا، فكذلك السهل ١٠ و الجبل بينهما برزخ يسمى الخيف، كذلك الليل و النهار بينهما برزخ يسمى غبشا، كذلك بين الدنيا و الآخرة برزخ ليس من هذا و لا من هذا و لا هو خارج عنهما، و كذلك الربيعان هما[5] برزخان بين الشتاء و الصيف بمنزلة غبش أول النهار و غبش آخره، جعل بين[6] كل صنفين من الموجودات برزخا ليس من هذا و لا من هذا و هو منهما كالجماد ١٥ و النبات و الحيوان[7].

و لما كانت نتيجة ذلك كذلك قال: ﴿لايبغين﴾ أى لايطغيان فى هلاك الناس كما طغيا فأهلكا من على الأرض أيام نوح عليه الصلاة و السلام

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: النافع (٣) من ظ، و فى الأصل: فقال (٤) فى ظ: من (٥) من ظ، و فى الأصل: هو (٦) من ظ، و فى الأصل: سر (٧) من ظ، و فى الأصل: الحيوانات.

و السلام ، و لا يبغى واحد منهما على الآخر بالممارجة ، و لا يتجاوزان ما حده لهما خالقهما و مدبرهما لا فى الظاهر و لا فى الباطن ، فمتى حفرت على جنب المالح وجدت الماء العذب ، و إن قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان أحلى ، فخلطهما الله سبحانه فى رأى العين و حجز بينهما فى رأى عين القدرة ، هذا و هما جمادان لانطق لهما و لا إدراك ، فكيف يبغى ٥ بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء .

و لما كان هذا أمرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لاسيما على الآخرة ، قال مسببا عنه : ﴿فبأيّ 'الآء ربكما﴾ أى الموجد لكما و المربى ﴿ تكذبٰن ﴾ أى بنعمة الإبصار من جهة اليسار أو غيره ، فهلا اعتبرتم بهذه الأصول من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلمكم بهذه البرازخ ١٠ أن موتكم هذه برزخ و فصل بين الدنيا و الآخرة كالعشاء بين الليل و النهار ، و لو استقرأتم[١] ذلك فى ايات السماوات و الأرض وجدتموه شائعا فى جميع الأكوان .

و لما ذكر المنة بالبحر ذكر النعمة بما ينبت فيه كما فعل بالبر ، فقال معبرا بالمبنى للفعول لأن كلا من وجوده فيه و التسليط على إخراجه ١٥ منه خارق من غير نظر إلى مخرج معين ، و النعمة نفس الخروج ، و لذلك قرأ [غير –[٢]] نافع و البصريين بالبناء[٣] للفاعل من الخروج : ﴿ يخرج منهما ﴾ أى بمخالطة العذب الملح من غير واسطة أو بواسطة السحاب ، فصار ذلك

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : استقرانكم (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٧ / ١٤٤ .

كالذكر والأنثى، قال الرازي: فيكون العذب كاللقاح للملح، و قال أبو حيان[1]: قال الجمهور: إنما يخرج من الأجاج في المواضع التي يقع فيها الأنهار و المياه العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما، و هذا مشهور عند الغواصين، و قال ابن عباس رضي الله عنهما و عكرمة مولاه رضي الله عنه: / تكون هذه الأشياء ١٤٩ / في البحر بنزول المطر لأن الصدف [و غيرها] تفتح أفواهها للمطر - انتهى. فتكون الأصداف كالأرحام للنطف و ماء البحر كالجسد الغاذي، و الدليل على أنه من ماء المطر كما قال الأستاذ حمزة الكرماني: إن من المشهور أن السنة إذا أجدبت هزلت الحيتان، و قلت الأصداف و الجواهر - انتهى. ثم لاشك في أنهما و إن كانا بحرين فقد جمعهما وصف واحد بكونهما [ماء -[2]]، فيسوغ إسناد الخروج إليهما كما يسند خروج الإنسان إلى جميع البلد، و إنما خرج من دار منها كما نسب الرسل إلى الجن و الإنس بجمعهما في خطاب و احد فقال "رسل منكم" وكذا "و جعل القمر فيهن نورا" و مثله كثير ﴿ اللؤلؤ ﴾ و هو الدر الذي [هو -[2]] في غاية البياض و الإشراق و الصفاء ﴿ و المرجان ﴾ أي القضبان الحمر التي هي في غاية الحمرة، فسبحان من غاير بينهما في اللون و المنافع و الكون - نقل هذا [القول -[2]] ابن عطية عن ابن مسعود رضي الله عنه، و قال: [و -[2]] هذا هو المشهور الاستعمال - [انتهى -[2]]، و قال جمع كثير: [إن -[2]] اللؤلؤ كبار الدر و المرجان صغاره.

و لما كان ذلك من جليل النعم[3]، سبب عنه قوله: ﴿ فبأي آلاء ربكما ﴾

(١) راجع البحر المحيط ١٩١/٨ (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل: المنعم، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

أي

أى المالك لكما الذى هو الملك الأعظم ﴿تكذبٰن ە﴾ مع هذه الصنائع [العظمى -[1]] ، أبنعمة البصر من جهة الفوق أو غير ذلك من خلق المنافع فى البحار و تسليطكم عليها و إخراج الحلى الغريبة و غيرها .

و لما كان قد ذكر سبحانه الخارج منه بماء السماء، ذكر السائر عليه[2] بالهواء، و أشار بتقديم الجار إلى أن السائر فى الفلك لاتصريف له، و إن ٥ ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف، فقال : ﴿و له﴾ اى لا لغيره، فلا تغتروا بالأسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيئا من ذلك إليها كما وقف أهل الاغترار بالشاهد، الذين هم أجمد أهل[3] الارض أذهانا و أحقرهم شأنا فقالوا بالاتحاد و الوحدة ﴿ الجوار ﴾ أى السفن الكبار و الصغار الفارغة و المشحونة . و لما كانت حياة كل شيء كونه على صفة كماله، ١٠ و كانت السفن تبنى من خشب يجمع و توصل حتى تصير على هيئة تقبل المنافع الجمة ، و كانت تربى بذلك الجمع كما تربى النبات و الحيوان، و كانت ترتفع على البحر و يرفع شراعها و تحدث فى البحر بعد أن كانت مستترة بجبال الأمواج[2] قال تعالى : ﴿المنشئت﴾ من نشأ - إذا حيي و ربا، و السحابة : ارتفعت ، و أصل الناشيء كل ما حدث بالليل و بدأ، و معنى ١٥ قراءة حمزة[4] و أبي بكر بكسر الشين أنها رافعة شراعها بسبب استمساكها عن الرسوب و منشئة للسير ، و معنى قراءة الباقين أنه أنشأها الصانع و أرسلها و رفع شراعها .

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٣) من ظ ، و فى الاصل : الاموال (٤) راجع نثر المرجان ٧/ ١٤٠ .

و لما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع أنه ليس لها
من نفسها إلا الرسوب و الغوص قال: ﴿ فى البحر ﴾ و لما كانت ترى
على البعد كالجبال على وجه الماء قال: ﴿ كالاعلام ﴾ / أى كالجبال الطوال. ١٥٠ /
و لما كان ما فيها من المنافع بالتكسب من البحر بالصيد و غيره و التوصل
٥ إلى البلاد الشاسعة للفوائد الهائلة ، و كانت أعمالهم فى البحر الإخلاص
[الذى -[1]] يلزم منها الإخلاص فى البر ، لأنهما بالنسبة إلى إبداعه لهما
و قدرته على التصرف فيهما بكل ما يريده على حد سواء ، سبب عن ذلك
قوله : ﴿ فباى الآء ربكما ﴾ أى النعمة العظمى ﴿ تكذبٰن ﴾ أبنعمة البصر
من تحتكم أو غيرها من الأسفار، فى محل الأخطار ، و الإنجاء عند الاضطراب
١٠ و الربح فى محل الخسار ، و الإرشاد إلى ذلك بعـــد خلق مواد السفن[2]
و تعليم صنعتها و تسخيرها و الفلك لعدصى لوهما (؟) بمثابة جميع الكون ،
لخدامها كالملائكة فى إقامة الملكوت و تحسين تماسكه بـاذن ربهم ،
و المسافرون بها الذين أنشئت لأجلهم وزان المأمورين المكلفين المتهيئين
الذين من أجلهم خلقت السماوات و الأرض و ما بينهما فعبر بهـم من
١٥ غربتهم إلى قرارهم ، و من غيبتهم إلى حضورهم و مشاهدهم ، و مدبرها أمرها
فى أعلاها يأمرهم بأمره فيعدونه و يسمعون له ، ثم قد يصرف الاعتبار
إلى أن تكون آية على قطع المؤمن أيام الدنيا فالدنيا هى البحر ، و السفينة
جسمه ، و باطن العبد هو المحمول فيها ، و العقل صاحب سياستها ، و القوى
خدمتها ، و أمر الله و تدبيره محيط بها ، و الإيمان أمنتها ، و التوفيق

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الشخص .

ريحها ، و الذكر شراعها ، و الرسول سائقها بما جاء به من عند ربه ، و العمل الطيب يصلح شأنها - ذكر ذلك ابن برجان .

و لما أخبر تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و ما بث فيهما من المنافع [من الأعيان -[1]] و المعانى ، و استوفى الأرض بقسميها برا و بحرا ، مضمنا ذلك العناصر الأربعة التى[2] أسس عليها المركبات ، و كان أعجب ٥ ما للمخلوق من الصنائع ما فى البحر ، و كان راكبه فى حكم العدم ، دل على أنه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق ، فقال مستأنفا معبرا بالاسمية الدالة على الثبات و بـ « من » للدلالة على التصريح تهويلا بفناء العاقل [على فناء غير العاقل -[1]] بطريق الأولى : ﴿ كل من عليها ﴾ أى الأرض بقسميها و السماء أيضا ﴿ فان ج ﴾ أى هالك و معدوم بالفعل ١٠ بعد أن كان هو و غيره من سائر ما [سوى -[1]] إليه ، و ليس لذلك كله من ذاته إلا العدم ، فهو فان بهذا الاعتبار ، و إن كان موجودا فوجوده بين عدمين أولهما أنه لم يكن ، [و] ثانيهما أنه يزول ثم هو فيما [بين -[1]] ذلك يتعاوره [3]الايجاد و الإفناء فى[3] حين من أحواله و أعراضه و قواه ، و أسباب الهلاك محيطة به حسا و معنى و هو لايراها كما أنها ١٥ محيطة بمن هو فى السفينه من فوقه و من تحته و من جميع جهاته .

و لما كان الوجه أشرف ما فى الوجود ، و كان يعبر به عما أريد به صاحب الوجه مع أنه لايتصور بقاء الوجه بدون صاحبه ، فكان

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء أعظم و أدل على الكمال، و كان من
المقرر عند أهل الشرع أنه سبحانه ليس كمثله شيء فلا / يتوهم أحد /١٥١
[منهم -[1]] من التعبير به نقصا قال: ﴿و يبقى﴾ أى بعد فناء الكل،
بقاء مستمرا إلى ما لا نهاية له ﴿وجه ربك﴾ أى المربى لك بالرسالة
٥ والترقية بهذا الوحى إلى ما لا يحد من المعارف، و كل عمل أريد به
وجهه سبحانه و تعالى خالصا. و لما ذكر مباينته للمخلوقات، وصفه بالإحاطة
الكاملة بالنزاهة و الحمد، و قال واصفا الوجه لأن المراد به الذات الذى
[هو] أشرفها معبرا به و[لأنها] أبلغ من «صاحب» و بما ينبه على التنزيه
عما ربما توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع المحسوسات يقيس الغائب
١٠ - الذى لا يعتريه حاجة و لا يلم بجنابه الأقدس نقص - بالشاهد الذى كله
نقص و حاجة ﴿ذو الجلل﴾ أى العظمة التى لا ترام و هو صفة ذاته
التى تقتضى إجلاله عن كل ما لا يليق به ﴿و الاكرام ج﴾ أى الإحسان
العام و هو صفة فعله.

و لما كان الموت نفسه فيه نعم لا تنكر، و كان موت ناس نعمة
١٥ على ناس، مع ما ختم به الآية من وصفه بالإنعام قال: ﴿فبأى آلاء ربكما﴾
أى [المربى لكما على هذا الوجه الذى مآله إلى العدم إلى أجل مسمى -[1]]
﴿تكذبن ه﴾[2] أى أيها الثقلان[2] الإنس و الجان، أبنعمة السمع من جهة الأمام
أو غيرها من إيجاد الخلق ثم إعدامهم و تخليف بعضهم فى أثر بعض

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل «تكذبان»
و الترتيب من ظ.

و إيراث

و إيراث البعض ما فى يد البعض - و نحو ذلك من أمور لايدركها على جهتها إلا الله تعالى .

و لما كان أدل دليل على العدم الحاجة ، و على دوام الوجود الغنى، قال دليلا على ما قبله : ﴿ يسئله ﴾ [1]أى على سبيل[1] التجدد و الاستمرار ﴿من فى السمٰوت ﴾ أى كلهم ﴿ و الارض[5] ﴾ أى كلهم من ناطق ٥ أو صامت بلسان الحال أو القال [أو بها -[2]] ، و لما كان كأنه قيل : فما [3]ذا يفعل[3] عند السؤال، و كان اقل الأوقات المحدودة المحسوسة "اليوم"، عبر به عن أقل الزمان كما عبر [به - [2]] عن أخف الموزونات بالذرة فقال مجيبا لذلك : ﴿ كل يوم ﴾ أى وقت من الأوقات من[4] يوم السبت و على اليهود لعنة الله و غضبه حيث قالوا فى السبت ما هو مناف لقوله ١٠ سبحانه و تعالى " و لقد خلقنا السمٰوت و الارض و ما بينهما فى ستة ايام و ما مسنا من لغوب " " و لايؤده حفظهما و هو العلى العظيم " ﴿ هو فى شان ﴾ أى من إحداث أعيان و تجديد معان أو إعدام ذلك، قال القشيرى: [فى -[2]] فنون أقسام المخلوقات و ما يجريه عليها من اختلاف[5] الصفات - انتهى . و هو شؤن يبديها لاشؤن يبتدئها تتعلق قدرته على وفق ١٥ إرادته على ما تعلق به العلم فى الأزل أنه يكون أو يعدم فى أوقاته، فكل شىء قانت له خاضع لديه ساجد لعظمته شاهد لقدرته دال عليه " و ان من شىء الا يسبح بحمده " و ذلك التعبير - مع أنه من أجل النعم - أدل دليل على

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : سوال (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : هو الفعل (٤) فى ظ : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختلاف و.

صفات الكمال [له و صفات - ١] النقص للتغيرات و أنها عدم فى نفسها و لأنها نعم قال : ﴿ فبأيّ آلآء ربكما ﴾ أى المربى لكما بهذا التدبير العظيم لكل ما يصلحكما ﴿ تكذبٰن ﴾ أبنعمة السمع من [جهة - ١] الخلف أو غيرها من تصريفه إياكم فيما خلقكم له هو أعلم به منكم من معايشكم ٥ و جميع تقلباتكم ، و قد تكررت فى هذه الآية المقررة على النعم من أولها إلى هنا ثمانى مرات عقب النعم إشارة - و الله أعلم - إلى أن نعمه الله سبحانه و تعالى / لاتحصى لأنها تزيد على السبعة التى هى العدد التام ١٥٢ / الواحد هو مبدأ لدور جديد[٢] من العدد إشارة إلى أنه كلما انقضى منها دور ابتدأ دور آخر ، و وجه آخر و هو أن الأخيرة صرح فيها بـ «من ١٠ فى السماوات و الأرض » و السبع التى قبلها يختص بأهل الأرض إشارة إلى أن أمهات النعم سبع كالسماوات و الأرض و الكواكب السيارة و نحو ذلك .

و لما انقضى عد النعم العظام على وجه هو فى غاية الإمكان من البيان ، و كان تغير سائر الممكنات من النبات و الجماد و الملائكة و السماوات ١٥ [و الأرض - ١] و ما حوتا[٣] مما عدا الثقلين على نظام واحد لاتفاوت فيه ، و أما الثقلان فأحوالهما لأجل تنازع العقل و الشهوات لاتكاد تنضبط ، بل تغير حال الواحد منهم فى اللحظة الواحدة إلى ألوان كثيرة متضادة لما فيهم من المكر و أحوال المغالبة و البغى و الاستئثار باللهو

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : حد (٣) من ظ ، و فى الأصل : حوت .

بالأمر و النهي ، و كان أكثرهم يموت بناره من غير أخذ ثأره ، و اقتضت الحكمة و لا بد أنه لابد لهم من يوم يجتمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل على ميزان العدل ، خصهما بالذكر فقال آتيا في النهاية بالوعيد لأنه ليس للعصاة بعد الإنعام و البيان إلا التهديد الشديد للرجوع إلى طاعة الملك الديان ، و الالتفات في قراءة الجماعة بالنون إلى التكلم أشد تهديدا من ٥ قراءة[1] حمزة و الكسائي بالتحتية على نسق ما مضى : ﴿ سنفرغ ﴾ أي بوعد[2] قريب لاخلف فيه من[3] جميع الشؤن التي ذكرت ﴿ لكم ﴾ أي نعمل عمل من يفرغ للشيء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا من الملائكة و غيرهم مما أمرناهم به مما سبقت به كلمتنا و مضت به حكمتنا من الآجال و الأرزاق و غير ذلك فينتهي كله و لا يكون لهم ١٠ حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضي بينكم : ﴿ايّه الثقلن ۚ﴾ بالنصفة[4] ، و الثقل هو ما يكون به قوام صاحبه ، فكأنهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك إشارة إلى أنهما المقصودان[5] بالذات من الخلائق ، [و - [6]] قال الرازي في اللوامع : وصفا بذلك يعظم ذلك شأنهما ، كأن ما عداهما لاوزن له[7] بالإضافة إليهما - انتهى . و هذا كما قال صلى الله عليه و سلم " اني تارك ١٥ فيكم الثقلين : كتاب الله و عترتي " و قال جعفر الصادق : سميا بذلك لأنهما مثقلان بالذنوب .

(١) راجع نثر المرجان ٧/١٤٧ (٢) من ظ ، و في الأصل : بوعيد (٣) في ظ : عن (٤) من ظ ، و في الأصل : بالصفه (٥) من ظ ، و في الأصل : المقصود . (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و في الأصل : لها .

و لما كان هذا من اجلّ النعم التى يدور عليها العباد، و يصلح بها البلاد، و تقوم بها السماوات و الأرض، لأن مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر و لا ينفع، فكيف بالتهديد يوم الفصل قال: ﴿ فبایّ 'الآء ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بهذا الصنع

٥ [المحكم - ١] ﴿ تكذبن ه ﴾ أبنعمة السمع عن اليمين أو بغيرها من إثابة اهل طاعته و عقوبة أهل معصيته، و سمى ابن برجان هذا الإخبار الذى لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته و ما هو خالقه، قال: و ذلك إخبار منه عن محض الواحدانية، و ما قبله من "سنفرغ" و نحوه و ما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته و جنوده و هو

١٠ خطاب البسط .

و لما كان التهديد بالفراغ ربما أوهم أنهم الآن معجوز عنهم او عن بعض أمرهم، بين بخطاب القبض المظهر لمحض الوحدانية أنهم فى القبضة، لافعل لأحد منهم بدليل أنهم / لايصلون إلى جميع مرادهم مما هو فى مقدورهم، و لكنه ستر ذلك بالأسباب التى يوجب التقيد بها إسناد الأمور /١٥٣

١٥ إلى مباشرتها فقال بيانا للمراد بالثقلين: ﴿ يـٰمعشر ﴾ أى يا جماعة فيهم الأهلية و العشرة و التصادق ﴿ الجن ﴾ قدمهم لمزيد قوتهم و نفوذهم فى المسام و قدرتهم على الخفاء و التشكل فى الصور بما ظن أنهم لايعجزهم شىء ﴿ و الانس ﴾ أى الخواص و المستأنسين و المؤانسين المبنى أمرهم على الإقامة و الاجتماع .

٢٠ و لما بان بهذه التسمية المراد بالتثنيه، جمع دلالة على كثرتهم فقال: أن

﴿ان استطعتم﴾ [أى -[1]] إن وجدت لكم طاعة الكون فى ﴿ان تنفذوا﴾ أى تسلكوا بأجسامكم و تمضوا من غير مانع يمنعكم ﴿من اقطار﴾ أى نواحى ﴿السموٰت و الارض﴾ التى يتخللها القطر لسهولة انفتاحها لشيء تريدونه من هرب من الله من إيقاع الجزاء بينكم، أو عصيان عليه فى قبول أحكامه[2] و جرى مراداته و أقضيته عليكم من الموت و غيره أو غير ذلك ٥ ﴿فانفذوا[4]﴾ و هذا يدل على أن كل واحدة منها محيطة بالأخرى لأن النفوذ لايكون حقيقة إلا مع الخرق.

و لما كان نفوذهم [3]فى حد[3] ذاته ممكنا و لكنه منعهم من ذلك بانه لم يخلق فى أحد منهم قوته و لاسيما و قد منعهم منه يوم القيامة بأمور منها إحداق أهل السماوات السبع [بهم -[1]] صفا بعد صف و سرادق ١٠ النار قد أحاط بالكافرين و لامنفذ لأحد إلا على الصراط و لايجوزه إلا كل ضامر يخف، أشار إليه بقوله مستأنفا: ﴿لاتنفذون﴾ أى [من -[1]] شيء من ذلك ﴿الا بسلطٰن ج﴾ إلا بتسليط عظيم منه سبحانه بأمر قاهر و قدرة بالغة و أنى لكم بالقدرة على ذلك، قال البغوى[4]: و فى الخبر: يحاط [5]على الخلق[5] بالملائكة و بلسان من نار[6] ثم ينادون: يا معشر الجن ١٥ - الآية. انتهى، و هذا حكاية ما يكون من ذلك يوم القيامة لا أنه خاص بهم.

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: احكامها (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: الابحد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/ ٦ (٥-٥) من ظ و المعالم، و فى الأصل: بالخلق (٦) زيد فى الأصل: جهنم، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعالم فحذفناها.

و لما كان هذا نظرهم فيما بينهم و بين بقية الحيوانات بما أعطاهم من القوى[1] الحسية و المعنوية و ما نصب لهم من المصاعد العقلية و المعارج النقلية التي ينفذون بها إلى غاية الكائنات و يتخللون بما يؤديهم[2] إليه علمها إلى أعلى المخلوقات، ثم نظرهم فيما بين الحيوانات و بين النباتات ثم بينها ٥ و بين الجمادات دالا دلالة واضحة على أنه سبحانه و تعالى يعطي من يشاء ما يشاء، فلو أراد قواهم على النفوذ منها، و لو قواهم على ذلك لكان من أجل النعم، و أنه سبحانه قادر على ما يريد منهم، فلوشاء أهلكهم و لكنه يؤخرهم إلى آجالهم حلما[3] منه و عفوا منه عنهم، سبب عن ذلك قوله: ﴿فبأيّ آلآء ربكما﴾ أي المحسن إليكما المربي لكما بما تعرفون به ١٠ قدرته على كل ما يريد ﴿تكذبٰن ه﴾ أبنعمة السمع من جهة اليسار أو غيرها من جعلكم سواء في أنكم لاتقدرون على مخالفة مراده سواء كنتم جمعا أو فرادى، أو من ضمكم إلى يوم الجمع و قد جمعكم قبل حين ابتدأ بخلقكم أو اليوم المشهود و قد أشهدكم قبل على أنفسكم و عهد إليكم أو بتكشيط السماوات و قد شاهدتم / تكشيط السحاب بعد بسطه، /١٥٤ ١٥ أو بالجزاء و قد رأيتم الجزاء العاجل و شاهدتم ما أصاب الأمم الماضية ه

و لما سلب عنهم القدرة على النفوذ المذكور تنبيها على سلب جميع القدرة عنهم و على أن ما يقدرون عليه إنما هو بتقديره لهم نعمة منه عليهم، و لما كان منهم من بلغ الغاية في قسوة القلب و جمود الفكر

(١) من ظ، و في الأصل: القوة (٢) من ظ، و في الأصل: يؤيديهم.
(٣) من ظ، و في الأصل: حكما.

فهو يحيل العجز عن بعض الأمور إلى انه لم يجر بذلك عادة، لا إلى انه سبحانه[المانـــع من ذلك، فعمهم[1]؟[شيء من ذلك سطوته فقال: ﴿ يرسل عليكما ﴾ أى أيها المعاندون، قال ابن عباس رضى الله عنهما: حين [تخرجون من القبور -[2]] بسوقكم إلى المحشر ﴿شواظ﴾ أى لهب عظيم منتشر مع التضايق محيط بكم من كل جانب له صوت شديد كهيئته ٥ ذى الحلق الضيق الشديد النفس.

و لما كان الشواظ يطلق على اللهب الذى لا دخان فيه و على دخان النار و حرها و على غير ذلك، بينه بقوله: ﴿ من نار ۬ و نحاس ﴾ أى دخان هو فى غاية الفظاعة فيه شرر متطاير و قطر مذاب، قال ابن جرير[3]: و العرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون و كسرها، و أجمع القراء على ١٠ ضمها - انتهى. و جرها أبو عمرو و ابن كثير عطفا على "نار" و رفعه الباقون[4] عطفا على "شواظ".

و لما كان ذلك ممكنا عقلا و عادة، و كانوا عارفين بأنهم لو وقعوا فى مثل[5] ذلك لم يتخلصوا منه بوجه، سبب عنه قوله: ﴿فلا تنتصرٰن ۚ﴾ قال ابن برجان: هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: يخرج عنق ١٥ من نار فيقول بكل جبار عنيد فيلتقطهم من بين الجمع لقط الحمام حب السمسم، و يغشى المجرمين دخان جهنم من بين المؤمنين و لا يضرهم، و آية الشواظ

---

(١) من ظ، و فى الأصل: فعمم (٢) زيد من ظ (٣) راجع جامع البيان ٢٧/ تفسير هذه الآية (٤) راجع نثر المرجان ٢٧/١٥٠ (٥) من ظ، و فى الأصل: ملك.

و عنق النار هنالك صواعق ما هنا و بروقه و النار المعهودة .

و لما كان التهديد بهذا لطفا بهم فهو نعمة عليهم و العفو عن المعالجة بارساله لذلك ، سبب عنه قوله : ﴿فبأيّ ءالآء ربكما﴾ أى المربى لكما بدفع البلايا و جلب المنافع ﴿تكذبٰن﴾ أبنعمة السمع من فوق أو غيرها ، ٥ ألم يكن لكم فيما شهدتموه فى الدنيا من دلائل ذلك و آياته ما يوجب لكم الإيمان . و لما كان هذا مما لم تجر عادة بعمومه و إن استطردت بجريانه منه فى أشياء منه فى أماكن متفرقة كأشخاص كثيرة ، بين لهم وقته بقوله : ﴿فاذا﴾ أى فيتسبب عن هذا الإرسال أنه إذا ﴿انشقت السمآء﴾ من هوله و عظمته فكانت أبوابا لنزول الملائكة و غيرهم ، و غير ذلك ١٠ من آيات الله ﴿فكانت﴾ لما يصيبها من الحر ﴿وردة﴾ أى حمراء مشرقة من شدة لهيبه ، و قال البغوى[1] : كلون الفرس الورد و هو الأبيض الذى يضرب إلى حمرة و صفرة . ﴿كالدهان ج﴾ أى ذائبة صافية كالشىء الذى يدهن به أو كالأديم الأحمر و المكان الزلق ، و آية ذلك فى الدنيا الشفقان عند الطلوع و عند الغروب ، و جواب «إذا» محذوف ١٥ تقديره : علمتم ذلك علما شهوديا ، أو فما اعظم الهول حينئذ و نحو ذا أن يكون الجواب شيئا دلت عليه [2]الآيات الآتية[2] نحو : فلا يسأل أحد إذ ذاك عن ذنبه ، و حذفه أفخم / [5]ليذهب الوهم فيه كل مذهب . /١٥٥

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧/٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : هى (٤) من ظ . وفى الأصل : التاخير (٥) و العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه جرى نسخها من ظ إطمس نسخة الأصل .

و لما كان حفظ السماء عن مثل ذلك بتأخير إرسال هذا و غيره من الأسباب و جعلها محل الروح و الحياة و الرزق من اعظم الفواضل قال مسبيا عنه: ﴿ فبأيّ الآء ربكما ﴾ أى المربى لكما هذا التدبير المتقن ﴿ تكذبٰن ه ﴾ أبنعمة السمع من تحت أو غيرها و ليس شىء بما أخبرتكم به من أحوال الآخرة إلا قد أقمت لكم فى الدنيا ما تهتدون به إلى العلم ٥ بكونه . و لما كان يوم القيامة ذا ألوان كثيرة و مواقف مهولة طويلة شهيرة تكون فى كل منها شؤن عظيمة و أمور كبيره، ذكر بعض ما سببه هذا الوقت من التعريف بالعاصى و الطائع بآيات جعلها الله سببا فى علمها فقال: ﴿ فيومئذ ﴾ أى فسبب عن يوم انشقت السماء لأنه ﴿ لا يسئل ﴾ سؤال تعرف و استعلام بل سؤال تقريع و توبيخ و كلام، و ذلك أنه ١٠ لا يقال له: هل فعلت كذا؟ بل يقال له: لم فعلت كذا، على أنه ذلك اليوم طويل، و هو ذو ألوان تارة يسئل فيه و تارة لا يسئل، و الأمر فى غاية الشدة، و كل لون من تلك الألوان يسمى يوما، فقد مضى فى الفاتحة أن اليوم عبارة عن وقت يمتد إلى انقضاء أمر مقدر فيه ظاهر من ليل أو نهار أو غيرهما لقوله تعالى "إلى ربك يومئذ المساق" أى يوم إذا بلغت ١٥ الروح التراقى و هو لا يختص بليل و لا نهار، و بناه للفعول تعظيما للأمر بالإشارة إلى أن شأن المعترف بالذنب لا يكون خاصا بعهد دون عهد بل يعرفه كل من أراد علمه، و أضمر قبل الذكر لما هو مقدم فى الرتبة ليفهم الاختصاص فوحد الضمير لأجل اللفظ فقال: ﴿ عن ذنبهٓ ﴾ أى خاصة و قد سئل المحسن عن حسنته سؤال تشريف له و تنديم لمن دونه .

و لما كان الإنس أعظم مقصود بهذا . و لهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منهم، و كان التعريف بالشاهد المألوف أعظم فى التعريف ، و كان علم أحوال الشيء الظاهر أسهل، قدمهم فقال : ﴿ انس ﴾ ولما كان لا يلزم من علم أحوال الظاهر علم أحوال الخفى، بين أن الكل عليه سبحانه ٥ هين فقال : ﴿ و لا جآن ج ﴾ و لما كان هذا التمييز من أجل النعم لئلا يؤدى الالتباس إلى رويع بعض المطيعين عاملا(؟) او نكاية بالسؤال عنه قال : ﴿ فباى ّ الآء ربكما ﴾ أى الذى ربى كلا منكم بما لا مطمع فى إنكاره و لا خفاء فيه ﴿ تكذبن ه ﴾ أبنعمة الشم من الأمام أم من غيرها .

و لما كان الكلام عاما عرف أنه خاص بتعرف المجرم من غيره دون ١٠ التعزير بالذنب أو غيره من الأحوال فقال معللا لعدم السؤال : ﴿ يعرف ﴾ أى لكل أحد ﴿ المجرمون ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف ﴿ بسيمهم ﴾ أى العلامات التى صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة، و ظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف أن الليل إذا جاء لا يخفى على أحد أصلا و كذلك النهار و نحوهما لغير الأعمى، و تلك السيما ـ و الله أعلم ـ ١٥ زرقة العيون و سواد الوجوه و العمى و الصمم و المشى على الوجوه و نحو ذلك، و كما يعرف المحسنون سيماهم من بياض الوجوه و إشراقها و تبسمها، و الغرة و التحجيل و نحو ذلك، و سبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا بالبناء للمفعول إلى سهولة الأخذ من أى آخذ كان ﴿ فيؤخذ بالنواصى ﴾ أى منهم و هى مقدمات الرؤس ﴿ و الاقدام ج ﴾ بعد[2] ان يجمع بينهما

(١) من هنا استأنف الأصل (٢) من ظ ، و فى الأصل : بين

كما انهم كانوا [هم -[1]] يجمعون ما[2] أمر الله به ان يفرق، و يفرقون[3] ما أمر الله به أن يجمع، فيسحبون بها سحبا من كل ساحب[4] اقامه الله لذلك لايقدرون على الامتناع بوجه فيلقون[5] فى النار.

و لما كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لكل من يسمعها لأن كل أحد ينتفى[6] من الاجرام[7] و يود للجرمين[8] عظيم الانتقام، سبب عنه قوله: ٥ ﴿فبأىّ ءالآء ربكما﴾ اى النعم الكبار من الذى دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم ﴿تكذبٰن ه﴾ أبنعمة الشم من الوراء أم بغيرها عما يجب ان يفعل من الجزاء فى الآخرة لكل شخص بما كان يعمل[9] فى الدنيا أو غير ذلك من الفضل.

و لما كان أخذهم على هذا الوجه مؤذنا بأنه [يصير] إلى خزى عظيم، ١٠ صرح به فى قوله، بانيا على ما هدى إليه السياق [10]من نحو[10]: أخذا مقولا فيه عند وصولهم إلى محل النكال على الحال التى ذكرت من الأخذ بنواصيهم و أقدامهم: ﴿هذه﴾ [أى -[1]] الحفرة العظيمة الكريهة المنظر [11]القريبة منكم[11] [الملازمة لقرب لكم -[1]] ﴿جهنم التى يكذب﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: من (٣) زيد فى الأصل: و يفرق، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل: سحب (٥) من ظ، و فى الأصل: فيلتقون (٦) من ظ، و فى الأصل: ينبغى (٧) من ظ، و فى الأصل: الاحترام (٨) من ظ، و فى الأصل: المجرمون (٩) من ظ، و فى الأصل: يفعل (١٠-١٠) من ظ، و فى الأصل: بنحو (١١-١١) من ظ، و فى الأصل: القريب لكم.

اى ماضيا و حالا و مآلا استهانة «و لو ردوا إلى الدنيا ـ بعد إدخالهم إياها ـ لعادوا لما نهوا عنه» ﴿بها المجرمون ه﴾ أى العريقون فى الإجرام، و هو قطع ما من حقه أن يوصل [و هو ـ[1]] ما أمر الله به، و خص هذا الاسم إشارة إلى أنها تلقاهم بالتجهم و العبوسة و الكلاحة و الفظاظة

٥ كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الإجرام [المذكور ـ[1]] : قال ابن برجان: و قرأ عبد الله "هذه جهنم التى كنتم بها تكذبٰن فتصليانها[2] لا تموتان فيها و لا تحييان" ثم استأنف ما يفعل بهم فيها فقال: ﴿ يطوفون بينها ﴾ أى بين دركة النار التى تتجهمهم ﴿ و بين حميم ﴾ أى ماء حار هو من شدة حرارته ذو دخان .

١٠ و لما كان هذا الاسم يطلق على البارد، بين أمره فقال: ﴿ ءان ﴾ أى بالغ حره إلى غاية ليس وراءها غاية، قال الرازى فى اللوامع: و قيل: حاضر، و به سمى الحال بالآن لأنه الحاضر الموجود، فان الماضى لاتدارك[3] له و المستقبل أمل و ليس لنا إلا الآن، ثم «الآن» ليس بثابت طرفة عين، لأن الآن هو الجزء[4] المشترك بين زمانين، فهم دائما

١٥ يترددون بين عذابى النار المذيبة للظاهر و الماء المقطع بحره للباطن الذى لايزال حاضرا لهم تردد الطائف الذى لا أول لتردده و لا آخر .

و لما كان عذاب المجرم ـ القاطع لما من شأنه أن يكون متصلا ـ من أكبر النعم و أسرها لكل أحد حتى لمن سواه من المجرمين، سبب

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: بان تصليانها، و فى نثر المرجان ٧/١٥٣: تصليان (٣) من ظ، و فى الأصل: يدرك (٤) من ظ، و فى الأصل: الخبر.

قوله

قوله: ﴿ فبأيّ ءالآء ربكما ﴾ اى المحسن إليكما أيها الثقلان باهلاك المجرم
فى الدارين و إنجاء المسلم مما أهلك به المجرم لطفا بالمهدين ليرتدعوا
/و ينزجروا عما يكون سبب إهلاكهم [1]هم و من والاهم[1] ﴿ تكذبٰن ع ﴾ ١٥٧ /
أ بنعمة الشم من اليمين أم من غيرها مما أراكم من [2]اياته، و ظاهر عليكم
من بيناته، فى السماوات و الأرض، [2]و ما[3] أراكم من مطالع الدنيا من ٥
الشمس التى هى آية النهار و القمر الذى هو آية الزمهرير، و غير ذلك
من آياته المحكمة المرئية و المسموعة، و قد كررت هذه الآية عقب ذكر
النار و أهوالها سبع مرات تنبيها على استدفاع أبوابها السبعة[3] كما مضى -
و الله المستعان.

[1]و لما كان[1] قد عرف ما للجرم المجترئ على العظائم، و قدمه لما ١٠
اقتضاه مقام التكرير من الترهيب و جعله سبعا إشارة إلى أبواب النار
السبعة. عطف عليه ما للخائف الذى أداه خوفه إلى الطاعة و جعله
[ثمانية - [4]] على [عدد - [4]] أبواب الجنة الثمانية فقال: ﴿ و لمن ﴾
[اى - [4]] و لكل [من - [4]]، و وحد الضمير مراعاة للفظ «من»
إشارة إلى قلة الخائفين ﴿ خاف ﴾ أى من الثقلين. ١٥

و لما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب [و التدبير
و المكان المعد لها أبلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب - [4]] المدبر،
و الخوف مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: مما (٣) من ظ، و فى الأصل: السبع (٤) زيد من ظ.

اوصاف الجلال، قال دالا بذلك على ان المذكور رأس الخائفين[1] : ﴿ مقام ربه ﴾ أى مكان قيامه الذى يقيمه و غيره فيه المحسن إليه للحكم [2]و زمانه الذى ضربه[2] له و قيامه عليه ؛ على [غيره -[3]] بالتدبير ، فهو رقيب عليه و عليهم، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك لهذا ما يغضبه و فعل ما يرضيه ﴿ جنّتٰن ﴾ عن يمين و شمال، واحدة للعلم و العقل و أخرى للعمل، و يمكن أن يراد بالتثنية المبالغة إفهاما لأنها جنان متكررة و متكاثرة مثل " القيا فى جهنم كل كفّار عنيد " و نحو ذلك .

و لما كانت هذه نعمة جامعة، سبب عنها قوله : ﴿ فبأىّ ءالآء ربكما ﴾ أى نعم المربى لكما [4]و المحسن إليكما[4] باحسانه الكبار التى لا يقدر غيره على شىء منها ﴿ تكذّبٰن ﴾ أبنعمه الشم من اليسار المنبعثة[5] من القلب أو غيرها من تربة جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس و حرورها، فجعل من ذلك جميع الفواكه و الزروع إلى غير ذلك من المرافق التى طبخها بها "و كاين من اٰية فى السمٰوٰت و الارض يمرون عليها [و هم عنها معرضون " -[3]] و غير ذلك من نعمه التى لا تحصى .

و لما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع و [الألوان -[4]] و الفروع المشتبكة[6] و الأغصان، قال واصفا لهما : ﴿ ذواتا ﴾ أى صاحبتا[7]

(١) من ظ ، و فى الاصل : الخافقين (٢-٢) عبارة ما بين الرقمين تكررت فى الأصل ، و لم يكن التكرار فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الاصل : المنبعث (٦) فى ظ : المسكة (٧) من ظ ، و فى الاصل : صاحبا .

رد عين الكلمة فان اصلها «ذوو» ﴿افنان ﴾ أى جمع فن يتنوع فيه الثمار، و فن و هو الغصن المستقيم طولا الذى[1] تكون به الزينة بالورق و الثمر و كمال الانتفاع، قال عطاء: فى كل غصن فنون من الفاكهة؛ و لهذا سبب عنه قوله: ﴿فبأى الآء ربكما﴾ [أى] المربى لكما و المحسن إليكما ﴿تكذبن﴾ أبنعمة الشم من جهة الفوق أو غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذى ٥ جعل لكم من أمثاله ما تعتبرون به.

و لما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: ﴿فيهما عينن﴾ اى فى كل واحدة عين ﴿تجرين﴾ أى فى كل مكان شاء صاحبهما / و إن ١٥٨ / علا مكانه كما تصعد المياه فى الأشجار فى كل غصن منها، و إن زاد علوها جرى على عينى دموعه الجاريتين من خشية الله. و ذلك على ١٠ مثال جنان الدنيا، و الشمس صاعدة فى البروج[2] الشمالية من[3] تكامل المياه و تفجرها عيونا فى أيام الربيع و الصيف لقرب العهد بالأمطار ﴿فبأى الآء ربكما﴾ أى المالك لكما و المحسن إليكما ﴿تكذبن﴾ أبنعمة الشم من جهة التحت [أو غيرها -[4]] مما ذكره و جعل له فى الدنيا أمثالا كثيرا. ١٥

و لما كان بالمياه حياة النبات و زكاؤه، قال ذاكرا أفضل النبات: ﴿فيهما﴾ أى هاتين الجنتين العاليتين، و دل على جميع كل ما يعلم و زيادة بقوله: ﴿من كل فاكهة﴾ أى تعلمونها أو لا تعلمونها ﴿زوجن﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: البرزخ (٣) فى ظ: حين.
(٤) زيد من ظ.

أى صنفان[1] يكمل أحدهما بالآخر كما لايدرك كنه أحد الزوجين بسبب العمل بما يرضى و الآخر بالانتهاء عما يسخط ﴿فبأىّ[2] آلاء ربكما﴾ أى النعم الكبار التى رباها الموجد لكما المحسن إليكما ﴿ تكذبٰن ﴾ أبنعمة اللمس من الأمام أو غيرها من أنه أوجد لكما جنان الدنيا بواسطة
٥ حر النار التى هى أعدى عدوكما[3] إشارة إلى أنه قادر على أنه يوجد رضوانه و محبته من موضع غضبه و انتقامه إكراما ، فقد جعل ما فى الدنيا مثالا[4] لما ذكر فى الآخرة ، فبأى[5] شىء من ذلك تكذبان ، لا يكمل الإيمان حتى يصدق المؤمن أنه تعالى قادر على أن يجعل من جهنم جنة بأن يجعل من[5] موضع سخطه رحمة و يشاء ذلك و يعتبر ذلك بما أرانا
١٠ من نموذجه .

و لما كان التفكه لايكمل حسنه إلا مع التنعم من طيب الفرش و غيره ، قال مخبرا عن الذين يخافون مقام ربهم من قبيلى الإنس و الجن مراعيا معنى "من" بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع : ﴿ متكئين ﴾ أى لهم ما ذكر فى حال الاتكاء و هو التمكن بهيئة المتربع أو غيره من
١٥ الكون على جنب ، قال فى القاموس : توكأ عليه : تحمل ، و اعتمد كأوكأ ، و التكأة كهمزة : العصا ، و ما يتوكأ عليه ، و ضربه فأتكأه : ألقاه على هيئة المتكىء أو على جانبه الأيسر ، و قال ابن القطاع[6] : و ضربته حتى أتكأته

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : صنفين (٢) فى الأصل و ظ : عدوكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : مثلا (٤) زيد فى الأصل : الآء ربكما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سقط من ظ (٦) راجع كتاب الأفعال ١/١٢١ .

أى

أى سقط على جانبه، و هو يدل على تمام التنعم بصحة الجسم و فراغ البال ﴿على فرش﴾ و عظمها بقوله مخاطبا للمكلفين بما تحتمل عقولهم [١] و إلا فليس [١] فى الجنة ما يشبهه على الحقيقة شىء من الدنيا ﴿بطآئنها﴾ أى فما ظنك بظواهرها [٢] و وجوهها ﴿من استبرق [٥]﴾ و هو ثخين الديباج يوجد فيه من حسنه ربق كأنه [من - [٣]] شدة لمعانه يطلب إيجاده ٥ حتى كأنه نور مجرد .

و لما كان المتكئ قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال: ﴿و جنا الجنتين﴾ أى مجنيهما اسم بمعنى المفعول [٤] - كأنه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذى هو الاجتناء ﴿دان ج﴾ أى قريب من كل من يريده من متكئ و غيره لايخرج إلى صعود شجرة، و موجود من كل ١٠ حين يراد غير مقطوع و لا ممنوع .

و لما كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد [له - [٣]] من أغصان تنعطف بجملتها فتقرب و أخرى تكون قريبة من ساق الشجرة فيسهل تناولها قال: ﴿فبأى الآء ربكما﴾ أى النعم الكبار الملوكية التى أوجدها لكما / هذا المربى لكما الذى يقدر على كل ما يريد ﴿تكذبن ع﴾ أبنعمة ١٥ / ١٥٩ اللبس من جهة الوراء أم غيرها من قدرته [على - [٣]] عطف الأغصان و تقريب الثمار .

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: ليس (٢) فى الأصل: بظاهرها، و فى ظ: ظواهرها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: مفعول (٥) فى ظ: فى .

و لما كان ما ذكر لاتتم نعمته إلا بالنسوان الحسان، قال دالا على الكثرة بعد سياق الامتنان بالجمع الذى هو أولى من التثنية بالدلالة على أن فى كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظيم اللذة و فرط الأنس: ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان التى علم مما مضى أن لكل فرد من ٥ الخائفين[1] منها جنتين[2]. و لما كان سياق الامتنان معرفا بأن جمع القلة أريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته فى سورة «صٓ» قال معبرا به: ﴿ قٰصرٰت الطرف لا ﴾ أى نساء مخدرات هن فى وجوب الستر بحيث يضن من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح، قد قصرن طرفهن و هممهن على أزواجهن و لهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات ١٠ إلى غيرهن لفتور الطرف و سحره و شدة أخذه للقلوب جزاء لهم على قصرهممهم فى الدنيا على ربهم .

و لما كان الاختصاص بالشىء لاسيما المرأة من أعظم الملذذات [قال ـ[3]] : ﴿ لم يطمثهن ﴾ أى يجامعهن و يتسلط عليهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إنسيات أو جنيات اوغير ١٥ ذلك، يقال: طمثت المرأة كضرب و فرح: حاضت، و طمثها الرجل: افتضها و أيضا جامعها، و البعير عقلته(؟)، فكأنه قيل: هن أبكار لم يخالط موضع الطمث منهن ﴿ انس ﴾ و لما كان المراد تعميم الزمان أسقط الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾ اى المتكئين ﴿ و لا جآن ج ﴾ و قد جمع هذا

(١) من ظ ، و فى الأصل : الحافقين (٢) من ظ ، و فى الأصل : جنتان .
(٣) زيد من ظ .

كل من [1] يمكن منه جماع من ظاهر و باطن ، و فيه دليل على أن الجنى يغشى الإنسى كما نقل عن الزجاج ﴿ فبأىّ الآء ربكما ﴾ أى النعم الجسام [من] المربى الكامل العلم الشامل القدرة [2] القيوم ﴿ تكذبٰن ﴾ أبنعمة اللمس من جهة اليمنى أم غيرها مما جعله الله لكم مثالا لهذا من الأبكار الحسان ، أو غير ذلك من أنواع الإحسان . ٥

و لما دل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة و النفاسة ، زاده على وجه أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس و قوة القلب و شدة البدن و اعتدال الدم و غير ذلك من خواص ما شبههن به فقال : ﴿ كأنهن الياقوت ﴾ الذى هو فى صفائه بحيث يشف عن سلكه و هو جوهر معروف ، قال فى القاموس : أجوده الأحمر الرمانى نافع للوسواس ١٠ و الخفقان و ضعف القلب شربا و لجمود الدم تعليقا . ﴿ و المرجان ﴾ فى بياضه ، و صغار الدر أنصع بياضا ، قال أبو عبد الله القزاز : و المرجان صغار اللؤلؤ ، و هذا الذى يخرج من نبات البحر أحمر معروف - انتهى . و قد يستفاد من ذلك أن ألوانهن البياض و الحمرة على نوع من الإشراب هو فى غاية الإعجاب من الشفوف و الصفاء ، و هو مع ذلك ثابت لا يعتريه ١٥ تغير ليطابق الحديث الذى فيه "يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة" ، و قال / أبو حيان [3] : شبههن بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت فى إملاسه /١٦٠ و شفوفه و المرجان فى إملاسه و جمال منظره ﴿ فبأىّ الآء ربكما ﴾ أى

---

(١) زيد فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ ، و فى الأصل : المقدر (٣) راجع البحر المحيط ٨ /١٩٨ .

النعم الغريبة البالغة فى الحسن من المالك الملك المربى بـبـدائع التربية ﴿ تكذبٰن ہ ﴾ أ بنعمة اللس من جهة اليسرى ام غيرها مما جعله مثالا لما ذكر من وصفهن من تشبيه شيء بشيئين لبلوغ الأمر فى الحسن إلى حد لايساويه فيه[1] شيء واحد[2] ليشبه به ، فهو [كما -[2]] قيل : بيضاء فى دعج صفراء فى نعج كأنها فضة قد شابها ذهب ، و قد جعل سبحانه الأشياء الشفافة مثالا لذلك و أنت ترى بعض الأجسام يكاد يرى فيه الوجه [بل فى سواد العين أعظم غرة حيث يرى فيه الوجه -[3]] فان السواد منشأ الظلام .

و لما كان ألذ ما أفاده الإنسان من النعم ما كان تسبب منه ، قال سارا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لاسيما و المادح الملك الأعلى ، معظما له بسياق الاستفهام المفيد الاثبات بعد النفى المفيد للاختصاص على وجه الإنكار الشديد على من يتوهم غير ذلك: ﴿هل جزاء الاحسان﴾ أى فى العمل [الكائن -[3]] من الإنس أو الجن أو غيرهم ﴿الا الاحسان ج﴾ أى فى الثواب ، فهذا من المواضع التى أعيدت فيها المعرفة و المعنى مختلف ، روى البغوى[4] بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم ، قال : يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة . و ذلك جزاء إحسان العبد فى العمل فى مقابلة إحسان ربه إليه بالتربية ﴿فبأى الآء ربكما﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كاحد (٣) زيد من ظ .

(٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٠ .

أى النعم العظيمة الحسن من السيد الكريم العظيم الرحيم الجامع لأوصاف الكمال ﴿ تكذبٰن ﴾ أبنعمة اللبس من جهة الفوق أم غيرها مما جعله الله سبحانه مثالا فى أن من احسن قوبل بمثل إحسانه، و هذه الآية ختام ثمان آيات حاثة على العمل الموصل إلى الثمانية الأبواب الكائنة لجنة المقربين - و الله الهادى. ٥

و لما كان قد علم مما ذكر أول هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الإكرام، و آخره من ذكر الإحسان أن هذا الفريق محسنون، و كان من المعلوم أن العاملين طبقات، و أن كل طبقة أجرها على مقدار أعمالها، اقتضى الحال بيان ما أعد لمن دونهم: ﴿ و من دونهما ﴾ أى من أدنى مكان و رتبة مما تحت جنتى هؤلاء المحسنين [المقربين ﴿ جنتٰن ج ﴾ ١٠ أى لكل و احد لمن دون هؤلاء المحسنين - ١] من الخائفين و هم أصحاب اليمين، قال ابن عباس رضى الله عنهما: دونهما فى الدرج، و جعل ابن برجان الأربع موزعة بين الكل، و أن تخصيص هذه العدة إشارة إلى أنها تكون جامعة لما فى فصول الدنيا الأربعة: الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف، و فسر بذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم: جنتان من ذهب ١٥ اوتيتهما و ما فيهما و جنتان من فضة أوتيتهما و ما فيهما. ثم جوز أن يكون المراد بالدون الأدنى إلى الإنسان، و هو البرزخ، فتكون هاتان لأهل البرزخ كما كان "و ان للذين ظلموا عذابا دون ذلك" من[2] عذاب القبر ﴿ فبأىّ ءالآء ربكما ﴾ أى المحسن بنعمه السابغة إلى الأعلى و من دونه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: فى.

﴿ تكذبن ﴾ أبنعمة اللبس من جهة التحت أم غيرها / مما جعله الله فى الدنيا مثالا لهذا من أن بعض البساتين أفضل من بعض إلى غير ذلك من أنواع التفضيل .

و لما كان ما فى هاتين من الماء دون ما فى الباقيتين، فكان ربما ٥ ظن أن ماءهما لا يقوم بأعلى كفايتهما قال : ﴿ مدهامتن ﴾ أى خضراوان خضرة تضرب من شدة الرى إلى السواد، من الدهمة، قال الأصبهانى: الغالب على هاتين الجنتين النبات و الرياحين المنبسطة على وجه الأرض و فى الأوليين الأشجار و الفواكه ﴿ فبأى ءالآء ربكما ﴾ أى نعم المحسن إلى العالى منكما و من دونه بسعة رحمته ﴿ تكذبن ﴾ أبنعمة الذوق من جهة ١٠ الأمام أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من جنان الدنيا الكثيرة الرى و غيره .

و لما كان ذكر ما يدل على ريهما، حققه بقوله : ﴿ فيهما ﴾ اى فى كل جنة لكل شخص منهم ﴿ عينن نضاختن ﴾ أى تفوران بشدة [1]توجب لهما رشاش[1] الماء بحيث لا ينقطع ذلك . و لم يذكر جريهما فكأنهما ١٥ بحيث رويان جنتهما و لا يبلغان الجرى، و النضخ دون الجرى و فوق النضح، قال الأصبهانى : و أصل النضخ بالمعجمة ـ انتهى . و كأنهما لمن تغرغر عيناه بالدمع فتمتلئان من غير جرى، و قال ابن برجان ما معناه أن حر(؟) عدم جريهما لكونهما على مثال جنة خريف ما ههنا و شتاء [به ـ[2]] لبعد عهدهما بنزول الماء [و ـ[2]] سكنا فى أعماق الأرض

(١-١) من مد، و فى الأصل : توحدهما رشا (٢) زيد من ظ .

لينعكس بالنبع و الفوران صاعدا مع أن الجنة لا مطر فيها ﴿فبأى آلآء ربكما﴾ أى نعم المربى البليغ الحكمة فى التربية ﴿تكذبٰن﴾ أبنعمة الذوق من جهة ماوراء اللسان أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من الأعين التى تفور و لاتجرى و الأنابيب المصنوعة للفوران لأنها بحيث تروق[1] ناظرها

٥ اصعودها بقوة نبعها و ترشيشها من النعم الكبار . و لما ذكر الرى و السبب فيه ، [ذكر - [2]] ما ينشأ عنه فقال : ﴿فيهما فاكهة﴾ أى من كل الفاكهة ، و خص أشرفها و أكثرها وجدانا فى الخريف و الشتاء كما فى جنان الدنيا التى جعلت مثالا لهاتين الجنتين فقال : ﴿و نخل و رمان ﴾ فان كلا منهما فاكهة و إدام ، فلذا خص تشريفا و تنبيها على ما فيهما[3] من التفكه

١٠ و أولاهما أعم نفعا و أعجب [خلقا - [2]] فلذا قدم ﴿فبأى آلآء ربكما﴾ أى نعم[4] المحسن إليكما أيها الثقلان بجليل التربية ﴿تكذبٰن ﴾ أبنعمة الذوق من اليمين أم من غيرها مما جعل مثالا لهذا من جنان الدنيا و غير ذلك .

و لما كان ما ذكر لاتكمل لذته إلا بالأنيس ، و كان قد ورد أنه يكون فى بعض ثمار الجنة و حمل أشجارها نساء و ولدان كما أن امثال ذلك

١٥ فى بطن مياه الدنيا "و جعلنا من الماء كل شيء حي" قال جامعا على نحو ما مضى من الإشارة إلى أن الجنتين لكل واحد من أفراد هذا الصنف : ﴿فيهن﴾ أى الجنان الأربع أو الجنان التى خصت للنساء ، و جوز ابن برجان أن يكون الضمير للفاكهة و النخل و الرمان فانه يتكون منها نساء و ولدان

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ترزق (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : قبلها (٤) من ظ و فى الأصل : بنعمه .

/١٦٢ فى داخل قشر الرمان و نحوه ﴿ خيرٰت ﴾ اى نساء / بليغ ما فيهن من الخير ، أصله خير مثقلا لأن " خير " الذى للتفضيل لا يجمع جمع سلامة ، و لعله خفف لاتصافهن[1] بالخفة فى وجودهن و جميع شأنهن ، و لكون[2] هاتين الجنتين دون ما قبلهما ﴿ حسان ۚ ﴾ أى فى غاية الجمال

٥ خلقا و خلقا ﴿ فبأىّ ءالآء ربكما ﴾ اى نعم الكامل الإحسان [إليكما -[3]] ﴿ تكذبٰن ۚ ﴾ انعمة الذوق من جهة اليسار أم من غيرها مما[4] جعله مثالا لتكون النساء و الولدان و الملابس و الحلى من ثمار الأشجار و الزروع التى من المياه[5] التى بها العيش . ففيها[6] التوليد و غير ذلك مما تظهره الفكرة لأهل العبرة لأن كل ما فى الجنة ينشأ عن الكلمة من الرزق كما ينشأ

١٠ عنه سبحانه فى هذه الدار على تسبيب ... و الحكمة[7] ، ثم بينهن بقوله : ﴿ حور ﴾ أى ذوات أعين شديدة سواد السواد و شديدة بياض البياض ، و قال ابن جرير[8] : بيض جمع ﴿ مقصورٰت ﴾ أى على أزواجهن و محبوسات ، صيانة عن التبذل ، فهو كناية عن عظمتهن ﴿ فى الخيام ۚ ﴾ التى هى من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه عن ... الله فكف

١٥ جوارحه عن الزلات ، و صان قلبه عن الغفلات ﴿ فبأىّ ءالآء ربكما ﴾ أى الجليل الإحسان إليكما ﴿ تكذبٰن ۚ ﴾ أبنعمة الذوق من جهة الفوق

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لاتصافه (٢) من ظ ، و فى الأصل : لكن (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ما (٥) من ظ ، و فى الأصل : الثمار (٦) من ظ ، و فى الأصل : معندها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة ظ .

(٨) فى جامع البيان ٢٧ / ٨٢

ام بغيرها مما جعله مثالا لهذا فى الدنيا ، فانه كما خلقنا من تراب ثم طورنا فى أطوار الخلقة بحسب حكمة الأسباب كذلك خلق أولئك من أرض الجنة و رياضها و فواكهها عن كلمة السكان من غير أسباب .

و لما كانت أنفس الأخيارذوى الهمم العالية الكبار فى الالتفات إلى الأبـكار قال : ﴿ لم يطمثهن ﴾ أى يتسلط عليهن نوع سلطة ٥ ﴿ انس ﴾ وعم الزمان بحذف الجار فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى انتفى الطمث المذكور فى جميع الزمان الكائن قبل طمث أصحاب هذه الجنان لهن ، فلو وجد فى لحظة من لحظات القبل لما صدق النفى ﴿ و لا جآن ج ﴾ فهن فى غاية الاختصاص كل بما عنده ﴿ فباىّ ﴾ أى فتسبب عن هذا التعدد لمثل هذه النعم العظيمة أنا نقول تعجيبا ممن يـكذب توبيـخا له ١٠ و تنبيها على ما له تعالى من النعم التى تفوت الحصر : بأىّ ﴿ ءالآء ربكما ﴾ أى النعم الجليلة من المدبر لكما بما له من القدرة التامـة و العظمة الباهرة العامة ﴿ تـكذبٰن ج ﴾ أبنعمة الذوق من تحت أم بغيرها مما جعله مثالا لهذا من الأبكار المخدرات ، و جميع ما ذكر من النعم العامة الظاهرة فى كل حالة فى الدنيا و الآخرة ، و ختم بالتقرير أربع و عشرون ١٥ ثمان منها أول السورة من النعم الدنياوية ، وست عشرة جنان ، و جعلها على هذا العدد ، إشارة إلى تعظيمها بتـكثيرها فانه عدد تام لأنه جامع لأكثر الكسور ، و لذا قسم الدرهم و غيره أربعة و عشرون قيراطا ، و لما تم التقرير بالنعم المحيطة بالجهات الست و الحواس الخمس على الوجه الأكمل من درء المفاسد و جلب المصالح كما تقدمت الإشارة إليه بمدكر ، ٢٠

١٦٣ / بقوله «فهل من مدكر» في القمر ، /بالحسن(؟) فيها إلى الحواس الخمس وبتكرارها .
و تكرار " فكيف كان عذابي و نذر " ستا إلى الجهات الست من جهة
الوراء و الخلف ، أوترها بنعمة أخرى واحدة إشارة إلى أن السبب في
هذا اعتقاد وحدانية الواحد تعالى اعتقادا أدى الخضوع لأمر مرسل كلما
٥ جاء من عنده تعالى فلذلك كانت نعمة لاتنقطع أصلا ، بل كلما تم
دور منها ابتدأ دور اخر جديد ، و هكذا على وجه لا انقطاع له أبدا
كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا انتهاء له أصلا ، و هذه النعمة
الدالة على الراحة الدائمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى أغرب
منه و لا أشرف ، فقال تعالى مبينا حال المحسنين و من دونهم مشركا لهم
١٠ في الراحة على ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب
بشر : ﴿ متكئين ﴾ أي لهم ذلك في حال الاتكاء ديدنا لأنهم لاشغل
لهم بوجه إلا التمتع ﴿ على رفرف ﴾ اي ثياب ناعمة و فرش رقيقة
النسج من الديباج لينة و وسائد عظيمة [و ـ] رياض باهرة و بسط
لها أطراف فاضلة . و رفرف السحاب هدبه أي ذيله المتدلي .
١٥ و لما كان الأخضر أحسن الألوان و أبهجها قال : ﴿ خضر و عبقري ﴾
اي متاع كامل من البسط و غيرها هو في كماله و غرابته كأنه من عمل
الجن لنسبته إلى بلدهم ، قال في القاموس : عبقر موضع كثير الجن ،
و قرية ثيابها في غاية الحسن ، و العبقري الكامل من كل شيء ، و السيد
و الذي [ليس ـ ١] فوقه شيء . و قال الرازي : هو الطنافس المخملة ،

(١) زيد من ظ و القاموس .

قال[1] ابن جرير[2]: الطنافس الثخان. و قال القشيري: العبقري عند العرب كل ثوب موشى. و قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال و غيرهم، و منه قول النبي صلى الله عليه و سلم في عمر رضي الله عنه[3]: فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه. و قال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي و بختي. ٥

و لما كان المراد به الجنس، دل على كثرته بالجمع مع التعبير بالمفرد إشارة إلى [4]وحدة تكامله[4] بالحسن فقال: ﴿حسان ج﴾ أي هي في غاية من كمال الصنعة و حسن المنظر لا توصف ﴿فبأيّ 'الآء ربكما﴾ أي النعم العظيمة من المحسن الواحد الذي لا محسن غيره [و -[5]] لا إحسان إلا منه و لا تعد نعمه و لا تحصى ثناء عليه ﴿تكذبٰن ه﴾ و بهذه الآية تمت النعم ١٠ الثمان المختصة بجنة أصحاب اليمين إشارة إلى العمل لأبوابها الثمانية - و الله الموفق.

و لما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال، و دل بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لا نهاية لها لأنه مع أن له الكمال كله متعال عن شائبة نقص، فكانت ترجمة ذلك ١٥ قوله في ختام نعم الآخرة مناظرة لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرا هناك بالبقاء لما ذكر قبله، من الفناء، و هذا [بما[6] -] من البركة[6] إشارة

(١) من ظ، و في الأصل: قيل (٢) راجع جامع البيان ٢٧ /٥ (٣) راجع صحيح البخاري - المناقب (٤-٤) من ظ، و في الأصل: الوحدة الكاملة (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل. ولا يكاد، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

إلى [أن] نعمه لا انقضاء [لها-[1]] : ﴿تبٰرك﴾ قال ابن برجان : تفاعل من البركة، و لا يكاد يذكره جل ذكره إلا عند أمر معجب - انتهى، و معناه ثبت ثباتا لا يسع العقول جمع وصفه لكونه على / صيغة المفاعلة المفيدة ١٦٤ / لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته، و ذلك مع اليمن و البركة ٥ و الإحسان . و لما كان تعظيم الاسم أقعد و أبلغ في تعظيم المسمى قال : ﴿اسم ربك﴾ أي المحسن إليك بانزال هذا القرآن الذي جبلك على متابعته فصرت مظهرا له و صار خلقا لك فصار إحسانه إليك فوق الوصف، ولذلك قال واصفا للرب في قراءة الجمهور : ﴿ذي الجلال﴾ أي العظمة الباهرة فهو المنتقم من الأعداء ﴿و الاكرام ع﴾ أي الإحسان ١٠ الذي لا يمكن الإحاطة به فهو المتصف بالجمال الأقدس المقتضي لفيض الرحمة على جميع الأولياء، و قراءة ابن عامر "ذو" [1]صفة الاسم، و كذا هو في مصاحف أهل الشام، و الوصفان الأخيران من شبه الاحتباك لأنه حذف من الأول متعلق الصفة و هي النقمة للأعداء، و من الثاني أثر الإكرام و هو الرحمة للأولياء، فاثبات الصفة أولا يدل على حذف ١٥ ضدها ثانيا، و إثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده أولا، و قال الرازي [2]في اللوامع[2]: كأنه يريد بالاسم الذي افتتح به السورة و قد انعطف [3]آخر السورة على أولها[3] على وجه أعم، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن و غيره و الانتقام بادخال النيران و غيرها - الله سبحانه و تعالى هو الموفق للصواب .

---

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٦١ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣-٣) من ظ ، و في الأصل : اول السورة على آخرها .

سورة الواقعة[1]

مقصودها شرح[2] أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة فى الرحمن للأولياء من السابقين و اللاحقين و الأعداء المشاققين[3] من المصارحين و المنافقين[4] من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذى دل عليه آخر الرحمن باثبات الكمال [و - [5]] دل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفى لكل ٥ شىء به نقص ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجمال و الجلال، و لو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة ، فان استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة ، و اسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته و ما يتعلق الظرف به ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله ففاوت بين الناس فى الأحوال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة البيان و فاضل فى ١٠ قبولها بين أهل الإدبار و اهل الإقبال ﴿ الرحيم ﴾ الذى أقبل[6] بأهل حزبه إلى[7] أهل قربه ففازوا بمحاسن الأقوال و الأفعال .

لما صنف سبحانه الناس [فى - [5]] تلك إلى ثلاثة أصناف: مجرمين و سابقين و لاحقين ، و ختم بعلة ذلك و هو أنه ذو الانتقام و الإكرام ، شرح احوالهم فى هذه السورة و بين الوقت الذى يظهر فيه ١٥

---

(١) السادسة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعددآيها (٩٦) عند الكوفيين و (٩٧) عند البصريين ، و (٩٩) عند المدنيين و المكى و الشامى.
(٢) من ظ ، و فى الأصل : سر (٣) من ظ ، و فى الاصل : المنافقين .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : المشاققين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : عم (٧) من ظ ، و فى الاصل : و .

إكرامه و انتقامه بما ذكر فى الرحمن غاية الظهور فقال بانيا على ما أرشده السياق إلى أن تقديره : يكون ذلك كله كونا يشترك فى علمه الخاص و العام : ﴿ اذا وقعت الواقعة ۙ ﴾ أى التى لابد من وقوعها و لا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال و تاه المبالغة غيرها ، و هى النفخة ٥ الثانية التى يكون عنها البعث الأكبر / الذى هو القيامة الجامعة لجميع ١٦٥ / الخلق للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذى لامدعى للشاركة فيه بوجه من الوجوه ، و يجوز أن يكون " إذا " منصوبا بالمحذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيكون أهول[1] أى إذا وقعت كانت [2]أمور يضيق عنها[2] نطاق الحصر .

١٠ و لما كان هذا معناه الساعة التى أبرم القضاء بأنه لابد من كونها ، عبر عنه بانيا على مبتدأ محذوف فقال : ﴿ ليس لوقعتها ﴾ أى تحقق وجودها ﴿ كاذبة ۚ ﴾ [أى كذب [3]] فهى مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس فى[4] أحوالها شيء يمكن أن ينسب[5] إليه كذب و لا يمشى فيها كذب أصلا و لا يقر عليه ، بل كل ما أخبر بمجيئه جاء من غير ١٥ أن يرده[6] شيء ، و كل ما أخبر بنفيه انتفى فلا يأتى به شيء ، و قرر عظمتها و حقق بعث الأمور فيها بقوله مخبرا عن مبتدأ محذوف : ﴿ خافضة ﴾ أى هى لمن يشاء الله خفضه[7] من عظماء أهل النار و غيرهم

---

(١) من ظ ، و فى الاصل : اهوال (٢ - ٢) من ظ ، و فى الاصل : اسرها و يضيق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يره (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحفضة .

مما يشاءه من الجبال و غيرها إلى أسفل سافلين ﴿ رافعة ﴾ أى لضعفاء أهل الجنة و غيرهم من منازلهم و غيرها مما يشاءه إلى عليين ، لا راد لأمره و لا معقب لحكمه . و لما كان فى هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية أكده بقوله و زاد ما يشاء منه أيضا بقوله مبدلا من الظرف الأول بعض ما يدخل فى الرفع و الخفض : ﴿ اذا رجت الارض ﴾ أى كلها على ٥ سعتها وثقلها بأيسر أمر ﴿ رجا ﴾ أى زلزلت زلزالا شديدا بعنف فانخفضت و ارتفعت ثم انتفضت بأهلها انتفاضا شديدا، قال البغوى[1]: و الرج فى اللغة التحريك . و لما ذكر حركتها المزعجة، أتبعها غايتها فقال : ﴿ و بست الجبال ﴾ أى فتتت على صلابتها وعظمها بأدنى إشارة و خلط حجرها بترابها حتى صار شيئا واحدا ، و صارت كالعهن المنفوش ، و سيرت و كانت ١٠ تمر مرّ السحاب ﴿ بسا فكانت ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ هبآء ﴾ غبارا [هو -[2]] فى غاية الانمحاق ، و إلى شدة لطافته أشار بصيغة الانفعال فقال: ﴿ منبثا ﴾ أى منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل[3] فى كوة .

و لما ذكر غاية مبادئها المرجفه المرهبة ، ذكر مبادئ غاياتها فقال: ١٥ ﴿ و كنتم ﴾ أى قسمتم بما كان فى جبلاتكم و طباعكم فى الدنيا ﴿ ازواجا ثلثة ﴾ أى أصنافا لا تكمل حكمة صنف منها إلا بكونها [قسمين -[2]] : أعلى و دونه ، ليكون ذلك أدل على تمام القدرة و هم أصحاب الميمنة المنقسمين إلى سابقين و هم المقربون ، و إلى لاحقين و هم

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧/١٢ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : دخلت .

الأبرار أو أصحاب اليمين، و كأنهم من أولى القلب الذى هو العدل السواء
من أصحاب المشئمة إلى آخر أصحاب الميمنة فأصحاب السواء هم المقربون،
و بقية أصحاب الميمنة أصحاب اليمين، و أصحاب المشئمة هم أصحاب القسم
الثالث، و كل من الثلاثة ينقسم إلى أعلى و دونه، و قد تبينت الأقسام
٥ الثلاثة آخر السورة، قال البيضاوى: و كل صنف يكون أو يذكر مع
صنف آخر زوج. و لما قسمهم إلى ثلاثة / أقسام و فرع تقسيمهم، ذكر ١٦٦ /
أحوالهم و ابتدأ ذلك بالإعلام بأنه ليس الخبر كالخبر كما أنه ليس العين
كالأثر فقال: ﴿ فأصحٰب الميمنة ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها،
ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منبها على أنهم [أهل - [1]]
١٠ لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين من الخير و البركة فكيف إذا عبر عنها
بصيغة مبالغة فقال: ﴿ مآ ﴾ و هو مبتدأ ثان ﴿ أصحٰب الميمنة ﴾ أى
جهة اليمين و موضعها و أعمالها[2]، و الجملة خبر عن الأولى، و الرابط
تكرار المبتدأ بلفظه. قال أبو حيان رحمه الله تعالى[3]: و أكثر ما يكون
ذلك فى موضع التهويل و التعظيم.
١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم الإعذار فى السورتين
المتقدمتين و التقرير على عظيم البراهين، و أعلم فى آخر سورة القمر أن
كل واقع فى العالم فبقضائه سبحانه و قدره "انا كل شىء خلقنٰه بقدر"

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منبها على أنهم أهل لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين، و هو تكرار فحذفناها.
(٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٢٠١.

و كل

"و كل شيء فعلوه فى الزبر" و اعلمهم سبحانه فى الواقعة بانقسامهم الأخروى فافتتح ذكر الساعة "اذا وقعت الواقعة" إلى قوله "و كنتم ازواجا ثلاثة" فتجردت هذه السورة للتعريف بأحوالهم الأخروية، و صدرت بذلك كما جرد فى هذه السورة قبل التعريف بحالهم فى هذه الدار، و ما انجر فى السور الثلاث جاريا على غير هـذا الأسلوب فبحكم ٥ استدعا الترغيب و الترهيب اضفا بالعباد و رحمة و مطالعها مبنية على ما ذكرته تصريحا لاتلويحا، و على الاستيفاء لا بالإشارة و الإيماء، و لهذا قال تعالى فى آخر القصص الأخراوية فى هذه السورة: "هذا نزلهم يوم الدين" فأخبر أن هذا حالهم يوم الجزاء و قد قدم حالهم الدنياوى فى السورتين قبل و تأكيد التعريف المتقدم فيما بعد، و ذلك[1] قوله "فاما ان كان ١٠ من المقربين" إلى خاتمتها - انتهى.

و لما ذكر الناجين بقسميهم، أتبعهم أضدادهم فقال: ﴿ و اصحٰب المشئمة لا ﴾ أى جهة الشؤم و موضعها و أعمالها، ثم عظم ذنبهم فقال: ﴿ مآ اصحٰب المشئمة ﴾ أى لأنهم أهل لأن يسأل عما أصابهم من الشؤم و الشر و السوء بعظيم قدرته التى ساقتهم إلى ما وصلوا ١٥ إليه من الجزاء الذى لا يفعله بنفسه عاقل بل و لا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة و الأفكار العظيمة و صان الأولين عن خذلان هؤلاء فأوصلهم إلى النعيم المقيم.

و لما ذكر القسمين، و كان كل منهما قسمين، ذكر أعلى أهل

(١) من ظ، و فى الأصل: ذكر.

القسم الأول ترغيبا فى أحسن حالهم و لم يقسم أهل المشئمة ترهيبا من سوء مآلهم فقال: ﴿ و السبقون ﴾ أى إلى أعمال الطاعة أصحاب الجنتين الأوليين فى الرحمن و هم أصحاب القلب ﴿ السبقون ﴿١٠﴾ ﴾ أى هم الذين يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم لأنه منزلة أعلى من منزلتهم فلذلك ٥ سبقوا إلى منزلتهم و هى جنتهم و هم قسمان كما يأتى عن الرازى، و عن المهدوى ان النبى صلى الله عليه و سلم قال: السابقون الذين إذا أعطوا الحق قبلوه و إذا / سئلوه بذلوه و حكموا للناس كحكمهم لأنفسهم. /١٦٧

و لما بين علو شأنهم و نسب السبق إليهم، ترجمه نازعا للفعل منهم بقوله: ﴿ اولـٓئك ﴾ أى العالو الرتبة جدا من [1]الذين هم[1] أصحاب الميمنة ١٠ ﴿ المقربون ﴿١١﴾ ﴾ أى الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه أو[2] أنعم عليهم [بقربه - [3]] و لو لا فعله فى تقريبهم لم يكونوا سابقين، قال الرازى فى اللوامع: المقربون تخلصوا من نفوسهم فأعمالهم كلها لله دينا و دنيا من حق الله و حق الناس، و كلاهما عندهم حق الله، و الدنيا عندهم آخرتهم لأنهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا و الانقياد، ١٥ و هم صنفان، فصنف قلوبهم فى جلاله و عظمته هائمة قد ملكتهم[4] هيبتهم فالحق يستعملهم، و صنف آخر قد أرخى[5] من عنانه، فالأمر عليه أسهل لأنه [قد - [3]] جاور بقلبه هذه الحطة و محله أعلى فهو أمين الله فى أرضه، فيكون الأمر عليه أسهل لأنه قد جاور - انتهى. ثم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: «و» (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: ملكهم (٥) من ظ، و فى الأصل: رجا.

[بين - ١] تقريبه لهم بقوله : ﴿ في جنّت النعيم ۝ ﴾ أي الذي لا نعيم غيره لأنه لا كدر فيه بوجه و لا منغص ، و الصنف الآخر منهم المتقربون و المتشاقون من أصحاب المشئمة ، أولئك المغضوب عليهم المبعودون ، و من دونهم الضالون البعيدون و هم أصحاب الشمال .

٥ و لما ذكر السابقين فصلهم فقال : ﴿ ثلة ﴾ أي جماعة كثيرة حسنة ، و قال البغوي[٢] : و الثلة جماعة غير محصورة العدد ، ﴿ من الاولين ۝ ﴾ و هم الأنبياء الماضون عليهم الصلاة و السلام ، و من آمن بهم من غير واسطة رضى الله عنهم ﴿ و قليل من الأخرين ۝ ﴾ و هم من آمن بمحمد - عليه الصلاة و السلام - كذلك بغير واسطة رضى الله عنهم ، فقد كان الأنبياء

١٠ عليهم الصلاة و السلام مائة ألف و نيفا و عشرين ألفا ، و كان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر و هم من آمن به من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين و دون الثمانين و هم ستمائة ألف فما ظنك[٣] بمن عداهم من الشيوخ و من دون العشرين من التابعين و الصبيان و من النساء ، فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم الصلاة و السلام المجددين من

١٥ بني إسرائيل و غيرهم ، و قيل : الثلة و القليل كلاهما من هذه الأمة ، رواه الطبراني و ابن عدي عن ابن عباس رضى الله عنهما ، و فيه أبان بن أبي عياش و هو متروك و رواه إسحاق بن راهويه و مسدد بن مسرهد و أبو داود الطيالسي و إبراهيم الحربي و الطبراني[٤] من رواية علي بن زيد

(١) زيد من ظ (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٣ (٣) من ظ ، و في الأصل : تان (٤ راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٨٨ .

و هو ضعيف عن عقبة بن صهبان عن أبى بكرة رضى الله عنه مرفوعا و موقوفا ، و الموقوف أولى بالصواب ، و تطبيقه على هذه الأمة سواء كان مرفوعا أو موقوفا صحيح لا غبار عليه ، فتكون الصحابة رضى الله عنهم كلهم من هذه الثلة و كذا من تبعهم باحسان إلى رأس القرن الثالث
٥ و هم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، [و - ١] من المعلوم أنه تناقص الأمر بعد ذلك إلى أن صار / السابق فى الناس أقل من القليل لرجوع الإسلام / ١٦٨ [إلى الحال-١] الذى بدأ عليها من الغربة " بدأ الإسلام غريبا و سيكون غريبا فطوبى للغرباء " و يجوز أن يقدر أيضا : [و - ١] ثلة - أى جماعة كثيرة هلكى - من الأولين ، وهم المعاندون من الأمم الماضين ، و قليل من
١٠ الآخرين - و هم المعاندون من هذه الأمة .

و لما ذكر السابقين فى الخير [بضنفيهم مشيرا إلى السابقين فى الشر - ١] بصنفيهم ، ذكر جزاء أهل الخير ليعلم منه جزاء أولئك ، فقال مبينا أنهم ملوك لكن ملكهم لاينافس [فيه - ١] و لا يحاسد ، بل هو كله يقابل بالوداد و الصفاء ﴿ على سرر ﴾ و هو ما يسر الإنسان من المقاعد
١٥ العالية المصنوعة للراحة و الكرامة التى هى آيـة الملك و هو العرش ﴿ موضونة ﴾ أى منسوجة نسجا مضاعفا منضودة داخلا[٢] بعضها فى بعض مقارب النسج معجبا كالدرع لكن نسجها بالذهب مفصلا بالجوهر من الدر و الياقوت .

و لما ذكر السرر و بين عظمتها ، ذكر غايتها فقال : ﴿ متكئين ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : داخل .

أى

أى متكئين هيئة المتربع أو غيرها من الجنب أو غيرها ﴿ عليها ﴾ و لما كان الجمع إذا كثر كان ظهور بعض أهله إلى بعض، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال: ﴿ متقبلين ه ﴾ فلا بعد و لا مدابرة لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض و لا يكره بعضهم بعضا.

٥ و لما كان المتكئ قد يصعب عليه القيام لحاجته قال: ﴿يطوف عليهم﴾ أى لكفاية كل ما يحتاجون إليه ﴿ ولدان ﴾ على أحسن صورة و زى و هيئة ﴿ مخلدون لا ﴾ قد حكم الله ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة، قال البغوى[1]: تقول العرب لمن كبر و لم شمط: إنه مخلد، قال: قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا، لم يكن لهم حسنات يثابون[2] عليها و لا سيئات يعاقبون عليها لأن الجنة لا ولادة فيها، فهم خدام أهل الجنة. ١٠

و لما كان مدخهم هذا فى غاية الإبلاغ مع الإيجاز، وكان فيه - إلى تبليغ ما لهم - تحريك إلى مثل أعمالهم، وكان الأكل الذى هو من أعظم المآرب مشارا إليه بالمدح العظيم الذى[3] من جملته الاستراحة على الأسرة التى علم أن من عادة الملوك أنهم لا يتسنمونها إلا بعد قضاء الوطر منه فلم يبق بعده إلا ما تدعو الحاجة إليه من المشارب و ما يتبعها قال ١٥ تعالى: ﴿باكواب﴾ أى كيزان مستديرة الأفواه بلا عرى و لا خراطيم لا يعوق الشارب منها عائق عن الشرب من أى موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الإناء إلى الحالة التى تناوله عنها ليشرب، و يمكن أن تكون

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٤ (٢) من ظ، و فى الأصل: يتاحبون.

(٣) من ظ، و فى الأصل: التى.

البدأة بالشراب لما نالوا من المتاعب من العطش كما لمن يشرب من الحوض فيكون حينئذ قبل الأكل و الله أعلم ﴿ و اباريق ﴾ أى أوانى لها عرى و خراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين ﴿ وكاس ﴾ أى إناء معد للشرب فيه و الشراب نفسه .

٥ و لما كان الشراب عاما بينه بقوله : ﴿ من معين ﴾ أى خمر جارية صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها بل ينبع كما ينبع الماء . و لما أثبت نفعها و ما يشوق إليها ، نفى ما ينفر عنها فقال : ﴿ لايصدعون ﴾ / أى تصدعا يوجب المجاوزة ﴿ عنها ﴾ أى بوجع فى الرأس و لا تفرق ١٦٩ / الملالة ﴿ و لاينزفون ﴾ أى يذهب بعقولهم بوجه من الوجوه أى يصرع ١٠ شرابهم ، من نزفت البئر ـ إذا نزح ماؤها كله ، و نزف فلان : ذهب عقله أو سكر ، و بنى الفعلان للجهول لأنه لم تدع حاجة إلى معرفة الفاعل ، و قال الرازى فى اللوامع : قال الصادق : لاتذهل[1] عقولهم عن موارد الحقائق عليهم و لايغيبون عن مجالس المشاهدة بحال .

و لما بدأ بالألذ الهاضم للأكل ، تلاه بما يليه مما يدعو إليه الهضم ١٥ تصريحا به بعد التلويح فقال : ﴿ و فاكهة مما يتخيرون ﴾ أى هو فيها بحيث لو كان فيها جيد و غيره و اختاروا وبالغوا فى التنقية لكان مما يقع التخير عليه ، و لما ذكر ما جرت[2] العادة بتناوله لمجرد اللذة ، أتبعه ما العادة انه لإقامـــة البينة و إن كان هناك لمجرد اللذة أيضا فقال :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لايذهب (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

﴿ و لحم طير ﴾ و لما كان فى لحم الطير مما يرغب عنه ، احترز عنه بقوله : ﴿ مما يشتهون ﴾ أى غاية الشهوة بحيث يجدون لآخره من اللذة [1]ما لأوله[1] .

و لما كان لم يكن بعد الأكل و الشرب أشهى من الجماع ، قال عاطفا على "و لدان" : ﴿و حور عين ﴾ أى يطفن عليهم ، و جره حمزة ٥ و الكسائى[2] عطفا على "سرر فان النساء فى معنى الاتكاء لأنهن يسمين فراشا . و لما كان المثل فى الأصل الشيء نفسه كما مضى فى الشورى قال : ﴿ كأمثال ﴾ أى مثل أشخاص ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ أى المصون فى الصدف عما قد يدنسه .

و لما أبلغ فى وصف جزائهم بالحسن و الصفاء ، دل على أن أعمالهم ١٠ كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى : ﴿ جزآء ﴾ أى فعل لهم ذلك لأجل الجزاء ﴿ بما كانوا ﴾ جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ أى يجددون عمله على جهة الاستمرار .

ولما أثبت لها الكمال و جعله لهم ، نفى عنها النقص فقال : ﴿لا يسمعون﴾ أى على حال من الأحوال ﴿ فيها لغوا ﴾ أى شيئا مما لاينفع فان ١٥ انكأ... بالسميع الحكيم ذلك ، و اللغو : الساقط ﴿ و لا تاثيما ﴾ أى ما[3] يحصل به الإثم أو النسبة إلى الإثم ، بل حركاتهم و سكناتهم [كلها -[4]] رضى الله ، و ما قطع قلوب السائرين إلى الله إلاها تان الخصلتان بينا أحدهم

(١-١) من ظ ، وفى الأصل: ما لايجدون لآخره (٢) راجع نثر المرجان ١٦٨/٧ .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : مما (٤) زيد من ظ .

يبنى ما ينفعه مجتهدا فى البناء إذ هو قد غلبه طبعه فهدم أكثر ما بنى، و بينا هو يظن أنه قد قرب إذا هو[1] تحقق بمثل ذلك أنه قد بعد، نزحت داره وشط مزاره، فالله المستعان .

و لما كان الاستثنا، معيار (؟) العموم، ساق بصورةا لاستثناء قوله:

٥ ﴿ الا قيلا ﴾ أى هو فى غاية اللطافة و الرقة بما دل عليه المبنى على ما قبلها محاسن مع ما تدل عليه مادة قولة . و لما تشوف السامع إليه بالتعبير بما ذكر، بينه بقوله: ﴿ سلما ﴾ و دل على دوامه بتكريره فقال: ﴿ سلما ﴾ أى لايخطر فى النفس و لا يظهر فى الحس منهم قول إلا دالا على السلامة لأنه لاعطب فيها أصلا، [و - [2]] ساقه مساق

١٠ الاستثناء المتصل دلالة على أنه إن كان فيها لغو فهو ذلك حسب، و هو ما يؤمنهم و ينعمهم و يبشرهم مع انه دال على حسن العشرة و جميل الصحبة و تهذيب / الأخلاق و صفاء المودة . /١٧٠

و لما أتم سبحانه القسم الأول القلى السواى المولى من الثلاثة بقسميه، و ذكر فى جزائه مما لأصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول إليه،

١٥ عطف عليه الثانى الذى هو دونه لذلك و هم و الله أعلم الأبرار و هم أيضا صنفان، و ذكر فى جزائهم من جنس ما لأهل البوادى أنهى ما يتصورونه و يتمنونه فقال: ﴿ و أصحب اليمين ﴾ ثم فخم أمرهم و أعلى مدحهم لتعظيم جزائهم، و الإشارة[3] إلى أنهم أهل لأن يسأل عن حالهم فانهم فى غاية الإعجاب فقال: ﴿ ما أصحب اليمين ﴾ و لما عبر عنهم بما

---

(١) من ظ، و فى الأصل: قد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: اشارة .

أنهم

أفهم انهم أولو القوة و الجد فى الأعمال ، و البركة فى جميع الأحوال ، ذكر عيشهم بادئا بالفاكهة لأن عيش الجنة كله تفكه ، ذاكرا منها ما ينبت فى بلاد العرب من غير كلفة بغرس و لا خدمة ، و أشار إلى كثرة ما يذكره بأن جعله ظرفهم ، فقال من غير ذكر لسرير الملك الذى حبا به المقربين من الملك ، و لم يزد على ذلك المأكول و ما معه بما يتصور للبهائم : ٥ ﴿ فى سدر ﴾ أى شجر نبق متدلى الأغصان من شدة حمله ، من سدر الشعر - إذا سدله ﴿ مخضود ﴾ أى هو مع أنه لاشوك له و لا عجم بحيث تنثنى أغصانه من شدة الحمل ، من خضد الشوك : قطعه ، و الغصن : ثناه و هو رطب ، و فى ذكر هذا[1] تنبيه على أن كل ما لانفع فيه أو فيه نوع أذى له فى الجنة وجود كريم لأن الجنة إنما خلقت للنعيم . ١٠

و لما ذكر ما يطلع فى الجبال و الأماكن المعطشة و الرمال ، اتبعه ما لايطلع إلا على المياه دلالة على أن أماكنهم فى غاية السهولة و الرى فقال : ﴿ و طلح ﴾ أى شجر موز أو نخل ، و قال الحسن : شجر له ظل بارد طيب ، الرائحة [و قال الفراء و أبو عبيدة : شجر عظام لها شوك ، و قيل : هو أم غيلان ، و له نور كثير - ١] ، و يحكى عن أبى تراب النخشبى ١٥ أنه كان سائرا مع قوم من الصوفية على قدم التوكل ، فجاعوا أياما فقال : أتريدون ان تأكلوا ، قالوا : نعم ، فضرب بيده على شجرة أم غيلان فاذا عليها عراجين موز ، فأكلوا إلا شابا منهم ، فقال : لا آكل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك هذا (١) زيد من ظ .

و لا أصحبك بعدها ، لأنى كنت أسير بلا معلوم ، و قد صرت أنت الآن معلومى ، كلما جعت التفتت نفسى إليك . ﴿منضود ۙ﴾ اى منظوم بالحمل من أعلاه إلى أسفله متراكم يتراكب بعضه على بعض على ترتيب هو فى غاية الإعجاب ، قال فى القاموس : الطلح : شجر عظيم ، و الطلع : و الموز ، ٥ و الطلع من النخل : شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان و الحمل بينهما منضود ، و الطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته أول ظهورها .

و لما ذكر ما لا يكون إلا فى البلاد الحارة قال : ﴿ و ظل ممدود ۙ ﴾ أى مستوعب للزمان و المكان فهو دائم الاستمداد كما بين الإسفار و طلوع الشمس لا فناء له و لا نهاية . و لما كان ما ذكر من الرى لا يستلزم ١٠ الجرى[١] قال : ﴿ و ماء مسكوب ۙ ﴾ أى جار فى منازلهم من غير أخدود و لا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة ، و لا الإدلاء فى بئر كما لأهل البوادى .

و لما ذكر ما تقدم ، عم بقوله : ﴿ و فاكهة كثيرة ۙ ﴾ أى اجناسها و أنواعها و أشخاصها . و لما كانت لا تكون عندنا إلا فى أوقات يسيرة ، ١٥ بين أن أمر الجنة على غير ذلك فقال : ﴿ لا مقطوعة ﴾ و لما كانت فى الدنيا قد يعز التوصل إليها مع وجودها لشيء من الأشياء أقله صعود الشجرة أو التحجز / بجدار أو غيره قال : ﴿ و لا ممنوعة ۙ ﴾ و لما كان التفكه ١٧١/أ لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال : ﴿ و فرش مرفوعة ۭ ﴾ أى هى رفيعة القدر و عالية بالفعل لكثرة الحشو و لتراكم بعضها على بعض

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجبر .

و لأنها على السرر ، و روى البغوي[1] من طريق النسائي عن أبي سعيد و أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ارتفاعها كما بين السماء و الأرض مسيرة خمسمائة عام .

و لما كانت النساء يسمين فرشا ، قال تعالى معيدا للضمير على غير ما يتبادر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكدا لأجل ٥ إنكار من ينكر البعث : ﴿ انآ ﴾ أي بما لنا من [2]القدرة و[2] العظمة التي لايتعاظمها شيء ﴿ انشا نهن ﴾ أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت و لو عن الهرم و [3]العجز بالبعث[3]، و زاد في التأكيد فقال : ﴿ انشآء لا ﴾ أي من غير ولادة ، بل جمعناهن[4] من التراب كما فعلنا في سائر المكلفين ليكونوا كأبيهم آدم عليه الصلاة و السلام في خلقه من ١٠ تراب ، فتكون الإعادة كالبداءة ، و لذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه الصلاة و السلام ، و يجوز أن [5]يكون المراد[5] بهن الحور العين فيكون إنشاءا مبتدعا لم يسبق له وجود .

و لما كان للنفس أتم التفات إلى الاختصاص ، و كان الأصل في الأنثى المنشأة أن تكون بكرا ، نبه على أن المراد بكارة لا تزول إلا حال ١٥ الوطئ ثم تعود ، فكلما عاد إليها وجدها بكرا ، فقال : ﴿ فجعلنهن ﴾ أي الفرش الثيبات و غيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء ﴿ ابكارا لا ﴾ أي

(١) في معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٧ / ١٥ (٢ – ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ – ٣) من ظ ، و في الأصل : للبعث بالعجز (٤) من ظ ، و في الأصل : جعلناهن (٥–٥) في ظ : يراد .

بكارة دائمة لأنه لاتغيير فى الجنة و لا نقص .

و لما كان مما[1] جرت به العادة أن البكر تتضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بازالة البكارة، دل [على] أنه لا نكد هناك أصلا بوجع و لا غيره بقوله : ﴿ عربا ﴾ جمع عروب ، و هى الغنجة المتحببة إلى زوجها ، ٥ قال الرازى فى اللوامع : الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب . و لما كان الاتفاق فى السن أدعى إلى المحبة و مزيد الألفة قال : ﴿ اترابا ﴾ أى على سن واحدة و قد واحد ، بنات ثلاث و ثلاثين [سنة ـ[2]] و كذا أزواجهن . قال الرازى فى اللوامع : أخذ من لعب الصبيان بالتراب ـ انتهى ، و روى البغوى[3] من طريق عبد بن حميد عن الحسن : قال أتت عجوز[4] ١٠ النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله ! ادع [5]الله أن يدخلني[5] الجنة ، فقال : يا أم فلان ! [إن ـ[6]] الجنة لاتدخلها عجوز ، فولت تبكى ، قال : أخبروها أنها لاتدخلها و هى عجوز ، إن الله تعالى يقول : إنا انشاناهن ، الآية ، رواه الترمذى عنه فى الشمائل هكذا مرسلا ، و رواه البيهقى فى كتاب البعث عن عائشة رضى الله عنها و الطبرانى فى الأوسط من وجه ١٥ عنها ، و من وجه آخر عن أنس رضى الله عنه ، قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر : و كل طرقه ضعيفة ، و روى البغوى[3] أيضا من طريق الثعلبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم فى هذه الآية

---

(١) من ظ ، و فى الاصل : ما (٢) زيد من ظ (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٦ (٤) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعالم فحذفناها .
(٥-٥) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : الى ان أدخل (٦) زيد من المعالم .

قال

قال: عجائزكن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلهن أبكارا.

و لما كان هذا الوصف البديع مقتضيا لما يزدهى [عنه - [1]] النفس لأن يقال: لمن هؤلاء؟ و إن كان قد علم قبل ذلك، نبه عليه بقوله تعالى: ﴿لاصحٰب اليمين ﴾ و يجوز أن يتعلق بـ "أترابا" نصا على أنهن فى أسنان أزواجهن[2]. ٥

/ و لما أنهى وصف ما فيه أهل هذا الصنف على أنهى ما يكون ١٧٢ / لأهل البادية بعد أن وصف ما للسابقين بأعلى ما يمكن أن يكون لأهل الحاضرة، و كان قد قدم المقايسة فى السابقين بين الأولين و الآخرين، فعل هنا كذلك فقال: ﴿ثلة من الاولين ﴾ أى من أصحاب اليمين ﴿و ثلة﴾ أى منهم ﴿من الأخرين ﴾ فلم يبين فيهم قلة و لا كثرة، ١٠ و الظاهر أن الآخرين أكثر، فان وصف الأولين بالكثرة لاينافى كون غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبى صلى الله عليه و سلم: إن هذه الأمة ثلثا أهل الجنة، فانهم عشرون و مائة صف، هذه الأمة منهم ثمانون صفا.

و لما أتم وصف ما فيه الصنفان المحمودان، و به تمت أقسام أصحاب ١٥ الميمنة الأربعة الذين هم أصحاب القلب و اليمين، أتبعه أضدادهم فقال: ﴿و اصحٰب الشمال ﴾ أى الجهة التى تتشاءم العرب بها و عبر بها عن الشىء الأخس و الحظ الأنقص[3]، و الظاهر أنهم أدنى أصحاب المشأمة كما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: ازواج (٣) من ظ، و فى الأصل: الأنفس.

كان أصحاب اليمين دون السابقين من أصحاب الميمنة، ثم عظم ذمهم و مصابهم فقال: ﴿ مآ أصحٰب الشمال ﴾ [أى - ١] إنهم بحال من الشوم ٢هو جدير٢ بأن يسأل عنه٣. و لما ذمهم و عابهم، ذكر عذابهم ليعلم أن القسم الأشد منهم فى الشوم أشــد عذابا فقال: ﴿ فى سموم ﴾ أى ظرفهم المحيط بهم لفح من لفح النار شديد يتخلل٤ المسام ﴿ و حميم ﴾ أى ماء حار بالغ فى الحرارة إلى حد يذيب اللحم.

و لما كان للتهكم فى القلب من شديد الوقد ما يجل عن الوصف و الحد قال: ﴿ و ظل ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال: ﴿ من يحموم ﴾ أى دخان أسود كالحمم أى الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة و شبه صيغة المبالغة. و لما كان المعهود من الظل البرد و الإراحة، نفى ٥ذلك عنه٥ فقال: ﴿ لا بارد ﴾ ليروح النفس ﴿ و لا كريم ﴾ ليؤنس به و يلجأ إليه و يرجى خيره٦ و يعول فى حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع الخلق الصفوح من الإكرام، بل هو مهين، سماه ظلا لترتاح النفس إليه ثم نفى عنه نفع الظل و بركته لينضم حرقان: اليأس بعد الرجاء إلى إحراق اليحموم فتصير الغصة غصتين.

و لما أنتج هذا أنه على خلق اللئيم فهو موضع الحرارة و الضيق و الخسة و الشدة، علله بقوله: ﴿ انهم ﴾ أكده و إن كان فيهم أهل

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) من ظ، و فى الأصل: هم جديرون (٣) من ظ، و فى الأصل: عنهم (٤) من ظ، و فى الأصل: متحلل (٥ - ٥) من ظ، و فى الأصل: عن ذلك (٦) من ظ، و فى الأصل: غيره.

الضر لاجتماعهم فى الاستر واح إلى منابذة الدين باتباع الشهوات ، و لأن ما مضى لهم بالنسبة إلى هذا العذاب حال ناعم ، و عبر بالكون دلالة على العراقة فى ذلك و لو بتهيؤهم له جبلة و طبعا فقال: ﴿ كانوا ﴾ أى فى الدنيا . و لما كان ذلك ملازما للاستغراق فى الزمان بميل الطباع ، نزع الجار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ اى الأمر العظيم [الذى - [1]] وصلوا ٥ إليه ﴿ مترفين قلے ﴾ أى فى سعة من العيش منهمكين فى الشهوات مستمتعين بها متمكنين فيها لترامى طباعهم إليها فأعقبهم ما فى جبلاتهم من الإخلاد إلى الترف عدم الاعتبار و الاتعاظ فى الدنيا و التكبر على الدعاة إلى الله ، و فى الآخرة شدة الألم لرقة أجسامهم المهيئة للترف بتعودها بالراحة باخلادها إليها و تعويلها عليها ﴿ و كانوا ﴾ أى مع الترف ١٠ ﴿ يصرون ﴾ أى يقيمون و يدومون [2] على سبيل التجديد مما لهم من الميل الجبلى إلى ذلك ﴿ على الحنث ﴾ أى الذنب / ، و منه قولهم : بلغ الغلام / ١٧٣ الحنث ، أى الحلم الذى هو وقت المؤاخذة بالذنب ، و يطلق الحنث على الكذب و الميل إلى الأباطيل و اليمين الغموس و نقض العهد المؤكد .

و لما كان ذلك قد يكون من [3] المعهود مما يغتفر بكونه صغيرا ١٥ أو فى وقت يسير قال: ﴿ العظيم ج ﴾ دالا على أنهم يستهينون العظائم من القبائح و الفواحش .

و لما وصفهم بالترف و الإصرار على السرف ، و كان ذلك يلازم

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يدعون (٣) من ظ ، و فى الاصل : فى .

البطالة ، و كان يلزم عنها الغباوة و الفساد الموجب للشقاوة ، ذكر إنكارهم لما لا أبين منه ، فقال عاطفا على ما أفهمه التعبير عن الإثم بالحنث [من نحو - [1]] : فكانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم لا يبعثون و أن الرسل كاذبون : ﴿ و كانوا يقولون ﴾ أى إنكارا مجددين لذلك دائما ٥ جلافة أو عنادا : ﴿ ائذا ﴾ أى أنبعث إذا ، و حذف العامل لدلالة "مبعوثون" عليه ، و لا يعمل هو لأن الاستفهام و حرف التأكيد اللذين لهما الصدر منعاه ﴿ متنا ﴾ أى فلم يبق فى رد أرواحنا طب بوجه ﴿ و كنا ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ ترابا و عظاما ﴾ و لما كان استفهامهم هذا لإنكار ان يكون فى شىء من إقامة أبدانهم أو رد أرواحهم طب ، أعاد[2] الاستفهام ١٠ تأكيدا لإنكارهم فقال: ﴿ ءانا لمبعوثون ﴾ أى كائن و ثابت بعثنا ساعة من الدهر ، و أكدوا ليكون إنكارهم لما دون المؤكد بطريق الأولى .

و لما كانت أفهامهم واقفة مع المحسوسات لجمودهم . و كان البلى كلما كان أقوى كان ذلك البالى فى زعمهم من البعث أبعد ، قالوا مخرجين فى جمله فعلية عطفا على الواو من "مبعوثون" من غير تأكيد بضمير ١٥ الفصل بالاستفهام: ﴿ او ءاباؤنا ﴾ أى يبعث أباؤنا أى يوجد بعثهم من حين ، و زادوا الاستبعاد على ما أفهموا بقولهم: ﴿ الاولون ﴾ أى الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم ، فصاروا كلهم ترابا و لاسيما إن حملتهم السيول ففرقت ترابهم فى كل أوب ، و ذهبت به فى كل صوب ، و سكن نافع و ابن عامر الواو على أن العاطف "أو" و يجوز أن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اعادوا .

يكون

يكون العطف على محل "ان" و اسمها .

و لما كانوا فى غاية الجلافة، رد إنكارهم باثبات ما نفوه، و زادهم الإخبار باهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلى لمن يفهمه، فقال مخاطبا لأعلى الخلق و أوقفهم به لأن هذا المقام لايذوقه حق ذوقه إلا هو كما أنه لايقوم بتقريره لهم و الرفق بهم [إلا هو]: ﴿قل﴾ أى لهم و لكل من ٥ كان مثلهم، و أكد لإنكارهم: ﴿ ان الاولين ﴾ الذين جعلتم الاستبعاد فيهم أوليا، و نص على الاستغراق بقوله: ﴿ و الأخرين ﴾ و دل على سهولة بعثهم و أنه فى غاية الثبات، منبها على أن نقلهم بالموت و البلى تحصيل لاتفويت: ﴿لمجموعون ﴾ بصيغة اسم المفعول، فى المكان الذى يكون فيه الحساب . و لما كان جمعهم بالتدريج، عبر بالغاية فقال: ١٠ ﴿ الى ميقات ﴾ أى زمان و مكان ﴿ يوم معلوم ﴾ أى معين عند الله، و من شأنه أن يعلم بما عنده من الأمارات، و الميقات: ما وقت به الشيء من زمان أو مكان أى حد .

و لما كان زمان البعث متراخيا عن نزول القرآن، عبر بأداته و أكد لأجل إنكارهم فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد البعث بعد الجمع المدرج ١٥ ﴿ انكم ﴾ / و أيد ما فهمه من أصحاب الشمال هم القسم الأدنى من أصحاب المشأمة فقال: ﴿ ايها الضآلون ﴾ أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لايفهمون، ثم أتبع ذلك ما أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال: ﴿ المكذبون ﴾ أى تكذيبا ناشئا عن الضلال و التقيد بما لايكذب

به[١] إلا عريق فى التكذيب بالصدق ﴿ لآكلون من شجر ﴾ منبته النار •
و لما كان الشجر معدن الثمار الشهية[٢] كالسدر و الطلح ، بينه بقوله :
﴿من زقوم ﴾ أى شيء هو فى غاية الكراهة و البشاعة فى المنظر و نتن
الرائحة و الأذى ، قال أبو عبد الله القزاز فى ديوانه الجامع و عبد الحق
٥ فى واعيه : الزقم[٣] : شوب اللبن و الإفراط فيه ، يقال : بات يزقم اللبن
زقما ، و من هذا الزقوم الذى ذكره الله[٤] تبارك و تعالى ، و قالا : قال
أبو حنيفة : الزقوم شجرة غبراء صغيرة [الورق -[٥]] لا شوك لها زفرة لها
كعابر فى رؤسها و لها ورد تجرشه النحل ، و نورها أبيض و رأس ورقها
قبيح جدا ، وهى مرعى ، و منابتها السهل ، ، قال فى القاموس : فى الدفر
١٠ بالدال المهملة ، الدفر - بالتحريك : وقوع الدود فى الطعام و الذل
و النتن ، و يسكن ، و قال فى المعجمة : الذفر - محركة : شدة ذكاء[٦] الريح كالذفرة
أو يخص[٧] برائحة الإبط المنتن ، و النتن و ماء الفحل ، و الذفراء من الكتائب :
السهكة من الحديد ، و الكعبرة بضمتين و عين وراء مهملتين : عقدة أنبوب
الزرع ، و عن السهيلى ان أبا حنيفة ذكر فى النبات أن شجرة باليمن
١٥ يقال لها الزقوم لا ورق لها ، و فروعها أشبه شيء برؤس الحيات ، و قال
البيضاوى : شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة ، و فى القاموس :
و الزقمة : الطاعون ، و قال فى النهاية : فعول من الزقم : اللقم الشديد

(١) من ظ و فى الأصل : فيه (٢) من ظ ، و فى الاصل : المشبهة (٣) من ظ ، و فى الأصل : الزقوم (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذكر (٥) زيد من ظ . (٦) من ظ ، و فى الأصل : ذكاة (٧) فى القاموس : يخصان .

و الشرب المفرط، و قال ابن القطاع[1] : زقم زقما: بلع، و قد علم من [مجموع - [2]] هذا الكلام تفسيره بالطاعون تارة و الشرب المفرط أخرى، و من الاشتراط و الشجرة المنتنة و البشعة المنظر أنه شيء كريه يضطر آكله إلى التملؤ منه بنهمة و همة عظيمة، و من المعلوم أن الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون إلا فى أعلى طبقات ٥ الكراهة، و لذلك حسن جدا [موقع - [2]] قوله مسببا عن الأكل: ﴿ فمالئون ﴾ أى ملئا هو فى غاية الثبات و أنتم فى غاية الإقبال عليه [مع ما هو عليه - [2]] من عظيم الكراهة ﴿ منها ﴾ أى الشجر، أنثه لأنه جمع شجر أو[3] هو اسم جنس، و هم يكرهون الإناث فتأنيثه - و الله أعلم - زيادة [فى - [2]] تنفيرهم منه ﴿ البطون ﴾ أى لشيء عجيب يضطركم إلى ١٠ تناول هذا الكريه مما هو أشد منه كراهة بطبقات من جوع أو غيره، و إن فسرت بما قالوا [من - [2]] أنه معروف لهم أنه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى أنهم يتملؤن منها تملأ من يأكل من هذا فى الدنيا مع أنه من المعلوم أنه لا شيء فى النار المعدة [للعذاب - [2]] لمن أعدت لعذابه حسن. ١٥

و لما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش، سبب عنه قوله: ﴿ فشربون عليه ﴾ أى على [هذا - [2]] الملء أو الأكل / ﴿ من الحميم ﴾ أى الماء الذى / ١٧٥ هو فى غاية الحرارة بحيث ضوعف إحماؤه و إغلاؤه.

و لما كان شربهم[4] لأدنى قطرة من ذلك فى غاية العجب، ٢٠

(١) فى كتاب الأفعال ٢ / ٨٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: و.
(٤) من ظ، و فى الأصل: شومهم.

أتبعه ما هو اعجب منه و هو شدة تملؤهم منه فقال مسببا عما مضى:
﴿ فشربون ﴾ أى منه ﴿ شرب ﴾ بالفتح فى قراءة الجماعة و بالضم
لنافع و عاصم و حمزة، و قرئ شاذا بالكسر و الثلاثة مصادر، قال فى
القاموس: و شرب كسمع شربا و يثلث أو الشراب مصدر و بالضم و الكسر
٥ اسمان، و بالفتح القوم: يشربون، و بالكسر: الماء و الحظ منه، و المورد
و وقت الشرب، و الكل يصلح هنا ﴿ الهيم ﴾ أى الإبل العطاش لأن
بها الهيام و هو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، و قال القزاز: جمع هيماء
و هو اى - الهيام - بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب و لا تروى -
انتهى. و قال: ذو الرمة:[1]

١٠ فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها و لا يقضى عليها هيامها

ويقال: الهيم: الرمل، ينصب فيه كل ما صب عليه، والمعنى أنه يسلط عليهم من
الجوع مايضطرهم إلى الأكل ثم من العطش مايضطرهم إلى الشرب على هذه الهيئة.

و لما كان كأنه قيل: هذا عذابهم كله، قيل تهكما بهم و نكاية لهم:
﴿ هذا نزلهم ﴾ أى ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف أول
١٥ حلوله كرامة له ﴿ يوم الدين ﴾ أى الجزاء الذى هو حكمة القيامة،
و إذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعده على طريق من يعتنى
به فما ظنك بما يكون [لمن - [2]] هو أغنى منهم من المعاندين و هو
فى طريق التهكم مثل قول أبى الشعراء الضبى:

و كنا إذا الجبار[3] بالسيف[4] ضافنا جعلنا القنا و المرهفات له نزلا

---

(١) راجع البحر المحيط ٢٠٨/٨ (٢) زيد من ظ و البحر المحيط (٣) من ظ، وفى الأصل: ما الجار (٤) فى البحر: بالجيش.

و لما

و لما ذكر الواقعة و ما يكون فيها للأصناف الثلاثة، و ختم بها على وجه بين فيه حكمتها و كانوا ينكرونها، دل عليه بقوله: ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا ﴿ خلقنكم ﴾ أى بما لنا من العظمة، و لعل هذا الخطاب للدهرية المعطلة من العرب. و لما كانوا منكرين [للبعث عدوا منكرين للابتداء -[1]] و إن كانوا من المخاصة (؟) بالمقرين بالخالق لأنهما لما بينهما من ٥ الملازمة لا انفكاك لأحدهما عن الآخر فقال: ﴿ فلو لا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال تهديدا و وعيدا: هلا و لم لا ﴿ تصدقون ه ﴾ أى بالخلق الذى شاهدتموه و لا منازع لنا فيما فيه فتصدقوا بما لا يفرق بينه و بينه إلا بأن يكون أحق منه فى مجارى عاداتكم، و هو الإعادة فتعملوا عمل العبيد لساداتهم ليكون حالكم حال مصدق بأنه مربوب. ١٠

و لما حضضهم على التصديق بالاستدلال بإيجادهم، و كان البعث إنما هو تحويلهم من صورة بالية إلى الصورة التى كانوا عليها من قبل، سبب عن تكذيبهم به مع تصديقهم بالخالق عدم النظر فى تبديل الصور فى تفاصيله، أو سبب عن قول من عساه يقول من أهل الطبائع: إنما خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كامنة[2]، فقال: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل ١٥ رأيتم بالبصر أو البصيرة أنا خلقناكم فيهديكم ذلك أنا نقدر على الإعادة كما قدرنا على البداءة فرأيتم ﴿ ما تمنون ﴾ أى تريقون -/من النطف التى هى منى فى الأرحام بالجماع. / ١٧٦

و لما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب، نبه على ذلك بتجديد الإنكار

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: كامله.

تنبيها على انهم و إن كانوا معترفين بتفرده بالإبداع ، فان إنكارهم للبعث مستلزم لإنكارهم لذلك فقال : ﴿ءانتم تخلقونه﴾ أى [1]توجدونه مقدرا[1] على ما هو عليه من الاستواء و الحكمة بعد خلقه من صورة النطفة إلى صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة ٥ العظام و الأعصاب ﴿ام نحن﴾ خاصة . و لما كان المقام لتقرير المنكرين ذكر[2] الخبر المفهوم من السياق على وجه أفهم أن التقدير : أو أنتم الخالقون له أم نحن ؟ فقال : [3]بل نحن[3] ﴿الخلقون .﴾ أى الثابت لنا ذلك ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا " تخلقون " دليلا على حذف مثله [له ـ[4]] سبحانه ثانيا ، و ذكر الاسم [ثانيا ـ[4]] دليلا على حذف مثله ١٠ لهم أولا ، و سر ذلك [أنه ذكر ـ[4]] ما هو الأوفق لأعمالهم مما[5] يدل على وقت التجدد [و لو ـ[4]] وقتا ما ، و ما هو الأولى بصفاته سبحانه مما يدل على الثبات و الدوام .

و لما كان الجواب : أنت الخالق وحدك ، وكان الطبيعى ربما قال : اقتضى ذلك الحرارة [المخمرة ـ[4]] للنطفة ، وكانت المفاوتة للآجال مع ١٥ المساواة فى اسمية الحياة من الدلائل العظيمة على تمام القدرة على الإفناء و الإبداء بالاختيار مبطلة لقول أهل الطبائع دافعة لهم ، أكد ذلك الدليل بقوله : ﴿نحن﴾ اى بما لنا من العظمة لا غيرنا ﴿قدرنا﴾ أى تقديرا

(١ ـ ١) من ظ ، و فى الأصل : تجدونه مقدورا (٢) من ظ ، و فى الأصل : اكد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ما .

عظيما، لايقدر سوانا على نقض شيء منه ﴿بينكم﴾ أى كلكم لم نترك أحدا منكم بغير حصة منه ﴿ الموت ﴾ أى أوجبناه على مقدار معلوم لكل أحد لا يتعداه، فقصرنا عمر هذا وربما كان فى الاوج من قوة البدن و صحة المزاج، فلو اجتمع الخلق كلهم [على] إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، و أطلنا عمر هذا و قد يكون فى الحضيض من ضعف ٥ البدن و اضطراب المزاج فلو تمالؤا على تقصيره طرفة عين لعجزوا، و أنتم معترفون بأنه سبحانه رتب أفعاله على مقتضى الكمال و القدرة و الحكمة البالغة، فلو كانت فائدة الموت مجرد القهر لكانت نقصا لكونه يعم الغنى و الفقير و الظالم و المظلوم، و لكان جعل الإنسان مخلدا أولى و أحكم، ففائدته غير مجرد القهر و هى الحمل على إحسان العمل للقاهر خوفا من ١٠ العرض عليه و المحاسبة بين يديه ثم النقلة إلى دار الجزاء و الترقية إلى العلوم التى البدن حجابها من تميز الخبيث و الطيب و العلم بمقادير الثواب و العقاب، و غير ذلك مما يبصره أولو الألباب.

و لما كان حاصل الموت أنه تغيير الصورة التى كانت إلى غيرها، و كان من قدر على تحويل صورة شيء إلى شيء قدر على تحويلها ١٥ إلى شيء آخر مماثل لذلك الشيء قال: ﴿ و ما نحن ﴾ أى على ما لنا من العظمة، و أكد النفي فقال: ﴿ بمسبوقين لا ﴾ أى بالموت و لا عاجزين و لا مغلوبين ﴿ علىٰ ان نبدل ﴾ تبديلا عظيما ﴿ امثالكم ﴾ أى صوركم و أشخاصكم لما تقدم فى الشورى من أن المثل فى الأصل هو الشيء نفسه ﴿ و ننشئكم ﴾ أى إنشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم ﴿ فى ما لا تعلمون ﴾ ٢٠

/ ١٧٧ فان بعضهم تأكله السباع أو الحيتان/ أو الطيور فتنشأ أبدانها منه، [١]بعضهم يصير ترابا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب، فنشأ منه[١] أبدانها، و ربما صار ترابه من معادن الأرض كالذهب و الفضة و الحديد و الحجر و نحو ذلك، و قد لمح إلى ذلك قوله تعالى "قل كونوا حجارة او حديدا

٥ [١]او خلقا[١]" إلى آخرها[٢]، أو يكون المعنى كما قال البغوى[٣]: نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم و نخلقكم فيما لاتعلمون من الصور. أى بتغيير[٤] أوصافكم و صوركم فى[٥] صور أخرى بالمسخ. و من قدر على ذلك قدر على الإعادة.

و لما كان التقدير: فلقد علمتم النشأة الثانية النطفية، عطف عليه قوله مؤكدا تنبيها على أنهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون كانوا كأنهم

١٠ منكرون لهذا العلم: ﴿ و لقد علمتم ﴾ أى[٦] أيها العرب ﴿ النشأة الاولى ﴾ الترابية لأبيه آدم عليه الصلاة و السلام: او اللحمية لأمكم حواء عليها السلام حيث لم يكن هناك طبيعة تقتضى ذلك، و إلا لوجد مثل ذلك بعد ذلك، و النطفية لكم، و كل منها تحويل من شىء إلى غيره، فالذى شاهدتم قدرته على ذلك لايقدر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا إلى

١٥ ما كنتم عليه أولا من الصورة؟ و لهذا سبب عما تقدم قوله: ﴿ فلو لا ﴾ أى فهلا ولم لا ﴿ تذكرون ٥ ﴾ أى تذكرا عظيما تكرهون أنفسكم و إن كان فيه خفاء ما ـ مما أشار إليه الإدغام من أن الملوم عليه غيب، و كذا

(١ ـ ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: آخره.
(٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٩ (٤) من ظ، و فى الأصل: بتغير (٥) فى ظ: إلى (٦) سقط من ظ.

بعض

بعض ما قيس به ان من قدر على هذه الوجوه من الإبداءات قدر على الإعادة، بل هى أهون فى مجارى عاداتكم .

و لما كان علمهم بأمر النبات الذى هو الآيـة العظمى لإعادة الأموات أعظم من علمهم بجميع ما مضى، و كان أمره فى الحرث و إلقاء البذر [فيه -[1]] أشبه شيء بالجماع و إلقاء النطفة، و لذلك سميت ٥ المرأة حرثا، وصل بما مضى مسببا عنه قوله منكرا عليهم : ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نبهناكم عليه وفيما تقدم فتسبب عن تنبهكم لذلك أنكم رأيتم ﴿ ما تحرثون ﴾ أى تجددون حرثه على سبيل الاستمرار بتهيئة أرضه للبذر [2]و إلقاء البذر فيه[2] .

و لما كانوا لايدعون القدرة على الإنبات بوجه، وكان القادر عليه ١٠ قادرا على كل شيء، و هم يعتقدون فى أمر البعث ما يؤدى إلى الطعن فى قدرته، كرر الإنكار عليهم فقال : ﴿ ءانتم تزرعونه ﴾ أى تنبتونه بعد طرحكم البذر فيه و تحفظونه إلى أن يصير مالا ﴿ ام نحن ﴾ خاصة، وأكد لما[3] مضى بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال : ﴿ الزرعون ﴾ أى المنبتون له و الحافظون، فالآيه من الاحتباك بمثل ما مضى فى ١٥ أختها قريبا سواء .

و لما كان الجواب قطعا : أنت الفاعل لذلك وحدك ؟ [قال -[1]] موضحا لأنه ما زرعه غيره بأن الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : بما .

يفسده، و من إذا أراد إفساده لم يقدر أحد على منعه ﴿لو نشآء﴾ أى لو عاملناكم بصفة العظمة، و أكد لأن فعلهم فعل الآمن [من - [1]] ذلك مع أنهم فى غاية الاستبعاد لأن يهلك زرعهم كما زرعوه أو لأن المطعوم أهم من المشروب و أعظم، فانه الأصل فى إقامة البدن و المشروب ٥ تبع له فقال : ﴿ لجعلنه ﴾ أى بتلك العظمة ﴿ حطاما ﴾ أى مكسرا مفتتا / لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج أو بعده ببرد مفرط أو حر مهلك أو غير ذلك فلا ينتفع به ﴿ فظلتم ﴾ أى فأقمتم بسبب ذلك نهارا فى وقت الأشغال العظيمة و فى كل وقت و تركتم كل ما يهمكم ﴿ تفكهون ﴾ قال فى القاموس : فكههم بملح الكلام : أطرفهم ١٠ بها و فكه - كفرح فكها فهو فكه و فاكه : طيب النفس أو يحدث صحبه فيضحكهم و منه تعجب كتفكه، و التفاكه : التمازح، و تفكه : تندم، و الأفكوكة : الأعجوبة، و قال ابن برجان : الفكه هو المتردد فى القول الذاهب فيه كل مذهب - انتهى . فأقمتم دائما تندمون على العاقكم (؟) أو معاصيكم التى سببت ذلك التلف أو تتعجبون أو تحدثون فى ذلك ١٥ و لم تعرجوا على شغل غيره كما تفعلون عند الأشياء السارة التى هى فى غاية الإعجاب و الملاحة و الملاءمة، و لهذا عبر عما المراد به الإقامة مع الدوام بـ "ظل" الذى معناه أقام نهارا إشارة [إلى ترك الأشغال التى تهم و محلها النهار ؛ يمنع الإنسان من أكثر مايهمه من الكلام لهذا النازل الأعظم، و حذف إحدى لامى ظل و تاء التفعل من تفكه إشارة - [1]]

١٧٨ /

---

(١) زيد فى ظ : تفكه.

إلى ضعف المصابين عن الدفاع فى بقائهم و فى كلامهم حال بقائهم الضعيف، و كون المحذوف عين الفعل و هو الوسط، إشارة إلى خلع القلب و اختراق الجوف و القهر العظيم، فلا قدرة لأحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه و لا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر و خوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله ممن يعلم أنه لا ضر فى يده و لا نفع، ٥ و ربما كان ذلك إشارة إلى [أنه - [1]] عادته سبحانه قرب الفرج فى شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكنا من الشكر لا عذر له فى تركه، و يكون المعنى أنكم مع [كثرة - [1]] اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تيأسون أول ما يصدمكم البلاء، فتقبلون على كثرة الشكاية، و لا ينفعكم كثرة التجارب لإدرار النعم أبدا. ١٠

و لما ذكر تفكههم، و كان التفكه يطلق على ما ذكر من التعجب و التندم و على التنعم، قال الكسائى: هو من الأضداد، تقول العرب: تفكهت أى تنعمت، و تفكهت، أى حزنت، بين المراد بقوله حكاية لتفكههم: ﴿ انا ﴾ و أكد إعلاما بشدة بأسهم [فقال - [1]]: ﴿ لمغرمون ﴾ أى مولع بنا و ملازمون بشر دائم و عذاب و هلاك لهلاك رزقنا، ١٥ أو مكرمون بغرامة ما أنفقنا و لم ينتفع به، و قراءة أبى بكر عن عاصم بالاستفهام لإنكار هذا الواقع و الاستعظام له و التعجب منه، و هى منبهة على أنهم لشدة اضطرابهم [2] من ذلك الحادث مذبذبون تارة يجزمون باليأس و الشر و تارة يشكون فيه و ينسبون الأمر إلى سوء تصرفهم، و عليه يدل

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: اضطرارهم.

إضرابهم[1]: ﴿ بل نحن﴾ أى خاصة ﴿ محرومون ﴾ أى حرمنا غيرنا وهو من لا يرد قضاؤه، فلا حظ لنا فى الاكتساب، فلو كان الزارع ممن له حظ لأفلح زرعه، قال فى القاموس: الغرام: الولوع[2] والشر الدائم والهلاك والعذاب، والغرامة ما يلزم أداؤه، وحرمه: منعه، والمحروم، الممنوع عن الخير ومن لا ينمى له مال والمحارف - [أى -[3]] بفتح الراء - وهو الممنوع من الخير الذى لا يكاد يكتسب، وقال الأصبهانى فى تفسيره: والمحروم ضد المرزوق، أى والمرزوق المجرود بالجيم وهو المحظوظ.

/179 / ولما وقفهم على قدرته فى الزرع مع وجود أسبابه، وقدمهم بشدة إليه، وكان ربما ألبس نوع لبس لأن لهم فيه سببا فى الجملة، أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف فى سببه الذى هو الماء الذى لا سبب لهم فى شيء من أمره أصلا، فقال مسببا عما أفادهم هذا التنبيه مذكرا[4] بنعمة الشرب[5] الذى يحوج إليه الغذاء: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نبهنا عليه مما مضى فى المطعم وغيره، أفرأيتم ﴿ الماء ﴾ ولما كان منه ما لا يشرب، وكانت النعمة فى المشروب أعظم، قال واصفا له بما أغنى عن وصفه بالعذوبة، وبين موضع النعمة التى [6]لا محيد عنها فقال[6]: ﴿ الذى تشربون ﴾ ولما كان عنصره فى[7] جهة العلو، قال منكرا عليهم مقررا لهم: ﴿ ءانتم انزلتموه ﴾ ولما كان الإنزال

(١) فى الأصل: اضطرابهم، وفى ظ: ة اصرارهم (٢) من ظ والقاموس، وفى الأصل: الوداع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: مذكر (٥) من ظ، وفى الأصل: الرب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: من.

قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس، و كان السحاب من عادته المرور مع الريح لايكاد يثبت، عبر بقوله تحقيقا لجهة العلو و توقيفا على موضع النعمة فى إثباته إلى أن يتم حصول النفع به: ﴿من المزن﴾ أى السحاب المملوء الممدوح الذى شأنه الإسراع فى المضى، و قال الأصبهانى: [و - ١] قيل: السحاب الأبيض خاصة، و هو أعذب ماء ٥ ﴿ ام نحن ﴾ أى خاصة. و أكد بذكر الخبر و هو لايحتاج إلى ذكره فى أصل المعنى فقال: ﴿ المنزلون ه ﴾ أى له، رحمة [لكم - ١] و إحسانا إليكم بتطييب عيشكم على ما لنا من مقام العظمة الذى شأنه الكبر و الجبروت وعدم المبالاة بشيء، و الآية من الاحتباك بمثل ما مضى فى الآيتين السابقتين سواء. ١٠

و لما كان الجواب: أنت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق بما لك من الرحمة و كمال الذات و الصفات، قال مذكرا بنعمة أخرى: ﴿ لونشآء ﴾ أى حال إنزاله و بعده قبل أن ينتفع به. و لما كانت صيرورة الماء [ملحا - ١] أكثر من صيرورة النبت حطاما، لم يؤكد لذلك و للتنبيه على أن السامعين لما مضى التوقيف على تمام القدرة صاروا فى ١٥ حيز المعترفين فقال تعالى: ﴿ جعلنه ﴾ أى بما تقتضيه صفات العظمة ﴿ اجاجا ﴾ أى ملحا مرا محرقا كأنه فى الأحشاء لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا و لا ينبت نبتا ينتفع به. و لما كان هذا مما لايساغ[٢] لإنكاره،

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

سبب عنه على سبيل الإنكار و التحضيض قوله : ﴿ فلو لا تشكرون ﴾ أى فهل لا و لم لا تجددون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم[1] ذلك من القوى فى طاعة الذى أوجده لكم و مكنكم منه و جعله ملائما لطباعكم مشتهى لنفوسكم نافعا لكم فى كل ما ترونه .

٥ و لما كانت النار سببا لعنصر ما فيه الماء فيتحلب فيتقاطر كما كان الماء سببا لتشقيق الأرض بالزرع، و لم يكن لمخلوق قدرة على التوصل بنوع سبب، أتبعه بها كما أتبع الزرع بالماء لذلك و لبيان القدرة على ما لاسبب فيه لمخلوق فى السفل كما كان إنزال الماء عريا عن سنتهم فى العلو، فقال مسببا عما مضى تنبيها على أنه أهلهم للتأمل فى مصنوعاته

١٨٠ / ١٠ و التبصر فى عجائب آياته فقال : / ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم بالأبصار و البصائر ما تقدم فرأيتم ﴿ النار ﴾ و لما كان المراد نارا مخصوصة توقفهم[2] على تمام قدرته و تكشف لهم ذلك كشفا بينا بايجاد الأشياء من أضدادها فقال : ﴿ التى تورون ﴾ أى تستخرجون من الزند فتوقدون به سواء كان الزند يابسا أو أخضر بعد أن كانت خفية فيه

١٥ لايظن من لم يجرب ذلك أن فيه نارا أصلا ، فكان ذلك مثل التورية التى يظهر فيها شىء و يراد غيره ، ثم صار بعد ذلك الخفاء[3] إلى ظهور عظيم و سلطة متزايدة و عظمة ظاهرة[4] تحرق كل ما لابسها حتى ما خرجت منه ، و العرب أعرف الناس بأمر الزند ، و ذلك أنهم يقطعون

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : افاد (٢) من ظ ، و فى الأصل : توقفتم (٣) من ظ ، و فى الأصل : الاخفاء (٤) فى ظ : باهرة .

غصنا من شجر المرخ و آخر من العفار، و يحكون أحدهما على الآخر فتقدح منها النار على أن النار فى كل شجر، و إنما خص المرخ و العفار لسهولة القدح منهما، و قد قالوا: فى كل شجر نار واستمجد المرخ و العفار.

و لما كان هذا من عجائب الصنع، كرر التقرير و الإنكار تنبيها عليه فقال: ﴿ ءانتم انشاتم ﴾ أى اخترعتم و أوجدتم و أودعتم ٥ و أحييتم و ربيتم و أوقعتم ﴿شجرتهآ ﴾ أى المرخ و العفار التى تتخذون منها الزناد الذى يخرج منه. و أسكنتموها النار مختلطة بالماء الذى هو ضدها و خبأتموها فى تلك الشجرة لايعدو واحد[1] منها على الآخر مع المضادة فيغلبه حتى يمحقه و يعدمه ﴿ ام نحن ﴾ اى خاصة، و أكد بقوله: ﴿ المنشئون ﴾ أى لها بما لنا من العظمة على تلك[2] الهيئة، فمن قدر على ١٠ [إيجاد -[3]] النار التى هى أيبس ما يكون من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها فى كيفيتها، كان أقدر على إعادة الطراوة و الغضاضة فى تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس و بلى، و الآية من الاحتباك بمثل[4] ما مضى فى أخواتها سواء.

و لما كان الجواب قطعا: أنت وحدك، قال دالا على ذلك ١٥ تنبيها على عظم هذا الخبر: ﴿ نحن ﴾ أى خاصة ﴿ جعلنٰها ﴾ بما اقتضته عظمتنا، و قدم من منافعها ما هو أولى بسياق البعث الذى هو مقامه فقال: ﴿ تذكرة ﴾ أى شيئا تتذكرونه [5]و تتذكرون[5] به تذكرا عظيما جليلا عن[6]

---

(١) من ظ، و فى الأصل: واحدا (٢) من ظ، و فى الأصل: ذلك (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: مثل (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) سقط من ظ.

كل ما أخبرنا به من البعث و عذاب النار الكبرى و ما ينشأ فيها من شجرة الزقوم [١]و غير ذلك[١] مما ننيره لأولى البصائر و الفهوم من العلوم، قال ابن برجان: فوزان قدح الزناد من الشجر، و الزناد وزان الصيحة بهم و وزان إنشائه الأجسام وزان إنشائه الشجرة النار، و يتذكر بانشائها
٥ فى الشجر إنشاء الحياة فى الأجسام و بانشائها من غيبها أن النار الكبرى فى غيب ما نشاهده، و هذا من آثار كونها فى الجو - انتهى. و علق بها سبحانه كثيرا من أسباب المعاش التى لاغنى عنها ليكون مذكرا لهم بما أوقدوا به حاضرا دائما فيكون أجدر باتعاظهم ﴿و متاعا﴾ أى إنشاء و بقاء و تعميرا و نفعا و إيصالا إلى غاية المراد من الاستضاءة و الاصطلاء
١٠ و الإنضاج و التحليل و الإذابة و التعقيد و التكليس، و هروب السباع و غير ذلك، و المراد أنها سبب لجميع ذلك ﴿للمقوين؀﴾ أى الجياع الذين أقوت بطونهم - أى خلت - من الفقر و الإغناء من النازلين بالأرض[٢] القواء، و القواء بالكسر و المد أى القفر الخالية المتباعدة الأطراف / البعيدة من العمران، و كل آدمى مهيأ للقواء فهو موصوف به و إن لم يكن حال
١٥ الوصف كذلك، و قال الرازى: أقوى من الأضداد: اغتنى و افتقر، و قال أبو حيان[٣]: و هذه الأربعة التى ذكرها الله تعالى و وقفهم عليها من أمر خلقهم و ما به قوام عيشهم من المطعوم و المشروب، و النار من أعظم الدلائل على البعث إذ فيها انتقال من شيء إلى شيء و إحداث

١٨١ /

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: غيرك (٢) من ظ، و فى الأصل: بارض.
(٣) راجع البحر المحيط ٨/٢١٢.

شيء

شيء من شيء، و لذلك امر فى آخرها بتنزيهه - انتهى .

و لما دل [سبحانه -[١]] فى هذه الآيات على عجائب القدرة و غرائب الصنع، فبدأ بالزرع و ختم بالنار و الشجر، و أوجب ما نبه عليه من التذكر لأمرها و التبصر فى شأنها [أنها -[١]] من أسباب ما قبلها، و أنه سبب لها لكونه سببا لها لإثبات ما هى له، و كان بمجموع ذلك إشارة ٥ إلى [٢]العناصر الأربعة، قال ابن برجان: إلا أن الماء و الأرض لخلق الأركان، و الأخلاق و الصفات للهواء و النار، و كان ذلك من جميع وجوهه أمرا باهرا، أشار إلى زيادة عظمته بالأمر بالتنزيه مسببا عما أفاد ذلك، فقال معرضا عمن قد يلم به الإنكار مقبلا على أشرف خلقه إشارة إلى[٢] أنه لايفهم هذا المقام حق فهمه سواه و لا يعمل به حق عمله ١٠ غيره[٣]: ﴿ فسبح ﴾ أى أوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة نقص من ترك البعث و غيره و لا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة إلى حد المحسوس تسبيح متعجب من آثار قدرته الدالة على تناهى عظمته و تسبيح شكر له و تعظيم له و إكبار و تنزيه عما يقول الجاحدون و تعجيب منهم مقتديا بجميع ما فى السماوات و الأرض، و من أعجب ذلك أنه سخر لنا ١٥ فى هذه الدار جهنم، قال ابن برجان : جعل منها بحرارة الشمس جنات و ثمرات و فواكه و زروع[٤] و معايش .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى الأصل : قال، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : زرع .

و لما كان تعظيم الاسم اقعد[1] فى تعظيم المسمى قال: ﴿ باسم ﴾ أى متلبسا بذكر اسم ﴿ ربك ﴾ اى المحسن بعد التربية إليك بهذا البيان الأعظم بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك، و أثبتوا ألف الوصل هنا لأنه لم يكثر دوره كثرته فى البسملة منها وحذفوه منها لكثرة دورها ٥ وهم[2] شأنهم الإيجاز و تقليل الكثير إذا عرف معناه، و هذا معروف لا يجهل، و إثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه، و كذا لا تحذف الألف مع غير الباء في اسم الله و لا مع الباء فى غير الجلالة من الأسماء لما تقدم من العلة.

و لما كان المقام للتعظيم قال: ﴿ العظيم ع ﴾ (الثلثة) الذي ملأ الأكوان كلها ١٠ عظمة، فلا شىء منها إلا و هو مملوء بعظمته تنزها عن أن تلحقه شائبة نقص أو يفوته شىء من كمال، قال القشيرى: و هذه الآيات التى عددها سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال و كما فى الخبر "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة" هذه الفكرة التى نبه الله عليها.

و لما كان من العظمة الباهرة[3] ما ظهر فى هذه السورة من أفانين ١٥ الإنعام فى الدارين، و بدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة، ثم دل عليها بانعامه فى الدنيا فكان تذكيرا بالنعم لتشكر، و دلالة على النتيجة لتذكر، و فى كل حالة تستحضر فلا تكفر، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح من المحسوس و أضوأ من المشموس، و كان / مع هذه الأمور الجليلة /١٨٢

(١) من ظ، و فى الأصل: انفذ (٢) من ظ، و فى الأصل: هو (٣) من ظ، و فى الأصل: التى نبه الله عليها.

فى مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه، [أما -[1]] من جهة الجواب عن[2] تشبههم و تعنتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لا يمكن أن يكون شيء مثلها[3]، و يزيد على ذلك بما شاء الله من المعارف من غير أن يدع لبسا، و [أما -[1]] من جهة المفردات فلكونها النهاية فى جلالة الألفاظ و رشاقة الحروف و جمع المعانى، فيفيد ذلك أنه[4] لاتقوم كلمة ٥ أخرى مقام كلمة منه أصلا، و أما من جهة التركيب فلكون كل [كلمة -[1]] منها أحق فى مواضعها بحيث أنه لو قدم شيء منها أو أخر لاختل المعنى المراد فى ذلك السياق بحسب ذلك المقام، و أما من جهة الترتيب[5] فى الجمل و الآيات و القصص فى المبادئ و الغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام [الدر -[1]] اليتيم فى العقد المحكم النظيم، ١٠ لأنها إما أن تكون علة لما تلته أو دليلا أو متممة بوجه من الوجوه الفائقة[6] على وجه ممتع الجناب جليل الحجاب لتكون أحلى فى فه، و أجلى بعد ذوقه فى نظمه و سائر علمه، فكان ثبوت جميع ما أخبر به على وجه لامعتمر فيه و لاوقفة فى اعتقاد حسنه، فثبت أن الله تعالى أرسل الآتى بهذا القرآن صلى الله عليه و سلم بالهدى و بالحق، لا أنه أتاه كل ما ينبغى ١٥ له، فآتاه الحكمة و هى البراهين القاطعة باستعمالها على وجوهها، و الموعظة الحسنة، و هى الأمور المرققة للقلوب المنورة للصدور، و المجادلة التى هى على أحسن الطرق فى نظم معجز موجب[7] للايمان، فكان من سمعه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: على (٣) من ظ، و فى الأصل: منها (٤) من ظ، و فى الأصل: ان (٥) من ظ، و فى الأصل: التركيب (٦) من ظ، و فى الأصل: الفايتة (٧) فى ظ: مسقط.

و لم يؤمن لم يبق له من المحلات إلا أن يقول: هذا البيان ليس لظهور المدعى و ثبوته بل لقوة عارضة المدعى و قوته على تركيب الأدلة و صوغ[1] الكلام و تصريف وجوه المقال ، و هو يعلم أنـــه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله[2]، كما أنه ربما يقول أحد المتناظرين عند انقطاعه لخصمه :

٥ أنت تعلم أن الحق معى لـكنك تستضعفنى و لا تنصفنى ، فحينئذ لا يبقى للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التى لا مخرج عنها أنه غير مكابر و أنه منصف ، و إنما يفزع[3] إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضا لمثل هذا ، فيقول : و هذا غلبتنى فيه لقوة جدالك و قدرتك على سوق الأدلة ببلاغة مقالك ، فلذلك كانوا إذا ألجمهم النبى صلى الله

١٠ عليه و سلم قالوا :إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه ، فلم يبق إلا الإقسام ، فأنزل الله أنواعا من الاقسام بعد الدلائل العظام ، و لهذا كثرت [الآيات ـ[4]] فى أواخر القرآن ، و فى السبع الأخيرة خاصة أكثر ، فلذلك سبب عن هذه الأدلة الرائعة و البراهين القاطعة قوله : ﴿ فلآ اقسم ﴾ باثبات " لا " النافية[5] ، إما على أن يكون مؤكدة بأن

١٥ ينفى[6] ضد ما أثبته القسم ، فيجمع الكلام بين إثبات المعنى المخبر به و نفى ضده ، و إما على تقدير أن هذا المقام يستحق لعظمته و إنكاركم له أن

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : صدع (٢) من ظ ، و فى الأصل ـ لمقاله . (٣) من ظ ، و فى الأصل : يصوع (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الناهية (٦) من ظ ، و فى الأصل : يبقى .

يقدم عليه بأعظم من هذا على ما له من العظمة لمن له علم[١] - و الله أعلم.

/ و لما كان [الكلام - [٢]] السابق فى الماء الذى جعله سبحانه مجمعا للنعم الدنيوية الظاهرة و قد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره و قانون أحكمه، و جعل إنزال القرآن نجوما مفرقة و بوارق متلالئة متألقة قال: ﴿ بموٰقع النجوم ۙ﴾ أى بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة النافعة المحيية للقلوب، و بهبوطها الذى ينبنى عليه ما ينبنى من الآثار الجليلة و أزمان ذلك و أماكنه و أحواله، و بمساقط الكواكب و أنوائها و أماكن ذلك و أزمانه فى تدبيره على ما ترون من الصنع المحكم و الفعل المتقن المقوم، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطى بعد النشر و الإعدام بعد الإيجاد، و بطلوعها الذى يشاهد أنها ملجأة إليه إلجاء الساقط من علو إلى سفل لايملك لنفسه شيئا، لقدرته على الإيجاد بعد الإعدام، و بآثار الأنواء على مثل ذلك بأوضح منه - إلى غير ذلك من الدلالات التى يضيق عنها العبارات، و يقصر دون علياها مديد الإشارات، و لمثل هذه المعانى الجليلة و الخطوب العظيمة جعل فى الكلام اعتراضا بين القسم و جوابه، و فى الاعتراض اعتراضا بين الموصوف و صفته تأكيدا للكلام، و هزا لنافذ الافهام تنبيها على أن الأمر عظيم و الخطب فادح جسيم، فقال موضحا له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غير ما يعلمون من عظمتنا فعدوا غير عالمين: ﴿ و انه ﴾ أى هذا القسم على

---

(١) زيد فى الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ.

[هذا - ١] المنهج ﴿لقسم لو تعلمون﴾ أى لو تجدد لكم فى وقت علم لعلمتم أنه ﴿عظيم﴾ و إقسامه لنا على ذلك و نحن أقل قدرا و أضعف أمرا إعلاما بما له من الرحمة التى من أعظمها أنه لايتركنا سدى - كل ذلك ليصلح أنفسنا باتباع أمره و الوقوف عند زجره ، قال ابن برجان :
٥ و من إتقانه جل جلاله فى خليقته و حكمه فى بريته أن جعل لكل واقع من النجوم الفلكية طالعا يسمى بالإضافة إلى الواقع الرقيب دون تأخر ، و ذلك هو المشار إليه بقوله تعالى "رب المشرقين و رب المغربين فباى آلاء ربكما تكذبان" يجمع ذلك الشمس و القمر و النجوم و هى نجوم[٢] منازل القمر عددها ثمانية و عشرون منزلة سوى تحجبها الشمس
١٠ فتمت تسع و عشرون منزلة يستشرفها القمر ، فربما استتر ليلة و ربما استتر ليلتين ، فالقمر ينزل فى هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها [لتمام - ١] الشهر ، و أما الشمس فانها تقيم فى كل منزلة [منها - ١] ثلاثه عشر يوما خلا الجهة فانها تقيم فيها أربعة عشر يوما و يسمى حلولها فى هذه المحال ثم طلوع المنزلة التى تليها لوقوع هذا رقيب لها
١٥ نوء - انتهى . و هو يعنى أن من تأمل هذه الحكم علم ما فى هذا القسم من المظم ، و أشبع القول فيها أبو الحكم ، و بين ما فيها من بدائع النعم ، ثم قال : و يفضل [الله - ١] بفتح رحمته كما شاء فينزل [من السماء - ١] ماء مباركا يكسر به من برد الزمهرير فيرطبه و يبرد من حر السعير فيعدله ، و قسم السنة على أربعة فصول أتم / فيها أمره فى الأرض بركاتها و تقدير /١٨٤

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لنجوم .

أقواتها ، [قال : و بارك فيها و قدر بها أقواتها -١] فى اربعة أيام، ثم قال : و جعل هذه الدنيا على هذا الاعتبار الجنة الصغرى ، و لو أتم القسم على هذا الوجه تم على الاعتبار تخفيفه الفيح و إنارته الزمهرير و السعير هى جهنم الصغرى .

و لما اتم القسم على هذا الوجه الجليل ، أجابه بقوله مؤكدا [لما -١] ٥ لهم من ظاهر الإنكار : ﴿ انه ﴾ أى القرآن الذى أفهمته النجوم بعموم أفهامها ﴿ لقرآن ﴾ [أى -٢] جامع سهل قريب مفقه مبين للغوامض ذو أنواع جليلة ﴿ كريم ﴾ ظهرت فيه أفانين إنعامه[٣] سبحانه فيما دق من أمور هذه الدنيا و جل[٣] من أمور الدارين بما ذكر فى هذه السورة و ما ١٠ تقدمها من إصلاح المعاش و المعاد ، فهو بالغ الكرم منزه عن كل شائبة نقص و لؤم و دناءة ، من كرمه كونه من الملك الأعلى إلى خير الخلق بسفارة[٤] روح القدس و بلسان العرب [الذين اتفق الفرق على أن لسانهم أفصح الألسن و على وجه أعجز العرب -١] .

و لما ذكر المعنى ، ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال على نفس ١٥ النظم فقال : ﴿ فى كتب ﴾ أى خط و مخطوط فيه جامع على وجه هو فى غاية الثبات ﴿ مكنون ﴾ أى هو فى ستر مصون لما له من [٥]النفاسة و العلو[٥] فى السماء فى اللوح المحفوظ ، و فى الأرض فى الصدور المشرفة ،

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : جعل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لسعار (٥-٥) فى ظ : العلو و النفاسة .

و فى السطور فى المصاحف المكرمة المطهرة، محفوظا مع ذلك من التغيير و التبديل .

و لما كان ما هو كذلك قد يحصل له خلل يسوء خدامه قال: ﴿ لايمسه ﴾ أى الكتاب [1]الذى هو مكتوب فيه أعم من أن يكونه ٥ فى السماء أو فى الأرض أو القرآن أو المكتوب منه[1] فضلا عن أن يتصرف فيه ﴿ الا المطهرون ﴾ أى الطاهرون الذين بولغ فى تطهيرهم و هم رؤس الملائكة الكرام، و لم يكن السفير به إلا هم و لم ييسر [الله -[2]] حفظه إلا لأطهر عباده، و لم يعرف معناه إلا لأشرف حفاظه و أطهرهم قلوبا، و من عموم ما يتحمله اللفظ من[3] المعنى بكونه كلام العالم لكل ١٠ شيء فهو لايحمل لفظا إلا و هو مراد له أنه يحرم منه على من لم يكن له فى غاية الطهارة[4] بالبعد عن الحدثين الأكبر و الأصغر، فهو على هذا نفى بمعنى النهى و هو أبلغ، قال البغوى[5] : و هو قول أكثر اهل العلم، و روى باسناد من طريق أبى مصعب عن مالك عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله ١٥ عليه و سلم لعمرو بن حزم رضى الله عنه أن لايمس القرآن إلا [6]طاهر، و المراد به المصحف للجوار كما فى النهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. و مما يحتمله ايضا التعبير باللمس أنه لايقرأه بلسانه إلا طاهر،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: فى (٤) من ظ، و فى الأصل: الظاهر (٥) راجع المعالم بهامش اللباب ٧/٢١. (٦) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

فان

فان اريد الجنابة كان النهى للحرمة أو للأكمل .

و لما ذكر الذى منه صيانته ، أتبعه شرفه بشرف منزله و إنزاله على حال هو فى غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للبالغة و لأن هذا المصدر أغلب أحواله ، و لذلك[1] [غلب -[2]] عليه هذا الاسم : ﴿ تنزيل ﴾ أى وصوله إليكم بالتدريج بحسب الوقائع و التقريب للأفهام و التأنى و الترقية ٥ من حال إلى حال و حكم إلى حكم بواسطة[3] الرسل من الملائكة . و لما كان هذا فى غاية الاتفاق و اليسر[4] ذكر من صفاته / ما يناسبه[5] فقال : ﴿من رب العلمين ۝﴾ من الخالق العالم بتربيتهم . / ١٨٥

و لما أفصح[6] من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضى أن يكون بمجرده مثبتا [7]لما لا[7] تدركه العقول من كماله و كافيا فى الإذعان لاعتقاده ١٠ فكيف إذا كان ما تحكم العقول و تقضى بفساد ما سواه ، فكيف إذا كان مما يتذكر الإنسان مثله فى نفسه ، عجب منهم فى جعله سببا لإنكار البعث الذى إذا ذكر الإنسان أحوال نفسه كفاه ذلك فى الجزم به فقال منكرا تعجبا : ﴿ افبهذا ﴾ و لما كان الإنسان مغرما بما يجدد له من النعم و لو ~~كان فكيف إذا كان~~ أعلى النعم قال : ﴿ الحديث ﴾ ١٥ أى الذى تقدمت أوصافه العالية و هو متجدد إليكم إنزاله وقتا بعد وقت ﴿ انتم ﴾ أى و أنتم العرب الفصحاء و المفوهون البلغاء ﴿ مدهنون لا ﴾

(١) زيد من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بوسائط (٤) من ظ ، و فى الأصل : التيسير (٥) من ظ ، و فى الأصل : يناسب (٦) من ظ ، و فى الأصل : اتضح (٧-٧) من ظ . و فى الأصل : لمدركه .

أى كذابون منافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون أنه كذاب[1] و انتم تعلمون صدقه بحسن معانيه، و عجزكم عن مماثلته فى نظومه و مبانيه، و تقولون: لوشئنا لقلنا مثل هذا: و جميع أفعالكم تخالف هذا فانكم تصبرون لوقع السيوف و معانقة الحتوف، و لا تأتون بشيء يعارضه يبادئ شيئا منه ٥ أو يناقضه أو تلاينون أيها المؤمنون من يكذب به و يطعن فى علاه، أو يتوصل و لو على وجه خفى إلى نقض[2] شيء من عراه، تهاونا بـه و لا يتصلبون فى تصرفه[3] تعظيما لأمره حتى يكونوا أصلب من الحديد، قال فى القاموس: دهن: نافق، [و - [4]] "المداهنة: إظهار خلاف ما تبطن[5] كالادهان و الغش، و قال البغوى رحمه[6] الله: هو الادهان و هو ١٠ الجرى فى الباطن على خلاف الظاهر، و قال الرازى: و الفرق بين المداراة و المداهنة يرجع إلى القصد، فما قصد به غرض سوى الله فهو المداهنة، و ما قصد به أمر يتعلق بالدين فهو المداراة، و قال ابن رجان: الادهان و المداهنة: الملاينة فى الأمور و التغافل و الركون إلى التجاوز - انتهى. فهو على هذا إنكار على من سمع أحدا يتكلم فى القرآن بما ١٥ لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة، و أهل الاتحاد كابن عربى الطائى صاحب الفصوص و ابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت[7] إليه هذه الآية، فانهم تكلموا فى القرآن على وجه يبطل الدين أصلا و رأسا و يحله عروة عروة، فهم أضر الناس على هذا الدين، و من يؤول لهم أو ينافح عنهم

---

(١) من ظ، و فى الأصل: كذب (٢) من ظ، و فى الاصل: بعض (٣) من ظ، و فى الاصل: نصرته (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: تضمر (٦) راجع لمعالم بهامش اللباب ٧ / ٢٢ (٧) من ظ، و فى الأصل: صوب.

و بعتذرلهم او بحسن الظن بهم مخالف لإجماع الأمة أبعس حالا منهم فان[1] مراده إبقاء كلامهم الذى لا أفسد للاسلام منه من [غير -[2]] أن يكون لإبقائه مصلحة[3] ما بوجه من الوجوه .

و لما كان هـذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين ، قال تعالى: ﴿ و تجعلون رزقكم ﴾ أى حظكم [و نصيبكم -[2]] و جميع ما تنتفعون به ٥ من هذا الكتاب و هو نفعكم كله ﴿ انكم تكذبون ﴾ / أى توجدون حقيقة /١٨٦ التكذيب فى الماضى و الحال ، و تجددون ذلك فى كل وقت به و بما ارشد إليه من الأمور الجليلة[4] و هى[5] كل ما هو أهل للتصديق به و تصفونه بالأوصاف المتناقضة ، و من ذلك ما أرشد إليه من أنه لا فاعل إلا الله تعالى فتقولون أنتم إذا أمطركم ما رزقكم به : هذا بنوء كذا ، معتقدين ١٠ تأثير ذلك النوء ، و إنما هو بالله تعالى ، فجعلتم جزاء الرزق و بذل الشكر على الرزق التكذيب ، و قال ابن برجان : و تجعلون رزقى إياكم من قرآن عظيم أنزلته ، و كلام عظيم نزلته ، و نور إيمان بينته ، و ضياء يقين جليته ، و ما أنزلته من السماء [من] بركات قدرتها [و] من رياح أرسلتها ، و سحب ألفتها ، تجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب . ١٥

و لما أنكر عليهم هذا الإنكار ، و عجب منهم هذا التعجيب فى أن ينسبوا لغيره فعلا أو يكذبوا له خبرا . سبب عن ذلك تحقيقا لأنه لا فاعل سواه قوله : ﴿ فلولا ﴾ و هى أداة تفهم طلبا بزجر و توبيخ و تقريع

(١) من ظ ، و فى الأصل : فانه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بمصلحة (٤) فى ظ : الحلية (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو .

بمعنى هل لا و لم لا ﴿ اذا بلغت ﴾ [أى - [1]] الروح منكم و من غيركم عند الاحتضار ، أضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة ﴿ الحلقوم لا ﴾ و هو مجرى الطعام فى الحلق ، و الحلق مساغ الطعام و الشراب معروف ، فكان الحلقوم أدنى الحلق إلى جهة اللسان لأن الميم لمنقطع التمام ﴿ و أنتم ﴾ أى و الحال أنكم أيها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له ﴿ حينئذ ﴾ أى حين إذ بلغت الروح ذلك الموضع . و لما كان بصرهم لكونه لا ينفذ فى باطن كالعدم [قال - [2]] : ﴿ تنظرون لا ﴾ أى و لكم وصف التحديق إليه و لا حيلة لكم و لا فعل بغير النظر ، و لم يقل : تبصرون ، لئلا يظن أن لهم إدراكا بالبصر لشىء [3] من البواطن [3] من حقيقة الروح و غيرها نحوها ﴿ و نحن ﴾ أى و الحال أنا نحن بما لنا من العظمة ﴿ اقرب اليه ﴾ أى المحتضر حقيقة بعلمنا و قدرتنا التامة و ملائكتنا ﴿ منكم ﴾ على شدة قربكم منه ﴿ و لكن لا تبصرون ﴾ أى مع تحديقكم إليه لا يتأثر عن ذلك التحديق غايته . و هو الإبصار لقربنا منه ، و لا ملائكتنا الموكلين بقبض روحه ، لتعلموا أن الفعل لنا لا لغيرنا ، فلا يتجدد لكم شىء من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه ، فثبت ما أخبرنا به من الاختصاص بباطن العلم و القدرة اللذين عبرنا عنهما بالقرب الذى هو أقوى أسبابهما .

و لما كان الكلام لإثبات هذه الأغراض المهمة قبل جواب "لولا" أعادها تأكيدا لها و تبيينا فقال : ﴿ فلولآ ان كنتم ﴾ أيها المكذبون

---

(1) زيد من ظ (2) زيد ولا بد منه (3-3) من ظ ، و فى الأصل : بالبواطن .

بالبعث

بالبعث و غيره ﴿ غير مدينين ۝ ﴾ أى مقهورين مملوكين مجربين محاسبين بما عملتم فى دار البلاء التى أقامكم فيها أحكم الحاكمين بامتناعكم بأنفسكم عن أن يجازيكم أو يمنع غيركم لكم منه، و أصل تركيب "دان" للذل و الانقياد - قاله البيضاوى ﴿ ترجعونها ﴾ أى الروح إلى ما كانت عليه ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ صدقين ۝ ﴾ أى فى أنكم غير / مقهورين على ٥ / ١٨٧ الإحضار على الملك الجبار الذى أقامكم فى هذه الدار للابتلاء و الاختبار، و أنه ليس لغيركم أمركم، و فى تكذيبكم لما يخبر به من الأمور الدنيوية بدل شكركم، و هذا دليل على أنه لا حياة لمن بلغت روحه الحلقوم أصلا و هذا إلزام لهم بالبعث حاصله أنه سبحانه إن كان لا يعيدكم فليس هو الذى قدر الموت عليكم، و إن [كان -[1]] لم يقدره فما لكم لا ترفعونه عنه ١٠ لأنه من الفوادح التى لا يدرك علاجها، و أنتم تعالجون مقدماته. و إن قلتم: إنه مقدر لا يمكن علاجه، لزمكم الإقرار بأن البعث مقدر لا يمكن علاجه، فان أنكرتم أحدهما فأنكروا الآخر، و إن أقررتم بأحدهما فأقروا بالآخر، و إلا فليس إلا العناد، فان[2] قلتم: [نحن -[1]] لا نعلم أنه قدره فاعلموا أنه [لو] لم يكن بتقديره لأمكنت مقاومته وقتا ما لا سيما و النفوس ١٥ مجبولة على كراهته، و فى الموتى الحكماء و الملوك، و تقريبه أنكم قد بالغتم فى الجحود بآيات الله تعالى و أفعاله فى كل شىء إن أرسل إليكم رسولا قلتم: ساحر كذاب، و إن صدقه مرسله بكتاب معجز قلتم: سحر و افتراء و أمر عجاب، و إن رزقكم من الماء الذى به حياة كل شىء مطرا ينعشكم

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: وان.

به قلتم : صدق نوء كذا . على حال مؤد إلى التعطيل و الإهمال [1]و العبث[1] ، فما لكم لاترجعون الروح إلى البدن عند بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم مدبر لهذا الكون بالإرسال و الإنزال و إفاضة الأرواح و قبضها و بعث العباد لدينونتهم[2] على ما فعلوا فيما أقامهم فيه . فهو تمثيل بأفعال الملوك على ما يعهد . فكما أن ملوك الدنيا لا يرسل[3] أحد منهم إلى أحد من رعيته ٥ فيأخذه قهرا إلا للدينونة فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك ، فتكون ملوك الدنيا أحكم منه ، فان كان ليس بتام القدرة فافعلوا برسله كما تفعلون برسل الملوك ، فانه ربما خلص المطلوب منهم بنوع من أنواع الخلاص بعد بلوغه إلى باب [الملك - [4]] فارساله سبحانه هو مثل[5] إرسال الملوك غير أنه لتمام قدرته يأخذ أخذا لايقدر احد على رده ، ١٠ و لا أن يتبع مأخوذه أصلا لا ليخدمه بعد الأخذ و لا ليخفف عنه شيئا مما هو فيه بغير ما امر به سبحانه على ألسنة رسله من الدعاء و الصدقة و لا ليعلم حاله بوجه [من الوجوه - [4]] بل الأمر كما قيل :

إذا غيب المرء استسر حديثه ولم يخبر الأفكار عنه بما يغنى

و لما كان التقدير : لايقدر أحد أصلا على ردها بعد بلوغها إلى ١٥ ذلك المحل لأنا نريد جمع الخلائق للدينونة بما فعلوا فيما أقمناهم فيه و أمرناهم به و لا يكون إلا ما نريد ، فكما أنكم مقرون بأنه خلقكم من تراب و بأنه يعيدكم قهرا إلى التراب [يلزمكم حتما أن تقروا بأنه قادر على أن يعيدكم

(١-١) من ظ ، و في الأصل : اى الغيب (٢) من ظ ، و في الأصل : لدنوبهم .
(٣) في ظ : لا ينزل (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : قبل .

من التراب -[1]] فان أنكرتم هذا اللازم لزمكم إنكار ملزومه ، و ذلك مكابرة فى الحس فليكن الآخر مثله ، فثبت أنا إنما نعيد الخلائق إلى التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه لنجازى كلا بما يستحق و نقسمهم إلى أزواج ثلاثة ﴿ فأما ان كان ﴾ / أى الميت منهم ﴿ من المقربين ﴾ /١٨٨
أى السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين ٥
قبل أن يكونوا مريدين[2]، و ليس القرب قرب مكان لأنه تعالى منزه عنه ، و إنما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الإنسان روحا خالصا كالملائكة لاسبيل للحظوظ و الشهوات عليه ، فان قربهم إنما هو بالانخلاع من الإرادة أصلا و رأسا ، و ذلك أنه لا شهوات لهم فلا أغراض فلا فعل إلا ما أمروا به فلا إرادة ، إنما الإرادة للولى ١٠
سبحانه و هو معنى « و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى » أى مطلق الإرادة فى [غير -[1]] أمر من الله ، لأن المملوك الذى هو لغيره لاينبغى أن يكون له شيء لا إرادة و لا غيرها - وفقنا الله تعالى لذلك ﴿ فروح ﴾ [أى -[1]] فله راحة و رحمة و ما ينعشه من نسيم [الريح -[1]] و معنى قراءة يعقوب[3] بالضم طمأنية فى القلب و سكينة و حياة لا موت بعدها ﴿ و ريحان ﴾ ١٥
أى رزق عظيم و نبات حسن بهج و أزاهير طيبة الرائحة .

و لما ذكر هذه اللذاذة ، ذكر ما يجمعها و غيرها فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى بستان جامع للفواكه و الرياحين و ما يكون عنها و تكون عنه .

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مرادين (٣) راجع نثر المرجان ٧/١٩٤ .

و لما كان جنان الدنيا قد يكون فيها نكد، أضاف [هذه الجنة - [1]]
إلى المراد بهذه الجنان إعلاما بأنها لاتنفك عنه فقال: ﴿ نعيم ﴾ أى
ليس فيها غيره بل هى مقصورة عليه ﴿ و اما ان كان ﴾ أى الميت منهم
﴿ من اصحٰب اليمين ﴾ أى الذين هم فى الدرجة الثانية من أصحاب
٥ الميمنة ﴿ فسلٰم ﴾ [أى سلامة - [1]] و نجاة و أمر و قول دال عليه .
و لما كان ما يواجه به الشريف من ذلك أعلى قال: ﴿ لك ﴾ أى يا أعلى
الخلق أو يا أيها المخاطب .

و لما كان من [أصاب - [1]] السلام على وجه من الوجوه فائزا،
فكيف إذا كان مصدرا للسلام و منبعا منه قال: ﴿ من اصحٰب اليمين ﴾
١٠ أى أنهم فى غاية [من - [1]] السلامة و إظهار السلام، لايدرك وصفها،
و هو تميز فيه معنى التعجيب، فان إضافته لم تفده تعريفا، و فى اللام
و «من» مبالغة فى ذلك، فالمعنى: فأما هم فعجبا لك و أنت أعلى الناس فى
كل معنى، و أعرفهم بكل أمر غريب منهم فى سلامتهم و سلامهم و تعافيهم
و ملكهم و شرفهم و علو مقامهم، و ذلك كله إنما أعطوه لأجلك زيادة
١٥ فى شرفك لاتباعهم لدينك، فهو مثل قول [2]القائل حيث قال[2]:

فيا لك من ليل كأن نجومه   بكل مغار الفتل شدت بيذبل

[2]و قول القائل أيضا حيث قال[2]:

لله در أنو شروان من رجل   ما كان أعرفه بالدون و السفل

أى عجبا لك من ليل و عجبا من أنوشروان .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: قوله .

و لما

و لما ذكر الصنفين الناجيين ، أتبعهما الهالكين جامعا لهم فى صنف واحد لأن من أريدت له السعادة يكفيه ذلك ، و من ختم بشقائه لاينفعه ذلك الإغلاظ و الإكثار فقال : ﴿ و اما ان كان ﴾ أى ذلك الذى أخذناه من أصحاب المشأمة و أنتم حوله تنقطع أكبادكم له و لا تقدرون / له على شيء أصلا ﴿ من المكذبين ﴾ . ٥ / ١٨٩

و لما كان المكذب تارة يكون معاندا ، و تارة [يكون - ١] جاهلا مقتصرا ، قال : ﴿ الضآلين لا ﴾ أى أصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم فى البعث ﴿ فنزل ﴾ أى لهم و هو ما يعد للقادم على ما لاح ﴿ من حميم لا ﴾ أى ماء متناه فى [الحرارة - ١] بعد ما نالوا من العطش كما رد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به القادم ١٠ ليبرد[٢] به غلة عطشه و يغسل به وجهه و يديه ﴿ و تصلية جحيم ه ﴾ أى لهم بعد النزل[٣] أن يصلوا النار الشديدة التوقد صليا عظيما .

و لما تم ما أريد من إثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين ، و كانوا مع البيان يكذبون به ، لفت الخطاب عنهم إلى أكمل الخلق ، و أكد تسميعا لهم[٤] فقال سائقا له مساق النتيجة : ﴿ ان هذا ﴾ أى الذى ١٥ ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم "ء انا لمبعوثون" و من قيام الأدلة عليه . و لما كان من الظهور فى حد لايساويه فيه غيره ، زاد فى التأكيد على وجه التخصيص فقال :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ايرد (٣) من ظ ، و فى الأصل : لترك (٤) من ظ ، و فى الأصل : له .

﴿ لهو حق اليقين ﴾ أى لكونه - لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة[1] - كأنه مشاهد مباشر، قال الأصبهانى : قال قتادة فى هذه الآية : إن الله عز و جل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك، و أما المنافق فأيقن يوم القيامة ٥ حيث لاينفعه - انتهى.

و لما تحقق له هذا اليقين، سبب عنه أمره بالتنزيه له سبحانه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز بعد تقسيمه للأزواج الثلاثة على طريق الإيجاز كما أمره بذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق الإطناب إشارة إلى أن المفاوتة بينهم مع ما لهم من العقول من أعظم ١٠ الأدلة على الفعل بالاختيار و على فساد القول بالطبيعة : ﴿ فسبح ﴾ أى أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد و القول و الفعل و الصلاة و غيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى و تنزهه عن كل ما نزه عنه نفسه المقدس، و لقصره الفعل[2] لإفادة العموم أثبت الجار بقوله : ﴿ باسم ربك ﴾ أى المحسن إليك بما خصك به عما لم يعطه ١٥ أحدا غيرك عما وصفه به الكفرة من التكذيب بالواقعة، و إذا كان هذا لاسمه فكيف بما له و هو ﴿ العظيم ﴾ الذى ملأت عظمته جميع الأقطار و الأكوان، و زادت على ذلك بما لايعلمه حق العلم سواه لأن من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم، و هذا الكلام [الأعز الأكرم -[3]]، لاينبغي

---

(١) زيد فى الأصل : كان، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ، و فى الأصل : نفسه (٣) زيد من ظ.

لشائبة نقص أن تلم بجنابه، أو تدنو من فناء بابه، و قد انطبق آخر السورة على اولها فى الإخبار بالبعث و تصنيف الخلائق فيه إلى الأصناف المذكورة فى أولها أىّ انطباق، و زاد هذا الآخر بأن اعتنق بدليله أىّ اعتناق، و اتفق مع أول التى بعدها أىّ اتفق، و طابقه / أجل طباق، ١٩٠ / و ختمت بصفتى الرحمة و العظمة، و جلت عن الاسم الجامع كاللتين قبلها ٥ لما ذكره فى أواخر القمر من أنه لم يذكر فى واحدة من الثلاث أحد من أهل المعصية المصاحبة للايمان، ليخاطب[1] بالاسم الجامع للاهانة و الإحسان، و إنما ذكر أهل الكفران المستوجبين للهوان بالخلود فى النيران، و أهل الإيمان المتأهلين للاحسان بتأبيد الإمكان فى أعلى الجنان - انتهى. ١٠

(١) من ظ، و فى الأصل محاطب.

* * * * *

سورة الحديد[1]

مقصودها بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث [إلى -[2]] الأزواج الثلاثة المذكورة فى السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقا لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقا لتنزهه عن [3]كل شائبة[3] نقص المبدوء ٥ به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم "ائنا لمجموعون او اباونا الاولون" المقتضى لجهاد[4] من يحتاج إلى الجهاد ممن عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف و ما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقائص الجسمانية و إعلاء إلى الكمالات الروحانية التى دعا إليها الكتاب حذرا من سوء الحساب يوم التجلى للفصل بين العباد [بالعدل - [2]] ليدخل أهل ١٠ الكتاب و غيرهم فى الدين طوعا أو كرها ، و يعلم أهل الكتاب الذين كانوا يقولون : ليس أحدأ فضل منهم، فضيلة هذا الرسول صلى الله عليه و سلم على جميع من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة و السلام بعموم رسالته و شمول خلافته . و انتشار دعوته و كثرة أمته تحقيقا لأنه لا حد لفائض رحمته[5] سبحانه لتكون هذه السورة التى هى آخر النصف الأول و التى بعدها التى ١٥ هى أول النصف الثانى من حيث العدد غاية للمقصود من السورة التى هى أوله عند الالتفات و الرد كما كانت السورة التى[6] غاية النصف الأول[6]

---

(١) السابعة والخمسون من القرآن الكريم ، مدنية ، و عددآيها (٢٩) عند الكوفين و البصريين و (٢٨) عند المدنيين و المكى و الشامى - كما فى نثر المرجان ٧ / ١٩٦ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : شائبة كل (٤) من ظ ، وفى الأصل : بجهاد (٥) فى ظ : فضله (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى

فى المقدار و هى الإسراء، وكذا السورة التى[1] هى أول النصف الثانى وهى الكهف كاشفتين لمقصد الأولى فيما دعت إليه من الهداية و شدت إليه من الإنذار ، على ذلك دل اسمها الحديد بتأمل آياته و تدبر سر ما ذكر فيه و غاياته . أسند صاحب الفردوس[2] عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لاتحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت يوم ٥ الثلاثاء. ﴿بسم الله﴾ الذى أحاطت إلهيته بجميع الموجودات ﴿الرحمن﴾ الذى وسعهم جوده فى جميع[3] الحركات و السكنات ﴿الرحيم﴾ الذى خص من بينهم بما له من الاختيار فى كمال الاقتدار اهل ولايته بما يرضيه / من العبادات . ١٩١ /

لما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث، ١٠ جاءت هـــذه لتقرير ذلك التنزيه [و - [1]] تبيينه بالدليل و البرهان و السيف و السنان فقال تعالى كالتعليل لآخر الواقعة : ﴿سبح﴾ أى أوقع التسبيح بدلالة الجبلة تعظيما له سبحانه و إقرارا بربوبيته و إذعانا لطاعته ، و قصره، و هو متعد ليدل على العموم بقصره ، و على الإخلاص بتعديته باللام و جعله ماضيا هنا و فى الحشر و الصف و مضارعا فى الجمعة و التغابن ١٥ ليدل على أن مما أسند إليه التسبيح هو[4] من شأنه و هجيراه وديدنه و تخصيص كل من الماضى و المضارع بما افتتح به لما يأتى [فى[1]] أول الجمعة، و الإتيان بالمصدر أول الإسراء أبلغ من حيث أنه يدل باطلاقه

---

(١) زيد من ظ (٢) راجع المخطوطة ص : ٢٠٤/ب (٣) من ظ ، وفى الأصل: جميع (٤) فى ظ : هنا .

على استحقاق التسبيح [من كل شيء -[1]] و فى كل حال ﴿ لله ﴾ أى الملك المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ أى الأجرام العالية و الذى فيها و هى الأرض و من فيها وكل سماء و من فيها، و ما بينهما لأنها كلها فى العرش الذى هو أعلى الخلق .

٥ و لما كان الكلام آخر الواقعة مع أهل الخصوص بل هو أخص أهل الخصوص، لم يحتج إلى تأكـيد لحذف ما جعلا للخافقين كشيء واحد لأن نظره لهما نظر علو نظرا واحدا لما أخبر به عنهما من التنزيه فقال: ﴿ و الارض ۚ ﴾ أى و ما فيها و كذا [نفس -[1]] الأراضى كما تقدم، فشمل، ذلك جميع الموجودات لأنه إذا سبح ذلك كله فتسبيح العرش

١٠ بطريق الأولى و تنزيه[2] هذه الأشياء بما فيها من الآيات الدالة على انه سبحانه لايلم بجنابه شائبة نقص، و ان كل شيء واقف على الباب يشاهد الطلب، قال القشيرى: التسبيح: التقديس و التنزيه، و يكون بمعنى سباحة الأسرار فى بحار الإجلال، فيظفرون بجواهر التوحيد، و ينظمونها فى عقد الإيمان، و يرصعونها فى أطواق الوصلة .

١٥ و لما قرر ذلك، دل على أنه لاقدرة لشيء على الانفكاك عنه، و أن له كل كمال، فهو المستحق للتسبيح و الحمد فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شيء و لايغلبه شيء ﴿ الحكيم ۝ ﴾ الذى أتقن كل شيء صنعه .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير العاصمى فى برهانه: لما تقدم قوله

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تنزيهه .

[سبحانه - ١] تعالى " فلولا تصدقون " و فيه من التقريع و التوبيخ لمن
قرع به ما لا خفاء به ، ثم اتبع بقوله تعالى " افرءيتم ما تمنون " الآيات
إلى قوله " و متاعا للمقوين " فعزروا و وبخوا على سوء جهلهم و قبح
ضلالهم ، ثم قال سبحانه و تعالى بعد ذلك « ابهذا الحديث انتم مدهنون »
و استمر توبيخهم ٢ إلى قوله " ان كنتم صدقين " فلما أشارت هذه الآيات ٥
إلى قبائح مرتكباتهم ، أعقب تعالى [ذلك - ١] تنزيهه عز و جل عن
سوء ما انتحلوه و ٣ضلالهم فيما ٣ جهلوه فقال تعالى "فسبح باسم ربك العظيم "
أى نزهه عن عظيم ضلالهم و سوء اجترائهم ، ثم أعقب ذلك بقوله
" سبح لله ما فى السموٰت و الارض " أى سبح باسم ربك ، فهى سنة
العالم بأسرهم / " و له أسلم من فى السموٰت و الارض " " سبح لله ما ١٠ / ١٩٢
فى السموٰت و الارض " ثم أتبع ذلك بقوله " له الملك و له الحمد "
[فبين تعالى انفراده بصفة الجلال و نعوت الكمال ، و أنه المتفرد بالملك
و الحمد - ١] و أنه الأول و الآخر و الظاهر و الباطن إلى قوله " و هو عليم
بذات الصدور " فتضمنت هذه الآيات إرغام من أشير إلى حاله فى الآية
المتقدمة من سورة الواقعة و قطع ضلالهم و التعريف بما جهلوه من صفاته ١٥
العلى و أسمائه الحسنى جل و تعالى ، و افتتحت آى السورتين و اتصلت
معانيها ثم صرف الخطاب إلى عباده المؤمنين فقال تعالى " اٰمنوا بالله
و رسوله " و استمرت الآى على خطابهم الى آخر السورة - انتهى .

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : توبيخه (٣ - ٣) من ظ ، و فى
الأصل : ضلال ما .

و لما أخبر بذلك، دل على وجه مصرح بما أفهمه الأول من تسبيح السماوات و الأرض بقوله: ﴿له﴾ أى وحده ﴿ملك السموٰت والارض ج﴾ أى و ملك ما فيهما و ما بينهما ظاهرا و باطنا، فالملك الظاهر ما هو الآن موجود فى الدنيا من أرض مدحية و سماء مبنية و كواكب مضية و أفلاك علية و رياح محسوسة وسحاب مرئية - و ما تفصل إلى ذلك من خلق و أمر، و الملك الباطن [الغائب - [1]] عنا، و أعظمه المضاف إلى الآخرة و هو الملكوت، قال القشيرى: الملك مبالغة من الملك يعنى بدلالة الضمة، قال، و الملك بالكسر أى القدرة على الإبداع [2] فلا مالك إلا الله، و إذا قيل لغيره: مالك، فعلى المجاز بالأحكام المتعلقة فى الشريعة على ملك الناس أى بتصحيحه أو إفساده و نحوه ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر ما بين السماوات و الأرض أولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا، و ذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك أولا ليكون التسبيح و الملك شاملا للكل.

و لما كان ذلك مما لانزاع فيه، و كان ربما عاند معاند، دل عليه بما لامطمع فيه لغيره فقال مقدما الإحياء لأنه كذلك فى الخارج و لأن زمن الحياة أكثر لأن البعث حياة دائمة لاموت بعدها: ﴿يحيى﴾ أى له صفة [3] الإحياء فيحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده على صفة الإحياء كيف شاء فى أطوار يتقلبها كيف شاء [4] و كيف يشاء [4] و مما يشاء

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الابلاغ (٣) من ظ، و فى الأصل: صفات (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿و يميت ج﴾ أى له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار و التجدد و الاستمرار، فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء . و لما كان هذا شاملا للقدرة على التجديد و الإعادة، عم الحكم بقوله : ﴿وهو على كل شيء﴾ أى من الإحياء و الإماتة و غيرهما من كل ممكن ﴿قدير ه﴾ أى بالغ القدرة إلى حد لا يمكن الزيادة عليه . ٥

و لما أخبر بتمام القدرة، دل على ذلك بقوله : ﴿هو﴾ أى وحده ﴿الاول﴾ أى بالأزلية قبل كل شيء فلا أول له، و القديم الذى منه وجود كل شيء و ليس[1] وجوده من شيء لأن كل ما نشاهده متأثر لأنه حقير، و كل ما كان كذلك فلابد له من موجد غير متأثر ﴿و الأخر﴾ بالأبدية، الذى ينتهى إليه وجود كل شيء فى سلسلة الترقى و هو بعد ١٠ فناء كل شيء و لو بالنظر إلى ما له من ذاته فلا آخر له لأنه يستحيل عليه [نعت -[2]] العدم لأن كل ما سواه متغير، و كل ما تغير بنوع من التغيير جاز إعدامه، و ما جاز إعدامه فلابد له من معدم يكون بعده و لا يمكن إعدامه .

و لما كان السبق يقتضى البطون، و التأخر يوجب / الظهور، و كانا ١٥ / ١٩٣ أمرين متضادين لا يكاد الإنسان يستقل بتعلقهما فى شيء واحد، نبه على اجتماعهما فيه، فقال مشيرا بالواو إلى تمام الاتصاف و تحققه : ﴿و الظاهر﴾ أى بالأحدية للعقل بأدلتـه الظاهرة فى المصنوعات بما له من الأفعال ظهورا لا يجهله عاقل، و هو الغالب فى رفعته و علوه فليس فوقه شيء

(١) زيد فى الأصل : منه، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .

﴿و الباطن ج﴾ بالصمدية و عن انطباع الحواس و ارتسام الخيال و تصور الفهم و الفكر و بتمام العلم و الحكمة بما له من العظمة في ذاته بكثرة التعالى و الحجب بطونا [لا -¹] يكتنهه شيء، و قال القشيرى: الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الظاهر بلا خفاء، [الباطن -¹] بنعت
٥ العلا و عز الكبرياء - انتهى، و العطف للدلالة كما أشير إليه على الإحاطة التامة لأنها لما كانت متضادة كانت بحيث لو أعريت عن الواو لربما ظن أن وجودها لا على سبيل التمكن، فلا تكون محيطة بل مقيدة بحيثية مثلا، لجاءت الواو دلالة على تمكن الوصف و إحاطته و أنه واقع بكل اعتبار ليس واحد من الأوصاف مكملا لشيء آخر و لاشارحا لمعناه،
١٠ فهو أول على الإطلاق[٢] و آخر كذلك، و ظاهر حتى في حال بطونه و باطن كذلك، و هذا على الأصل فان صفاته تعالى محيطة فلا إشكال، إنما الإشكال عند الخلو من العطف فهو الأغلب في إيرادها كما في آخر الحشر، و لعل ذلك مراد الكشاف بقوله: [إن -¹] الواو الأولى معناها الدلالة على الجامع بين الصفتين[٣] الأولية و الآخرية، أى جمعا هو
١٥ في غاية المكنة، و الثالثة على أنه الجامع بين الظهور و الخفاء، و أما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين و مجموع الصفتين الأخيرتين، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية و الآتية - انتهى.

و لما كان من ظهر لشيء بطن عن غيره، و من بطن لشيء غاب

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الاطبادق - كذا (٣) من ظ، و في الأصل: الصنفين.

عنه علمه، و كان سبحانه فى ظهوره على ذلك بمعنى[1] أنه ليس فوقه شيء، و فى بطونه بحيث ليس دونه شيء، فقد جمعت الأوصاف إحاطة العلم و القدرة، أعلم نتيجة ذلك فقال: ﴿ و هو بكل شيء عليم ﴾ أى لكون[2] الأشياء عنده[3] على حد سواء، [و - [4]] البطون و الظهور إنما هو بالنسبة إلى الخلق، و أما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده بل ٥ هو فى غاية الظهور لديه لأنه الذى أوجدهم، و هذا معنى ما قال البغوى[5] رحمه الله تعالى: سأل عمر رضى الله عنه كعبا عن هذه الآية فقال: معناها أن علمه بالأول كعلمه بالآخر، و علمه بالظاهر كعلمه بالباطن - انتهى. لأن العلم يستلزم القدرة على حسبه. و لما كان الصانع للشيء عالما به، دل على علمه و ما تقدم من وصفه بقوله: ﴿ هو ﴾ أى[6] وحده ١٠ ﴿ الذى خلق السموٰت ﴾ و جمعها لعلم العرب بتعددها[7] ﴿ و الارض ﴾ أى الجنس الشامل للكل، أفردها لعدم توصلهم إلى العلم بتعددها ﴿ فى ستة ايام ﴾ سنا للتأنى و تقريرا للأيام التى أوترها سابعها الذى خلق فيه الإنسان الذى دل خلقه باسمه "الجمعة" على أنه المقصود بالذات و بأنه السابع[8] على أنه نهاية المخلوقات - انتهى[6]. ١٥

/ و لما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انفراده بالتدبير /١٩٤

(١) من ظ، و فى الأصل: بل بمعنى (٢) من ظ، و فى الأصل: لكونه.
(٣) من ظ، و فى الأصل: على يده (٤) زيد من ظ (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٢٥ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: بتعدده.
(٨) من ظ، و فى الأصل: السابق.

و إحاطة قدرته و علمه، و كان ذلك هو روح الملك، دل عليه منبها على عظمته بأداة التراخي فقال: ﴿ثم استوٰى﴾ أى أوجد السواء و هو العدل إيجاد من هو شديد العناية ﴿على العرشۖ﴾ المحيط بجميع الموجودات بالتدبير المحكم للعرش و ما دونه و من دونه ليتصور للعباد أن العرش منشاء ٥ التدبير، و مظهر التقدير، كما يقال فى ملوكنا: جلس فلان على سرير الملك، بمعنى أنه انفرد بالتدبير، و قد لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس.

و لما كان المراد بالاستواء الانفراد بالتدبير، و كان التدبير لا يصح إلا بالعلم و القدرة، كشفه بقوله دالا على أن علمه بالخفايا[1] كعلمه بالجلايا:
١٠ ﴿يعلم ما يلج﴾ أى يدخل دخولا يغيب به ﴿فى الارض﴾ أى من النبات و غيره من أجزاء الأموات و غيرها و [إن -[2]] كان ذلك بعيدا من العرش، فان الأماكن كلها بالنسبة إليه على حد سواء فى [3]القرب و البعد[3] ﴿و ما يخرج منها﴾ كذلك، و فى التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع فى الخافقين من القوى فصار بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجدد ١٥ استمرار إلى حين خرابهما.

و لما قرر ذلك فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش بقوله[4] تنبيها على التنزه عن التحيز فكان اولى بالتقديم، أتبعه قسيمه و هو جهة العلو تعميما للعلم بسائر الخلق فقال: ﴿و ما ينزل من السمآء﴾ و لم يجمع

(١) من ظ، و فى الأصل: بالخفاء (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ: البعد و القرب (٤) من ظ، و فى الأصل: سفوله.

لأن

لأن المقصود حاصل بالواحدة[1] مع إفهام التعبير[2] بها الجنس السافل للكل، و ذلك من الوحي و الأمطار و الحر و البرد و غيرها من الأعيان و المنافع التي يوجدها سبحانه من مقادير أعمار بني آدم و أرزاقهم و غيرها من جميع شؤنهم ﴿ و ما يعرج ﴾ أي يصعد و يرتقي و يغيب ﴿ فيها ﴾ كالأبخرة و الأنوار و الكواكب و الأعمال و غيرها. ٥

و لما كان من يتسع ملكه يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه، عرف أنه لامسافة أصلا بينه و بين شيء من الأشياء فقال: ﴿ و هو معكم ﴾ أي أيها الثقلان المحتاجان إلى التهذيب بالعلم و القدرة المسببين عن القرب ﴿ اين ما كنتم ﴾ فهو عالم بجميع أموركم و قادر عليكم تعاليا عن اتصال بالعلم و مماسة، أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة، قال أبو العباس ابن تيمية ١٠ في كتابه الفرقان[3] بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان: لفظ ["مع -[4]"] لا يقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر لقوله "اتقوا الله و كونوا مع الصدقين" و قوله "محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار" و لفظه "مع" جاءت في القرآن عامة و خاصة، فالعامة "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لاخمسة إلا هو سادسهم ١٥ و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم" الآية، فافتتح الكلام بالعلم و اختتمه[5] بالعلم، و لهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما و الضحاك

(١) من ظ، و في الأصل: بالوحدة (٢) من ظ، و في الأصل: بالتعبير.
(٣) مثله في الأعلام ١ / ١٤١، و في ظ «الفرق» (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: ختمه.

١٩٥ / و سفيان الثورى و أحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه[١] ، و أما المعية / الخاصة فقوله تعالى "ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون" و قوله تعالى لموسى و هارون عليهما السلام " اننى معكما اسمع و ارى " و قال " اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا " يعنى النبى صلى الله عليه و سلم و أبو بكر
٥ الصديق رضى‌الله عنه ، فهو مع موسى و هارون عليهما السلام دون فرعون ، و مع محمد صلى الله عليه و سلم و صاحبه رضى الله عنه دون أبى جهل و غيره من أعدائه ، و مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين ، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص و الخبر العام ، بل المعنى[٢] أنه مع هؤلاء بنصره و تأييده دون أولئك ،
١٠ و قوله تعالى " و هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله " أى هو إله فى السمآء و إله[٣] فى الأرض كما قال تعالى " و له المثل الأعلى فى السموٰت و الارض و هو العزيز الحكيم " وكذلك فى قوله تعالى " و هو الله فى السموٰت و فى الارض " كما فسره أئمة العلم [٤]كأحمد و غيره[٤] أنه المعبود فى السماوات و الأرض .

١٥ و لما كانت الأعمال منها ظاهر و باطن ، عـــبر فى أمرها باسم الذات دلالة على شمولها بالعلم و القدرة [و-[٥]] تنبيها على عظمة الإحاطة بها و بكل صفة من صفاته فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، و قدم الجار لمزيد الاهتمام و التنبيه على تحقق الإحاطة كما مضى

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالعلم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بمعنى (٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : و غيرهم (٥) زيد من ظ .

التنبيه عليه [غير مرة -[1]] و تمثيله بنحو: أعرف فلانا و لا أعرف غيره: فقال: ﴿ بما تعلمون ﴾ أي على سبيل التجدد[2] و الاستمرار ﴿ بصير ﴾ أي عالم بجلائله و دقائقه.

و لما كان صانع الشيء قد لا يكون ملكا، و كان الملك لا يكمل ملكه إلا بعلم جميع ما يكون في مملكته و القدرة عليه، و كان إنكارهم للبعث ٥ إنكارا لأن[3] يكون ملكا، أكد ذلك بتكرير الإخبار به فقال: ﴿ له ﴾ اى وحده ﴿ملك السمٰوٰت ﴾ و جمع لا قتضاء المقام له[4] ﴿ و الارض ﴾ أفرد لخفاء تعددها عليهم مع إرادة الجنس، و دل على دوام ملكه و إحاطته بقوله عاطفا على ما تقديره: فمن الله المبدأ، معبرا بالاسم الأعظم الجامع لئلا يظن الخصوص بامور ما تقدم: ﴿و الى الله﴾ أي الملك الذى ١٠ لا كفؤ له وحده ﴿ ترجع ﴾ بكل اعتبار على غاية السهولة ﴿الامور ﴾ أي كلها حسا بالبعث و معنى بالإبداء[5] و الإفناء، و دل على هذا الإبداء و الإفناء بأبدع الأمور و أروقها فقال: ﴿ يولج ﴾ أي يدخل و يغيب بالنقص و المحو ﴿اّليل فى النهار﴾ فاذا قد قصر بعد طوله، و قد انمحى بعد تشخصه و حلوله، فملأ الضياء الأقطار بعد ذلك الظلام ١٥ ﴿ و يولج النهار﴾ الذى عم الكون ضياؤه و أناره لألاؤه ﴿ فى اّليل ﴾ الذى قد كان غاب فى عله، فاذا الظلام قد طبق الآفاق، و الطول[6]، الذى

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: التجديد (٣) من ظ، و فى الأصل: لا (٤) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٥) من ظ، و فى الأصل: بالابتداء (٦) فى ظ: الطلول.

[كان ـ[1]] له قد صار نقصا .

و لما كان فى هذا إظهار أخفى الأشياء[2] حتى يصير فى غاية الجلاء، أتبعه علم ما هو عند الناس / أخفى ما يكون فقال: ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿بذات الصدور ﴾ أى ما يصحبها فتخفيه فلا ٥ يخرج منها من الهمزات على مدى الأيام على كثرة اختلافها و تغيرها و إن خفيت على أصحابها .

و لما قامت الأدلة على تنزيهه سبحانه عن شائبة كل نقص، و إحاطته بكل صفة كمال، المقتضى لثبوت أن الملك له، الموجب قطعا لتفرده بعموم الإلهية، المقتضى لإرسال من يريده إلى جميع من فى ملكه، و ختم بالعلم ١٠ بالضمائر التى أجلها الإيمان، قال آمرا بالإذعان له و لرسوله صلى الله عليه و سلم: ﴿ 'امنوا ﴾ أى أيها الثقلان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لامثل له ﴿ و رسوله ﴾ الذى عظمته من عظمته . و لما كان الإيمان أساسا، و الإنفاق[3] وجها ظاهرا و رأسا، قال جامعا بين الأساس الحامل الخفى و الوجه الظاهر الكامل البهى: ﴿ و انفقوا ﴾ أى فى إظهار دينه: ١٥ و رغبهم فى ذلك بطلب اليسير مما أعطاهم [الله ـ[1]] و زهدهم منه بقوله: ﴿ مما جعلكم ﴾ أى بقدرته ﴿ مستخلفين ﴾ أى مطلوبا موجودا خلافتكم ﴿فيه ﴾ و هو له دونكم بما يرضى من استخلفكم فى تمهيد سبيله فطيبوا بها نفسا لأنها ليست فى الحقيقة لكم و إنما أنتم خزان، و خافوا من عزلكم من الخلافة بانتزاعها من أيديكم بتولية غيركم أمرها، إما فى حياتكم، و إما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاسباب (٣) من ظ ، و فى الأصل : الانطاق .

بعد مماتكم، كما فعل بغيركم حين أوصل إليكم ما وصل من أموالهم، فليس لكم منها إلا ما أكلتم فأفنيتم أو لبستم فأبليتم أو تصدقتم فأبقيتم - و فى رواية: فأمضيتم، و ليهن الإنفاق منها عليكم كما يهون على الإنسان النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه.

و لما أمر بالإنفاق و وصفه بما سهله، سبب عنه ما يرغب فيه ٥ فقال مبالغا فى تأكيد الوعد لما فى ارتكابه من العسر بالتعبير عنه بالجملة الاسمية و بناء [الحكم - ١] على الضمير بالوصف بالكبير و غير ذلك: ﴿ فالذين 'امنوا ﴾ و بين أن هذا خاص بهم لضيق الحال فى زمانهم فقال: ﴿ منكم و انفقوا ﴾ أى من أموالهم فى الوجوه التى ندب إليها على وجه الإصلاح كما دل عليه التعبير بالإنفاق ﴿ لهم اجر كبير ه ﴾ أى ١٠ لاتبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الإنفاق فى أيام استخلافكم قبل عزلكم و إتلافكم.

و لما رغب فى الإنفاق و الإيمان، و كان الإيمان مقتضى بالإنفاق، عجب ممن لايبادر إلى الحاصل على كل خير، فقال مفصلا لما أجمل من الترغيب فيهما، بادئا بأبين كل خير، منفسا عنهم بالتعبير بأداة الاستقبال ١٥ بالبشارة بالعفو عن الماضى مرهبا موبخا لمن لا يبادر إلى مضمون ما دخل عليه الاستفهام، عاطفا على ما تقديره: فما لكم لا تبادرون إلى ذلك: ﴿ و ما ﴾ أى و أىّ شىء ﴿ لكم ﴾ من الأعذار أو غيرها فى أنكم، أو حال كونكم ﴿ لا تؤمنون بالله ج ﴾ أى تجددون الإيمان - أى تجديدا

---

(١) زيد من ظ.

مستمرا - بالملك الأعلى أى الذى له الملك كله و الأمر كله بعد سماعكم لهذا
/١٩٧ الكلام : لأن «لا» لا تدخل على /مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال ، و لو
عبر بعبارة تدل على الحال لربما تعنت متعنت فقال : فأت ما طلب منا ،
و الذى بعد هذا من الحال التى هى فى معنى العلة دالة على هذا ، و هى
٥ قوله : ﴿و الرسول﴾ أى و الحال أن الذى له الرسالة العامة ﴿يدعوكم﴾
صباحا و مساء على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن[1] السمت
و جلالة القدر و إظهار الخوارق و غير ذلك ﴿لتؤمنوا﴾ أى لأجل
أن تجددوا الإيمان ﴿بربكم﴾ أى الذى أحسن تربيتكم بأن جعلكم من
أمة هذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم و شرفكم به ﴿و قد﴾
١٠ أى و الحال أنه قد ﴿اخذ ميثاقكم﴾ أى وقع أخذه [فصار - [2]] فى غاية
[القباحة - [2]] ترك ما وقع التوثق بسببه بنصب الأدلة و التمكين[3] من
النظر بابداع العقول ، و ذلك كله منضم إلى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه
الصلاة و السلام و إشهادهم على أنفسهم و إشهاد الملائكة عليهم ، و بنى
الفعل للمفعول فى قراءة أبى عمرو ليكون المعنى أى آخذ كان لأن الغدر
١٥ عند الكرماء شديد من غير نظر إلى معين لاسيما العرب فكيف إذا كان
الآخذ الملك الأعظم القادر على كل شىء العالم بكل شىء ، و رسوله
الذى تعظيمه من تعظيمه ، كما صرحت به قراءة الجماعة بالبناء للفاعل
و لا يخفى الإعراب ، و الحاصل أنهم نقضوا الميثاق فى الايمان ، فلم يؤاخذهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : جنس (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : التمكن .

حتى أرسل الرسل •

و لما حثهم على تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار بالتعجب من ترك ذلك، وكان كل واحد يدعى العراقة فى الخير، هيجهم و ألهبهم بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و وصفا ثابتا ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين فى وصف الإيمان، و هو الكون على نور الفطرة الأولى • ٥

و لما وصفه بالربوبية، دل عليها بقوله: ﴿ هو ﴾ أى وحده [لا غيره -[1]] ﴿ الذى ينزل ﴾ أى على سبيل التدريج و الموالاة بحسب الحاجة. و لما كان الخطاب فى هذه السورة للخاص، قال مضيفا إلى ضميره غير مقرون بما يدل على الجلال و الكبرياء ﴿ على عبده ﴾ أى الذى هو أحق الناس بحضرة جماله[2] و إكرامه لأنه ما تعبد لغيره قط ﴿ ءايت ﴾ ١٠ أى علامات هى من ظهورها حقيقة بأن يرجع إليها و يتقيد [بها -[1]] ﴿ بينت ﴾ جدا على ما له من النعوت التى هى فى غاية الوضوح ﴿ ليخرجكم[3] ﴾ أى الله أى عبده بما أنزل إليه مع أنه بشر مثلكم، و الجنس إلى جنسه أميل و منه أقبل، و لا سيما إن كان قريبا و لبيبا أريبا ﴿ من الظلمت ﴾ التى أنتم منغمسون فيها من الحظوظ و النقائص[4] التى جبل عليها الإنسان ١٥ و الغفلة و النسيان، الحاملة على تراكم الجهل. فمن آتاه سبحانه العلم و الإيمان فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه ﴿ الى النور ﴾ الذى كان[5] وصفا لروحه و فطرته الأولى السليمة •

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: جلاله (٣) ليس فى الأصل •
(٤) من ظ، و فى الأصل: النقصان (٥) زيد فى ظ: له •

/١٩٨ و لما كان التقدير : / فان الله به للطيف خبير ، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل زلزال من يطول به البلاء من المؤمنين و إنكار الكفار : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ بكم ﴾ قدم الجار لأن عظيم رحمته لهذه الأمة موجب لعد نعمته[1] على غيرنا عدما بالنسبه إلى نعمته علينا ﴿ لرؤف رحيم ۝ ﴾ أى كنتم بالنظر إلى رحمته الخاصة التى هى لإتمام النعمة العامة صنفين : منكم من كان له به وصلة بما يفعل فى أيام جاهليته من الخيرات كالإنفاق[2] فى سبيل المعروف ، و عبر بالإنفاق لكونه [خيرا -[3]] لا رياء و نحوه [فيه] كالصديق[4] رضى الله عنه فعاد عليه ، بعد عموم [5]رحمته بالبيان[5] ، بخصوص رحمة عظيمة أوصلته إلى [6]أعظم درجات[6] العرفان ، و منكم من كان بالغا فى اتباع الهوى فابتدأه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها إلى أعمال الجنان ، و هى دون ما قبلها فى الميزان ، و فوقها من حيث أنها بدون سبب من المرحوم .

و لما أمرهم بالإيمان و الإنفاق ، و كان[7] الإيمان مع كونه الأساس الذى لا يصح عمل بدونه ليس فيه[8] شيء من خسران أو نقصان ، فبدأ به لذلك ، و رغب بختم الآية بالإشارة بالرأفة[9] إلى أن [من -[3]] توصل

(١) من ظ . و فى الأصل : رحمته (٢) من ظ ، و فى الأصل : كانفاق (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : نحوه ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) فى ظ : رحمة البيان (٦-٦) فى ظ : أعلى درجة (٧) من ظ ، و فى الأصل : كون . (٨) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٩) من ظ ، و فى الأصل : الى الرافه .

إليه

إليه بشيء من الإيمـان أو غيره زاده من فضله « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا - إلى قوله : و من أتاني يمشي أتيته هرولة » عطف عليه الترغيب في التوصل إليه [١] بالإنفاق منكرا على من تركه موبخا لمن حاد عنه [١] و هو يعلم أنه فات ، مفهما بزيادة " أن " المصدرية اللوم على تركه في جميع الأزمنة الثلاثة فقال : ﴿ و ما ﴾ أي و أيّ شيء يحصل ٥ ﴿لكم﴾ في ﴿ الا تنفقوا ﴾ اي توجدوا الإخراج للمال ﴿في سبيل الله﴾ أي في كل ما يرضى الملك الأعظم الذي له صفات الكمال لتكون لكم به وصلة فيخصكم بالرأفة التي هي أعظم الرحمة ، فانه ما بخل [به - [٢]] أحد عن وجه خير إلا سلط الله عليه غرامة في وجه شر ، و أظهر موضع الإضمار في جملة حالية باعثا على الإنفاق بأبلغ بعث [٣] فقال : ﴿ و لله ﴾ ١٠ تأكيدا للعظمة بالندب إلى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال لاسيما صفة الإرث المقتضية للزهد في الموروث ﴿ميراث﴾ [أي - [٢]] الإرث [٤] و الموروث [٤] و الموروث عنه و غير ذلك ﴿السموٰت و الارض [٥]﴾ جميعا لا شيء فيهما أو منهما إلا هو كذلك يزول عن المنتفع به و يبقى لله بقاء الإرث ، و من تأمل أنه زائل هو و كل ما في يده و الموت من ورائه ، ١٥ و يد طوارق الحوادث مطبقه به ، و عما قليل ينقل ما في يده إلى غيره

(١-١) تكرر ما بين الرقمين في الأصل : قبل « بشيء من الإيمان » س ١ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : نعت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٥) من ظ ، و في الأصل : الأرض .

هان عليه الجود بنفسه و ماله .

و لما رغبهم فى الإنفاق على الإطلاق، رغبهم فى المبادرة إليه، مادحا أهله خاصا منهم أهل السباق فقال: ﴿ لايستوى ﴾ . و لما كان المراد أهل الإسلام بين بقوله: ﴿ منكم من انفق ﴾ أى أوجد ١٩٩ / ٥ الإنفاق فى ماله و جميع قواه و ما يقدر عليه . / و لما كان المقصود الإنفاق فى زمان الإيمان لامطلق الزمان، خص بالجار فقال: ﴿من قبل الفتح﴾ أى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة و هو فتح مكة الذى كان سببا لظهور[1] الدين [على الدين - [2]] كله لما نال المنفق إذذاك بالإنفاق من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ، و ذلك مستلزم لكون المنفق أنفذ ١٠ بصيرة و نفقته أعظم غنا و أشد نفعا، و فيه دليل على فضل أبى بكر رضى الله عنه فانه أول من أنفق و لم يسبقه فى ذلك أحد، و فيه نزلت الآية - كما حكاه البغوى[3] عن الكلبى .

و لما كان المراد بالإيمان خدمة الرحمن، و كان الإنفاق و إن كان مصدقا للايمان لايكمل تصديقه إلا ببذل النفس قال: ﴿و قتل[4]﴾ أى سعيا ١٥ فى إنفاق نفسه لمن آمن به، و حذف المنفى للتسوية به و هو [من - [1]] لم ينفق مطلقا أو بقيد القبلية لدلالة ما بعده، و لعله أفرد الضمير إشارة إلى قلة السابقين .

و لما كان نفى المساواة لايعرف منه الفاضل من غيره، و قد كان

(١) من ظ، و فى الأصل: فى ظهور (٢) زيد من ظ (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٢٧ .

حذف قسيم من أنفق لوضوحه و التنفير منه و دلالة ما بعده عليه، نفى اللبس بقوله : ﴿اولـٓئك﴾ أى المنفقون المقاتلون و هم السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار، [1]المقربون من أهل الرتبة العلية لمبادرتهم إلى الجود بالنفس و المال ﴿اعظم درجة﴾ و بعظم الدرجة يـكون عظم صاحبها ﴿من الذين انفقوا﴾ و لما كان المراد التفضيل على من أوجد ٥ الإنفاق و القتال [فى زمان بعد ذلك، لا على من استغرق كل زمان بعده بالإنفاق و القتال - [2]] أدخل الجار فقال : ﴿من بعد و قٰتلوا﴾ و لما كان التفضيل مفهما اشتراك الكل فى الفضل، صرح به ترغيبا فى الإنفاق على كل حال فقال: ﴿ و كلا ﴾ أى من القسمين ﴿ وعد الله ﴾ [أى - [2]] الذى له الجلال و الكمال و الإكرام ﴿الحسنىٰ﴾ أى الدرجة ١٠ التى هى غاية الحسن و إن كانت فى نفسها متفاوتة، و قرأ ابن عامر[3] "و كل" و هو أوفق لما عطف عليه .

و لما كان زكاء الأعمال إنما هو بالنيات، و كان التفضيل مناط العلم، قال [4]مرغبا فى[4] إحسان النيات مرهبا[5] من[6] التقصير فيها : ﴿و الله﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة بجميع صفات الكمال، و قدم الجار إعلاما ١٥ بمزيد اعتناء بالتميز عند التفضيل فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ أى تجددون عمله على مر الأوقات ﴿ خبير ع﴾ أى عالم بباطنه و ظاهره علما لا مزيد

(١) زيدت الواو فى الأصل : و لم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣) راجع نثر المرجان ٧/٢٠٥ (٤-٤) من ظ، و فى الأصل : ابن عباس (٥) من ظ، و فى الأصل : فى (٦) من ظ، و فى الأصل : مر .

عليه بوجه، فهو يجعل جزاء الأعمال على[1] قدر النيات التى هى أرواح صورها.

و لما فضل السابقين بالإنفاق، و وعد [2]بالحسنى اللاحقين[2] بحسن الاتباع، و أشار إلى[3] أنه ربما ألحقهم بعضهم بصفاء الإخلاص فتوفرت
٥ الدواعى على البذل، أثمر [4]ذلك قوله[4] مسميا الصدقة التى[5] صورتها [صورة -[6]] إخراج من غير عوض باسم القرض الذى هو إخراج بعوض ترغيبا فيها لما أعد عليها من الجزاء المحقق فكيف إذا كان مضاعفا: / ﴿من﴾ و أكد بالإشارة بقوله: ﴿ذا﴾ لأجل[7] ما للنفوس من الشح ﴿الذى يقرض الله﴾ أى يعطى[8] الذى له جميع صفات
١٠ الجلال و الإكرام باعطاء المستحق لأجله عطاء من ماله هو على صورة القرض لرجائه الثواب ﴿قرضا حسنا﴾ أى طيبا خالصا فيه متحريا به أفضل الوجوه طيبة به النفس من غير من و لا كدر بتسويف و نحوه.

/ ٢٢٠

و لما كان ما يعطى الله المنفق من الجزاء مسببا عن إنفاقه، ربطه بالفاء فقال عطفا على "يقرض": ﴿فيضعفه له﴾ مرغبا فيه بجعله
١٥ مبالغا فيه بالتضعيف أولا و جعله من باب المفاعلة ثانيا، و كذا التفضيل

---

(١) من ظ، و فى الاصل: لا (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: اللاحقين بالحسنى.
(٣) من ظ، و فى الأصل: لهم (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: قوله ذلك.
(٥) زيد فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد من ظ.
(٧) من ظ، و فى الأصل: جل (٨) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها.

فى

فى قراءة ابن كثير و ابن عامر و يعقوب[١] "فيضعفه" و قرأه ابن عامر [و يعقوب -[٢]] بالنصب جوابا للاستفهام تأكيدا للربط و التسبيب .
و لما كانت المضاعفة[٣] منه سبحانه لايعلم كنهها إلا هو قال: ﴿ و له ﴾ أى المقرض من بعد ما تعقلونه من المضاعفة زيادة على ذلك ﴿اجر﴾ لايعلم قدره إلا الله ، و هو معنى وصفه بقوله: ﴿ كريم ﴾ أى حسن ٥ طيب زاك نام .

و لما بين ما لهذا المقرض ، بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته فقال: ﴿يوم﴾ أى لهم ذلك فى الوقت الذى ﴿ترى﴾ فيه [بالعين -[٢]] ، و أشار إلى أن المحبوب من المال لايخرج عنه ولاسيما [مع -[٢]] الإقتار إلا من وقر الدين فى قلبه بتعبيره بالوصف فقال: ١٠ ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة ﴿يسعى﴾ شعارا لهم و أمارة على سعادتهم ﴿ نورهم ﴾ الذى يوجب إبصارهم لجميع ما ينفعهم فيأخذوه[٤] و ما يضرهم فيتركوه[٥] ، و ذلك بقدر أعمالهم الصالحة التى كانوا يعملونها بنور العلم الذى هو ثمرة الإيمان كما أنهم قدموا المال الذى إنما يقتنيه الإنسان لمثل[٦] ذلك جزاء وفاقا . ١٥

و لما كان من يراد تعظيمه يعطى ما يجب و ما بعده شريفا (؟) فى الأماكن التى يحبها قال: ﴿ بين ايديهم ﴾ أى حيث ما توجهوا ، و لذلك

---

(١) راجع نثر المرجان ٧/٢٠٦ (٢) زيد من ظ (٣) تكرر فى الأصل (٤) من ظ ، و فى الأصل : فياخذونه (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيتركونه (٦) من ظ ، و فى الأصل : بمثل .

حذف الجار ﴿ و بايمانهم ﴾ [أى - ١] و تلتصق بتلك الجهة لأن هاتين الجهتين أشرف جهاتهم، و هم إما من السابقين، و إما من أهل اليمين . و يعطون صحائفهم من هاتين الجهتين، و الشقى بخلاف ذلك لانور له و يعطى صحيفته بشماله و من وراء ظهره، فالأول نور الإيمان و المعرفة ٥ و الأعمال المقولة، و الثانى نور الإنفاق لأنه بالإيمان[٢] - [نبه - ١] عليه الرازى .

و لما ذكر نفوذهم فيما يحبون من الجهات و تيسيره لهم، أتبعه ما يقال لهم من المحبوب فى سلوكهم لذلك المحبوب فقال: ﴿بشرىكم اليوم﴾ أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان . و لما تشوفوا لذلك ١٠ أخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا إشارة إلى أن المخبر به يحسد من البشرى لكونه معدن السرور ﴿ جنت ﴾ أى كائنة لكم تتصرفون فيها أعظم تصرف، و الخبر فى الأصل دخول، و لكنه عدل عنه لما ذكر من المبالغة ثم وصفها بما لا / تكمل اللذة إلا به فقال: ﴿ تجرى ﴾ و أفهم القرب /٢٢١ باثبات الجار فقال: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ و لما كان ذلك لايتم مع ١٥ خوف الانقطاع قال: ﴿ خلدين فيها ط ﴾ خلودا لا آخر له لأن الله أورثكم ذلك ما لايورث عنكم كما كان حكام الدنيا لأن الجنة لاموت فيها . و لما كان هذا أمرا سارا[٣] فى ذلك المقام الضنك[٤] محبا بأمر(؟) استأنف مدحه بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الأمر العظيم جدا ﴿هو﴾ أى وحده

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الايمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : اشار (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالصنك .

﴿الفوز العظيم ﴾ أى الذى ملأ بعظمته جميع الجهات من ذواتكم و أبدانكم و نفوسكم و أرواحكم .

و لما عظم هذا الأجر الكريم ببيان ما لأهله فى الوقت الكائن فيه ، عظمه بما لأضدادهم من النكال ، فقال مبدلا من الظرف الأول :
﴿يوم يقول﴾ اى قولا مجددا لما[1] يلجىء إليه من الأمور العظيمة الشاقة ٥
﴿المنفقون و المنفقت﴾ أى بالعراقة فى إظهار الايمان و إبطان الكفران ﴿للذين امنوا﴾ أى ظاهرا و باطنا ، و أما من علا من هذا السن من المؤمنين و من فوقهم فالظاهر أنهم لا يرونهم ليطمعوا فى منادتهم[2] «و أين الثريا من يد المتناول» ﴿ انظرونا ﴾ أى انظرونا بأن تمكثوا فى مكانكم لنلحق بكم ، و كأن الفعل جرد فى قراءة الجماعة لاقتضاء الحال الإيجاز بغاية ١٠
[ما -[3]] توصل المقدرة إليه خوف الفوت ، لأن المسؤلين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف ، و قد حققت المعنى قراءة حمزة[4] بقطع الهمزة و كسر الظاء أى أخرونا فى المشى و تأنوا علينا و أمهلوا علينا ، لا تطلبوا منا السرعة فيه بل امكثوا فى مكانكم لننظر فى أمرنا كيف نلحق بكم ، و الحاصل[5] أنهم عدوا تأنيهم فى المشى و تلبثهم ليلحقوا بهم إنظارا لهم ﴿ نقتبس﴾ ١٥
أى نأخذ و نصيب و نستصبح ﴿ من نوركم ج ﴾ أى هذا الذى نراه لكم و لا يلحقنا منه بشىء كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم[6]

(١) من ظ ، و فى الأصل : بما (٢) من ظ ، و فى الأصل : مادتهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع نثر المرجان ٢٠٨/٧ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحال (٦) من ظ ، و فى الأصل : ظهوركم .

و لاتتعلق من ذلك بشيء جزاء وفاقا ، و سبب هذا القول أنهم يعطون
مع المؤمنين نورا[1] خديعة لهم بما خادعوا فى الدنيا لتعظم عليهم المشقة
بفقده لأنه لايلبث أن يبعث الله عليهم ريحا و ظلمة فتطفيء نورهم و يبقون
فى الظلمة ، و إلى ذلك ينظر قول المؤمنين "اتمم لنا نورنا" أى [لا -[2]]
٥ تطفئه كما أطفأت نور المنافقين .

و لما كان المنكيء لهم إنما هو الرد من[3] أى قائل كان ، بنى للمفعول
قوله : ﴿قيل﴾ أى لهم جوابا لسؤالهم قول رد و توبيخ و تهكم و تنديم :
﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ أى فى جميع جهات الوراء التى هى أبعد الجهات
عن الخير كما كنتم فى الدنيا لاتزالون مرتدين على أعقابكم عما يستحق
١٠ أن يقبل عليه و يسعى إليه ﴿فالتمسوا﴾ بسبب ذلك الرجوع ﴿نورا[4]﴾
و يصح أن يراد بالوراء الدنيا لأن هذا النور إنما هو منها بسبب ما عملوا
فيها من الأعمال الزاكية و المعارف الصافية ، و لهذا قال الإمام الغزالى رحمه
الله تعالى فى كتاب المحبة من الإحياء : إن هذه الآية تدل على / أن الأنوار ٢٢٢ / أ
لابد أن يتجدد أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة إشراقا [فاما -[2]]
١٥ أن يتجدد ثم نور فلا .

و لما كان التقدير : فرجعوا أو فأقاموا فى الظلمة ، سبب عنه و عقب
قوله : ﴿ فضرب ﴾ مبنيا للمفعول على نحو الأول ، و لإفادة أن الضرب
كان فى غاية السرعة و السهولة ، و يجوز أن تكون الفاء معقبة على ما

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : نور (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
على .

قبله

قبله من غير تقدير ﴿ بينهم ﴾ أى فى [جميع - ١] المسافة التى بين الذين آمنوا و أضدادهم فى وقت قولهم هذا . و لما كان المقصود أن ضربه كان فى غاية السرعة ، لم يوقع الفعل و أتى بالفاء ليقيد أنه كان كأنه عصى ضربت به الأرض ضربة واحدة ، فقال : ﴿ بسور ﴾ أى جدار محيط محيل بين الجنة و النار لايشذ عنه أحد منهم و لا يقدر ٥ أحد من سواهم أن يتجاوزه إليهم ﴿ له باب ﴾ موكل به حجاب لا يفتحون إلا لمن أذن الله له من المؤمنين بما[٢] يهديهم إليه من نورهم الذى بين أيديهم لشفاعة أو نحوها ﴿ باطنه ﴾ أى ذلك السور و الباب و هو الذى من جهة الذين آمنوا جزاء لإيمانهم الذى هو غيب ﴿ فيه الرحمة ﴾ و هى ما لهم من الكرامة بالجنة التى هى ساترة يبطن من فيها بأشجارها ١٠ و بأسبابها كما كانت بواطنهم ملآء رحمة[٣] ﴿ و ظاهره ﴾ أى السور أو[٤] الباب الذى يظهر لأهل النار ، مبتدئ ﴿ من قبله ﴾ أى تجاه ذلك الظاهر و ناحيته وجهته و عنده ﴿ العذاب[٥] ﴾ من النار و مقدماتها لاقتصار أهله على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ إلى باطن و عكس ما أرادوا من حفظ ظواهرهم فى الدنيا مع فساد بواطنهم ، و دل على ما أفهمه ١٥ التعبير بالمضارع فى " يقول " من التكرير بقوله استئنافا : ﴿ ينادونهم ﴾ أى المنافقون و المنافقات ، يواصلون النداء و هم فى الظلمة للذين آمنوا يترفقون لهم فى مدة هذا القول و الضرب : ﴿ الم نكن ﴾ أى بكليتنا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ان (٣) من ظ ، و فى الأصل : الرحمه (٤) من ظ ، و فى الأصل : « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل « العذاب » .

﴿ معكم ﴾ أى فيما كنتم فيه من الدين فنستحق المشاركة فيما صرتم إليه بسبب ذلك [الدين -[1]] الذى كنا معكم فيه ﴿قالوا﴾ أى الذين آمنوا : ﴿ بلى ﴾ قد كنتم معنا ﴿ و لكنكم فتنتم ﴾ أى كنتم بما كان لكم من الذبذبة تختبرون ﴿ انفسكم ﴾ فتخالطونها[2] باختبار أحوال الدين[3] مخالطة
٥ محيلة لها مميلة عما كانت عليه من أصل الفطرة من الاستقامة، تريدون بذلك أن تظهر لكم فيه أمور محسوسة لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا، فما آمنتم بالغيب فأهلكتموها[4] و تبعتم أيضا الأمور التى كنتم تفتنون بها [من - [1]] الشهوات، فأوجبتم لكم الإعراض عن المعالى الباطنات ﴿ و تربصتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى
١٠ فأمهلتم و انتظرتم لتروا الأمر عيانا أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب و ترك التجربة و نسبة ما يحصل لنا مما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و لا يزيدنا ذلك إلا ايمانا و تسليما، و انتظرتم أيضا الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق ﴿ و ارتبتم ﴾ أى شككتم بتكليف أنفسكم الشك
٢٢٣ / ١٥ بذلك التربص ﴿و غرتكم الامانى﴾ أى ما تتمنون / أى تريدون و تقدرون من الإرادات التى معها شهوة عظيمة من الأطماع الفارغة التى لاسبب لها غير شهوة النفس إياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء ﴿ حتى جآء امر الله ﴾ اى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال، فلا كفوء له و لا خلف لقوله من الموت، و مقدمات من الأمور الدهشة،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : فتخالطوبهم (٣) من ظ، و فى الأصل : الدنيا (٤) من ظ، و فى الأصل : فانهكتموها .

فكما كنتم فى الدنيا مقصرين كنتم فى هذا الموطن ﴿ و غركم بالله ﴾ أى الملك الذى له جميــع العظمة، فهو بحيث لايخلف الميعاد و هو الولى الودود ﴿الغرور﴾ أى من [لا -¹] صنع له إلا الكذب و هو الشيطان و هو العدو الحسود، فانه ينوع لكم بغروره التسويف و يقول: إن الله غفور رحيم [و - ¹] عفو كريم، و ما ذا عسى أن تكون ذنوبكم عنه ٥ و هو عظيم و محسن و حليم و نحو هذا، فلا يزال حتى يوقع الإنسان، فاذا أوقع واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى، فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده .

و لما أقروا لهم بالكون الجامع . و ذكروا ما حصل به و الفرق المانع فظهر أن لا كون، سببوا عنه قولهم: ﴿ فاليوم ﴾ أى بسبب أفعالكم ١٠ تلك ﴿لا يؤخذ﴾ بناء للفعول لأن الضار عدم الأخذ²لا كونه² من آخذ معين و ليفيد سد باب الأخذ مطلقا ﴿ منكم فدية ﴾ أى نوع من أنواع الفداء و هو البدل و العوض للنفس على أى حال من قلة أو كثرة أو حسن أو غيره لأن الإله غنى و قد فات محل العمل الذى شرعه لإنقاذ أنفسكم . و لما كانوا مكذبين أكد فقال: ﴿و لا من الذين كفروا ط﴾ أى أظهروا ١٥ كفرهم و لم يستروه كما سترتموه أنتم لمساواتكم لهم فى الكفر . و لما كان كأنه قيل: فاين نكون؟ قال: ﴿ ما وىكم ﴾ أى منزلكم و مسكنكم و مجمعكم ﴿ النار ط﴾ لا مقر لكم غيرها، تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الأولياء باقبالكم على الشهوات، و إضاعتكم حقوق ذوى الحاجات، و أكد ذلك

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: لكونه .

بقوله : ﴿ هي ﴾ أى لاغيرها ﴿ مولـكم ﴾ أى قرينتكم و موضع قربكم و مصيركم و ناصركم على نحو "تحية بينهم[1] ضرب وجيع" فهى أولى لكم، لاقرب لكم إلى غيرها، و لا غيرها مولى و لامصير [إلى -[2]] سواها و لا ناصر إلا هى . و لما كان التقدير : فبئس المولى هى، عطف عليه
٥ قوله : ﴿ و بئس المصيره ﴾ أى هذه النار التى صرتم إليها .

و لما كان هذا وعظا شافيا لسقام القلوب، وكاشفا لغطاء الكروب، انتج قوله حاثا على الإقبال على كتابه الذى رحم به عباده بانزاله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم على وجه معلم باعجازه أنه كلام الله مستعطفا لهم إلى جنابه زاجرا لهم[3] عما سألهم بعضهم فيه سلمان رضى الله عنه من أن
١٠ يحدثهم عن التوراة و الانجيل، فكانوا كلما سألوه عن شيء أنزل سبحانه آية يزجرهم بها و ينبههم على أن هذا القرآن فيه [كل ما -[2]] يطلب إلى أن أنزل هذه الآية زاجرة هذا الزجر العظيم لئلا يظن ظان أن القرآن غير كاف، محوفا لهم بما وقع لأهل الكتاب من الإعراض عن كتابهم . قال الكلبى[4] نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة، و قال ابن عباس
١٥ / ٢٠٤ رضى الله عنهما : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين على رأس / ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال : ﴿ الم يان ﴾ اى يحن و ينتهى و يدرك إلى الغاية ﴿ للذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقا أوكذبا ﴿ ان تخشع ﴾ اى أن يكون لهم رتبة عالية فى الإيمان بأن تلين و تسكن و تخضع و تذل و تطمئن فتخبت فتعرض عن الفانى و تقبل على الباق ﴿ قلوبهم لذكر الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : بينكم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) راجع.

أى

اى الملك الأعظم الذى لاخير إلا منه فيصدق فى إيمانه من كان كاذبا و يقوى فى الدين من كان ضعيفا، فلا يطلب لذلك دينه دواء و لالمرض قلبه شفاء فى غير القرآن، فان ذكر الله يجلو أصداء القلوب و يصقل مرائيها .

و لما كان الذكر وحده كافيا فى الخشوع و الإنابة و الخضوع لأنه مجمع لكل رغبة و منبع لكل رهبة، و كان من الناس من لانفوذ له فيما ٥ له سبحانه من الجلال و الإكرام قال: ﴿ و ما نزل ﴾ أى الله تعالى بالتدريج - على قراءة الجماعة بالتشديد[1]، و ما وجد إنزاله[2] من عند الله على خاتم رسله صلى الله عليه و سلم على قراءة نافع و حفص عن عاصم و رويس بخلف عنه عن يعقوب بالتخفيف ﴿من الحق لا﴾ أى من الوعد و الوعيد و الوعظ و غير ذلك على بنيكم صلى الله عليه و سلم من القرآن إشارة ١٠ إلى ان غير هذا الذكر دخله الدخيل، و اما هذا فثابت ثباتا لايقدر أحد على إزالته .

و لما كان للسابقة و المنافسة أمر عظيم فى تحريك الهمم لأهل الأنفة و أولى المعالى قال: ﴿و لا يكونوا كالذين﴾ و لما كان العلم بمجرده كافيا فى إعلاء الهمة فكيف [إذا -[3]] كان من عند الله فكيف إذا ١٥ كان بكتاب، إشارة[4] إلى ذلك بالبناء للمجهول فقال: ﴿اوتوا الكتب﴾ أى لو كان الإتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف و هو من عنده . و لما كان إنزال الكتب لم يكن إلا على بنى إسراءيل

(١) راجع نثر المرجان ٧/٢١٤ (٢) من ظ، و فى الأصل: انزله (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: اشارة.

فلم يكن مستغرقا للزمان الماضي أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أي قبل ما نزل إليكم و هم اليهود و النصارى. و لما كانوا[1] في كل قليل يعبرون قال عاطفا على "اوتوا الكتاب": ﴿فطال عليهم الامد﴾ أي الزمان الذي ضربناه لشرفهم و مدوناه لعلوهم من أول إيتائهم[2] الكتاب الذي من ٥ شأنه ترقيق القلوب، و الأمد الأجل، و كل منهما يطلق على المدة كلها و على آخرها، و كذا الغاية بقول النحاة: "من" لابتداء الغاية و «إلى» لانتهائها، و المراد جميع المدة ﴿فقست﴾ أي بسبب الطول ﴿قلوبهم[4]﴾ أي صلبت و اعوجت حتى كانت بحيث لا تنفعل للطاعات و الخير فكانوا [3]كل القليل[3] في تعنت شديد على أنبيائهم عليهم الصلاة و السلام يسألونهم ١٠ المقترحات، و أما بعد ايتائهم فابعدوا في القساوة، فمالوا إلى دار الكدر بكلياتهم و أعرضوا عن دار الصفا فانجروا إلى الهلاك باتباع الشهوات، قال القشيري: و قسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة[4] و أن الشهوة و الصفوة لا تجتمعان.

و لما كان التقدير: فبعضهم ثبت على تزلزل، عطف عليه قوله: ١٥ ﴿و كثير منهم﴾ أخرجته قساوته عن الدين أصلا و رأسا فهم/ ﴿فسقون﴾ ٢٠٥ / أي عريقون في وصف الإقدام على الخروج من دائرة الحق التي عداها لهم الكتاب، و عن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال: لم يكن بين إسلامهم و بين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله

(١) من ظ، و في الأصل: كان (٢) من ظ، و في الأصل: اتيانهم.
(٣-٣) من ظ، و في الأصل: قليلا (٤) من ظ، و في الأصل: الهوى.

بها (٧٠)

بها إلا أربع سنين - رواه الطبرانی فی الکبير[1]، قال الهيثمی : و فيه موسى ابن يعقوب الربعی وثقه ابن معين و غيره و ضعفه ابن المدينی و بقية رجاله رجال الصحيح - انتهى .

و لما كان الموجب الأعظم للقسوة إنكار البعث، و كان[2] العرب يزيدون على أهل الكتاب من موجبات القسوة به، و كان عمل العامل بما يدل[3] ٥ على القسوة عمل من ينكره، قال مهددا لهم به مقررا لما ابتدأ به السورة من أمر الاحياء مشيرا إلى القدرة على إحياء القلوب ممثلا لإزالة القسوة عنها بصقل الذكر و التلاوة ترغيبا فی إدامة ذلك[4] : ﴿ اعلموآ ﴾ أی يا من آمن بلسانه ﴿ ان الله ﴾ أی الملك الأعظم الذی له الكمال كله فلا يعجزه شیء ﴿ يحي ﴾ أی على سبيل التجديد و الاستمرار كما تشاهدونه ١٠ ﴿ الارض ﴾ اليابسة بالنبات . و لما كان هذا الوصف ثابتا دائما بالفعل و بالقوة أخرى، و كان الجار هنا مقتضيا للتعميم قال: ﴿ بعد موتها ﴾ من غير ذكر الجار و كما أنه يحييها فيخرج بها النبات بعد أن كان قد تفتت و صار ترابا فكذلك يحيی بجمع[5] أجسامهم و إفاضة الأرواح عليها كما فعل بالنبات و كما فعل بالأجسام أول مرة سواء، لا فرق بوجه ١٥ إلا بأن يقال: الابتداء أصعب فی العادة، فاحذروا سطوته و اخشوا غضبه و ارجوا رحمته لإحياء القلوب، فانه قادر على إحيائها بروح الوحی كما

(١) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٢١ (٢) من ظ ، و فی الأصل : ان (٣) من ظ ، و فی الأصل : دل (٤) زيد فی الأصل : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فی ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فی الأصل : بجميع .

أحيي الأرض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الأرض بالماء رابية بعد خشوعها و موتها.

و لما انكشف الأمر بهذا غاية الانكشاف، أنتج قوله: ﴿قد بينا﴾ أى على ما لنا من العظمة، و لما كان العرب يفهمون من لسانهم ما ٥ لايفهم غيرهم فكانوا يعرفون - من إعجاز القرآن بكثرة فوائده و جلالة مقاصده و دقة مسالكه و عظمة مداركه، و جزالة تراكيبه و متانة أساليبه و غير ذلك من شؤنه و أنواعه و فنونه، المنتج لتحقق أنه كلام الله - [1]ما لا[1] يعلمه غيرهم فكأنما كانوا مخصوصين بهذا البيان، فقدم الجار فقال: ﴿لكم الآيٰت﴾ أى العلامات المنيرات. و لما كان السياق للبعث، و كان ١٠ من دعائم أصول الدين، و كان العقل كافيا فى قياسه على النبات، و كان الفعل[2] الذى لايعود إلى سعادة الآخرة ناقصا، و كان العقل الذى لاينجى صاحبه مساويا للعدم، قال معبرا بأداة التراخى بخلاف ما سبق فى آل عمران فانه من مصالح النفس التى اختفت، و دواع تدعو إلى فهمها، و تبعث إلى إتقان / علمها ﴿لعلكم تعقلون﴾ أى لتكونوا عند من يعلم /٢٠٦ ١٥ ذلك و يسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدار بالاستمرار.

و لما كانت الصدقة كالبذر الذى تقدم أن الله تعالى يحييه و يضاعفه أضعافا كثيرة على حسب زكاء الأرض، قال منتجا مما مضى ما يعرف أن

(١-١) من ظ، و فى الأصل. دالا (٢) من ظ، و فى الأصل: العقل.

أن من أعظم ما دل على الخشوع المحثوث عليه و البعد عن حال[1] الذين أوتوا الكتاب فى القسوة الصدقة بالإنفاق الذى قرنه فى أولها بالإيمان ، و حث عليه فى كثير من آياتها تنبيها على أنه ثمرته التى لا تخلف عنه ، معبرا عنه بما يرشد إلى أنه المصدق لدعواه ، و أكده[2] لمن يشك فى البعث من إنكار بركة الصدقة عاجلا أو آجلا تقيدا بالمحسوسات : ﴿ان المصدقين﴾ ٥ أى العريقين فى هذا الوصف من الرجال ﴿ و المصدقت ﴾ أى من النساء، بأموالهم على الضعفاء الذين إعطاؤهم يدل على الصدق فى الإيمان لكون[3] المعطى لا يرجى منه نفع دنيوى ، و لعله أدغم إشارة إلى إخفاء الصدقات ، و قراءة [أبى -[4]] رضى الله عنه بالإظهار ترشد إلى الإكثار من الصدقة حتى تصير ظاهرة ، و قراءة ابن كثير و أبى بكر عن عاصم ١٠ بالتخفيف[5] تدل مع ذلك على التصديق بالإيمان ، فكل من القراءات يدل عليهما ، و من التفصيل بذكر النوعين تعرف شدة الاعتناء .

و لما كانت صيغة التفعل تدل على التكلف حثا على حمل النفس على التطبع بذلك حتى يصير لها خلقا فى غاية الخفة عليها فقال عاطفا على صلة الموصول فى اسم الفاعل معبرا بالماضى بعد إفهام الوصف الثبات ١٥ دلالة على الإيقاع بالفعل عطفا على [ما -[4]] تقديره موقعا ضمير المذكر على الصنفين تغليبا الذين صدقوا إيمانهم بالتصدق[6] : ﴿ و اقرضوا الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : الحال (٢) من ظ ، و فى الأصل : اكد كما (٣) من ظ ، و فى الأصل : لكونه (٤) زيد من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالصدق .

الذى له الكمال كله بتصديقهم سواء كانوا من الذكور أو الإناث ، و إنفاقهم فى
كل ما ندب [إلى الإنفاق -[1]] فيه ، و أكد و وصف بقوله : ﴿قرضا حسنا﴾
أى بغاية ما يكون من طيب النفس و إخلاص النية فى الصدقة
و النفقة فى سبيل الخير ، و حسنه أن يصرف [2]بصره إلى النظر[2] إلى فعله
٥ والامتياز بـه و طلب العوض عليه ، قاله الرازى . ﴿ يضعف ﴾ أى
ذاك القرض ﴿ لهم ﴾ و يثابون بحسب تلك المضاعفة لأن الذى كان
القرض له سبحانه حليم كريم و لا يرضى فى الخير إلا بالفضل ، و ثقل فى
قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبى جعفر [و يعقوب -[1]] دلالة على
المبالغة فى التكثير ، و عبر بالمفاعلة[3] فى قراءة الجماعة لإفهام أن تلك الكثرة
١٠ مما لابد من كونه ، و أنه عمل فيه عمل من يبارى آخر و يغالبه ، و بنى
للمفعول دلالة على باهر العظمة اللازم عنه كونه بغاية السهولة ﴿ولهم﴾
أى مع المضاعفة ﴿اجر كريم ﴾ أى لا كدر فيه بانقطاع و لا قلة و لا زيادة
بوجه من الوجوه أصلا .

/ و لما بين سبحانه و تعالى أن الصدقة كالبذر الذى هو من أحسن ٢٠٧ /
١٥ الأرباح و أبهجها ، بين الحامل عليها ترغيبا فيها ، فقال عاطفا بالواو ،
إشارة إلى التمكن فى جميع هذه الصفات : ﴿والذين 'امنوا﴾ أى أوجدوا
هذه الحقيقة العظيمة فى أنفسهم ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له
الجلال و الإكرام ﴿و رسله ﴾ أى كلهم لما[4] لهم من النسبة إليه ، فمن

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : البصر بالنظر (٣) راجع
نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٤) فى ظ : لأجل ما .

كذب بشيء على أحد منهم أو عمل عمل المكذب له لم يكن مؤمنا به ﴿أولئك﴾ أى الذين لهم الرتب العالية و المقامات السامية ﴿هم﴾ أى خاصة [1]لا غيرهم[1] ﴿الصديقون ﴿ق﴾﴾ أى الذين هم فى غاية الصدق و التصديق لما يحق له أن يصدقه من سمعه، و قال القشيرى: الصديق من استوى ظاهره و باطنه، و يقال: هو الذى يحمل الأمر على الأشق و لا ينزل[2] ٥ إلى الرخص، و لا يحتاج للتأويلات، و لما كان الصديق لا يكون غريقا فى الصديقية إلا بالتأهيل لرتبة الشهادة قال تعالى: ﴿و الشهدآء﴾ معبرا بما مفرده شهيد عاطفا بالواو إشارة إلى قوة التمكن فى كل من الوصفين، [قال القشيرى - [3]]: هم الذين يشهدون بقلوبهم مواطن الوصلة و يعتكفون بأسرارهم فى أوطان القربة، و زاد الأمر عظما بقوله: ﴿عند ربهم ط﴾ ١٠ أى الذى أحسن إليهم بالقربة [بمثل تلك الرتبة - [3]] العالية من الشهادة لله بكل ما أرسل به رسله و الأنبياء الماضين على أممهم و الحضور فى جميع الملاذ بالشهادة فى سبيل الله، قال مجاهد[4]: كل مؤمن صديق و شهيد - و تلى هذه الآية ﴿لهم﴾ اى جميع من مضى من الموصوفين[5] [بالخير - [3]] ﴿أجرهم﴾ أى الذى جعله ربهم [لهم - [3]] ﴿و نورهم ط﴾ [أى - [3]] ١٥ الذى زادهموه من فضله برحمته، أولئك أصحاب النعيم المقيم.

و لما ذكر أهل السعادة جامعا لأصنافهم، أتبعهم أهل الشقاوة لذلك قال: ﴿و الذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلت عليه أنوار عقولهم و مرائى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: لايتزلزل (٣) زيد من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٨/٢٢٣ (٥) من ظ، و فى الأصل: الموضعين.

فكرهم ﴿و كذبوا بآيتنآ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا سواء كانوا فى ذلك مساترين أو مجاهرين أو عمل العالم بها عمل المكذب ﴿اولئك﴾ أى المبعدون [1]من الخير[1] [خاصة -[2]] ﴿اصحٰب الجحيم ﴿۱۹﴾﴾ أى النار التى هى [3]غاية فى[3] توقدها، خالدون فيها من بين العصاة، و أما ٥ غيرهم فدخولهم [لها - [2]] إذ دخلوها ليس على [وجه - [2]] الصحبة الدالة على الملازمة، و أولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل [4]لهم شهادة[4] عند ربهم، لهم عقابهم و [عليهم -[2]] ظلامهم، و الآية من الاحتباك: ذكر الصديقية [5]و ما معها أولا[5] دليلا على أضدادها ثانيا، و[6] الجحيم ثانيا دليلا على النعيم أولا، و سره أن الأول أعظم فى الكرامة، و الثانى أعظم ١٠ فى الإهانة.

و لما ذكر [سبحانه -[2]] حال الفريقين: الأشقياء و السعداء، فتقرر[7] بذلك أمر الآخرة، فعلموا أنها / الحيوان الذى لا انقضاء له من إكرام ٢٠٨/ أو هوان، و كان الموجب للهوان فيها إنما هو الإقبال على الدنيا لحضورها و نسيان الآخرة لغيابها[8]، قال منتجا مما[9] مضى مبينا لحقيقة ما يرغب فيه ١٥ المكلف المركب على الشهوة من العاجلة بما زهد فيه مصدرا له بما يوجب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل: فى غاية (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: شهادتهم (٥ - ٥) من ظ، و فى الأصل: اولا ومعها (٦) زيد فى الأصل: اهل، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل: فقرر (٨) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) من ظ، و فى الأصل: لما.

غاية

غاية اليقظة و الحضور[1]: ﴿اعلموآ﴾ أى ايها العباد المبتلون، و أكد المعنى بزيادة "ما" [لما - [2]] للناس من الغفلة عنه فقال قاصرا قصر قلب: ﴿ انما الحيوة الدنيا﴾ أى الحاضرة التى رغبت فى الزهد فيها و الخروج عنها بالصدقة و القرض الحسن ﴿ لعب ﴾ أى تعب لاثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان ﴿ و لهو ﴾ أى شيء يفرح الإنسان به فيلهيه و يشغله ٥ عما يعنيه ثم ينقضى كلهو الفتيان، ثم اتبع ذلك عظم ما يلهى فى الدنيا فقال: ﴿و زينة﴾ أى شيء يبهج العين و يسر النفس كزينة النسوان، و أتبعها ثمرتها فقال: ﴿ و تفاخر ﴾ أى كتفاخر[3] الأقران يفتخر بعضهم على بعض. و لما كان ذلك مخصوصا بأهل الشهوات قال: ﴿ بينكم ﴾ أى يجر إلى الترفع الجارّ إلى الحسد و البغضاء، ثم أتبع ذلك ما يحصل به الفخر ١٠ فقال: ﴿ و تكاثر ﴾ أى من الجانبين ﴿ فى الاموال ﴾ أى التى لا يفتخر بها إلا أحمق لكونها مائلة ﴿و الاولاد[4] ﴾ الذين لا يغتر بهم إلا سفيه لأنهم الأعداء، و أن جميع ما ذكر زائل و أن الدنيا آفاتها هائلة، و إنما هى فتنة و ابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره، ثم إلى ذلك كله [4]قد يكون[4] ذهابه عن قرب فتكون على أضداد ما كان عليه، فيكون أشد فى ١٥ الحسرة، و مطابقة ذلك لما بعده أن الإنسان ينشأ فى حجر وليه فيشب و يقوى و يكسب المال و الولد و يتغشاه الناس فيكون بينهم أمور معجبة و أحوال ملهية مطربة، فاذا تم شبابه و أطفأه مجيئه و ذهابه

---

(١) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ
(٣) فى ظ: تفاخر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و أشكاله و أترابه، أخذ فى الانحطاط و لا يزال حتى يشيب و يسقم
و يضعف و يهرم و تصيبه النوائب و القوارع و المصائب فى ماله وجسمه
و أولاده و أصحابه، ثم فى آخر ذلك يموت، فاذا قد اضمحل أمره و نسى
عما قليل ذكره، و صار ماله لغيره و زينته متمتعا بها سواه فالدنيا حقيرة
٥ و أحقر منها طالبها و أقل منها خطر المزاحم فيها، فما هى إلا جيفة،
و طلاب الجيفة ليس لهم خطر، و أخسهم من بخل بها، قال القشيرى:
و هذه الدنيا المذمومة هى ما يشغل العبد عن الآخرة [فكل ما يشغله
عن الآخرة -[1]] فهو الدنيا - انتهى .

و لما قرر سبحانه أنها ظل زائل و عرض هائل، و كان بعض
١٠ الناس يتنبه فيشكر[2] و بعضهم يعمى فيكفر، و كان القسم الثانى أكثر
لأن وجودها و إقبالها يعمى أكثر القلوب عن حقارتها، ضرب لذلك
مثلا مقررا لما مضى من وصفها لأن للأمثال[3] فى تقرير الأشياء و تصويرها
ما ليس لغيرها فقال تعالى: ﴿ كمثل ﴾ أى هذا الذى ذكرته من أمرها
يشبه مثل ﴿ غيث ﴾ أى مطر / حصل بعد جدب [و -[1]] سوء حال . /٢٠٩
١٥ و لما كان المثل فى سياق التحقير للدنيا و التنفير عنها، عبر عن الزراع
بما ينفر فقال: ﴿ اعجب الكفار ﴾ أى الزراع الذين حصل منهم[4] الحرث
و البذر الذى يستره الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان
لما يحصل منه من الجحدو الطغيان و لا يتناهى إعجاب[5] الزارع [إلى -[1]]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: و يشكر (٣) من ظ، و فى الأصل: الامثال (٤) من ظ، و فى الأصل: لهم (٥) من ظ، و فى الأصل: اعجب .

حد يلهى عن الله إلا مع الكفر به سبحانه ، فان المؤمن و إن أعجبه ذلك يتذكر به قدرة الله سبحانه و تعالى و عظمته و ما أعد لأهل طاعته فى الآخرة ، فيحمله ذلك على الطاعة ، فالتعبير بالكفار الذى هو بمعنى الزراع دونه إشارة إلى عظمة ذلك النبات فأنه لايعجب العارفين به الممارسين له الذين لهم غاية الإقبال على تلك الحرفة فالمنافسة فيها إلا ما يكون ٥ منها[1] نهاية فى الإعجاب ، و إلى أنه لايعجب أحدا شيء من الدنيا إعجابا يركن و يأنس به أنسا يؤدى إلى ما فى الآية من اللهو و ما معه إلا لكفر فى نفسه أقله كفر النعمة التى من شأنها أن تدعو إلى تذكر الخالق[2] و تذكر الجميل على الشكر ، و ترك الشكر كفر ﴿نباته﴾ أى نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر فى الكفر فى الغالب بسط الدنيا له ١٠ استدراجا من الله تعالى .

و لما كان الزرع يشيخ بعد مُدَيْدةٍ فيضمحل كما هو شأن الدنيا كلها قال[3] : ﴿ ثم يهيج ﴾ أى يسرع تحركه فيتم جفافه فيحين حصاده ﴿ فترىٰه مصفرا ﴾ أى[4] عقب ذلك و بالقرب منه على حالة لا ثمر معها [بل -[5]] و لانبات ، و لذلك قال معبرا بالكون لأن السياق للتزهيد ١٥ فى الدنيا و أنها ظل زائل لاحقيقة لها[6] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد تناهى جفافه[7] و ابيضاضه ﴿ يكون ﴾ أى كونا كأنه مطبوع عليه ، و أبلغ سبحانه فى تقرير اضمحلاله بالإتيان مع فعل الكون هنا للمبالغة لأن السياق لتقرير

(١) فى ظ : منه (٢) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٣) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : له . (٧) فى الأصل : الجفافة ، و فى ظ : الجفاف .

أن الدنيا عدم و إن كانت فى غاية الكثرة و الإقبال و المؤاتاة[1] بخلاف ما مضى فى الزمن فقال : ﴿حطاما ط﴾ كأن الحطامية[2] كانت فى جبلته و أصل طبعه .

و لما ذكر الظل الزائل ، ذكر أثره[3] الثابت الدائم مقسما له على قسمين ،
٥ فقال عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا فى سرعة زوالها و تحقق فنائها [و اضمحلالها -[4]] : ﴿و فى﴾ أى هذا الذى غر من حال الدنيا و هو فى ﴿الأخرة﴾ على أحدهما ﴿عذاب شديد لا﴾ أى لمن أخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله لأن الاغترار بها سببه ، فكان كأنه هو .

و لما قدم ما هو السبب الأغلب لأن أكثر الخلق هالك ، اتبعه
١٠ الصنف الناجى فقال : ﴿و مغفرة﴾ أى لأهل الدرجة الأولى فى الإيمان ﴿من الله﴾ أى الملك الأعظم لمن يذكر بما صنعه له فى الدنيا عظمته سبحانه و جلاله فتاب من ذنوبه ، و رجع إليه فى التطهير من عيوبه ﴿و رضوان ط﴾ لأهل الدرجة العليا و هم من أقبل عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه فيما يرضيه ، فآخر الآية تقسيم للدنيا على الحقيقة
١٥ لئلا يظن من حصرها فيما ذكر أول الآية أنها لاتكون إلا / كذالك ، ٢١٠ /
فالمعنى أن الذى ذكره أولا هو الأغلب لأحوالها و عاقبته النار ، و ما كان منها من إيمان و طاعة و نظر توحيد لله و تعظيم و معرفة تؤدى إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : الموالاة (٢) من ظ ، و فى الأصل : الحاطمة .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : اثر (٤) زيد من ظ .

أخذها

أخذها تزودا[١] و نظرها اعتبارا و تعبدا، فهو[٢] آخرة لا دنيا، و قد تحرر
أن مثل الغيث المذكور الحطام و تارة يعقبه نكد لازم و أخرى سرور
دائم، فمن عمل فى ذلك عمل الحزمة لحرس الزرع مما يؤذيه و حصده
فى وقته و عمل فيه ما ينبغى و لم ينس حق الله فيه سره أثره و حمدت
عاقبته، و من أهمل ذلك [أعقبه الأسف، و ذلك هو مثل الدنيا: من ٥
عمل فيها بأمر الله أعقبته حطاميتها سرورا دائما، و من أهمل ذلك -[٣]]
أورثته حزنا لازما، و كما كان التقدير: فما الآخرة لمن سعى لها سعيها
و هو مؤمن إلا حق مشهور و سعى مشكور، عطف عليه قوله:
﴿ و ما الحيوٰة الدنيآ ﴾ أى لكونها تشغل بزينتها مع أنها زائلة[٤]
﴿ الا متاع الغرور ه ﴾ أى لهو فى[٥] نفسه [غرور - [٥]] لاحقيقة له ١٠
إلا ذلك، لأنه لايجوز لمن أقبل على التمتع إلا ذلك لأنه لايسر
بقدر ما يضر.

و لما بين أن الدنيا خيال و محال ليصرف الكملة من العباد عنها
لسفولها و حقارتها، و أن الآخرة بقاء و كمال ليرغبوا غاية الرغبة فيها
و ليشتاقوا كل[٦] الاشتياق لكمالها و شرفها و جلالها، أنتج ذلك قوله تعالى: ١٥
﴿ سابقوآ ﴾ أى افعلوا فى السعى[٧] لها بالأعمال الصالحة حق السعى فعل

---

(١) من ظ، و فى الأصل: من ردا (٢) من ظ، و فى الأصل: فلو (٣) زيد من ظ (٤) زيد فى الأصل: فكان تمام الجواب عنها و هى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: المتاع (٦) من ظ، و فى الأصل: عاته (٧-٧) من ظ، و فى الأصل: بالسعى.

من يسابق شخصا فهو يسعى و يجتهد غاية الاجتهاد فى سبقه ، و لكن ربما كان قرينه بطيئا فسار هوينا ، و أما المسارعة فلا تكون إلا بجهد النفس من الجانبين مع السرعة فى العرف ؛ فآية آل عمران الآمرة بالمسارعة الأخص من المسابقة[1] أبلغ لأنها للحث على التجرد عن النفس و المال ٥ و جميع الحظوظ أصلا و رأسا ، و لذلك كانت جنتها للتقين الموصوفين ، و أما هـذه ففى سياق التصديق الذى هو تجرد عن فضول الأموال و لذلك كانت [جنته - [2]] للذين آمنوا .

و لما كان المقام عظيما ، و الإنسان - و إن بذل الجهد - ضعيفا ، لايسعه إلا العفو سواء كان سابقا أو لاحقا من الأبرار و المقربين ، نبه ١٠ على ذلك بقوله فى السابقين : ﴿الى مغفرة﴾ أى ستر[3] لذنوبكم عينا و أثرا ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بأن رباكم و طوركم بعد الإيجاد بأنواع الأسباب بأن تفعلوا أسباب ذلك بامتثال أوامره سبحانه و اجتناب زواجره . و لما كان المقصود من المغفرة ما يترتب عليها من نتيجتها قال : ﴿ و جنة ﴾ أى و بستان هو من عظم أشجارها و إطراد أنهارها ١٥ بحيث يستر داخله . و لما كان ذلك لايكمل إلا بالسعة قال : ﴿عرضها﴾ أى فما ظنك بطولها . و لما كان السياق كما بين للتجرد عن فضول الأموال فقط لأن الموعود به دون ما فى آل عمران فأفرده و صرح بالعرض فقال : ﴿ كعرض السمآء و الارض لا ﴾ أى لو وصل بعضها ببعض ، فآية آل عمران تحتمل الطول و جميع السماوات و الأرض على هيئتها ، و يحتمل أن

(١) من ظ ، و فى الاصل : المسافة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ساتر .

يكون ذلك على تقدير / أن تقد[1] كل واحدة منهما و يوصل [رأس -[2]] /٢١١
كل قدة برأس الأخرى ، و تمتد جميع القدات إلى نهايتها على مثل
الشراك ، و هذه الآية ظاهرها[3] عرض واحد و أرض واحدة ﴿اعدت﴾
أى هيئت هذه الجنة الموعود بها و فرغ من أمرها بأيسر أمر
﴿ للذين 'امنوا ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة و هم من هذه الأمة إيقاعا ٥
لاريب معه و لو أنه على أدنى الوجوه فكانوا من السابقين ، و هذا يدل
على أن الجنة موجودة الآن فى آيات كثيرة ، و أن الإيمان كاف فى
استحقاقها ، و أحاديث الشفاعة مؤيدة لذلك ﴿بالله﴾ أى الذى له جميع
العظمة لأجل ذاته[4] مخلصين له بالإيمان ﴿و رسله[5]﴾ فلم يفرقوا بين أحد
منهم ، فهذه الجنة غير مذكورة فى آل عمران ، و إن قيل : إن السماء هنا ١٠
للجنس لكون السياق فيه الصديقون و الشهداء كانت أبلغته تلك بالتصريح
بالجمع و عدم التصريح بالعرض لكونها فى سياق صرح فيه بالجهاد ، و قد
جرت السنة الإلهية باعظام المواعيد للجاهدين اشدة الخطر فى أمر النفس
و صعوبة الخروج عنها و عن جميع المألوفات .

و لما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة و الجنة عظيما لاسيما لمن آمن ١٥
و لو كان إيمانه على أعلى الدرجات و مع[5] التجرد من جميع الأعمال ،
عظمه بقوله ردا على من يوجب عليه سبحانه شيئا من ثواب أو عقاب :
﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم جدا ﴿فضل الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدير (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ظاهره (٤) من ظ و فى الأصل : و أنه (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .

فلا اعتراض عليه ﴿ يؤتيه من يشآء ﴾ ولعل التعبير بالمضارع للاشارة
إلى أن هذا خاص بهذه الأمة التى هى أقل عملا و أكثر أجرا، فاذا
حسدهم أهل الكتاب قال تعالى : [هل -[1]] ظلمتكم من أمركم شيئا، فاذا
قالوا : لا، لأن المصروف من الأجر لجميع الطوائف على حسب الشرط،
٥ قال : ذلك فضلى أوتيه من أشاء. ﴿ والله ﴾ أى و الحال أن الملك
المختص بجميع صفات الكمال فله الأمر كله ﴿ ذو الفضل العظيم ﴾ أى
الذى جل عن أن يحيط بوصفه العقول.

و لما كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بلذاتها و آلائها[2]،
وكانت كما انها منزل رخاء هى دار [بلاء -[3]]، و كان قد اقتصر سبحانه
١٠ فى الآية السالفة على الأول لأن السياق للانفاق و الترغيب فى معالى
الأخلاق و جعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس
[3] إلى السؤال[3] عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء فقال مسليا
عنه لأن النفوس أشد تأثرا بالمكاره و أسرع انفعالا بالمقلرع و محققا
و مغريا بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير و لاشر إلا بقضاء حتم فى الأزل
١٥ و قدر أحكم و وجب حين لم يكن [غيره -[1]] شيء عز و جل، و ذكر
فعل المؤنث الجائز التذكير لكون التأنيث غير حقيقى إشارة إلى عظم
وقع الشر : ﴿ مآ اصاب ﴾ وأكد النفى فقال : ﴿ من مصيبة ﴾ / و هى فى
الأصل لكل آت من خير أو شر إلا[4] أن العرف خصها بالشر، و عم الساكن

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : الامهات (٣-٣) من ظ، و فى
الأصل : للسوال (٤) من ظ، و فى الأصل : لا.

 و المتحرك

و المتحرك بقوله: ﴿في الارض﴾ أى من منابتها و مياهها و نحو ذلك ﴿و لا في انفسكم﴾ [أى -[1]] بموت و مرض و عين و عرض ﴿الا﴾ هي كائنة ﴿في كتب﴾ أى مكتوب لأنه مقدر[2] مفروغ من القدم، و بين أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه و لا شيء معه بادخال الجار فقال: ﴿من قبل ان نبرأها﴾ أى نخلق و نوجد و نقدر المصيبة و الأرض ٥ و الأنفس، و هذا دليل على أن اكتساب العباد بجعله سبحانه و تقديره.

و لما كان ذلك متعذرا على المخلوق فهو أشد شيء تكرها له وقوفا مع الوهم قال مؤكدا: ﴿ان ذلك﴾ أى الأمر الجليل و هو علمه بالشيء و كتبه له على تفاصيله قبل كونه، ثم سوقه النفوس و الأسباب إلى إخراجه بعد التكوين على مقدار ما سبق علمه به و كتبه له ﴿على الله﴾ ١٠ أى على ما له من الإحاطة بالكمال ﴿يسير﴾ لأن علمه محيط بكل شيء و قدرته شاملة لا يعجزها شيء.

و لما بين هذا الأمر العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء و العظمة، بين ثمرة أعماله بقوله: ﴿لكيلا﴾ أى أعلمناكم بأنا على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير، فلا يتصور فيه تقديم و لا تأخير ١٥ و لا تبديل و لا تغيير، لأن الحزن لا يدفعه، و لا السرور يجلبه و يجمعه، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن. لأجل أن لا ﴿تاسوا﴾ أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا ﴿على﴾ [ما -[1]] في أصل الجبلة، يوصل[3] إلى المبلغ بتعاطي أسبابه و التمادي فيها ليتأثر عنها

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: تقدر (٣) من ظ، و في الأصل: يبلغ.

السخط و عدم الرضا بالقضاء، فربما جر ذلك إلى أمر عظيم ﴿ما فاتكم﴾ من المحبوبات الدنيوية ﴿و لا تفرحوا﴾ أى تسروا سرورا يوصل إلى البطر بالتمادى مع [ما] فى أصل الجبلة ﴿بمآ اٰتٰكم﴾ أى جاءكم منها على قراءة أبى عمرو[1] بالقصر، و أعطاكم [الله -[2]] على قراءة الباقين بالمد، ٥ وهى تدل على أن النعم لابد فى إيجادها و إبقائها من حافظ، ثم إنها لوخليت و نفسها فاتت لأنه ليس من ذاته إلا العدم، و قد بين سبحانه أن فى تقديره هذا و كتبه من السر أن من وطن نفسه على فقد ما لديه من أعيان و معان[3] قبل أن تأمره بالعدم و الوجدان، فلم يغيره ذلك عن المسابقة المذكورة، فالمنهى عنه التمادى مع الحزن حتى يخرج ١٠ عن الصبر و مع الفرح حتى يلهى عن الشكر، لا أصل المعنى لأنه ليس من الأفعال الاختيارية؛ قال جعفر الصادق: ما لك تأسف على مفقود ولا يرده إليك الفوت، و مالك تفرح بوجود و لا يتركه فى يدك[4] الموت - انتهى، و لقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم فى مصائبهم و زهدهم فى رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لايعيده، و فرحهم بحصول ١٥ المحبوب لايفيدهم، و لأن ذلك لامطمع فى بقائه إلا بادخاره عند الله /، و ذلك بأن يقول فى المصيبة: قدر الله و ما شاء [الله -[2]] فعل ٢١٣/ و يصبر و فى النعمة هكذا قضى، و ما أدرى ما مثاله " هذا من فضل

(١) راجع نثر المرجان ٧/سورة الحديد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: معادن (٤) فى ظ : بديك .

ربى ليبلونى اشكر ام اكفر" فلا يزال [خائفا -[1]] عند النقمة راجيا أثر النعمة، قائلا فى الحالين : ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن، و أكمل من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه له فى كلى الحالتين كما قال [القائل -[1]] :

سقيا لمعهدك الذى لو لم يكن   ما كان قلبى للصبابة معهدا ٥

و هذه صفة المتحرورين[2] من رق النفس، و قيمة الرجال إنما تعرف بالواردات المغيرة. فمن لم تغيرة المضار و لم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته، أشار إليه القشيرى.

و لما كان الإمعان فى استجلاب الأسى إنما هو من اليأس و نسيان النعم و زيادة الفرح الموصل إلى المرح إنما يجره الكبر و المرح، و كان ١٠ فى أوصاف أهل الدنيا التفاخر، قال تعالى مبينا أن المنهى عنه سابقا التمادى مع الجبلة فى الحزن و الفرح، عاطفا على ما تقديره : "فان الله لايحب كل يؤوس كفور" ﴿ و الله لا يحب ﴾ [3] أى لا يفعل فعل المحب بأن يكرم[4] ﴿ كل مختال ﴾ أى متكبر نظر إلى ما فى يده من الدنيا ﴿ فخور ﴿٢٣﴾ ﴾ قال القشيرى: الاختيال من بقايا النفس و رؤيتها، و الفخر [من -[1]] رؤية ١٥ خطر ما به يفتخر.

و لما كان من جملة صفات المختال المكاثر[5] بالمال البخل، و كان قد تقدم الحث على الإنفاق، و كان ما يوجبه لذة الفخار و الاختيال

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : المتجردين (٣) زيد فى الأصل : كل مختال (٤) من ظ ، و فى الأصل : يكره (٥) من ظ ، و فى الأصل : التكاثر ،

التى أوصل إليها المال حاملة على البخل خوفا من الإقتار الموجب عند أهل الدنيا للصغار ، قال تعالى واصفا للمختال أو " لكل " : ﴿الذين يبخلون﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار ﴿و يامرون الناس﴾ أى كل من يعرفونه ﴿بالبخل ط﴾ إرادة أن يكون لهم رفقاء يعملون بأعمالهم ٥ الخبيثة فيحامون عنهم أو أنهم يوجبون بأعمالهم من التكبر و البطر فى الأموال التى حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لأنه إذا رآهم عظموا بالمال بخل ليكثر ماله و يعظم ، و ذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود و بطرهم عند إصابته ، فكانوا آمرين بالبخل لكونهم أسبابا له و السبب كالآمر [1]فى إيجاد شيء[1] .

١٠ و لما كان التقدير : فمن أقبل على ما ندب [إليه -[2]] من الإقراض الحسن و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فان الله شكور حليم ، عطف عليه [قوله -[2]] ذاما للبخل محذرا منه : ﴿و من يتول﴾ أى يكلف نفسه [من -[2]] الإعراض ضد ما فى فطرته من محبة الخير و الإقبال على الله ﴿فان الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿هو﴾ أى وحده ﴿الغنى﴾ ١٥ أى عن ماله و إنفاقه و كل شيء إلى الله مفتقر ﴿الحميد ٥﴾ أى المستحق للحمد و سواء حمده الحامدون أم لا ، و قراءة نافع و ابن عامر[3] باسقاط [" هو -[2] "] مفيدة [4]لحصر المبتدأ فى الخبر للتعريف[4] و إن كانت قراءة الجماعة آكد .

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : بالايجاد شيء (٢) زيد من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٧/ سورة الحديد (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : لحصر المبدا للخبر فى التعريف .

و لما ظهرت الأدلة [حتى -[1]] لم يبق لأحد علة ، و انتشر نورها حتى ملأ الأكوان ، و علا علوا تضاءل دون عليائه كيوان ، و كان فيما تقدم / شرح مآل الدنيا و بيان حقيقتها ، و أن الآدمي إذا خلي و نفسه ارتكب[2] ما لا يليق من التفاخر و ما شاكله[3] و ترك ما يراد به مما دعى إليه من الخير جهلا منه و انقيادا مع طبعه ، و كان ختم الآية السابقة ربما أوهم ٥ المشاركة ، قال تعالى نافيا ذلك في جواب من توقع الإخبار عن سائر الأنبياء : هل أوتوا من البيان ما أزال اللبس ، مؤكدا لإزالة العذر بإقامة الحجج بإرسال الرسل بالمعجزات الحاضرة و الكتب الباقية ، معلما أن من أعرض كلف الإقبال بالسيف ، فان الحكيم العظيم تأبى عظمته و حكمته أن يخلي المعرض عن بينة ترده عما هو فيه ، و قسر يكفه عما يطغيه[4] : ١٠ ﴿ لقد ارسلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ رسلنا ﴾ أي [5]الذين لهم نهاية[5] الإجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة [6]إلى الأنبياء[6] على جميعهم أفضل الصلاة و السلام [و التحية -[1]] و الإكرام ، و من الانبياء إلى الأمم[7] ﴿ بالبينت ﴾ أي الموجبة للاقبال في الحال لكونها لا لبس فيها أصلا ، و دل على عظمة أنبيائه عليهم الصلاة و السلام بأنهم لعلو مقاماتهم[8] بالإرسال ١٥ كأنهم[9] أتوا إلى العباد من موضع عال جدا فقال : ﴿ و انزلنا ﴾ بعظمتنا

٢١٤ /

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : ارتكبت (٣) من ظ ، و في الأصل : يشاكه (٤) زيد في الأصل : قال تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، و في الأصل : هم آية (٦-٦) من ظ ، و في الأصل : للانبياء (٧) من ظ ، و في الأصل : من (٨) في ظ : مقالهم (٩) من ظ ، و في الأصل : فانهم .

التى لاشىء أعلى منها ﴿معهم الكتٰب﴾ أى الحافظ فى زمن الاستقبال فى الأحكام و الشرائع .

و لما كان فهم الكتاب ربما أشكل فانه يحتاج[1] إلى ذهن صقيل و فكر طويل، و صبر كبير و علم كثير - قال الرازى: و بهذا [قيل - [4]] :

٥ لو لا الكتاب لأصبح العقل [حائرا و لولا العقل -[2]] لم ينتفع بالكتاب، - عقبه بما يشترك فى معرفته الكبير و الصغير، و الجاهل و النحرير، و هو أقرب الأشياء إلى الكتاب فى [3]العلم بمطابقة[3] الواقع لما يراد فقال: ﴿و الميزان﴾ أى العدل و الحكمة، و لعله كل ما يقع به التقدير حسا أو معنى، و تعقيبه به إشارة إلى أن عدم زيغه لعدم حظ و نحوه، فمن

١٠ حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس وصل إلى المقصود ﴿ليقوم الناس﴾ أى الذين فيهم قابلية التحرك إلى المعالى كلهم ﴿ بالقسط ج ﴾ أى العدل الذى لا مزيد عليه لانتظام جميع أحوالهم، [هذا -[2]] لمن أذعن للبينات لذات من أقامها أو[4] للرغبة فيما عنده .

و لما كان الإعراض بعد الإبلاغ فى الإيضاح موجبا للرد عن

١٥ الفساد بأنواع الجهاد، قال مهددا و ممتنا ترغيبا و ترهيبا معبرا عن الخلق بالإنزال تشريفا و تعظيما: ﴿ و ازلنا ﴾ أى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القدرة[5] ﴿ الحديد ﴾ أى المعروف على وجه من القوة و الصلابة

(١) من ظ ، و فى الأصل : محتاج (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : مطابقته (٤) فى ظ « و » (٥) فى ظ : العزة .

و اللين و الحدة لقبول التأثير يعد به كالبائن لما فى الأرض، فلذلك سمى إيجاده إنزالا ، و لأن الأوامر بالإيجاد و الإعدام تنزل من السماء على ايدى[1] الملائكة لأن السماء محل الحوادث الكبار ، و البدائع و الأسرار[2]، لأن الماء[3] الذى هو أصله [و أصل -[4]] كل نام ينزل من السماء و تكون الأرض له بمنزلة الرحم النطفة . ٥

و لما وقع التشوف إلى سبب إنزاله، قال: ﴿فيه باس﴾ أى [5]قوة و شدة[5] و عذاب ﴿شديد﴾ لما فيه من الصلابة الملائمة للضاء و الحدة ﴿و منافع للناس﴾ بما يعمل منه من مرا فقهم و معاونهم لتقوم / أحوالهم بذلك، قال البيضاوى: ما من صنعة إلا و الحديد آلتها . و لما كان التقدير: ليعلم الله من يعصيه و يخذل أولياءه، بوضع [6] باسه فى غير ما[6] أمر به ١٠ نصرة لشيطانه و هواه و افتنانه، عطف عليه قوله: ﴿ و ليعلم الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم، و أوقع ضمير الدين [عليه -[4]] سبحانه تعظيما له لأنه شارعه فقال: ﴿ من ينصره ﴾ أى يقبل مجدا على الاستمرار على نصر دينه ﴿و رسله﴾ بالذب عنهم و الدعاء إليهم، كائنا ١٥ ذلك النصر ﴿ بالغيب ﴾ من الوعد و الوعيد، [أى -[4]] بسبب تصديق

/ ٢١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل: يد (٢) زيد فى الأصل: و لما كان كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل: ان (٤) زيد من ظ (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل: شدة و باس (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل: اسمه فيما .

الناصر لما[1] غاب عنه من ذلك، أو غائبا عن كل ما أوجب له النصرة، و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ينصرونه و لا يبصرونه - انتهى . فلم يدع سبحانه فى هذه الآية لأحد عذرا بالرسل الذين هم الجنس مع تأييدهم بما ينفى عنهم اللبس، و الكتاب العالى عن كلام الخلق، ٥ و العقل الذى عرف العدل، و السلاح الذى يرد أولى الجهل، كما قال صلى الله عليه و سلم « بعثت بين يدى الساعة بالسيف » فبيان الشرائع بالكتاب، و تقويم أبواب العدل بالميزان، و تنفيذ هذه المعانى بالسيف، فان مصالح الدين من غير هيبة السلطان لا يمكن رعايتها، فالملك و الدين توأمان، فالدين بلا ملك ضائع، و الملك من غير دين باطل، و السلطان ١٠ ظل الله فى الأرض، فظواهر الكتاب للعوام، و وزن معارفه لأهل الحقائق بالميزان، و من خرج عن الطائفتين فله الحديد و هو السيف، لأن تشويش[2] الدين منه - نبه عليه الرازى .

و لما كان طلب النصرة مظنة لتوهم الضعف، قال نافيا لذلك مؤكدا قطعا لتعنت المتعنتين مظهرا للاسم الأعظم إشارة إلى ان من له جميع ١٥ صفات الكمال لا يمكن أن تطرقه حاجة : ﴿ان الله﴾ أى الذى له العظمة كلها . و لما لم يكن هنا داع إلى أكثر من هذا التأكيد، بخلاف ما أشير إليه من الإخراج من الديار المذكورة فى الحج و نحوه، قال معلما بأنه غنى عن كل شىء معريا الخبر من اللام : ﴿ قوى ﴾ أى فهو قادر على

(١) من ظ ، و فى الأصل : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : يشوش .

[١]إهلاك جميع[١] أعدائه و تأييد من ينصره من أوليائه ﴿ عزيز ﴾ فهو غير مفتقر إلى نصر أحد، و إنما دعا عباده إلى نصر دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من أراد بامتثال المأمور، و يعذب من يشاء بارتكاب المنهى، ببنائه هذه الدار على حكمة ربط المسببات[٢] بالأسباب .

و لما عم الرسل جامعا لهم فى البينات، فكان السامع جديرا بأن ٥ يتوقع التعيين، و خص من بينهم من أولى العزم أبوين جامعين[٣] فى الذرية و الرسالة، لأن ذلك أنسب لمقصود السورة لتبيين فضل محمد صلى الله عليه و سلم الذى عم برسالته عموما لم يكن لأحد غيره، فنوح عليه السلام أرسل لأهل الأرض لكونهم كانوا على لسان واحد، و عموم إبراهيم عليه السلام بأولاده عليهم السلام و نص[٤] بعدهما على عيسى ١٠ عليه السلام بما له من عموم الرسالة إلى / بنى إسراءيل بالنسخ /٢١٦ و التشريع، ثم من نزوله فى هذه الأمة بالتقرير و التجديد فقال: ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى بما لنا من صفات الكمال و الجمال و الجلال ﴿ نوحا ﴾ الأب الثانى، و جعلنا[٥] الأغلب على رسالته مظهر الجلال ﴿ و ابرٰهيم ﴾ أبا العرب و الروم و بنى إسراءيل الذى أكثر الأنبياء من نسله، و جعلنا ١٥ الأغلب على رسالته مجلى الإكرام ﴿ و جعلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ فى ذريتهما النبوة ﴾ المقتضية للوصلة بالملك الأعظم لتنفيذ الأوامر

(١-١) فى الأصل و ظ : جميع اهلاك (٢) من ظ ، و فى الأصل : المسميات.
(٣) زيد فى الأصل فقط : فى أبوين جامعين (٤) من ظ ، و فى الأصل : نفر .
(٥) فى الأصل : فجعلناه ، و فى ظ : و جعلناه .

﴿ و الكتب ﴾ الجامع للأحكام الضابط للشرائع بأن استنبأنا بعض ذريتهما و أنزلنا إليهم الكتب[1] فلا يوجد نبي و لا كتاب إلا و هو مدلٍ إليهما بأمتن الأسباب و أعظم الأنساب.

و لما كان مظهر العظمة مقتضيا لإشقاء [2]من أريد إشقاؤه[2] مع عدم المبالاة به، كائنا من كان، سواء اتصل بالأولياء أو الأعداء ٥ لئلا يأمن أحد فيقع فى الخسران أو ييأس أحد فيلزم الهوان [قال: ﴿ فمنهم ﴾ أى ذرية هذين الصنفين ﴿ مهتد ج ﴾ هو بعين الرضا منا -[3]] و هو من لزم طريق الأصفياء و استمسك بعهدهم و لم يزغ أصلا و إن كان من أولاد الأعداء.

١٠ و لما كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب و الرسل، كان مستحقا للمبالغة فى الذم و لو أنه واحد فكيف إذا كان كثيرا، نبه بتغيير السياق على ذلك و على أن الأغلب الضلال فقال: ﴿ و كثير منهم ﴾ أى الذرية الموصوفين ﴿ فسقون ۝ ﴾ هم بعين السخط و إن كانوا أولاد الأصفياء وهم من خالف الأولياء بمنابذة أو ابتداع أو زيغ عن سبيلهم بما لم ينهجوه ١٥ [4]من تفريط و إفراط[4].

و لما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الإعلام بنسخ الشرائع كلها بشريعة هذا النبى الفاتح الخاتم العام الرسالة لجميع الخلائق صلى الله عليه و سلم، قال مشيرا إلى عظمة الإرسال و الرسل بأداة التراخى:

---

(١) فى ظ : الكتاب (٢-٢) فى ظ : أراد شقاوة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤-٤) فى ظ : بافراط و تفريط.

﴿ ثم قفينا ﴾ أى بما لنا من العظمة تقفية لها من العظمة ما يجل وصفه ﴿ على آثرهم ﴾ أى الأبوين المذكورين و من مضى قبلهما من الرسل، و لا يعود الضمير على " الذرية " لأنها باقية مع الرسل وبعدهم ﴿ برسلنا ﴾ اى فأرسلناهم واحدا فى أثر واحد بين ما لايحصى من الخلق من الكفرة محروسين منهم فى الأغلب بما تقتضيه العظمة، لا ننشئ ٥ آثار الأول منهم حتى نرسل الذى بعده فى قفاه، [فكل رسول بين يدى الذى بعده، و الذى بعده فى قفاه - [1]] فهو مقف له[2] لأن الأول ذاهب إلى الله و الثانى تابع له. فنبينا[3] صلى الله عليه و سلم أعرق الناس فى هذا الوصف لأنه لا نبى بعده، و لهذا كان الوصف أحد أسمائه.

و لما كان عيسى عليه السلام أعظم من جاء بعد موسى عليه السلام ١٠ من بنى إسراءيل فهو الناسخ لشريعته و المؤيد به هذا النبى الخاتم صلى الله عليه و سلم فى تجديد دينه و تقرير شريعته، و كان الزهد[4] و الرأفة و الرحمة فى تابعيه فى غاية الظهور مع أن ذلك لم / يمنعهم من القسوة المنبهة سابقا ٢١٧ / على أن الموجب لها طول الأمد الناشىء عنها الإعراض عن الآيات[5] الحاضرة معه و الكتاب الباقى بعده، خصه بالذكر و أعاد العامل فقال: ﴿ و قفينا ﴾ ١٥ أى اتبعنا[5] بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس ﴿ بعيسى ابن مريم ﴾ و هو آخر من قبل النبى الخاتم عليهم الصلاة و السلام، فأمته أول الأمم بالأمر باتباعه صلى الله عليه و سلم ﴿ و آتينه ﴾ بما لنا من العظمة

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لها (٣) من ظ، و فى الأصل: ولبينا (٤) زيد فى ظ: به (٥) من ظ، و فى الأصل: اتبعناه.

﴿الانجيل لا ٥﴾ كتابا ضابطا لما جاء به مفيما لملته مبينا للقيامة مبشرا بالنبى العربى موضحا لأمره مكثرا من ذكره ﴿ وجعلنا ﴾ لعزتنا ﴿ فى قلوب الذين اتبعوه ﴾ أى بغاية جهدهم، فكانوا على منهاجه[1] ﴿رافة﴾ أى أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم ﴿ورحمة ط﴾
٥ أى رقة و عطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع ان قلوبهم فى غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين، و ترتيب الوصفين هكذا أدل دليل على أنهما لم يقصد بهما مراعاة الفواصل فى "رؤف رحيم" كما قاله[2] بعض المفسرين و تقدم فى آخر براءة أن[3] ذلك قول لايحل التصويب
١٠ إليه و لا التعويل عليه و إن قاله من قال ﴿ و رهبانية ن ﴾ أى أمورا[4] حاملة على الرهبية و التزيى بزيها و العمل على حسبها مبالغة فى العبادة و الرياضة و الانقطاع عن الناس .

و لما قدم المعمول لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون مذكورا مرتين تأكيدا له إفهاما لذم نفس الابتداع، أتبعه المفسر لعامله
١٥ فقال: ﴿ ابتدعوها ﴾ أى حملوا أنفسهم على عملها و التطويق بها[5] من غير أن يكون لهم فيها سلف يعلمونه أو يكون بما صرح به كتابه و إن كانت مقاصده لا تأباها[6] فاعتزلوا لأجلها الناس، و انقطعوا فى الجبال

(١) من ظ ، و فى الأصل : منهما (٢) من ظ ، و فى الأصل : قال (٣) زيد فى الأصل و ظ : فى (٤) من ظ ، و فى الأصل : امور (٥) من ظ ، و فى الأصل : اليها (٦) من ظ ، و فى الأصل : لاتناها .

عن

عن الاستئناس، و كانت لهم [بذلك - ١] أخبار شائعة فى النواحى
و الأمصار، و فى التقديم على العامل سر آخر و هو الصلاحية للعطف
على ما قبلها لئلا يتوهم من لفظ الابتداء أن لا صنع لله فيها ﴿ ما كتبنها ﴾
أى فرضناها [بعظمتنا - ١] ﴿عليهم﴾ فى كتابهم و لا [على - ١] لسان
رسولهم ﴿الا﴾ أى [لكن - ١] ابتدعوها ﴿ابتغآء﴾ أى لأجل تكليفهم ٥
أنفسهم الوقوع بغاية الاجتهاد فى تصفية القلوب و تهذيب النفوس
و تزكية الأعمال على ﴿رضوان الله﴾ أى الرضا العظيم من الملك الأعظم،
و ساق المنقطع مساق المتصل إشارة إلى أنه مما يرضى الله، و أنه ما ترك
فرضها عليهم إلا رحمة لهم لأجل صعوبتها، و أنه صيرها بعد إلزامهم[2] بها
كالمكتوبة، فيكون التقدير حينئذ: إلا لأجل أن يبتغوا رضوانه على ١٠
وجه الثبات و الدوام. قال[3] الإمام أبو القاسم عبد الرحمن[4] بن عبد الله
ابن [عبد - ١] الحكم المصرى فى كتابه "فتوح مصر و المغرب[5]":
/ فلما أن أغرق الله عز و جل فرعون و جنوده كما حدثنا هانئ بن المتوكل ٢١٨ /
عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن تبيع قال: استأذن الذين كانوا
آمنوا من السحرة لموسى عليه السلام فى[6] الرجوع إلى أهله[7] و ماله ١٥
بمصر فأذن لهم و دعا لهم فترهبوا فى رؤس الجبال، فكانوا أول من

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الزامهم (٣) زيد فى الأصل: الاصبهانى و، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل: عبد الله (٥) راجع ص: ٤٤ (٦) من ظ و الفتوح، و فى الأصل: من (٧) زيد فى الأصل الرجوع، و لم تكن الزيادة فى ظ و الفتوح فحذفناها.

ترهب، و كان يقال لهم الشيعة، و بقيت[1] طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز و جل، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام.

و لما تسبب عن صعوبتها انهم أضاعوها بالتقصير عن شؤبها ٥ و السفول عن عليائها قال: ﴿ فما رعوها ﴾ أى حفظوها كلهم بحفظ من هو مرتاع من خوف ضياعها ﴿ حق رعايتها ج ﴾ بصون العناية فى رعاية الأعمال و الأحوال و الأقوال، فصون الأعمال توفيرها لتحقيرها من غير إلتفات إليها، و رعاية الأحوال عند الاجتهاد من أتاه و الحال دعوى، و رعاية الوقت الوقوف مع حضور على بساط شهود الجلال - ١٠ ذكره الرازى . بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن عالى مداها، و انحطوا عن شامخ ذراها، هذا تنفير عظيم عن البدع؛ و حث شديد على لزوم ما سنه الله و شرع، و تحذر[2] من التشديد، فانه لن يشاد [3]الدين أحد إلا غلبه[3] و هو الترحال إلى البدعة و لهذا أكثر فى أهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد و الحلول و غير ذلك من البلايا ١٥ و لو كان يظهر أن [4]التشدد و التعمق[4] خير لأن الشارع الذى أحاط علما بما لم يحط به نهى عنه . و قد أفادت التجربة أنه قد يغر لأن هؤلاء ابتدعوا ما أرادوا الخير، فكان داعيا لكثير منهم إلى دار البوار، و فيه أيضا حث عظيم على المداومة على ما اعتيد من الأعمال الصالحة خصوصا، ما عمل النبى صلى الله عليه و سلم [5]عملا إلا[5] داوم عليه، و كان ينهى

(١) فى ظ : بقى (٢) فى ظ : تحذيرا (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : احد الدين (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : التشديد و التعميق (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : من عمل .

عن التعمق فى الدين، و يأمر بالرفق[1] و القصد.

و لما كانت متابعة النفس فى التقصير بالإفراط أو[2] التفريط قد توصل إلى المروق[3] من الدين فيوجب[4] الكفر فيحط على الهلاك كله، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ فاٰتينا ﴾ أى بما لنا من صفات الكمال ﴿ الذين اٰمنوا ﴾ أى استمروا على الإيمان الكامل، و لعل فى التعبير بالماضى بعد إرادة ٥ التعميم للأدنى و الأعلى إشارة إلى أن المتعمق بين إيمان و كفر لا تجرد معصيته كما أشار إليه ختم الآية فهو فى غاية الذم للتعمق[5] و المدح للاقتصاد[6] ﴿ منهم ﴾ أى من هؤلاء المبتدعين لأنهم رعوها حق رعايتها و وصلوا إيمانهم بعيسى و من قبله عليهم الصلاة و السلام بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه و سلم الذى دعا إليه الخروج عن النفس الذى هو روح ١٠ الرهبانية [7]بموافقتهم لما فى كتابهم من البشائر به ﴿ اجرهم ج ﴾ أى اللائق بهم و هو الرضوان المضاعف[7].

و لما كانت متابعة / الأهواء تكسب صفات ذميمة تصير ملكات / ٢١٩ راسخة للأنفس، أشار إلى ذلك بالعدول عن النهج الأول فقال: ﴿ و كثير منهم ﴾ أى هؤلاء الذين ابتدعوا فضيعوا ﴿ فٰسقون ه ﴾ أى ١٥ عريقون فى وصف الخروج عن الحدود التى حدها الله تعالى، روى البغوى[8]

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بالروى (٢) من ظ، و فى الأصل: «و».
(٣) من ظ، و فى الأصل: المعروف (٤) من ظ، و فى الأصل: توجب.
(٥) من ظ، و فى الأصل: التعميق (٦) من ظ، و فى الأصل: للاقتصار.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٣٣.

من طريق الثعلبي عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من آمن بي فقد رعاها [حق رعايتها - [1]] ، و من لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون - انتهى . و مثل هذه الرهبانية فى أنها لا تأباها قواعد الدين ما يفهمه بعض العلماء من الكتاب و السنة فيتذكره . فيكون أخذنا له من الأصول التى نبه عليها لا منه ، كما أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم [كانوا - [2]] يفعلون أشياء فان قررهم النبي صلى الله عليه و سلم عليها كانت شرعا لنا وكنا آخذين لها من تقسيره صلى الله عليه و سلم لا منهم ، فان من ملكه الله رتبة الاجتهاد فى شىء و أمكنه فيه من القواعد فأداه اجتهاده إلى [3] أن هذا مندوب إليه مرغوب فيه مثلا ، كان ذلك بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة رضى الله عنهم فأقرهم النبي صلى الله عليه و سلم ، و لافرق بين أن يقرره النبى صلى الله عليه و سلم بنفسه أو بقواعد شريعته [4] ، و مهما كان مقررا بقواعد شرعه كان عليه أمره ، و مهما لم يكن مقررا بها كان مما [5] ليس عليه أمره فهو رد على قائله ، فهذا فرق بين البدع الحسنة و البدع القبيحة - و الله الموفق ، و ذكر ابن برجان تنزيل هذا الحديث الذى فيه « لتتبعن سنن من كان قبلكم » فذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام عملوا بعده بالإنجيل حتى قام فيهم ملك بدل كتابهم ، و شايعه على ذلك روم و يونان ، فضعف أهل الإيمان ، فاستذلوهم حتى هربوا إلى البرارى ، و عملوا الصوامع

(١) زيد من ظ و المعالم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : على .
(٤) فى ظ : شرعية (٥) من ظ ، و فى الأصل : بما .

و ابتدعوا

و ابتدعوا الرهبانية، [1]و كذلك كان[1] فى هذه لتصديق الحديث الشريف فانه لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم تبعه خلفاؤه باحسان، فلما مضت الخلافة الراشدة تراكمت الفتن كما أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و اشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان، و رجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق و هدم، و قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما و استبيحت ٥ مدينة النبى صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام، و قتل [2]خيار من فيها[2] فرأى المسلمون العزلة واجبة، فلزموا الزوايا[3] و المساجد و ابتنوا الروابط على سواحل البحر و أخذوا فى الجهاد للعدو و النفوس، و عالجوا تصفية أخلاقهم و لزموا الفقر أخذا من أحوال أهل الصفة، و تسموا بالصوفية و تكلموا على الورع [4]و الصدق[4] و المنازل و[5] الأحوال و المقامات[5] فهؤلاء ١٠ وزان أولئك - و الله الموفق.

ذكر ما فى الإنجيل من الحكم التى توجب الزهد فى الدنيا و الإقبال على الله التى يصح تمسك أهل هذه الرهبانية بها: قال متى[6] و غيره و أغلب / السياق لمتى: إن أخطأ عليك أخوك فاذهب أعتبه وحدكما، فان سمع / ٢٢٠ منك فقد ربحت أخاك، و إن لم يسمع منك [فخذ معك -[7]] واحدا ١٥ أو اثنين، لأن من فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة، و إن لم يسمع

(١-١) من ظ، و فى الأصل: كان كذلك (٢-٢) فى ظ: فيها خيار المسلمين.
(٣) من ظ، و فى الأصل: الزاويا (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: بالصدق.
(٥-٥) من ظ، و فى الأصل: المقامات و أحوال (٦) راجع آية ١٠ فما بعدها من الأصحاح ١٨ (٧) زيد من ظ.

منهم فقل للبيعة ، فان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كالوثنى و العشار ، الحق أقول لكم ، و قال لوقا[1] : انظروا [الآن - [2]] ! إن أخطأ إليك أخوك فانهه ، فان تاب فاغفر له ، فان أخطا[3] إليك سبع دفعات[4] فى اليوم و رجع إليك سبع دفعات يقول لك : أنا تائب ، فاغفر له ، و قال متى[5] :
٥ حينئذ جاء إليه بطرس و قال له : إذا أخطأ إلىّ أخى لم أغفر له سبع مرات ، قال : ليس أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة ، و لهذا يشبه ملكوت السماوات ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما بدأ بمحاسبتهم قدم إليه عبد مديون عليه جملة وزنات ، و لم يكن معه ما يوفى ، فأمر سيده أن تباع امرأته و بنوه و كل ما له حتى يوفى ، فخر ذلك العبد [له - [2]]
١٠ ساجدا قائلا : يا رب ، ترأف علىّ تأن ، أوفك كل مالك ، فتحنن عليه سيده و ترك له كل ما عليه ، فخرج ذلك العبد فوجد[6] عبدا من أصدقائه عليه مائة دينار فأمسكه و خنقه و قال : أعطنى ما عليك ، فخر ذلك العبد على رجليه و طلب [إليه - [2]] قائلا : ترأف علىّ فأنا أعطيك مالك ، فأبى و مضى و تركه فى السجن حتى يوفى الدين ، فرأى العبد
١٥ أصحابه فحزنوا عليه [جدا - [2]] و أعلموا سيده بكل ما كان منه ، حينئذ دعاه سيده و قال له : أيها العبد الشرير ! كل ما كان عليك تركت بذلك لانك سألتنى ، ما كان ينبغى لك أن ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمتى

(١) راجع آية ٤ فما بعدها من الأصحاح ١٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخطات (٤) من ظ ، و فى الأصل : مرات (٥) راجع آية ٢١ فما بعدها من الأصحاح ١٨ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فوجدا .

إياك ، و غضب سيده و دفعه إلى المعذبين حتى يوفى جميع ما عليه ، هكذا أبى السماوى يصنع بكم إن لم تغفروا لإخوانكم سيئاتهم من كل قلوبكم ، فلما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل و جاء إلى تخوم يهود عبر الأردن فتبعه جمع كثير فأبرأهم[1] هناك ، قال لوقا[2] : فلما أكمل أيام صعوده أقبل بوجهه إلى يروشليم ، و أرسل مخبرين قدام وجهه فمضوا ٥ و دخلوا قرية السامرة ، لكيما يعدوا له فلم يقبلوه فقال تلميذاه[3] يعقوب [4]و يوحنا[4] : يا رب تريد أن تقول فتنزل عليهم نار[5] من السماء فتهلكهم كما فعل إليا ، فالتفت فنهرهما قائلا : لستما تعرفان أى روح أنتما ، إن ابن البشر لم يأت ليهلك نفوس الناس بل يحيى ، و مضى إلى قرية أخرى ، و قال متى[6] : حينئذ قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم و يباركهم فنهرهم التلاميذ فقال لهم ١٠ يسوع : دعوا الصبيان و لا تمنعوهم أن يأتوا إلى[7] لأن ملكوت السماوات لمثل هؤلاء ، و وضع يده عليهم و بارك لهم ، و قال مرقس[8] : الحق أقول لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبى لا يدخلها ، و احتضنهم و وضع يده عليهم و باركهم ، و قال متى[9] : و مضى من هناك و جاء إليه واحد و قال : يا معلم صالح - و قال مرقس[10] : أيها المعلم الصالح - ما أعمل من ١٥

---

(١) فى ظ : فابقاهم (٢) راجع آية ٥٢ فما بعدها من الأصحاح ٩ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تلميذه (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : ريحنا - كذا .
(٥) فى ظ : نارا (٦) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ١٩ .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : اليهم (٨) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ١٠ .
(٩) راجع آية ١٦ فما بعدها من الأصحاح ١٩ (١٠) راجع آية ١٧ من الأصحاح ١٠ .

الصلاح لأرث الحياة الدائمة، [1]قال له: لماذا تقول: صالح، و لا صالح
إلا الله الواحد، إن كنت[1] / تريـد أن تدخل الحياة احفظ الوصايا، ٢٢١ /
قال[2] له: و ما هي؟ قال يسوع: لا تقتل و لا تسرق و لا تزن و لا تشهد
الزور، و قال مرقس: لا تبخر، أكرم أباك و أمك - حب قريبك مثلك،
٥ قال له الشاب: كل هذا قد حفظته[3] من صغرى، قال له يسوع: إن
كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب، و قال مرقس: [فنظر إليه يسوع
و أحبه، و قال: تريد أن تكون كاملا -[4]]، واحدة بقيت عليك: امض
و بع كل شيء لك و أعطه للمساكين ليكون لك كنز في السماء و تعال
اتبعني، فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لأنه كان له مال كثير،
١٠ فقال يسوع لتلامذته: الحق أقول [لكم -[4]]! إنه يعسر على الغني الدخول
إلى ملكوت السماء، و أيضا أقول لكم: إنه أسهل أن يدخل الجمل في
ثقب الإبرة من غني يدخل ملكوت السماوات، فلما سمع التلاميذ بهتوا
جدا و قالوا: من يقدر أن يخلص، فنظر يسوع و قال لهم: أما عند
الناس فلا يستطاع هذا، و أما عند الله فكل يستطاع، حينئذ أجاب
١٥ بطرس و قال له: هو ذا نحن قد تركنا كل شيء و تبعناك، فما ذا عسى
أن يكون لنا، قال لهم يسوع: الحق و الحق أقول [لكم -[4]]! أنتم الذين
اتبعتموني في [5]الجبل الآتي[5] إذا جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين في الأصل (٢) من ظ، و في الأصل: قيل.
(٣) من ظ، و في الأصل: حقيقته (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) في إنجيل متى:
التجديد.

أنتم

أنتم على اثنى عشر كرسيا، تدينون اثنى عشر سبط بنى إسرائيل، كل من ترك بنين أو أخا أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو بيتا أو حقلا من[1] أجل اسمى يأخذ مائة ضعف و يرث حياة الأبد، و قال [لوقا[2]: ما من أحد ترك منزلا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو مالا من أجل ملكوت الله إلا و ينال العوض أضعافا كثيرة فى هذا الزمان و فى الدهر ٥ الآتى حياة الأبد، و قال -[3]] متى[4] و غيره: كثيرا أولون يصيرون آخرين، و آخرون يصيرون أولين، يشبه ملكوت السماوات إنسانا رب بيت خرج الغداة ليستأجر فعلة لكرمه، فشارك الأكرة[5] على دينار واحد فى اليوم - إلى آخر ما مضى فى الأعراف من البشارة بأمة محمد صلى الله عليه و سلم فى مثل الفعلة فى الكرم الذى فضل آخرهم و هو العامل ١٠ قليلا على من عمل أكثر النهار، و قد ساقه ابن برجان فى آخر تفسير سورة الحديد عن الإنجيل بعبارة أخرى تفسيرا كثيرا[6] من عبارة النسخة التى نقلت ذاك منها، فأحببت أن أذكر عبارة ابن برجان هنا تكميلا للفائدة، قال: و فى الكتاب الذى [يذكر -[3]] أنه الإنجيل: و كثيرا يتقدم الآخرون الأولين و يكون [الأولون -[7]] ساقة الآخرين، و لذلك يشبه ١٥ ملكوت السماوات برجل ملى خرج فى استجار الأعوان لحفر كرم فى

(١) من ظ، و فى الأصل: ما (٢) راجع آية ٢٩ فما بعدها من الأصحاح ١٨. (٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٣٠ فما بعدها من الأصحاح ١٩ و راجع آية ٣١ من الأصحاح ٣٠ من مرقس (٥) فى انجيل متى: الفعله (٦) من ظ، و فى الأصل: كثير (٧) زيد من انجيل متى.

أول النهار، و عامل كل واحد فى نهاره على درهم ثم أدخلهم كرمه، فلما كان فى الساعة الثالثة بصر لغيرهم فى الرحاب لا شغل لهم فقال: اذهبوا أنتم [أيضا -[1]] إلى الكرم و سآمر لكم بحقوقكم، ففعلوا، ثم فعل مثل ذلك فى الساعة السادسة [و التاسعة -[2]]، فلما كان فى[3] الساعة الإحدى
٥ عشرة [4]وجد غيرهم وقوفا[4] فقال لهم : لم و قفتم هنا طول نهاركم دون عمل؟ فقالوا له : إنا لم يستأجرنا / أحد، فقال لهم : اذهبوا أنتم و سآمر لكم /٢٢٢
بحقوقكم، فلما انقضى النهار قال لوكيله : ادع الأعوان و أعطهم أجرتهم و ابدأ بالآخرين حتى تنتهى إلى الأولين، فبدأ بالذين دخلوا فى الساعة الإحدى عشرة و أعطى كل واحد [منهم -[5]] درهما، فاقبل الأولون
١٠ و هم الذين يرجون الزيادة، فأعطى كل واحد منهم درهما[6]، فاستذكروا ذلك على صاحب الكرم[7] و قالوا : سويتنا بالذين لم يعملوا إلا ساعة من النهار فى شخوصنا طول نهارنا و عذابنا بحرارته، فأجاب أحدهم و قال : لست أظلمك يا صديق، أما عاملتنى على درهم فخذ حقك و انطلق فانه يوافقنى أن أعطى[8] الآخر كما أعطيتك، أفلا يحل لى[9] ذلك؟ و إن
١٥ كنت حسودا فانى أنا رحيم، و من أجل ذلك يتقدم الآخرون الأولين، و يكون الأولون ساقة الآخرين فالمدعوون كثير، و الخيرون قليل، و ذكر ابن برجان أن الساعة السادسة لعيسى عليه السلام و أصحابه

(١) زيد من ظ (٢) زيد من إنجيل متى (٣) من ظ، و فى الأصل : الى (٤-٤) من ظ، و فى الأصل : وجدهم وتوف (٥) زيد من ظ (٦) فى انجيل متى : دينارا (٧) فى ظ : الكرمة (٨) من ظ، و فى الأصل : اعط (٩) فى ظ : لك.

في أول الأمر و التاسعة[1] لمحمد صلى الله عليه و سلم و الحادية عشرة لآخر[2] الزمان - كأنه يعني ما بعد الدجال من أيام محمد صلى الله عليه و سلم التي يكون فيها عيسى عليه السلام مجددا ، و لهذا جعلها النبي صلى الله عليه و سلم في حديثه الصحيح شيئا واحدا من العصر إلى غروب الشمس، ثم قال متى[3] في بقية ما مضى من الإنجيل في النسخة التي نقلت منها عقب ٥ ما تقدم أنه في الأعراف : فصعد يسوع إلى يروشليم و أخذ الاثني عشر ، حينئذ[4] جاءت إليه أم ابني زبدى - هما يعقوب و يوحنا - مع ابنيها[5] و سجدت له ، فقال لها : ما ذا تريدين ؟ قالت : أن يجلس ابناي[6] أحدهما عن يمينك و الآخر عن يسارك في ملكوتك ، أجاب يسوع : أما جلوسهما عن يميني و يساري فليس لي بل للذي أعده لهم ربي ، فلما سمع العشرة ١٠ تقمقموا على الآخرين - و قال مرقس[7]: على يعقوب و يوحنا - فدعاهم يسوع و قال لهم : أما علمتم [أن -[8]] رؤساء الأمم يسودونهم و عظمائهم مسلطون[9] عليهم ، ليس هكذا يكون فيكم ، لكن من أراد أن يكون [10]فيكم كبيرا[10] فيكون لكم خادما ، و من أراد أن يكون فيكم أولا فيكون لكم عبدا ، و قال مرقس : فيكون آخرا للكل و خادما للجمع ، كذلك ابن ١٥

(١) من ظ ، و في الأصل : السادسة (٢) من ظ ، و في الأصل : في اول النهار .
(٣) راجع آية ١٧ فما بعدها من الأصحاح ٢٠ (٤) راجع آية ٢٠ من الأصحاح ٢٠ (٥) من ظ ، و في الأصل : ابنيهما (٦) من ظ ، و في الأصل : ابني (٧) راجع آية ٤٢ من الأصحاح ١٠ (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : يسيون .
(١٠-١٠) من ظ ، و في الأصل : كبير منكم .

الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم[١] ، و يبذل نفسه فداء عن كثير ، فلما خرج من أريحا تبعه جمع كثير و إذا أعميان جالسان على الطريق فسمعا أن يسوع مجتاز فصرخا[٢] قائلين : ارحمنا يا رب يا ابن داود ، فوقف يسوع و دعاهما و قال لهما : ما تريدان أن أفعل لكما ، قالا له : يا رب ، أن تفتح أعيننا ، ٥ فتحنن يسوع و لمس أعينهما و للوقت أبصرت أعينهما و تبعاه ؛ و عبارة مرقس عن ذلك[٣] : و جاء إلى أريحا و خرج من هناك و تبعه تلاميذه و جمع كثير و إذا طيماس بن طيماس الأعمى جالس يسأل عن الطريق - و قال لوقا : يتوسل - فسمع الجمع المجتاز فسأل : ما هذا . فأخبروه أن يسوع الناصري جاء ، [و -[٤]] قال[٥] مرقس : فلماسمع بأن يسوع مقبل بدأ يصيح ١٠ و يقول : يا يسوع الناصري ابن داود ارحمني ، فانتهروه ليسكت ، فازداد صياحا قائلا : يارب يا ابن داود ، ارحمني ، فوقف يسوع و قال : ادعوه ، فدعى [الأعمى -[٤]] و قالوا له : ثق و قم فانه يدعوك ، و طرح ثوبه و نهض و جاء إلى يسوع[٦] فأجابه يسوع[٦] و قال له : ما تريد أن أصنع بك ؟ فقال له الأعمى : يا معلم ، و قال لوقا : يا رب - أن أبصر ، فقال له يسوع : اذهب ، ١٥ إيمانك خلصك ، و للوقت أبصر ، و تبعه فى الطريق - قال لوقا : يمجد الله - و كان جميع الشعب الذين رأوه يسبحون الله ، و قال أيضا : و كان بينما[٧] هو منطلق إلى يروشليم اجتاز بين السامرة و الجليل ، و فيما هو داخل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليستخدم (٢) من ظ ، و فى الأصل : فصرخوا . (٣) راجع آية ٤٦ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٤) زيد من ظ (٥) تكرر فى الأصل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بينهما .

إلى

إلى إحدى القرى استقبله عشرة رجال برص[1] فوقفوا من بعيد و رفعوا أصواتهم قائلين: يا يسوع المعلم ارحمنا! فنظر إليهم و قال لهم: اذهبوا [2]و أروا أنفسكم[2] للكهنة، و فيما هم منطلقون طهروا، فلما رأى أحدهم أنه قد طهر رجع [3]بصوت عظيم يمجد[3] الله و خر على وجهه عند رجليه شاكرا له، وكان[4] سامريا، أجاب يسوع و قال: أليس العشرة قد طهروا ٥ فأين التسعة، ألم يجدوا [5]ليرجعوا و يمجدوا الله[5] ما خلا / هذا الغريب، ٢٢٣ / ثم قال له: قم فامض، إيمانك خلصك.

قال متى: و لما قربوا من يروشليم و جاؤا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون - و قال [مرقس -[6]]: عند باب فاجى و بيت عنيا جانب طور الزيتون - قال متى[7]: حينئذ أرسل يسوع اثنين من تلاميذه: و قال ١٠ لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما[8] فتجدان أتانة مربوطة و جحشا معها[9] فحلاهما و ائتياني بهما! فان قال لكما أحد شيئا فقولا له: إن الرب محتاج إليهما! فهو يرسلهما للوقت، كان هذا ليتم[10] ما قيل في النبي القائل قولوا [11]لابنة صهيون[11] هو ذاملكك يأتيك متواضعا راكبا على أتانة

(١) من ظ و الأصحاح السابع عشر - لوقا، و في الأصل: مومن (٢-٢) في الأصل: فاروروا نفوسكم - والتصحيح من ظ والأصحاح (٣-٣) في الأصل: مجد (٤) من الأصحاح، و في الأصل و ظ: قال (٥-٥) من ظ، وفي الأصل: بصوت بعظيم لرجعوا و بحمد (٦) زيد من ظ و راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ١١ (٧) راجع آية ١ من الأصحاح ٢١ (٨) من ظ و الأصحاح، وفي الأصل: أمامها (٩) من ظ و الأصحاح ٢١، و في الأصل: معهما (١٠) من ظ والأصحاح، وفي الأصل: اليتم (١١-١١) وقع في الأصل: انه نعون - مصحفا.

و جحش ابن أتانه . فذهب التلميذان و صنعا كما أمرهما يسوع ، فأتيا بالأتانة و الجحش[1] و تركوا ثيابهم عليهما ، و جلس معهما ، و جمع كثير فرشوا ثيابهم فى الطريق [و آخرون قطعوا أغصانا من الشجر و فرشوها فى الطريق -[2]] ، و عبارة مرقس[3] عن ذلك : تجدان جحشا مربوطا لم يركبه
٥ أحد من الناس قط ، فحلاه و ائتيا به ، فان قال لكما أحد[4] : ما تفعلان بهذا ؟ فقولا : إن الرب محتاج إليه فمن ساعة يرسله ، [5] فذهبا و وجدا [5] الجحش[6] مربوطا عند الباب خارجا على[7] الطريق فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك : ما تصنعان ؟ فقالا لهم كما قال يسوع فتركوهما ، و جاءا بالجحش[6] إلى يسوع [8] فألقوا عليه ثيابهم و جلس عليه[8] و كثير بسطوا
١٠ ثيابهم فى الطريق و آخرون [قطعوا -[9]] أغصانا من الحقل و فرشوها فى الطريق . قال متى[10] : و الجمع الذى تقدمه و الذى تبعوا صرخوا قائلين : أوصنا يا ابن داود[11] مبارك الآتى باسم الرب ، قال مرقس : و مباركة المملكة الآتية باسم الرب لأبينا داود اوصنا فى العلاء ، و قال لوقا : و كان لما قرب من منحدر[12] جبل الزيتون بدأ جمع الملأ و التلاميذ

(١) من الأصحاح ٢١ ، و فى الأصل و ظ : العفور ، مصحفا ، و هو اليعفور بمعنى الجحش (٢) زيد من ظ . و مثله فى الاصحاح ٢١ (٣) راجع آية ٢ من الأصحاح ١١ . (٤) زيد فى الأصل : شيئا ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : فوجدوا (٦) من الاصحاح الحادى عشر ، و فى الأصل و ظ : بالعفور . (٧) من ظ ، و فى الأصل : عن (٨-٨) فى الأصحاح : و القيا عليه ثيابهما (٩) زيد من الأصحاح (١٠) راجع آية ٩ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (١١-١١) سقط من ظ . (١٢) من الأصحاح ١٩ ، و فى الأصل : مسجدو ، و فى ظ : صخور .

[يفرحون و -[1]] يسبحون الله و يمجدونه [2]بجميع الأصوات[2] من أجل جميع القوات / التى نظروا قائلين : تبارك الملك الآتى باسم الرب و السلامة / ٢٢٤
فى السماء و المجد فى[3] العلا ، و قوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا له : يا معلم انتهر تلاميذك ، فقال لهم : إن سكت التلاميذ[4] نطقت الحجارة ، فلما قرب نظر المدينة و بكى عليها و قال : لو علمت فى هذا اليوم ما لك ٥ فيه من السلامة، فأما الآن فانه قد خفى عن عينيك ، و سوف تأتى أيام تلقى أعداؤك معلمك[5] و يحيطون بك[6] و يضيقون عليك من كل موضع و يقتلونك و بنيك فيك و لا يتركون فيك حجرا ، و قال متى[7] : فلما دخل إلى يروشليم ارتجت المدينة كلها قائلين : من هذا[8] ؟ فقال[9] الجمع : هذا يسوع النبى الذى هو من ناصرة الجليل ، فدخل يسوع إلى هيكل الله ١٠ و أخرج جميع الذين[10] يبيعون و يشترون فى الهيكل و قلب موائد الصيارف وكراسى باعة الحمام و قال لهم : مكتوب أن بيتى بيت الصلاة يدعى ، و أنتم جعلتموه مغارة للصوص. و قال يوحنا[11] : فصعد يسوع إلى يروشليم فوجد فى الهيكل باعة[12] البقر و الكباش و الحمام و صيارف جلوسا . فصنع[13]

(١) زيد من ظ ، و مثله فى الاصحاح (٢-٢) فى ظ و الاصحاح : بصوت عظيم .
(٣) من ظ و الاصحاح ، و فى الأصل : و (٤) فى الاصحاح : هؤلاء (٥) كذا من ظ ، و فى الأصل : معالك (٦) من ظ ، و فى الاصل : به (٧) راجع آية ١١ فما بعدها من الأصحاح ٢١ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : هودا (٩) من ظ ، و فى الأصل : فاين (١٠) من إنجيل متى ، و فى الأصل و ظ : الذى .
(١١) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ٢ (١٢) فى الأصل و ظ : فباعه .
(١٣) من ظ ، و فى الأصل : بجعل .

محضرة[١] من حبل و أخرج جميعهم من الهيكل فطرد[٢] البقر و الخراف وأبدد دراهم الصيارف و قلب موائدهم، [و -[٣]] قال متى[٤]: و قدم [إليه -[٤]] عميان و عرج فى الهيكل فشفاهم، فرأى رؤساء الكهنة العجائب التى صنع[٥] و الصبيان يصيحون فى الهيكل و يقولون: أوصنا يا ابن داود، مبارك ٥ الآتى باسم الرب، فتقمقموا و قالوا: ما تسمع ما يقول هؤلاء، فقال لهم يسوع: نعم، أما قرأتم قط أن من فم الأطفال و المرضعين أعددت سبحا، و تركهم و خرج خارج المدينة و بات هناك فى بيت عنيا و فى غد عبر إلى المدينة فجاع[٦] و نظر إلى شجرة تين على الطريق فجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا الورق، فقال لها[٧]: لايخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست ١٠ تلك الشجرة للوقت[٨]، فنظر التلاميذ و تعجبوا و قالوا: كيف يبست التينة للوقت، أجاب يسوع و قال لهم: الحق أقول لكم! إن كان لكم إيمان[٩] و لاتشكون ليس مثل[٩] هذه الشجرة التين [فقط -[٣]] تصنعون و لكن تقولون لهذا الجبل: تعال و اسقط فى البحر، فيكون، و قال مرقس[١٠]: إن كان لكم إيمان بالله، الحق أقول لكم: إن من قال لهذا

---

(١) فى انجيل يوحنا: سوطا (٢) من ظ، و فى الأصل: نطردوا (٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ١٤ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (٥) من ظ، و فى الأصل: تصنم (٦) من ظ، و فى الأصل: بخاح (٧) من إنجيل متى، و فى الأصل و ظ: لهم (٨) من ظ، و فى الأصل: إلى الوقت (٩ - ٩) من ظ، و فى الأصل: لا تسابون - عن كذا (١٠) راجع آية ٢٢ فما بعدها من الأصحاح ١١.

الجبل : انتقل و اسقط فى هذا البحر ، و لايشك فى قلبه بل يصدق[1] فيكون له الذى قال ، من [أجل -[2]] هذا أقول لكم : إن كل ما تسألونه فى الصلاة بايمان إنكم تنالونه فيكون لكم ، و قال متى[3] : و كل ما تسألونه فى الصلاة بايمان تنالونه ، و قال مرقس[4] : فقال له يوحنا ، يا معلم ! رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه لم يتبعنا ، قال لهم يسوع : لاتمنعوه ٥ ليس يصنع أحد قوة باسمى ، و يقدر سريعا أن يقول[5] على الشر ، كل من ليس [هو -[2]] [6]عليكم فهو معكم[6] و من سقاكم كأس ماء باسم أبيكم المسيح [الحق - [2]] أقول لكم : إن أجره لايضيع . و فيه مما لايجوز إطلاقه فى شرعنا إطلاق الأب على الله و [إطلاق - [2]] الرب على غيره [بلا قيد - [2]] ، و قد تقدم التنبيه على مثل ذلك غير مرة - و الله ١٠ الهادى للصواب .

/ و لما قرر سبحانه أن الرسل دعاة للحق إلى سيدهم طوعا أو كرها /٢٢٥ بالكتاب و الحديد ، و قرر أن السعادة كلها فى اتباعهم ، و أن البدع لاتأتى بخير و إن زين الشيطان أمرها و خيل أنه خير ، و أن أصحاب الذى كان نسخ شريعة[7] من قبله ابتدعوا بدعة حسنة فوكلوا إليها ففسق ١٥ أكثرهم ، فاقتضى ذلك إرسال من ينسخ كل شريعة[7] تقدمته نسخا لا زوال

(١) من ظ ، و فى الأصل : يسل - كذا (٢) زيد من ظ (٣) راجع آية ٢٢ من الأصحاح ٢١ (٤) راجع آية ٣٨ فما بعدها من الأصحاح ٩ (٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٦ - ٦) فى انجيل مرقس : علينا فهو معنا (٧) من ظ ، و فى الأصل : شريعته .

له لأنه لانبى بعده و نهى عن البدع نهيا لم يتقدمه أحد إلى مثله، أنتج ذلك قوله تعالى: ﴿ يٰٓـاَيها الذين 'امنوا ﴾ أى أقروا بذلك إقرارا صحيحا بنى مما تقدم أو بالنبى صلى الله عليه و سلم ﴿ اتقو الله ﴾ أى خافوا عقابه فاجعلوا بينكم و بين سخطه - لأنه الملك الأعظم - وقاية بحفظ الأدب
٥ معه و لا تأمنوا مكره، فكونوا على حذر [من - [1]] أن يسلبكم ما وهبكم، فاتبعوا الرسول تسلموا، و حافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا ﴿ و 'امنوا برسوله ﴾ أى الذى لا رسول له الآن غيره، إيمانا مضموما إلى إيمانكم بالله فانه[2] لايصح الإيمان به إلا مع الإيمان برسوله، و بأن تثبتوا على الإيمان به، و تضموا الإيمان به إلى الإيمان بمن تقدمه يا أهل
١٠ الكتاب، لأن رسالته عامة، لقد نسخ جميع ما تقدمه من الأديان[3] فاياكم أن يميلكم عنه ميل من حسد أو غيره، فبادروا إلى إجابته و الزموا [4]جميعاحذره[4] فلا تميلوا إلى بدعة أصلا ﴿ يؤتكم ﴾ ثوابا على اتباعه[5] ﴿ كفلين ﴾ أى نصيبين ضخمين[6] ﴿ من رحمته ﴾ تحصينا لكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع، و هو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه
١٥ على الكاهل و مؤخره على العجز، و هذا التحصين[7] لأجل إيمانكم بـه صلى الله عليه و سلم و إيمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل و رفع الآصار[8] وهو [أعلى - [1]] بالأجر من الذى عمل الخير فى الجاهلية، و قال النبى

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : الأبا (٣) من ظ، و فى الأصل : الايمان (٤-٤) من ظ، و فى الأصل : جميع عدره - كذا (٥) زيد فى الأصل : و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ، و فى الأصل : صحيحين. (٧) من ظ، و فى الأصل : التحصيل (٨) من ظ، و فى الأصل : الأصل.

صلى الله عليه و سلم لمن سأله[1] عنه: أسلمت على ما أسلفت من خير . و دل على أن الكفلين برفع الدرجات و إفاضة خواص من الخيرات بقوله: ﴿ و يجعل لكم ﴾ أى مع ذلك ﴿ نورا ﴾ مجازيا فى الأولى بالتوفيق للعمل من المعلوم و المعارف القلبية و حسيا فى الآخرة بسبب العمل ﴿ تمشون به ﴾ أى مجازا فى الأولى بالتوفيق للعمل، و حقيقة فى ٥ الآخرة بسبب العمل .

و لما كان الإنسان لايخلو من نقصان، فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن، قال: ﴿ و يغفر لكم[4] ﴾ أى [ما -[2]] فرط منكم من سهو و عمد و هزل وجد . و لما قرر سبحانه و ذلك، أتبعه التعريف بأن الغفران و ما يتبعه صفة له شاملة لمن[3] يريده فقال: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات ١٠ الكمال[4] و العظمة و الكبرياء[4] ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المحو للذنب عينا و أثرا ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يغفرله و يوفقه / للعمل بما يرضيه . / ٢٢٦

و لما كان أهل الكتاب قد تابعوا أهويتهم على بغض الأميين[5]، و أشربت قلوبهم أن النبوة مختصة بهم لأنهم أولاد إبراهيم عليه السلام من ابنة عمه، و العرب - و إن كانوا أولاده - فانهم من الأمة و ما دروا ١٥ [أن -[2]] كونهم من أولاده مرشح لنبوة بعضهم و كونهم من الأمة، مهئ لعموم الرسالة لأجل عموم النسب، قال دالا على أنهم صاروا

(١) من ظ، و فى الأصل: سال (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل: ممن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الاتيان - كذا .

كالبهائم لايبصرون إلا المحسوسات معلقا الجار بـ «آمنوا» و "يؤتكم"
و ما بعده: ﴿لئلايعلم﴾ أي ليعلم[1] علما عظيما [يثبت -[2]] مضمون خبره
و ينتفي ضده - بما أفاده زيادة النافي ﴿أهل الكتب﴾ أي من الفريقين
الذين اقتصروا على كتابهم و أنبيائهم و لم يؤمنوا بالنبي الخاتم و ما أنزل
٥ عليه ﴿الا﴾ أي أنهم لا ﴿يقدرون﴾ أي في زمن من الأزمان
﴿على شيء﴾ [أي و إن قل -[2]] ﴿من فضل الله﴾ أي الملك الأعلى
الذي خصكم [بما خصكم -[3]] به لايمنع و لاباعطائكم [حيث -[2]] نزع
النبوة منهم و وضعها في بني عمهم إسماعيل عليه السلام الذين كانوا
لايقيمون لهم وزنا فيقولون: إنهم بنو الأمة، و إنهم أميون، و إنهم
١٠ ليس عليهم منهم سبيل، و جعل النبوة التي خصكم بها عامة - كما أشار
إليه ما في ابن الأمة من شمول بنسبته و انشعابه[3] و حيث عملوا كثيرا
و أعطوا قليلا: اليهود من أول النهار على [4]قيراط قيراط، و النصارى من
الظهر على قيراط قيراط[4]، و هذه الأمة من صلاة العصر على قيراطين
قيراطين، فقال الفريقان[5]: ما لنا أكثر عملا و أقل أجرا، قال: هل ظلمتكم
١٥ من حقكم شيئا. قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء. و ذكر ابن
برجان معنى هذا الحديث - كما تقدم عنه قريبا - من الإنجيل و طبقه
عليه و ذكرته [أنا -[2]] في الأعراف، روى الإمام [أحمد -[2]] في

---

(١) من ظ، و في الأصل: يعلم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و في الأصل: اتساعه (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: الفريقين.

مواضع[1] من المسند و البخارى فى سبعة مواضع[2] فى الصلاة و الإجارة و ذكر بنى إسراءيل و فضائل القرآن و التوحيد، و الترمذى فى الأمثال[3] - و قال: حسن صحيح - من وجوه شتى جمعت بين ألفاظها عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم [قال-[4]] : [5]مثلكم - و فى هذه الرواية: مثل هذه الامة، و فى رواية: مثل أمتى، و فى رواية: إنما مثلكم ٥ و مثل اليهود و النصارى كرجل[5]، و فى روايه: مثلكم و مثل أهل الكتابين كمثل رجل استعمل عملاء، و فى رواية: استأجر أجراء[6] فقال: من يعمل لى من صلاة الصبح، [و-[4]] فى رواية [أخرى -[7]]: من غدوة إلى نصف النهار على قيراط[8]، ألا فعملت اليهود - و فى رواية: قالت اليهود: نحن - فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى ١٠ صلاة العصر على قيراط، ألا فعملته النصارى، و فى رواية: قالت النصارى: نحن، فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس - و فى رواية: إلى أن تغيب الشمس - على قيراطين قيراطين، ألا فانتم الذين[9] عملتم، و فى رواية: [5]تعملون، و فى رواية[5]: و أنتم المسلمون تعملون من صلاة العصر إلى الليل، و فى رواية إلى مغارب، و فى رواية[10]: ١٥ مغرب الشمس على قيراطين قيراطين / ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت[11] / ٢٢٧

(١) راجع مثلا ٢ / ١١١ (٢) راجع مثلا ١ / ٧٩ (٣) راجع ٢ / ١١٠ (٤) زيد ولابد منه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: احيرا. (٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ: قيراط (٩) من ظ، و فى الأصل: الذى (١٠) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١١) من ظ، و فى الأصل: فغضب.

اليهود و النصارى و قالوا : نحن - و فى رواية : ما لنا[1] - أكثر عملا و أقل عطاء ، و فى رواية : أجرا ، قال الله تعالى : هل - و فى رواية : و هل - نقصتكم - و فى رواية : هل ظلمتكم - من حقكم شيئا - و فى رواية : أجركم شيئا ، قالوا : لا ، قال : فانه - و فى رواية : فانما - هو
٥ فضل ، و فى رواية : فذلك فضلى أوتيه من أشاء ، و فى رواية : أعطيه من شئت . و فى رواية : سمعت النبى صلى الله عليه و سلم و هو قائم على المنبر يقول : ألا إن بقاءكم[2] ، و فى رواية : إنما بقاؤكم[3] ، و فى رواية : إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم - و فى رواية : فيما سلف من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر و المغرب - و فى رواية : إلى
١٠ غروب الشمس ، و فى رواية : إلا إن مثل آجالكم فى آجال الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغيربان ، و فى رواية : [4]إلى مغرب ، و فى رواية[4] : إلى مغارب الشمس ، أعطى - و فى رواية : أوتى - أهل التوراة التوراة ، فعملوا بها[5] حتى انتصف النهار فعجزوا ، فأعطوا قيراطا [قيراطا -[6]] ، و أعطى - و فى رواية : ثم أوتى - أهل الإنجيل الإنجيل
١٥ فعملوا به حتى - و فى رواية : إلى - صلاة العصر ، و فى رواية : حتى صليت العصر ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس ، و فى رواية : [حتى غروب الشمس -[6]]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : اتقاكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : اتقياكم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل و ظ : حتى انتصف النهار فعجزوا و فى رواية - كذا (٦) زيد من ظ .

فاعطيتم قيراطين قيراطين، و فى رواية: ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين - و فى رواية: أهل التوراة و الانجيل - ربنا هؤلاء أقل[1] منا عملا و أكثر أجرا، و فى رواية: جزاء، و فى رواية: أى ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين و أعطيتنا قيراطا قيراطا، و نحن أكثر عملا منهم، قال الله تبارك و تعالى: ٥
[هل -[2]] و فى رواية: فهل ظلمتكم من أجركم - و فى رواية: من أجوركم - من شيء؟ فقالوا: لا، فقال: فهو فضلى، و فى رواية: فذلك فضلى، أوتيه من أشاء. و قد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الأمم و ترك على ذلك أحوالها فقال: إنه دال على قوم نوح و إبراهيم عليهما السلام، كان لهم الليل، فكان قوم نوح فى أوله فى ظلام صرف طويل ١٠
لم يلح لهم شيء من تباشير الضياء و لا أمارات الصبح، و نوح عليه السلام يخبرهم به و يأمرهم بالتهيئو له، فلذلك طال بلاؤه عليه السلام بهم، و ما آمن معه إلا قليل، و أما قوم إبراهيم عليه السلام فكانوا كأنهم فى أواخر الليل، قد لاحت لهم تباشير الصباح و أومضت لهم بوارق الفلاح، فلذلك آمن لوط عليه السلام و كذا سارة زوجته و أولاده[3] ١٥
منها و من غيرها كلهم، و استمر الإسلام فى أولاده و النبوة حتى جاء موسى عليه السلام، فكان وقته كما بين الصبح و الظهر، فكان قومه تارة و تارة، تارة يحسبون أنهم فى ضياء كيفما كانوا، فيروغون يمينا و شمالا

(١) العبارة من هنا إلى «تباشير الضياء» ساقطة من ظ (٢) زيد لاستقامة العبارة و إلا فلا وجه لزيادة «و فى رواية» (٣) من ظ، و فى الأصل: الاولاد.

فيكونون[1] كمن دخل غيرانا و كهوفا و أسرابا ثم يخرجون منها فيرجعون
٢٢٧ / إلى الضياء ، فكانت غلطاتهم/ تارة كبارا و تارة صغارا ، و أما قوم عيسى
عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضياء فالغلط منه
لا يكون إلا عن عمى عظيم[2] ، فلذلك كان غلطهم أفظع الغلط و أفحشه
٥ - و الله الموفق - ﴿ و أن ﴾ أي و ليعلموا أن ﴿ الفضل ﴾ [أي - [3]]
الذي لا يحتاج إليه من هو عنده ﴿ بيد الله ﴾ أي الذي له الأمر كله
﴿ يؤتيه من يشآء ﴾ منهم أو من غيرهم [في نبوة كانت أو غيرها - [3]] .
و لما كان ربما ظن ظان أنه لا يخص به إلا لأنه لا يسع جميع
الناس دفع[4] ذلك بقوله : ﴿ و الله ﴾ أي الذي أحاط بجميع صفات
١٠ الكمال ﴿ ذو الفضل العظيم ع ﴾ أي مالكه ملكا لا ينفك عنه و لا ملك
لأحد [فيه - [3]] معه و لا تصرف بوجه أصلا ، فلذلك يخص من يشاء بما
شاء ، فلا يقدر أحد على اعتراض بوجه ، فقد نزه له التنزيه الأعظم جميع
ما في السماوات و الأرض فهو العزيز الحكيم الذي لا عزيز غيره و لا حكيم
سواه ، فقد انطبق كما ترى آخرها على أولها ، و رجع مفصلها على
١٥ موصلها - و الله الهادي [5]للصواب و إليه المرجع و المآب[5] .

---

(١) في الأصل و ظ : فيكون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ
و في الأصل : بين (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة[١]

مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذى[٢] أشارت إليه الحديد، بمن حاد الله و رسوله صلى الله عليه و سلم لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، و على ذلك[٣] دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها[٤] و آخرها، و على تكرير الاسم الأعظم الجامع ٥
فى القصة و بجميع السورة تكريرا لم يكن فى سواها بحيث لم تخل منه آية، و أما الآيات التى تكرر[٥] فى كل منها[٥] المرتين فأكثر فكثيرة كل ذلك للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب[٦] من يصح أن ينظر إليه تارة بالجلال، و تارة بالكمال، فيجمع له الوصفان، و هو من آمن و وقع منه هفوة أو عصيان، و لهذا ضمتها أشياء شدد التكبير[٧] فيها حين ١٠
وقع فيها بعض أهل الإيمان، و لم يبحها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع إلى ما دعا إليه الطبع كما فعل فى غيرها كالأكل و الجماع فى ليل رمضان من غير تقييد بيقظة[٨] و لا منام، لمنابذتها للحكمة، و بعدها عن موجبات الرحمة،

---

(١) الثامنة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها (٢٢) عند غير المدنى الاخير و المكى، و عندهما (٢١) آية، و من هنا تستأنف والحمد لله نسخة م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذين (٣) من م، و فى الأصل و ظ: هذا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فصلها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيها كل من (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الخطاب (٧) موضعه بياض فى م، و فى ظ: التكبر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يقظة.

و هذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة و الرحمن و القمر من هذا الاسم الجامع - و الله الموفق. ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط علمه فتمت قدرته فكملت جميع صفاته ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل الخلائق جودا بالإيجاد و إرسال هداته[1] ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص أصفياءه فتمت عليهم نعمة ٥ مرضاته ه

لما ختمت الحديد بعد إثبات عجز[2] الخلق بعظيم الفضل له سبحانه، و كان سماع أصوات جميع الخلائق من غير أن يشغل[3] صوت عن صوت و كلام عن كلام من الفضل العظيم ، و كان قد تقدم ابتداع بعض المتعبدين[4] من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه ، فكان سببا للتضييع، ١٠ و كان الظهار على نوعين : موقت و مطلق ، و كان الموقت مما يدخل فى الرهبانية لأنه من التبتل و تحريم ما أحل الله من الطيبات، و كان بعض الصحابة رضى الله عنهم قد منع نفسه[5] بالموقت منه من مرغوبها مما لم يأت عن الله ، فظاهر من امرأته محافظة على كمال التعبد خوفا

(١) فى الأصل و ظ : هداية ، و فى م : هدايته (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : العجز (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يشغله (٤) زيد بعده فى الأصل : الا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن ، و فى رواية : ما لم اكثر عملا واقل عطاء ، و فى رواية : اجرا قال الله تعالى : هل ، وفى رواية : وهل نقضتكم . و فى رواية : هل ظلمتكم من حقكم شيئا ، و فى رواية : اجركم شيئا قالوا : لا . قال فانه و فى رواية فانما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها ، و هى تكرار على ما سبق (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لفنه - كذا .

من الجماع فى نهار رمضان، وكان ذلك مما لم يأذن به بل نهى عنه كما
روى أبو داود[1] عن أنس رضى الله عنه والطبرانى فى الأوسط عن سهل
ابن حنيف رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا تشددوا
على أنفسكم، فانما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، و ستجدون
بقاياهم فى الصوامع و الديارات . و كان بعض الصحابة - رضى الله عنهم ٥
أجمعين - قد ظاهر مطلقا فشكت امرأته ما لحقها من الضرر إلى رسول الله
صلى الله عليه و سلم و هتفت[2] باسم الله، و كان علمه سبحانه بخصوص
شكاية هذه المرأة المسكينة[3] و إزالة ضررها [بحكم -[4]] عام لها و لغيرها
من عباده حتى صارت واقعتها رخصة عامة للسلمين إلى يوم القيامة معلما
بأنه ذو الفضل العظيم، و أنه الظاهر الباطن، ذو الملك كله، و كان قد أمر ١٠
بالإيمان به و برسوله و وعد على ذلك بالنور، [كان -[4]] السامع لذلك
جديرا[5] بتوقع البيان الذى هو النور فى هذه الرهبانية التى ابتدعت [فى -[4]]
هذه الأمة، و تخفيف الشديد الذى وقع عن بعضهم ليعلم أهل الكتاب
ما لهذه الأمة من الكرامة [6] على ربها [6] و أنه يختص برحمته من يشاء
فقال: ﴿قد سمع الله﴾ أى أجاب[7] بعظيم فضله الذى أحاط بجميع صفات ١٥
الكمال فوسع[8] سمعه الأصوات ﴿قول﴾ و عبر بالوصف دون الاسم

---

(١) راجع السنن ٢ / ٣٤٤ (٢) من ظ و م: و فى الأصل: عتقت (٣) من ظ و م. و فى الأصل: الشكية (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: جدير (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ: لربها (٧) فى ظ: اجاز. (٨) من ظ. و فى الأصل و م: فسمعه.

تعريفا برحمته الشاملة فقال: ﴿ التي تجادلك ﴾ أي تبالغ في أن تقبلك إلى مرادها ﴿ في زوجها ﴾ أي في الأمر المخلص له من ظهاره رحمة لها[1] ﴿ و تشتكي ﴾ أي تتعمد بتلك المجادلة الشكوى، منتهية ﴿ الى الله ﴾ أي الملك العظيم الرحيم الذي أحاط بكل شيء علما، و لصدقها في
٥ شكواها و قطع رجائها في كشف ما بها من غير الله كانت هي و النبي صلى الله عليه و سلم متوقعين أن الله يكشف ضرها ﴿ و الله ﴾ أي و الحال ان الذي وسعت رحمته كل شيء لأن له الأمر كله ﴿ يسمع تحاوركما ﴾ أي مراجعتكما التي يحور - أي يرجع - [فيها - [2]] إلى كل منكما جواب كلامه من الآخر كأنها لثقل ما قدح في أمرها و نزل من ضرها ناشئة
١٠ عن[3] حيرة

و لما كان ذلك في غاية ما يكون من خرق العادة بحيث أن الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت عند نزول الآية: « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنا في جانب البيت ما أسمع كثيرا مما تقول » أكده تنبيها على شدة غرابته
١٥ [و لأنه - [4]] ربما استبعده من اشتد جهله لعراقته في التقيد[5] بالعادات فقال: ﴿ ان الله ﴾ أي الذي أحاط بجميع صفات الكمال فلا كفوء له ﴿ سميع بصير ﴾ أي بالغ السمع لكل مسموع، و البصر لكل ما يبصر و العلم لكل / ما يصح أن يعلم أزلا و أبدا، و قد مضى نحو هذا التناسب ٢٣٠ /

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: بها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م، و في الأصل: من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: التقييد.

في

فى المائدة حين أتبع تعالى آية القسيسين و الرهبان قوله تعالى " يٰأيها الذين [امنوا -] لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم[١] " غير أن هذا خاص و ذاك[٢] عام، فهذا فرد منه، فالمناسبة واحدة لأن الأخص فى ضمن الأعم، و الحاصل أنه سبحانه امتن عليهم بما جعل فى قلوبهم من الرهبانية و غيرها، و أخبر أنهم لم يوفوها حقها، و أنه آتى مؤمنيهم الأجر، ٥ و أمر المسلمين بالتقوى و إتباع الرسول صلى الله عليه و سلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لأهل الكتاب، و نهاهم عن التشديد على أنفسهم بالرهبانية، فصاروا مفضلين من وجهين: كثرة الأجر و خفة العمل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - و الله أعلم، روى البزار[٣] من طريق خصيف عن عطاء و من غيرها أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٠ أن رجلا قال: يا رسول الله! إنى ظاهرت من امرأتى و رأيت ساقها فى القمر فواقعتها[٤] قبل أن أكفر، قال: كفر و لا تعد. و روى أبو داود[٥] عن عكرمة أن رجلا ظاهر من امرأته ثم واقعها قبل أن يكفر، فأتى النبى صلى الله عليه و سلم فأخبره فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت بياض ساقيها فى القمر، قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك. قال المنذرى: ١٥ و أخرجه أيضا عن عكرمة عن النبى صلى الله عليه و سلم و عن عكرمة عن [ابن -[٦]] عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم بمعناه،

---

(١) راجع آية ٨٧ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: هذا (٣) ما وجدناها فى مجمع الزوائد فى مضانها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فوقعتها (٥) راجع السنن ١ / ٣١٠ (٦) زيد من ظ و م.

و أخرجه النسائي[1] و ابن ماجه[2] و الترمذي[3] - و قال: [حديث -[4]] حسن غريب صحيح - و قال النسائي: المرسل أولى بالصواب من المسند، و قال أبو بكر المعافري[5]: ليس في الظهار حديث صحيح يعول[6] عليه، قال المنذري: و فيما قاله نظر، فقد صححه [7]الترمذي كما ترى، و رجال إسناده ثقات،
٥ و سماع بعضهم من بعض مشهور، و ترجمة عكرمة[7] عن ابن عباس رضي الله عنهما احتج بها البخاري في غير موضع - انتهى. و للترمذي[8] - و قال: حسن غريب - عن سلمة بن صخر رضي الله عنه في المظاهر يواقع قبل أن يكفر قال: كفارة واحدة. و روى أحمد[9] و الحاكم[10] و أصحاب السنن[11] إلا النسائي و حسنه الترمذي، قال ابن الملقن: و صححه
١٠ ابن حبان و الحاكم - من طريق سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه قال: كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يصيب غيري، فلما دخل شهر رمضان خفت أن اصيب من امرأتي شيئا [يتابع بي -[4]] حتى أصبح[12] فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان، فبينا هي تخدمني ذات ليلة تكشف[13] لي منها شيء فما لبثت أن نزوت عليها[14]، فلما أصبحت

(١) راجع السنن ٢ / ٨٨ (٢) راجع السنن ص: ١٥٠ (٣) راجع الجامع ١ / ١٤٤ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: العامري، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١١/٦١ (٦) من ظ و م. و في الأصل: يقول (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع الجامع ١ / ١٤٣ (٩) راجع المسند ٤ /٣٧ (١٠) راجع المستدرك ٢ / ٢٠٣ (١١) راجع سنن ابن ماجه ص ١٥٠ وسنن أبي داود ١ /٣٠٨ و سنن الدارمي ص ٢٩٥ وجامع الترمذي ١ /١٤٤ (١٢) من ظ و م، و في الأصل: يصبح (١٣) من م، و في الأصل وظ: تكشفت (١٤) من ظ و مد، و في الأصل: عنها.

خرجت إلى قومى فأخبرتهم الخبر و قلت: امشوا معى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا: لا و الله: فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبرته، فقال[1]: أنت بذاك[2] يا سلمة؟ قلت: أنا بذاك[3] يا رسول الله - مرتين، و أنا صابر لأمر الله، فاحكم فىّ بما أراك الله، و فى رواية: فأمض فىّ حكم الله فانى صابر لذلك، قال: حرر رقبة، قلت: و الذى بعثك ٥ بالحق ما أملك غيرها - وضربت / صفحة رقبتى[4]، قال: فصم شهرين متتابعين، / ٢٣١ قلت: و هل أصبت الذى أصبت إلا من الصيام، قال: فأطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا، قال: و الذى بعثك بالحق، لقد بتنا وحشين ما لنا طعام، قال: فانطلق إلى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر و كل أنت و عيالك بقيتها، فرجعت ١٠ إلى قومى فقلت: وجدت عندكم الضيق و سوء الرأى، و وجدت عند النبى صلى الله عليه و سلم السعة و حسن الرأى، و فى رواية: و البركة، و قد أمرنى -[5]أو أمر لى[5]- بصدقتكم، و فى رواية: فادفعوها إلىّ، فدفعوها إلىّ. و أعله عبد الحق بالانقطاع، و أن سليمان لم يدرك سلمة، حكى ذلك الترمذى عن البخارى، و قال الترمذى: إن سلمة بن صخر يقال له سلمان ١٥ أيضا، و رواه الإمام أحمد [أيضا -[6]] من طريق أخرى[7] قال حدثنا عبد الله بن إدريس - هو الأودى - عن محمد بن إسحاق عن محمد بن

(١) من ظ، و فى الأصل و م: قال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذاك.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: بذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عنقى.
(٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: امرنى (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع المسند ٥/٤٣٦.

عمرو بن عطاء عن [سليمان بن يسار عن -[1]] سلمة بن صخر البياضي رضى الله عنه قال : كنت امرءا أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت فتظاهرت من امرأتى فى الشهر فبينا[2] هى تخدمنى ذات ليلة إذ تكشف لى منها شيء فلم ألبث[3] أن وقعت عليها ، فأتيت رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم فأخبرته فقال : حرر رقبة ، فقلت : و الذى بعثك بالحق ، ما أملك غير رقبتى ، قال : صم شهرين متتابعين ، قلت : و هل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ؟ قال : فأطعم ستين مسكينا . و هذا سند حسن متصل إن شاء الله إن سلم من تدليس ابن إسحاق ، و روى [الحاكم و -[4]] البيهقى[5] من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان و أبى سلمة بن عبد الرحمن ١٠ أن سلمة بن صخر البياضي رضى الله عنه جعل امرأته عليه كظهر أمه إن غشيها حتى يمضى رمضان ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : أعتق[6] رقبة . و قصة سلمة هذه أصل الظهار الموقت ، و قد دلت على أنه لا عود فيه فلا كفارة عليه [إلا -[7]] بوطئها فى مدة الظهار ، و روى أبو داود[8] عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضى الله عنها قالت : ١٥ ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت رضى الله عنه فجئت رسول الله صلى الله عليه و سلم أشكو إليه و رسول الله صلى الله عليه و سلم يجادلنى فيه

---

(١) زيد من المسند (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : فبينما (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم اثلث - كذا (٤) زيد من ظ ، و راجع المستدرك ٢/٢٠٤ (٥) راجع السنن الكبرى ٧/٣٩٠ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتقت . (٧) زيد من ظ (٨) راجع السنن ١ / ٣٠٩ .

و يقول[1]: اتق[2] الله فانه ابن عمك ، فما برحت حتى نزل [القرآن - [3]]
" قد سمع الله " إلى الفرض ، فقال : يعتق رقبة ، قالت : لا يجد ، قال :
يصوم شهرين متتابعين ، قالت : يا رسول الله ، إنه شيخ كبير ما به من
صيام ، قال : فليطعم ستين مسكينا ، قالت : ما عنده من شيء يتصدق
به ، قالت[4]: فأتى ساعتئذ بعرق [5]من[5] تمر، قلت : يا رسول الله ، فانى أعينه ٥
بعرق آخر ، قال : قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه / ستين مسكينا ، / ٢٣٢
و ارجعي إلى ابن عمك ، قال: و العرق ستون صاعا ، و في رواية : و العرق
مكتل[6] يسع ثلاثين صاعا ، و روى الدارقطني[7] أن أنس بن مالك رضي الله
عنه قال : إن أوس بن الصامت رضي الله عنه ظاهر من امرأته خويلة
بنت ثعلبة رضي الله عنها فشكت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقالت : ١٠
ظاهر مني [حين - [3]] كبر سني و رق عظمي ، فأنزل الله آية الظهار ، فقال
رسول الله صلى الله عليه و سلم لأوس : أعتق رقبة ، قال : ما لي بذلك
يدان ، قال : فصم[8] شهرين متتابعين ، قال : أما أني إذا أخطأني أن آكل في
اليوم مرتين يكل بصري[9]، قال : فأطعم ستين مسكينا . قال : ما أجد إلا
[أن - [10]] تعينني "منك بعون" وصلة ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٥

(١) زيد بعده في الأصل : لي ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من
ظ و م ، و في الأصل : اتق (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م ، و في
الأصل : قال (٥-٥) من م ، و في الأصل و ظ : فيه (٦) من م ، و في الأصل
و ظ : مكيل (٧) راجع السنن ص : ٤٢٢ (٨) من ظ و م ، و في الأصل :
صم (٩) من ظ و م ، و في الأصل : بصر (١٠) زيد من م (١١-١١) من ظ
و م و في الأصل : بعون منك .

بخمسة عشر صاعا [1]حتى جمع[1] الله له، و الله [2]رحيم، قال: و كانوا يرون أن عنده مثلها. و[3]ذلك لستين[3] مسكينا، و للدارقطني[4] [أيضا -[5]] و البيهقي[6] أن خولة[7] بنت ثعلبة رضي الله عنها رآها زوجها و هو أوس بن الصامت أخو عبادة[8] رضي الله عنهما و هي تصلي فراودها فأبت فغضب، و كان به[9] لمم

٥ و خفة فظاهر منها، فأتت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: إن أوسا تزوجني و أنا شابة مرغوب فيّ، فلما خلا سني و نثرت له بطني جعلني عليه كأمه. و للطبراني[10] من طريق أبي معشر عن[11] محمد بن كعب القرظي قال[12]: كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت و كان به لمم، فقال في بعض هجراته: أنت عليّ كظهر أمي، قال: ما أظنك إلا قد

١٠ حرمت عليّ، [13]فجاءت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي و أحب الناس إليّ، و الذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله لا تقل كذلك و الله ما ذكر طلاقا، فرادّت النبي صلى الله

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: جمع (٢) زيد في الأصل: غفور، ولم تكن الزيادة في ظ و م و السنن فحذفناها (٣-٣) من م، و في الأصل و ظ: لذلك ستين (٤) ما وجدنا في نطاقها (٥) زيد من م (٦) راجع السنن الكبرى ٧/٣٩٢ (٧) في ظ: خويلة (٨) من ظ و م، و في الأصل، ابو عبيدة (٩) من ظ و م، و في الأصل: بهم (١٠) لم يذكر في مجمع الزوائد من هذا الطريق (١١) زيد في الأصل: الى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١٢) من ظ، و في الأصل و م: قالت (١٣) زيد في الأصل: قال، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

عليه و سلم مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاقتى و وحدتى و ما
يشق عليّ من فراقه - الحديث، و من طريق أبي العالية قال: فجعل
كلما قال لها "حرمت عليه" هتفت و قالت: أشكو إلى الله، فلم ترم
مكانها حتى نزلت الآية، و روى أبو داود[1] عن هشام بن عروة أن جميلة
كانت تحت أوس بن الصامت و كان رجلا[2] به لمم فكان إذا اشتد به ٥
لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز و جل فيه كفارة الظهار، و أخرجه
من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها مثله. [و -[3]] قال القشيري:
و في الخبر أنها قالت: يا رسول الله! إن أوسا تزوجني شابة غنية ذات
أهل و مال كثير، فلما كبر عنده سني، و ذهب مالي و تفرق أهلي، جعلني
عليه كظهر أمه، و قد ندم و ندمت، و إن لي صبية صغارا إن ضممتهم ١٠
إليه ضاعوا، و إن ضممتهم إليّ جاعوا، يعني ففرج الله عنها، و قد[4] حصل
من هذا مسألة، و هو أن كثيرا من الأشياء ظاهر / العلم يحكم فيه بشيء / ٢٣٣
ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها، قال البغوي[5]: و[6] كان هذا[6] اول
ظهار[7] في الإسلام، و قال أبو حيان[8]: و كان عمر رضي الله عنه يكرم خولة
رضي الله عنها إذا دخلت [عليه و يقول -[9]]: سمع الله لها، فالمظاهرة ١٥
في حديث سلمة رضي الله عنه موقتة، و في حديث خولة رضي الله عنها

---

(١) راجع السنن ١/٣٠٩ (٢) من م، وفي الأصل وظ: رجل (٣) زيد من م.
(٤) سقط من ظ و م (٥) في معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٣٦ (٦-٦) من
ظ و م و المعالم، و في الأصل: هو (٧) من ظ و م و المعالم، و في الأصل:
الظهار (٨) في البحر المحيط ٨ / ٢٣٢ (٩) زيد من ظ و البحر.

مطلقة، و هي في قصة سلمة رضي الله عنه و من نحا نحوه رهبانية مبتدعة لم ترع حق رعايتها كرهبانية النصارى، و لم يتبع النبي صلى الله عليه و سلم في ابتداعها حق الاتباع[1]، و أما في قصة خولة رضي الله عنها فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم و عدم الحزن كما في آية " لكيلا تاسوا " الآية على أن امتناعها من زوجها حين راوذها فيه إلمام بالرهبانية[2]،
٥ و إزالة شكايتها مع أنها امرأة ضعيفة من عظيم الفضل، و زاده عظما جعله [حكما -[3]] عاما لمن وقع فيه من جميع الأمة.

و لما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم[4] الأمر المجادل بسببه، فقال ذاما للظهار، و كاسيا له ثوب العار: ﴿الذين﴾
١٠ و لما كان الظهار منكرا لكونه كذبا، عبر بصيغة التفعل الدالة عليه فقال: ﴿ يظهرون ﴾ أي يوجدون الظهار في أي رمضان [كان -[3]] وكانه أدغم تاء التفعل و المفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل الله له من مجامعة زوجته. و لما كان الظهار خاصا بالعرب دون سائر الأمم، نبه على ذلك تهجينا[5] له عليهم و تقبيحا لعادتهم فيه، تنبيها على أن اللائق
١٥ بهم أن يكونوا أبعد الناس من[6] هذا الكلام لأن الكذب لم يزل

(١) من ظ و م، و في الأصل: الانتداع (٢) من ظ و م، و في الأصل: من الرهبانيه (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و في الأصل و ظ: الحكم. (٥) من م، و في الأصل و ظ: تهييجا (٦) زيد في الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

مستهجنا عندهم في الجاهلية، ثم [ما - ١] زاده الإسلام [إلا - ١] استهجانا فقال: ﴿ منكم ﴾ أي أيها العرب المسلمون الذين يستقبحون الكذب ما لا يستقبحه غيرهم وكذا من دان دينهم ﴿ من نسآئهم ﴾ أي يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم بأن[2] يقول أحدهم[3] لزوجته شيئا من صرائحه مثل [4]أنت علي كظهر[4] أمي أو كناياته[5] كأنت ٥ أمي، وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره من حر أو عبد مسلم أو ذمي دخل بالزوجة أو لا قادرا كان على الجماع أو عاجزا[6]، صغيرة كانت الزوجة أو كبيرة، عاقلة كانت[7] أو مجنونة، سليمة كانت أو رتقاء، مسلمة كانت أو ذمية، و لو كانت رجعية.

و لما كان[8] وجه الشبه التحريم، و كان للتحريم رتبتان[9]: عليا موصوفة ١٠ بالتأبيد و الاخترام، و دنيا خالية عن كل من الوصفين، و كان التقدير خبرا للمبتدأ: مخطئون في ذلك لأنه كذب، لأن التشبيه إن أسقطت أداته[10] لم يكن حمله على الحقيقة ليكون من الرتبة العليا و لو على أدنى أحوالها من أنه طلاق لا رجعة فيه، كما كانوا يعتقدونه، و إن أثبتت ليكون[11] من

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و في الأصل: أن (٣) من م، و في الأصل و ظ: أحد (٤-٤) من م، و في الأصل: ظهر (٥) من ظ و م، و في الأصل: كناية (٦) من م، و في الأصل و ظ: لا (٧) زيد في الأصل: الزوجة، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و في الأصل: كانت. (٩) من ظ و م، و في الأصل: رتبتين (١٠) من ظ و م، و في الأصل: ان اشتبه (١١) من ظ و م، و في الأصل: ان يكون.

الدنيا لم يكن صحيحا لانه ممنوع منه لأن التشريع إنما هو لله ، و الله لم يكن
/ ٢٣٤ يشرع ذلك ، و كان تعليل شق التشبيه يفيد معنى الخبر بزيادة[1] / التعليل،
حذف الخبر ، و اكتفى بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذى تعوده
العرب من غير أن يشاركهم فيه أحد من الأمم : ﴿ ما هن ﴾ أى
٥ نساؤهم[2] ﴿ امهتهم[4] ﴾ على تقدير إرادة أحدهم [أعلى -[3]] رتبتى التحريم .
و الحاصل أنهم لما كانوا يعتقدون أنه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقدين
أن المرأة أم لأن الحرمة المؤبدة[4] من خصائص الأم فخوطبوا بذلك تقريعا
لهم لأنه أردع ، و فى سورة الأحزاب ما يوضح هذا .

و لما كانوا قد مرنوا على هذا الحكم فى الجاهلية ، و استقر[5] فى
١٠ أنفسهم استقرارا لا يزول إلا بغاية التأكيد ، ساق الكلام كذلك فى الشقين
فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ امهتهم[4] ﴾ [أى -[6]] حقيقة ﴿ الا الّٓـئ ولدنهم[4] ﴾
و نساؤهم لم تلدهم ، فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام و الاحترام .
و لاهن ممن ألحق بالأمهات بوجه يصح و كأزواج النبى صلى الله عليه
و سلم فانهن أمهات لما[7] لهن من حق الإكرام و الاحترام و الإعظام
١٥ [8]ما لم يكن لغيرهن[8] لأن النبى صلى الله عليه و سلم أعظم فى أبوة الدين
من أب النسب [و -[6]] كـــذلك المرضعات لما لهن من الإرضاع

(١) فى م : زيادة (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : نساؤهن (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مؤبدة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : استقروا (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنهن (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م .

الذى هو وظيفة الأم بالأصالة، و أما الزوجة فباينة[1] لجميع ذلك .

و لما فرغ من تعليل الشق الاول على أتم وجه، أتبعه تعليل الآخر كذلك، فقال عاطفا عليه مؤكدا لأنهم كانوا قد ألفوا قوله فأشربته قلوبهم: ﴿ و انهم ﴾ أى المظهرون[2] ﴿ ليقولون ﴾ أى فى هذا التظهر على كل حالة ﴿ منكرا من القول ﴾ ينكره[3] الحقيقة و[3] الأحكام، ٥ قال ابن الملقن فى عمدة[4] المحتاج: و هو حرام اتفاقا كما ذكره الرافعى فى الشهادات . ﴿ و زورا ﴾ أى قولا مائلا عن السداد، منحرفا عن القصد، لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتهان، و الأم فى غاية البعد عن ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هى أم حقيقة و لا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالإرضاع، و كونها فراشا ١٠ لعظيم كالنبى أو الأب أو للحرمة كاللعان، [5]فقد علم[5] أن ذلك الكلام ليس بصدق و لا جاء به مسوغ، فهو زور محض، و أخصر من هذا أن يقال: و لما كان ظهارهم هذا يشتمل على [6]فعل و قول[6]، و كان الفعل هو التحريم الذى هو موضع وجه الشبه، [و كانت العادة فى وجه الشبه -[7]] أن يقنع منه بأدنى ما ينطلق عليه الاسم، و كانوا قد خالفوا ذلك فجعلوه فى أعلى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فمباعة (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المظاهرين (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: القول من (٤) زيد فى الأصل: الاحكام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فعلم (٦ - ٦) من ظ، و فى الأصل و م: قول و فعل (٧) زيد من ظ و م .

طبقاته وهو الحرمة المؤبدة التي[1] يلزم منها أن تكون المشابهة من كل وجه [2]في الحرمة مع أن ذلك بغير مستند من الله تعالى الذى لا حكم لغيره، ألزمهم أن يكون الشبه من كل وجه[2] مطلقا فيكونوا جاعلين الزوجة إما حقيقة لا دعوى كما جعلوا الحرمتين [كذلك من غير فرق بل أولى لأنه الشبه إنما وقع بين الحيثيتين لا بين الحرمتين -[3]] ثم وقفهم على جهلهم فيه فقال " ما هن" إلى آخره، ولما وقفهم على جهلهم فى الفعل وقفهم على جهلهم فى القول: فقال: [و -[4]] أنهم إلى آخره، قال النووى فى الروضة: قال الأصحاب: الظهار حرام، وله حكمان: أحدهما تحريم الوطئ إذا وجبت الكفارة / إلى أن يكفر، والثانى وجوب الكفارة بالعود - انتهى. ٢٣٥ /

وهذا القول وإن أفاد التحريم فانه[5] يفيده لكونه ممنوعا منه على وجه ضيق[6] حرج المورد عسر المخرج ليكون عسره زاجرا عن الوقوع فيه، قال أبو عبد الله القزاز فى ديوانه الجامع: وظاهر الرجل امرأته[2] وظاهر من امرأته[2] إذا قال: أنت علىّ كظهر أمى أو كذات محرم، وإنما استخصوا الظهر فى الظهار لأن الظهر موضع الركوب، والمرأة [2]مركب الرجل[2] فى النكاح فكنى به عن ذلك، فكأنه قال: ركوبك علىّ للنكاح كركوب أمى، وكان الظهار فى الجاهلية طلاقا، ولذلك أشكل معنى قوله تعالى "ثم يعودون لما قالوا" وقال ابن الأثير فى النهاية[7]: ظاهر الرجل [من -[8]]

---

(١) من م، وفى الأصل وظ: الذى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ
(٣) زيد من ظ وم (٤) زيد من م (٥) من م، وفى الأصل وظ: كأنه.
(٦) سقط من ظ (٧) راجع ٣/٦٥ (٨) زيد من ظ وم والنهاية.

امرأته ظهارا و تظهر و تظاهر [إذا قال لها : أنت علي كظهر أمي، وكان في الجاهلية طلاقا -[1]]، و قيل : إنهم إرادوا أنت علي كبطن أمي أي كجماعها ، فكنوا بالظهر عن البطن للمجاورة ، و قيل إن إتيان المرأة و ظهرها [2]إلى السماء[2] كان حراما عندهم ، وكان أهل المدينة يقولون : إذا أتيت المرأة و وجهها إلى الأرض جاء الولد أحول ، فلقصد ٥ الرجل المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك[3] حتى جعلها كظهر أمه ، و إنما عدى الظهار بـ "من" لأنهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة و يحترزون منها ، فكأن قوله : ظاهر من امرأته ، أي بعد و احترز منها كما قيل : آلى من امرأته ، لما ضمن معنى التباعد عدى بـ "من" - [انتهى -[4]]، قال : و قال ابن ١٠ الملقن في العمدة شرح المنهاج : و كان طلاقا في الجاهلية ، و نقل عن صاحب الحاوي أنه عندهم لا رجعة فيه ، قال : فنقل الشارع حكمه إلى التحريم بعد العود و وجوب الكفارة - انتهى . و قال أبو حيان[5] : قال ابو قلابة [و غيره -[6]] : كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة . ١٥

و لما كان التقدير : فأن الله حرمه ، عطف عليه مرغبا في التوبة و داعيا إليها قوله مؤكدا لأجل ما يعتقدون من غلظه و أنه لا[7] مثنوية فيه

---

(١) زيد من ظ و م و النهاية (٢ - ٢) من ظ و م و النهاية ، و في الأصل : للسماء (٣) من ظ و م ، و النهاية ، و في الأصل : ذلك (٤) زيد من م (٥) في النهر الماد من البحر المحيط ٨/٢٣٠ (٦) زيد من ظ و م و النهر (٧) من ظ و م ، و في الأصل : به .

﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم [الذى -[1]] لا أمر لأحد معه فى شرع ولا غيره ﴿ لعفو ﴾ من صفاته أن يترك عقاب من شاء ﴿ غفور ﴾ من صفاته أن يمحو عين الذنب و أثره حتى أنه كما[2] لا يعاقب عليه لا يعاتب[3]، فهل من تائب طلبا للعفو عن زلله، و الإصلاح لما كان ٥ من خلله .

و لما هجن[4] سبحانه الظهار ، و أثبت تحريمه على أبلغ وجه و آكده، وكان ما مضت عليه العوائد لابد أن يبقى منه بقايا ، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة و ما لعله يقع من نظائرها فقال[5] : ﴿ و الذين يظهرون ﴾ و لما كان فى بيان الحكم ، أسقط التقييد إعلاما بعمومه الكافر كعمومه[6] ١٠ المسلم ليفيد تغليظ العقاب [عليه -[1]] لئلا يتوهم أنه يخص العرب الذين [7]قصد تهجينه[7] عليهم بأنهم[8] انفردوا به عن سائر الناس فقال : ﴿ من نسآئهم ﴾ بدون "منكم" .

و لما كان مقتضى اللفظ المباعدة ممن قيل ذلك فيها ، فكان إمساكها بعده ينبغى أن يكون فى غاية البعد ، / قال مشيرا إلى ذلك [بأداة -[1]]

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : انه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل : لا يعاقب ، و « عليه لا يعاتب » ساقطة من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هجا (٥) من م ، و فى الأصل وظ : قال (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قصدت هجينة (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : انهم .

البعد ﴿ ثم يعودون ﴾ اى بعد هذا القول ﴿ لما قالوا ﴾ بالفعل بأن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول[١] ذلك لها[١] زمنا يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله [٢]الفرقة به[٢] من طلاق [أو -[٣]] سراح[٤] أو نحوهما، فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان [هذا -[٣]] القول فى ذلك الزمن، ٥ و ذلك لأن العادة قاضية بأن من قال قولا [و لم يبته -[٣]] و ينجزه و يمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى و هلم جرا، أو يكون التقدير لنقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بعدم البت بالطلاق، فإن كان الظهار معلقا لم يلزم حكمه إلا بالحنث، فان طلق فى الحال[٥] و إلا لزمته [الكفارة - [٣]]، و حق العبارة التعبير باللام لدلالتها[٦] على ١٠ الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف "الى" فانها تدل على مهلة و تراخ، هذا فى الظهار المطلق، و أما الموقت بيوم أو شهر أو نحو ذلك فلا يكون عائدا فيه إلا بالوطىء فى الوقت المظاهر فيه، و أما مجرد إمساكها فليس بعود لأنه إنما أمسكها لما [له - [٧]] فيها من الحل بعد وقت الظهار. ١٥

و لما كان المبتدأ الموصول مضمنا معنى الشرط، أدخل الفاء فى خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال: ﴿ فتحرير ﴾

(١-١) من ظ وم، و فى الأصل: لها ذلك (٢-٢) من ظ وم، و فى الأصل: به الفرقة (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ، و فى الأصل و م: سراحا (٥) من ظ وم، و فى الأصل: الحلال (٦) من ظ وم، و فى الأصل: للالة - كذا. (٧) زيد من ظ.

أى فعليهم بسبب هذا الظهار و العود تحرير ﴿ رقبة ﴾ اى سليمة عن عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة [أيضا - ١] بمؤمنة لأنها قيدت [بذلك - ١] فى كفارة القتل، فيحمل هذا على ذاك، و لأن معاوية ابن الحكم رضى الله عنه كانت له جارية فقال للنبى صلى الله عليه و سلم:
٥ علىّ رقبة أفأعتقها، فسألها رسول الله صلى الله عليه و سلم [٢]عن الله[٢] فأخبرته بما دل على توحيدها[٣] فقال : من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله، قال : أعتقها فانها مؤمنة - رواه[٤] مالك[٥] و مسلم[٦]، فعلل الاجزاء بالإيمان و لم يسأله عن سبب الوجوب، فدل على أنه لا فرق بين واجب و واجب، و الموجب للكفارة [الظهار - ١] و العود جميعا كما أن الموجب فى اليمين [اليمين - ٧]
١٠ و الحنث معا .

و لما كان التحرير لا يستغرق زمن القبل بل يكون فى بعضه، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ و لما كان المراد المس بعد المظاهرة لا مطلقا قال : ﴿ ان يتمآسا ﴾ أى يتجدد منهما مس و هو الجماع سواء كان ابتداء المباشرة منه أو منها بما أفادته صيغة التفاعل، و هو حرام
١٥ قبل التكفير و لو كان على أدنى وجوه[٨] التماس و أخفاها بما أشار إليه الإدغام و لو كان بإيلاج الحشفة فقط مع الإنزال أو بدونه، و أما

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : توحيده (٤) فى ظ : رواها (٥) راجع الموطا - العتق (٦) راجع صحيح مسلم - المساجد (٧) زيد من م (٨) من م، وفى الأصل وظ : الوجوه.

مقدمات الجماع فهي[1] فيها كالحائض لا تحرم على الأظهر ، فان جامع عصى و لم تجب كفارة أخرى ، لما روى الترمذي عن سلمة بن صخر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم في المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، قال: كفارة واحدة[2] .

و لما كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لأجله ، قال ٥ مستأنفا: ﴿ ذلكم ﴾ أي الزجر العظيم جد الذي هو عام لكم من غير شبهة ﴿ توعظون به ﴾ أي يكون / بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة /٣٣٧ مثل ذلك فضلا عن مقارفته لأن من حرم من أحلها الله تحريما متأبدا[3] على زعمه [كان - [4]] كأنه قد قتلها ، و لكون [ذلك - [4]] بلفظ اخترعه و انتهك فيه حرمة [5]أمه كان[5] كأنه قد عصى معصية أو بق بها نفسه ١٠ كلها إيباقا أخرجه إلى [أن - [4]] يقتلها عضوا عضوا باعتاق [رقبة - [4]] تماثل رقبته و رقبة[6] من كان قتلها .

و لما كان التقدير: فالله بما يردعكم بصير، عطف عليه قوله: ﴿ والله ﴾ اى الذي له الإحاطة بالكمال ، و قدم الجار إشارة إلى إرادة المبالغة للتنبيه على الاهتمام بالزام الانتهاء عن ذلك فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ أي تجددون فعله ١٥ ﴿ خبير ﴾ أي عالم بظاهره و باطنه، فهو عالم بما يكفره ، فافعلوا ما أمر الله[7] به و قفوا عند حدوده ، قال القشيري: [و الظهار - [4]] و إن لم يكن له في

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : فهو (٢) مضى الحديث قبل صفحات . (٣) من ظ و م ، و في الأصل : مويدا (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و في الأصل : الله (٦) من ظ ، و في الأصل : رغبة (٧) سقط من م .

الحقيقة أصل و لا بتصحيحه نطق و لا له شرع، بعد ما رفع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمره و لوح بشيء ما و قال: إنه حكمه لم يخل الله من بيان ساق إليه شرعه فقضى فيه بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها.

٥ و لما كانت الكفارة مرتبة، و كان المظاهر كأنه قد قتل نفسه بقتل المظاهر عنها كما مضى، فكان مفتقرا إلى ما يحيي[١] نفسه فشرع له العتق الذى هو كالإحياء، شرع له عند العجز عنه ما يميت نفسه التي[٢] إماتتها له إحياؤها، و كان الشهران نصف المدة التى ينفخ فيها الروح، فكان صومها كنصف قتل النفس التى قتلها إحياء الروح و إنعاش العقل، فكان كأنه

١٠ إماتتها[٣] فجعله سبحانه بدلا عن القتل الذى هو كالإحياء فقال: ﴿فمن لم يجد﴾ أى الرقبة المأمور بها بأن[٤] كان فقيرا، فان كان غنيا و ماله غائب فهو واجد ﴿فصيام﴾ أى فعليه صيام ﴿شهرين﴾. و لما كان المراد كسر النفس كما مضى، و كانت المتابعة أنكا و لذلك[٥] سمى رمضان شهر الصبر، قيد بقوله: ﴿متابعين﴾ أى على أكمل وجوه التتابع على حسب

١٥ الإمكان بما أشار إليه الإظهار، فلو قطع التتابع بشيء ما و لو كان بنسيان النية وجب عليه الاستئناف و الإغماء لا يقطع التتابع لأنه ليس فى الوسع وكذا[٦] الإفطار بحيض أو نفاس أو جنون بخلاف الإفطار بسفر أو مرض[٧] أو خوف[٧]

(١) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٣) من ظ و م، و فى الاصل: اماتها (٤) من م، و فى الاصل و ظ: ان (٥) زيد فى الأصل: شهر رمضان (٦) من ظ و م، و فى الاصل: كذلك (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: خوف أو مرض أو خوف.

على حمل أو رضيع لأن الحيض معلوم فهو مستثنى شرعا، و غيره مغيب [للعقل - [1]] مزيل للتكليف، و أما المرض و نحوه ففيه تعمد الإفطار مع وجود العقل.

و لما كان الإمساك عن المسيس قد يكون أوسع من الشهرين، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ و حل المصدر إفادة [2] لمن يكون ٥ بعد المظاهرة فقال: ﴿ ان يتمآسا ﴾ فان جامع ليلا عصى و لم ينقطع التتابع. و لما كان إطعام نفس قوت نصف يوم كاماتة نفسه بالصيام يوما قال تعالى / : ﴿ فمن لم يستطع ﴾ أى يقدر على الصيام قدرة تامة - / ٢٣٨ بما أشار إليه إظهار التاء لهرم أو مرض أو شبق مفرط يهيجه [3] الصوم ﴿ فاطعام ﴾ أى فعليه إطعام ﴿ ستين مسكينا [4] ﴾ لكل مسكين ما يقوته ١٠ نصف يوم، و هو مد بمد النبى صلى الله عليه و سلم و ذلك نحو نصف قدح بالمصرى، و هو ملء حفنتين بكفى معتدل الخلق [5] من غالب قوت البلد، و هو كما فى الفطرة سواء، و حذف قيد المماسة لذكره فى الأولين، و لعل الحكمة فى تخصيص هذا به أن ذكره فى أول الخصال لا بد منه، و إعادته [5] فى الثانى لطول مدته فالصبر عنه فيها [6] مشقة، و هذا يمكن أن ١٥ يفعل فى لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المماسة، هذا إذا عاد، فان وصل الظهار بالطلاق أو مات أحدهما فى الحال قبل إمكان الطلاق فلا

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعادة (٣) من م. وفى الأصل و ظ: وجيجه (٤) من م، وفى الأصل و ظ: الخلقة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اعتاقه (٦) فى ظ: فيه.

كفارة، قال البغوي[1]: لأن العود [2] في القول[3] هو المخالفة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم فقال: يندمون و يرجعون إلى الألفة، و هذا يدل على ما قال الشافعي رضي الله عنه: فان ظاهر [عن - [3]] الرجعية إينعقد ظهاره[4] فان راجعها لزمته الكفارة لأن الرجعة عود.

٥ و لما ذكر الحكم، بين علته ترغيبا فيه فقال: ﴿ذلك﴾ أي الترخيص العظيم لكم و الرفق بكم و البيان الشافي [5]من أمر[5] الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان ﴿لتؤمنوا﴾ [أي - [6]] و هذا الفعل العظيم الشاق ليتجدد إيمانكم و يتحقق وجوده ﴿بالله﴾ أي الملك الذي لا أمر لأحد معه فتطيعوه بالانسلاخ من

١٠ فعل الجاهلية ﴿و رسوله﴾ الذي تعظيمه من تعظيمه و قد بعث بملة [أبيه - [6]] إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة.

و لما رغب في هذا الحكم، رهب من التهاون به فقال: ﴿و تلك﴾ أي[7] هذه الأفعال المزكية و كل ما سلف من أمثالها في هذا الكتاب

١٥ الأعظم ﴿حدود الله﴾ أي أوامر الملك الأعظم و نواهيه و أحكامه[8] التي يجب امتثالها و التقيد بها لترعى حق رعايتها فالتزموها[9] و قفوا

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٣٨ (٢ - ٢) في المعالم: للقول (٣) زيد من المعالم (٤) من ظ و م، و في الأصل: ظاهرة (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل: لأمر (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و في الأصل: احكامها (٩) من ظ و م، و في الأصل: فالتزموا.

عندها و لا تعتدوها[1] فانه لا يطاق انتقامه إذا تعدى نقضه أو[2] إبرامه ، و لما كان التقدير : فللمؤمنين بها جنات النعيم ، عطف عليه قوله: ﴿ و للكافرين ﴾ أي العريقين في الكفر [بها -[3]] أو بشيء من شرائعه ﴿ عذاب أليم ﴾ بما آلموا المؤمنين به من الاعتداء .

و لما ذكر حدوده ، و لوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى ٥ بشارة حافظها ، و صرح بتهديد متجاوزيها ، أتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن يغلبوا على كثرتهم و قوتهم و ضعف حزبه[4] و قلتهم : ﴿ ان الذين يحآدون الله ﴾ أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها ، و ذلك صورته صورة العداوة ، بجددين ذلك مستمرين عليه بأي محادة [كانت -[5]] ١٠ و لو كانت / خفية[5] - بما أشار إليه الإدغام كمحادة[6] أهل الاتحاد الذين / ٢٣٩ يتبعون المتشابه فيجرونه[7] على ظاهره فيخلون[8] به الحكم لتخل الشريعة بأسرها ، فان كثيرا من السورة[9] نزل في المنافقين و اليهود و المهادنين كما يأتي في النجوى و غيرها ﴿ و رسوله ﴾ الذي عزه من عزه[10] ﴿ كبتوا ﴾ أي صرعوا و كبوا لوجوههم و كسروا و أذلوا[11] و أخزوا فلم يظفروا ١٥

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ولا تتعدوها (٢) من ظ و م ، و في الأصل « و » (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : حزبهم به (٥) من ظ و م ، و في الأصل : حقيقة (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بمحادة (٧) من ظ و م ، و في الأصل : فيجرون (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فيجعلون . (٩) من م ، و في الأصل و ظ : السور (١٠) من ظ و م ، و في الأصل عزره (١١) من ظ و م ، و في الأصل : ازلوا - كذا .

و ردوا بغيظهم فى [كل - ١] أمر يرومونه من أى كانت ٢ كان ٣ بأيسر أمر و أسهله ٣ ، و عبر بالماضى إشارة إلى تحقق وقوعه و الفراغ من قضائه كما فرغ مما مضى ، فلذا قال لتكون الدعوى مقرونــة بدليلها : ﴿ كما كبت الذين ﴾ و لما كان المحادون لم يستغرقوا جميع ٤ الأزمان

٥ الماضية ٤ و الأماكن ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى ٥ المحادين كقوم نوح و من بعدهم ممن أصر على العصيان ، و لم ينقد لدليل و لا برهان ، قال القشيري : و من ضيع لرسول الله صلى الله عليه و سلم سنــة و أحدث في دينه بدعة انخرط في هــذا السلك ، و وقع في هذا الذل .

١٠ و لما استوفى المقام حظه بيانا و ترغيبا و ترهيبا ، عطف على أول السورة أو ٦ على ما يقدر من نحو : فقد كان لكم فيما مضى من أول الإسلام إلى هذا الأوان مما يدل على كونه سبحانه بالنصر و المعونة مع نبيه صلى الله عليه و سلم و أتباعه رضى الله عنهم معتبر ، قوله : ﴿ وقد أنزلنآ ﴾ [أى - ١] بما لنا من العظمة عليكم و على من قبلكم ﴿ ءايٰت بينٰت ﴾

١٥ أى دلالات عظيمة هى في غاية البيان لذلك و لكل ما يتوقف عليه الإيمان بترك المحادة و يحصل الإذعان . و لما كان التقدير : فللمؤمنين بها نعيم مقيم فى مقام أمين ٧ ، عطف عليه قوله : ﴿ و للكٰفرين ﴾ [أى - ١]

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : أمر (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بأمره بأسهله (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل : الزمان الذى مضى ، و فى ظ : الأزمان الذى مضى (٥) زيد فى ظ و م : من (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : امنين .

الراسخين فى الكفر بها و تغيرها من أمر الله ﴿عذاب مهين ج﴾ بما تكبروا و اغتروا على أولياء الله و شرائعه، يهينهم[1] ذلك العذاب و يذهب عزهم و شماختهم و يتركون به محادتهم.

و لما ذكر عذابهم، [ذكر -[2]] وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه و كمال قدرته فقال: ﴿يوم يبعثهم الله﴾ أى يكون ذلك فى ٥ وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم و المؤمنين المشار إليهم احياء كما كانوا ﴿جميعا﴾ [3]فى حال كونهم مجتمعين فى البعث. و لما كان لا أوجع من التبكيت بحضرة بعض[4] الناس فكيف إذا كان بحضرتهم كلهم فكيف إذا كان بمرأى من جميع الخلائق و مسمع، سبب عن ذلك و عقب قوله: ﴿فينبئهم﴾ [أى -[5]] يخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ١٠ ﴿بما عملوا ط﴾ إخزاء لهم و إقامة للحجة عليهم.

و لما كان ضبط ذلك أمرا عظيما، استانف قوله بيانا لهوانه عليه: ﴿احصنه الله﴾ اى أحاط به عددا كما و كيفا و زمانا و مكانا بما له من صفات الجلال و الجمال. و لما ذكر إحصاءه له، فكان ربما [6]ظن أنه[6] مما يمكن فى العادة إحصاؤه، نفى ذلك بقوله: ﴿و نسوه ط﴾ اى كلهم مجتمعين ١٥ لخروجه عن الحد فى الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده و نسوا ما فيه من المعاصى تهاونا بها. و ذلك عين التهاون بالله و الاجتراء عليه،

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لديهم - كذا (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) سقط من م (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يظن انما.

/٢٤٠ قال القشيري : إذا حوسب احد[1] في / القيامة على عمل عمله تصور[2] له ما فعله ثم يذكر حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجل و الندم ما ينسى في جنبه كل عقوبة ، فسبيل المسلم أن [3]لا يخالف أمر مولاه[3] و لا يحوم حول مخالفة أمره[4]، فان جرى المقدور ٥ و وقع في هجنة التقصير فليكن من زلته على بال ، و ليتضرع إلى الله بحسن الابتهال .

و لما كان التقدير بما أرشد إليه العطف على غير مذكور : فالله بكل شيء من ذلك و غيره عليم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أي بما له من القدرة الشاملة و العلم المحيط ﴿ على كل شيء ﴾ على الإطلاق ١٠ من غير مثنوية اصلا ﴿ شهيد ع ﴾ أي حفيظ حاضر لا يغيب ، و رقيب لا يغفل ، حفظه له و رقبه و حضوره إياه مستعل[5] عليه قاهر له باحاطة قهره بكل شيء ليمكن حفظه له على أتم وجه يريده .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن -[6]] الزبير : لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين ، و اعلم ان العالم بأسره ينزهه عن ذلك بألسنة أحوالهم ١٥ لشهادة العوالم [7]على أنفسها[7] بافتقارها لحكيم أوجدها ، لا يمكن [أن -[8]] يشبه شيئا منها بل يتنزه[9] من أوصافها و يتقدس[10] عن سماتها ، فقال

(١) من ظ و م ، و في الأصل : اخذ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : سور - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) في م : امر مولاه (٥) من م ، و في الأصل و ظ : مستقل (٦) زيد من م (٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : بانفسها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و في الأصل : تنزل. (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : قدس .

" سبح لله ما فى السموٰت و الارض " و مضت اى تعرف بعظيم سلطانه
و عليّ ملكه ، ثم انصرف الخطاب إلى عباده فى قوله " امنوا بالله و رسوله "
إلى ما بعد ذاك من الآى ، و كان ذلك ضرب من الالتفات ، و الواقع
[هنا -[1]] منه أشبه بقوله سبحانه فى سورة البقرة " و اذ قال ربك للملٰئكة "
فانه بعد تفصيل حال المتقين و حال من جعل[2] فى طرف منهم و حال ٥
من يشبه بظاهره بالمتقين و هو معدود فى شرار الكافرين ، فلما تم هذا
النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق إلى عبادة الله و توحيده " يٰـأيها الناس
اعبدوا ربكم " ثم عدل بالكلام جملة و صرف الخطاب إلى تعريف نبيه
عليه الصلاة و السلام بين أيدى الخلق " و اذ قال ربك للملٰئكة إنى جاعل
فى الارض خليفة " فجاء ضربا من الالتفات فكذا[3] الواقع هنا بين ١٠
سبحانه حال مشركى العرب و قبح عنادهم[4] و قرعهم و وبخهم فى عدة
سور غالب آيها جار على ذلك [5]و مجدد له أولها[5] سورة « ص » كما نبه عليه
فى سورة القمر ، و إلى الغاية التى ذكرت فيها إلى أن وردت سورة
القمر منبئة بقطع دابرهم ، و انجر فيها [6]الإعذار المنبه[6] عليه و كذا فى سورة
الرحمن بعدها ، ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزل الأخراوى فى سورة ١٥
الواقعة مع زيادة تقريع و توبيخ على مرتكبات استدعت تسبيحه
تعالى و تقديسه عن شنيع فرائهم فأتبعت بسورة[7] الحديد ، ثم صرف فيها

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حصل (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فبكذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عناده (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بحمد الله اوله - كذا (٦ - ٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الاعداد المنبهة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : سورة .

الخطاب إلى المؤمنين، و استمر ذلك إلى آخر السورة، جرت سورة المجادلة على هـذا القصد مصروفا[1] خطابها إلى نازلة تشوف المؤمنين إلى تعرف حكمها، و هو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعد فى الكلام بعد كما كان قد صرف إليه فى قوله "امنوا بالله و رسوله" بأكثر من

٥ التعرض لبيان حكم يقع منهم، ثم أن السور الواردة بعد إلى آخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء[2] ما قصد من التعريف بأخبار القرون / السالفة و الأمم الماضية، و تقريع من عاند و توبيخه، /٢٤١ و ذكر مثال الخلق و استقرارهم الأخراوى، و ذكر تفاصيل التكاليف و الجزاء عليها من الثواب و العقاب، و ما به استقامة [3]من استجاب

١٠ و آمن[3] و ما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف و تأكيدها، فلما[4] كمل ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين فى أحكامهم و تعريفهم[5] بما فيه من خلاصهم، فمعظم آى سورة بعد هذا شأنها، و إن اتجر غيرها فلا ستدعاء موجب و هو الأقل كما بينا - انتهى.

و لما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه و شمول قدرته مع أنه

١٥ بديهى التصور - يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضى للنقص إلى دليل [معه -[6]] فقد كان العرب ينكرون أن يسع الناس كلهم إله

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مصروف (٢) زيد فى الأصل: معظم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: المخبات - كذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: و لما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تقريعهم (٦) زيد من ظ.

واحد، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهودى ليفيد الإنسان بما يراه
من المحسوسات، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم
ذلك حق فهمه[1] غيره: ﴿ الم تر ﴾ أى تعلم علما هو فى وضوحه
كالرؤية بالعين ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال كلها
﴿ يعلم ما فى السموٰت ﴾ كلها ، و لما كان الخطاب لأعلى الخلق، و كان ٥
المقام لإحاطة العلم، و كان خطابه صلى الله عليه و سلم بذلك إشارة للسامعين
إلى وعورة هذا المقام و أنه بحيث لا يكاد يتصوره و لا يفهمه حق فهمه
إلا هو صلى الله عليه و سلم و من ألحق به ممن صفا فهمه و سوى ذهنه
و انخلع من الهوى و العوائق، جمع و أكد باعادة الموصول، فافراده
صلى الله عليه و سلم بالخطاب بعد ان كان مع المظاهرين ثم المجادين ١٠
إشارة إلى التعظيم و تأكيده تنبيه على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق
الرعي توفية بحق التعليم[2] كما رعته الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله
عنها فى قولها " سبحان من وسع[3] سمعه الاصوات[4] " يعنى فى سماعه[5]
مجادلة المراة و هو فى غاية الخفاء فقال تعالى: ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى
كليات ذلك و جزئياته، لا يغيب عنه شيء منه، بدليل أن تدبيره محيط ١٥
بذلك على أتم ما يكون، و هو يخبر من يشاء من أنبيائه و أصفيائه
بما يشاء من أخبار ذلك، القاصية و الدانية، الحاضرة و الغائبة، الماضية

---

(١) من م، و فى الأصل وظ: علمه (٢) من م، و فى الأصل و ظ: التعظيم.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: سمع (٤) مضى فى أوائل هذه السورة.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل و ظ: سمعه.

و الآتية - فيكون كما أخبر .

و لما كان ذلك و إن كان معلوما يتعذر إحاطة الإنسان بكل جزئي[1] منه - دل عليه بما هو أقرب [منه - [2]] فقال : ﴿ ما تكون ﴾ بالفوقانية في قراءة أبي جعفر[3] لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم بها و لو ضغمت[4]
٥ إلى أعظم حد ، و قرأ الباقون بالتحتانية للحائل ، و لأن التأنيث غير حقيقي ، و هي على كل حال من «كان» التامة ، و عمم النفي بقوله : ﴿ من نجوىٰ ﴾ أي تناجي متناجين ، جعلوا نجوى مبالغة ، و النجوى : السر و المسارون ، اسم و مصدر - قاله في القاموس ، و قال عبد الحق في
/٢٤٢ الواعي : النجوى / الكلام بين الاثنين كالسر و التشاور - انتهى . [و - [2]]
١٠ أصله من النجوى - للمرتفع[5] من الأرض ، و النجو : الخلوص و القطع و كشط الجلد و الحدث و الكشف ، لأن المسارر يرفع ما كان في ضميره إلى صاحبه و يخاصه بمسارته له و يقطعه من ضميره و يكشطه منه و يحدثه و يكشفه .

و لما كانت النجوى لا تكمل إلا بثالث[6] يحفظ الأنس بادامة الاجتماع
١٥ لأن الاثنين ينفردان عند عروض حاجة لأحدهما و يكونان [في - [2]] التناجي و التشاور كالمتنازعين ، و الثالث [7] وسط بينهما[7] مع أنه سبحانه

---

(١) من م ، و في الأصل و ظ : جزء (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع نثر المرجان ٢٤٤/٧ (٤) زيد في الأصل و ظ : بها ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها . (٥) من م ، و في الأصل و ظ : المرتفع (٦) في ظ : بثلاث (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : بينهما وسط .

وتر يحب الوتر، و الثلاثة أول أوتار العدد، كما كان حافظاً لها في أزل الأزل قال: ﴿ ثلثة ﴾ أي في حال من الأحوال ﴿ الا هو رابعهم ﴾ أي مصيرهم أربعة، فهو اسم فاعل و المعنى بعلمه و قدرته كما يكون كل من المتناجين عالماً بنجوى البعض، فروح النجوى العلم بالسر.

و لما كان الثلاثة قد يريد أحدهم أن ينفرد بآخر منهم، فيصير به الثالث وحده، فاذا كانوا أربعة دام الأنس بينهم ثم لايكمل إلا بخامس يحفظ الاجتماع إذا عرضت لأحد الاثنين حاجة[1] قال: ﴿ و لا خمسة ﴾ أي من نجواهم ﴿ الا هو سادسهم ﴾ كذلك، فالحاصل أنه ما يكون من وتر إلا كان هو سبحانه شافع وتريته، و أما وتريته [هو - [2]] سبحانه فقد كانت و لا شيء معها أصلا، و ستكون و لاحي معها، فلا وتر في الوجود على الحقيقة غيره. ١٠

و لما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا لمعنى يخصه من[3] جهة بالعلم، عم[4] بقوله: ﴿ و لآ ادنىٰ ﴾ فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير[5] و [هو - [2]] أخفى منه ﴿ من ذلك ﴾ أي الذي ذكر و هو الواحد و الاثنان و الأربعة الذي بعيد عن رتبته و إن كان قد شرفه سبحانه باطلاق معيته بعد أن لا نسبة له منها. ١٥

و لما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره [قال - [6]]:

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: جماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: على (٤) زيد في الأصل: النفي، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و في الأصل: التكثير (٦) زيد ولا بد منه.

﴿ و لآ ﴾ أى يكون من نجوى ﴿ اكثر ﴾ أى من ذلك كالستة فما فوقها لا إلى نهاية - هذا التقدير على قراءة الجماعة بالجر بفتحة[1] الراء و رفع يعقوب[2] على محل من « نجوى » ﴿ الا هو معهم ﴾ أى يعلم ما يجرى منهم و بينهم، و يلزم من إحاطة علمه إحاطة قدرته كما تقدم فى طه
٥ لتكمل شهادته .

و لما كان العموم فى المكان يستلزم [العموم - [3]] فى الزمان، و كان المكان أظهر فى الحس قال: ﴿ اين ما ﴾ أى فى مكان ﴿ كانوا ج ﴾ فانه لامسافة بينه و بين شىء من الأشياء لأنه الذى خلق المسافة، و علمه بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة و لا بسبب
١٠ من الأسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال، قال الرازى: ما فارق الأكوان الحق و لا قارنها، كيف يفارقها و هو موجدها و حافظها و مظهرها، و كيف يقارن[4] الحدث القدم و هو به قوام الكل، و هو القيوم على الكل - انتهى . و الحاصل[5] أنه سبحانه لايخفى عليه شىء من العالم و إن بلغ فى دقته إلى[6] ما لا ينقسم . و هو شاهد
١٥ لذلك كله حفظا و علما و إحاطة و حضورا، و آية ذلك فى خلقه أن جملة الجسم[7] يحيى / بالروح، فلا يبقى جزء منه إلا و هو محفوظ بالروح /٢٤٣

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بفتح (٢) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٥ (٣) زيد ولابد منه (٤) م، و فى الأصل و ظ: يفارق (٥) من ظ و م. و فى الأصل: ليس (٦) فى الأصل: الا - كذا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الاسم .

يحس بسببها[1] و هو سبحانه لا يحجب عليه و لاشيئا من صفاته حجاب، فقد صحت المعية و هو بحيث لايحويه المكان و لايحصره[2] العد، يقبض المخلوق و يبسطه، لايصعد المخلوق و لاصفته و لافعله و لامعنى من معانيه إلى صفة من صفاته، إنما له من المكان المكانة، و من العلم العلا، و من الأسماء و الصفات متقضاها - أشار إلى ذلك ابن برجان و قال: و من ٥ تدبر ما قرأه و تفهم ما تعلمه أدرك من التحقيق ما نحن بسبيل تبيانه ما قدر له، ألا ترى إلى الجن أين مكانهم و إن كانوا موصوفين به ثم الملائكة[3] أرفع قدرا و مكانة، بل إن الروح من جميع الجملة التي تحمله، به حييت و به تدبيرها و به قيامها باذن الله خالقه، قال عليه الصلاة و السلام في خطبته الكبرى و هي آخر خطبة خطبها أخرجها الحارث ١٠ ابن أبي أسامة: رقى[4] المنبر و قال: أيها الناس ادنوا و أوسعوا لمن خلفكم - ثلاث مرات، فدنى الناس و انضم بعضهم إلى بعض، و التفتوا فلم يروا أحدا، فقال رجل منهم بعد الثالثة: لمن نوسع[5] يا رسول الله أللملائكة[6]؟ فقال[7]: لا إنهم إذ كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم [و لامن خلفكم - [8]] و لكن عن أيمانكم و عن شمائلكم، [و على ذلك - [8]] فليسوا في مكان ١٥

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: نشيبها (٢) من ظ و م، و في الاصل: لايحصر (٣) من م، و في الأصل و ظ: ملائكة (٤) من ظ و م، و في الأصل: و في (٥) من ظ و م، و في الأصل: اوسع (٦) و من هنا انقطعت نسخة م إلى ما سننبه عليه (٧) زيد في الأصل: الا، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٨) زيد من ظ.

الأيمان[1] هنا و الشمائل بل فى المكان[2] من ذلك، فالله جل جلاله أعلى و أجل و أنزه مكانة و أكرم استواء - انتهى.

و لما كان الإنسان نساءا و لاسيما إن تمادى [به -[3]] الزمان، قال عاطفا على ما تقديره: فيضبط[4] عليهم حركاتهم و سكناتهم من أقوالهم
٥ و أفعالهم و أحوالهم، و يحفظها على طول الزمان كما كان حافظا[5] لها قبل خلقها ثم أزل الأزل ﴿ ثم ينبئهم ﴾ أى يخبر أصحابها إخبارا عظيما ﴿ بما عملوا ﴾ دقيقة و جليلة ﴿ يوم القيمة[6] ﴾ الذى هو المراد الأعظم من الوجود لإظهار الصفات العلى فيه[6] أتم إظهار. و لما أخبر تعالى بهذا الأمر العظيم، علله بما هو دليل على الشهادة فقال مؤكدا لما لهم [من
١٠ الإنكار -[3]] قولا أو فعلا بالاشتراك الذى [يلزم -[3]] منه النقص ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كلـه. و لما كان المقام للابلاغ فى إحاطة العلم، قدم الجار كما مضت الإشارة إليه غير مرة قال: ﴿ بكل شىء ﴾ مما ذكر و غيره ﴿ عليم ه ﴾ أى بالغ العلم فهو على كل شىء قدير، فهو على كل شىء شهيد، لأن نسبة ذاته الأقدس إلى الأشياء كلها على حد
١٥ سواء لا فرق أصلا بين شىء و آخر، قال القشيرى: معية الحق سبحانه و إن كانت على العموم بالعلم و الرؤية[7] و على الخصوص بالفضل و النصرة، فلهذ الخطاب فى قلوب أهل المعرفة أثر عظيم إلى أن ينتهى الأمر بهم

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ، و فى الأصل: المكانة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: فيغضه (٥) من ظ، و فى الأصل: حافظ (٦) من ظ، و فى الأصل: فيها (٧) من ظ، و فى الأصل: التروية.

إلى

إلى التأويل، فللوله و الهيمان فى خمار سماع هذا عين رغد.

و لما كان هذا الدليل [أيضا-[1]] تتعذر الإحاطة[2] به، قال دالا عليه بأمر[3] جزئى واقع بعلم المحدث عنه حقيقة، فان عاند بعده سقط عنه[4] الكلام إلا بحد الحسام: ﴿ الم تر ﴾ أى تعلم علما هو كالرؤية، و دل على سفول رتبه المرئى بابعاده عن أعلى الناس قدرا بحرف الغاية فقال: ٥ ﴿ الى الذين ﴾ و لما كان العاقل من إذا زجر عن شىء انزجر حتى يتبين له أنه لاضرر عليه فى فعل ما زجر عنه، [عبر-[1]] / بالبناء للفعول فقال: ٢٤٤ / ﴿ نهوا ﴾ أى من ناه ما[5] لاينبغى للنهى مخالفته حتى يعلم أنه مأمون الغائلة ﴿ عن النجوى ﴾ أى[6] الإسرار لإحلال أنفسهم بذلك فى محل التهمة بما لا يرضى [من-[1]] رسول الله صلى الله عليه و سلم - كما قال ١٠ أبو العلاء المعرى:

و الخل كالماء يبدى لى ضمائره[7] مع الصفاء و يخفيها من الكدر[8]

و لما كان الناهى هو الله، فكان هذا للنهى أهلا لأن يبعد منه غاية البعد، عبر بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم يعودون ﴾ أى على سبيل الاستمرار لأنه إذا وقعت مرة بادروا إلى التوبة منها أو فلتة وقعت معفوا عنها ١٥ ﴿ لما نهوا عنه ﴾ أى من غير أن يعدوا لما يتوقع من جهة الناهى من

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لاحاطة (٣) من ظ، و فى الأصل: بامرى (٤) فى ظ: عند (٥) فى الأصل و ظ: مما (٦) فى الأصل و ظ: عن. (٧) من ظ، و فى الأصل: ضماير (٨) من ظ، و فى الأصل: الكمد. (٩) سقط من ظ.

الضرر عدة ﴿ و يتنجون ﴾ أى يقبل جيعهم على المناجاة إقبالا واحدا، فيفعل كل منهم ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار، و قراءة حمزة[1] « و ينتجون » بصيغة الافتعال يدل على التعمد و المعاندة ﴿ بالاثم ﴾ [أى - [2]] بالشيء الذى يكتب عليهم به الإثم بالذنب ٥ و بالكذب و بما لايحل[3] . و لما ذكر المطلق أتبعه المقيد بالشدة فقال: ﴿ و العدوان ﴾ اى العدو الذى هو نهاية فى قصد الشر بالإفراط فى مجاوزة[4] الحدود . و لما كان ذلك شرا فى نفسه أتبعه الإشارة إلى أن الشيء يتغير وصفه بالنسبة إلى من يفعل معه فيكبر بكبر المعصى فقال: ﴿ و معصيت الرسولذ ﴾ أى الذى جاء إليهم من الملك الأعلى، و هو ١٠ كامل الرسلية، لكونه مرسلا إلى جميع الخلق و فى كل الأزمان، فلا نبى بعده، فهو لذلك يستحق غاية الإكرام .

و لما أنهى [5]تعظيم الذنب[5] إلى غايته آذن بالغضب بأن لفت الكلام إلى الخطاب فقال: ﴿ و اذا جآؤك ﴾ أيها الرسول[6] الأعظم الذى يأتيه الوحى ممن أرسله و لم يغب أصلا عنه لأنه المحيط علما و قدرة ﴿حيوك﴾ ١٥ أى واجهوك بما يعدونه تحية من قولهم: السام[7] عليك و نحوه، وعم كل لفظ بقوله: ﴿ بما لم يحيك به اللهلا ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل: مجاوز. (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل: التعظيم (٦) زيد فى الأصل: العظيم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الأصل: السلام .

لأحد معه فمن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ، و مما دخل فيه قول بعض الناس لبعض « صباح الخير » و نحوه معرضا عن السلام . و لما [1]كان المشهور عنهم أنهم[1] يخفون ذلك جهدهم و يعلنون باملاء الله لهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لايطلع عليه ، و إن اطلع عليه [2]لم يقدر على أن ينتقم منهم، عبر عن ذلك بقوله: ﴿ و يقولون ﴾ أى عند ٥ الاستدراج بالإملاء مجددين قولهم مواظبين عليه ﴿ فى انفسهم ﴾ من غير أن يطلعوا عليه أحدا : ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ يعذبنا الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء على زعم من باهانا ﴿ بما نقول[4] ﴾ مجددين مع المواظبة إن كان يكرهه _ كما يقول محمد صلى الله عليه و سلم .

و لما تضمن هذا علمه سبحانه و تعالى بهذه الجزئية من هؤلاء القوم ١٠ فثبت بذلك علمه سبحانه بجميع ما فى الكون ، / لأن نسبة الكل إليه على حد سواء ، فاذا ثبت علمه بالبعض ثبت علمه بالكل [فثبتت قدرته على الكل -[3]] فكان على كل شىء شهيدا ، [قال -[3]] مهددا لهم مشيرا[5] إلى أنه لاينبغى لأحد أن يقول مثل[5] هذا إلا إن كان قاطعا بأنه لايحصل له عذاب ، أو يحصل له منه ما لا يبالى به ثم رده بقوته: ﴿ حسبهم ﴾ ١٥ أى كفايتهم فى الانتقام منهم و فى عذابهم و رشقهم بسهام لهيبها و منكى شررها و تصويب صواعقها ﴿ جهنم ج ﴾ أى الطبقة التى تلقاهم بالتجهم و العبوسة و التكره و الفظاظة . فان حصل لهم فى الدنيا عذاب كان

/ ٢٤٥

(١ - ١) فى ظ : كانوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر (٣) زيد من ظ .
(٤) و من هنا تستأنف نسخة م (٥) سقط من ظ .

زيادة على الكفاية، فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة ﴿يصلونها ج﴾ أى يقاسون عذابها دائما فانى قد أعددتها لهم. و لما كان التقدير: فانهم [يصيرون - [1]] إليها و لا بد، تسبب عنه قوله: ﴿فبئس المصير ه﴾ أى مصيرهم، و سبب ذلك أن اليهود و المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم

٥ و ينظرون إلى المؤمنين [2] و يتغامزون [3] يوهمونهم أنهم يتناجون فيما يسوءهم فيظنون أنه بلغهم شيء من إخوانهم الذين خرجوا فى السرايا غزاة فى سبيل الله من قتل أو هزيمة فيحزنهم ذلك، فشكوا [ذلك - [4]] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فنهاهم عن التناجى فى [5] هذه الحالة فلم ينتهوا . [و - [4]] روى أحمد [6] و البزار و الطبرانى باسناد - قال الهيثمى فى

١٠ المجمع [7] : إنه [8] جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب فى حالة [9] الصحة - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : سام عليك، ثم يقولون فى أنفسهم: لو لا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت . و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنـــه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال عند ذلك : إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب

١٥ فقولوا " و عليك " .

و لما نهى عن النجوى و ذم على فعلها و توعد عليه فكان ذلك

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : ثم انهم (٣) زيد فى الأصل : حتى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) فى ظ : على (٦) راجع المسند ٢/١٧٠ (٧) راجع ٧/١٢٢ (٨) سقط من ظ و م (٩) من ظ و م و المجمع، و فى الأصل : حال .

موضع

موضع ان يظن أن النهى عام لكل نجوى و إن كانت بالخير، استأنف قوله[١] مناديا بالأداة التى لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبرا بأول أسنان[١] الإيمان باقتضاء الحال له: ﴿ يايها الذين امنوآ ﴾ أى ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ اذا تناجيتم ﴾ أى قلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه[٢] و كشفه لصاحبه سرا ﴿ فلا تتناجوا ﴾ أى توجدوا هذه الحقيقة ظاهرة كتناجى المنافقين ﴿ بالاثم ﴾ أى الذنب و كل فعل يكتب بسببه عقوبة . و لما عم خص فقال: ﴿ و العدوان ﴾ أى الذى هو العدو الشديد بما يؤذى و إن كان العادى يظن أنه لا يكتب عليه به إثم . و لما كان السياق لإجلال[٣] النبى صلى الله عليه و سلم مع أنه لا تعرف حقيقه الإثم إلا منه قال تعالى: ﴿ و معصيت الرسول ﴾ أى الكامل فى ١٠ الرسلية[٤] فان ذلك يشوش فكره فلا يدعه يبلغ رسالات ربه / و هو منشرح[٥] / ٢٤٦ الصدر طيب النفس .

و لما علم أن نهيهم إنما هو عن شر يفسد[٦] ذات البين و هو ما لا يريدون إطلاع النبى صلى الله عليه و سلم [عليه -[٧]]، صرح بقوله حثا على إصلاح ذات البين لأن خير الأمور ما عاد [باصلاحها، و شر الأمور ما عاد -[٧]] ١٥ بافسادها: ﴿ و تناجوا بالبر ﴾ أى بالخير الواسع الذى فيه [حسن -[٨]]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فرفعوا .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لاجل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الرسالة.
(٥) فى ظ: مفتوح (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يفيه (٧) زيد من م .
(٨) زيد من ظ و م .

التربية . و لما كان ذلك قد يعمل طبعا، حث على القصد الصالح بقوله : ﴿ و التقوىٰ ﴾ و هي[1] ما يكون في نفسه ظاهرا أنه يكون سترة تقي من عذاب الله بأن يكون مرضيا لله و لرسوله .

و لما كانت التقوى أم المحاسن ، أكـــدها و نبه عليها بقوله :

٥ ﴿ و اتقوا الله ﴾ أي اقصدوا قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم و بين سخط الملك الأعظم وقاية . و لما كانت ذكرى[2] الآخرة هي مجمع المخاوف و لاسيما فضائح الأسرار على رؤس الأشهاد قال : ﴿ الذيّ اليه ﴾ أي خاصة ﴿ تحشرون ﴾ أي تجمعون بأيسر أمر و أسهله بقهر و كره ، و هو يوم القيامة ، فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق و الإنصاف بينهم بالعدل

١٠ و محاسبتهم على النقير و القطمير[3] لايخفى عليه خافية و لاتقي منه واقية تنكشف فيه سرادقات[4] العظمة ، و يظهر [ظهورا - [5]] تاما نفوذ الكلمة ، و يتجلى في مجالي العز سطوات القهر ، و تنبث[6] لوامع الكبر ، فإذا فعلتم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شيء تريدون إخفاءه من النبي صلى الله عليه و سلم ، فيكون ذلك أقر لعينه و أطهر لكم .

١٥ و لما شدد سبحانه في [7]أمر النجوى[7] و كان لايفعلها إلا أهل النفاق ، فكان ربما ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين ، قال سارا للمخلصين

(١) من ظ و م ، و في الأصل : هو (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ذكر . (٣) زيد في الأصل : الفتيل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : مراودات (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و في الأصل و ظ : تثبت (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : امرا .

[و -[1]] غاما للمنافقين، و مبينا أن ضررها إنما يعود عليهم: ﴿انما النجوى﴾ أى المعهودة و هى المنهى عنها، و هى ما كره[2] صاحبه أن يطلع[3] عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قيل: ما خيله الشيطان من الأحكام المكروهة للانسان ﴿من الشيطن﴾ أى مبتدئة[4] من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لأعدى أعدائه ٥ مخالف لأوليائه.

و لما بين أنها منه، بين الحامل له على تزيينها فقال: ﴿ليحزن﴾ أى الشيطان [5]ليوقع الحزن فى قلوب[5] ﴿الذين امنوا﴾ أى يتوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم، و الحزن: هم غليظ و توجع يرق له القلب، حزنه و أحزنه بمعنى، و قال فى القاموس: أ. أحزنه: جعله حزينا، و حزنه: ١٠ جعل فيه حزنا، فعلى هذا قراءة نافع[6] من أحزن أشد فى المعنى من قراءة الجماعة.

و لما كان ربما خيل هذا من فى قلبه مرض أن فى يد الشيطان شيئا [من الأشياء -[1]]، سلب[7] ذلك بقوله: ﴿و ليس﴾ أى الشيطان و ما حمل[8] عليه من التناجى، / و أكد النفى بالجار فقال: ﴿بضارهم﴾ أى ١٥ / ٢٤٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذكره (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يتطلع (٤) فى ظ و م: ممتدة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٠١ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: سبب عن (٨) من ظ و م، و فى الأصل: هو.

الذين آمنوا ﴿ شيئا ﴾ من الضرر و إن قل و إن خفى - بما أفهمه الإدغام ﴿ الا باذن الله ﴾ أى تمكين الملك المحيط [1]بكل شيء[1] علما و قدرة، روى الشيخان[2] عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه.

٥ و لما كان التقدير: فقد علم أنه لا يخشى أحد غير الله لأنه لا ينفذ إلا ما أراده، فاياه فليخش المربوبون، عطف عليه قوله: ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له، لا على أحد غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى الراسخون فى الإيمان فى جميع أمورهم، فانه القادر وحده على إصلاحها و إفسادها، و لا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره و لا بجهره، فانهم إذا ١٠ توكلوا عليه و فوضوا أمورهم[3] إليه، لم يأذن فى حزنهم، و إن لم يفعلوا أحزنهم، و خص الراسخين لإمكان ذلك منهم فى العادة، و أما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم إلا خرق عادة.

و لما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس[4] بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر و تباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس[5] الذى ١٥ هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر فى الكلام فينشأ عنه الحزن، معلما لهم بكمال رحمته و تمام رأفته بمراعاة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢) راجع صحيح البخارى ٢ / ٩٣١ وصحيح مسلم ٢ / ٢١٩ (٣) من م، وفى الأصل وظ: امرهم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: الحس بالكلام و (٥) من ظ و م، وفى الأصل: بالمجن.

حسن

حسن الأدب[1] بينهم و إن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة، فقال مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا فى الإيمان لأنهم المحتاجون لمثل هذا الأدب: ﴿ يٰأيها الذين 'امنوآ ﴾ حداهم بهذا الوصف على الامتثال ﴿ اذا قيل لكم ﴾ اى من أىّ قائل كان فان الخير يرغب فيه لذاته: ﴿ تفسحوا ﴾ أىّ توسعوا[2] اى كلفوا أنفسكم فى إيساع المواضع ٥ ﴿ فى المجلس ﴾ أى الجلوس أو مكانه لأجل من يأتى فلا يجد مجلسا يجلس فيه، و المراد بالمجلس جنس[3] المكان الذى هم ما كثون به بجلوس[4] أو قيام فى صلاة او غيرها لأنه أهل لأن يجلس فيه، و ذلك فى كل عصر، و مجلس النبي صلى الله عليه و سلم أولى بذلك، و قراءة عاصم[5] بالجمع موضحة لإرادة الجنس ﴿ فافسحوا ﴾ أى وسعوا فيه عن سعة ١٠ صدر ﴿ يفسح الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و العظمة الكاملة ﴿ لكم ج ﴾ فى كل ما تكرهون ضيقه[6] من الدارين •

و لما كانت[7] التوسعة يكفى فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة و أخرى تدعو الحاجة فيها إلى القيام للتحول[8] من مكان إلى آخر قال: ﴿ و اذا قيل ﴾ أىّ من قائل كان - كما مضى - إذا[9] كان يريد الإصلاح ١٥

(١) فى ظ : الآداب (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اتسعوا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حلس (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى جلوس (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٥٣ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : ضغة (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : كان (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : المتحول (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : ان .

/ ٢٤٨ و[1] الخير ﴿ انشزوا ﴾ أى ارتفعوا وانهضوا / إلى الموضع الذى تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الأوامر كالصلاة أو الجهاد و غيرهما ﴿ فانشزوا ﴾ [أى - [2]] فارتفعوا و انهضوا ﴿ يرفع الله ﴾ الذى له جميع صفات الكمال، عبر بالجلالة و أعاد[3] إظهارها موضع الضمير
٥ ترغيبا فى الامتثال لما للنفس من الشح بما يخالف المألوف ﴿ الذين امنوا ﴾ و إن كانوا غير علماء ﴿ منكم لا ﴾ ايها المأمورون بالتفسح[4] السامعون للأوامر، المبادرون إليها[5] فى الدنيا و الآخرة بالنصر و حسن الذكر بالتمكن فى وصف الإيمان الموجب لعلو الشأن بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه و سلم فى سعة صدورهم بتوسعتهم لإخوانهم .
١٠ و لما كان المؤمن قد لا يكون[6] من المشهورين[6] بالعلم قال : ﴿ و الذين ﴾ و لما كان العلم فى نفسه كافيا فى الإعلاء من غير نظر إلى مؤت معين، بنى للفعول قوله : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى و هم مؤمنون ﴿ درجت ط ﴾ درجة بامتثال الأمر و أخرى بالإيمان ، و درجة بفضل علمهم و سابقتهم[7] - روى الطبرانى[8] و أبو نعيم فى كتاب العلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
١٥ النبى صلى الله عليه و سلم قال : من جاءه أجله[9] و هو يطلب العلم ليحيى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اراد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتوسع (٥) زيد فى الأصل : بالامتثال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل و م : مشهورا (٧) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) راجع مجمع الزوائد ١ /١٢٣ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اخوه - كذا .

به الإسلام لم يفضله الشيوخ إلا بدرجة واحدة، رواه الدارمي[١] و ابن السني في رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب، قال شيخنا: فقيل: هو البصري فيكون مرسلاً ؛ و عن الوبير: العلم ذكر فلا يحبه[٢] إلا ذكور[٣] الرجال. و كلما كان الإنسان أعلم كان أذكر[٤]، و لعله ترك التقييد بـ «من» في هذا و إن كانت مرادة[٥] ليفهم أن العلم يعلي صاحبه مطلقا، فان كان مؤمنا ٥ عاملا بعلمه كان النهاية، و إن كان عاصيا كان أرفع من مؤمن عاص و عار عن العلم، و إن كان كافرا كانت رفعته دنيوية بالنسبة إلى كافر لا يعلم، و دل على ذلك بختم الآية بقوله مرغبا مرهبا: ﴿و الله﴾ أي و الحال أن المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿بما تعملون﴾ أي حال الأمر و غيره ﴿خبير ه﴾ أي عالم بظاهره و باطنه، فان كان العلم مزينا بالعمل بامتثال ١٠ الأوامر و اجتناب النواهي و تصفية الباطن[٦] كانت الرفعة على حسبه، و إن كان[٧] على غير ذلك فكذلك، [٨]و قدم الجار و مدخوله و إن كان علمه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبيها على مزيد الاعتناء بالأعمال[٨]. لا سيما الباطنة من الإيمان و العلم اللذين هما الروح الأعظم، لأن المقام لنزول الإنسان عن مكانه[٩] بالتفسح و الانخفاض و الارتفاع، و لا يخفى ١٥

(١) راجع السنن ص: ٥٥ (٢) من ظ و م، و في الأصل: فلا يحبيه (٣) من ظ، و في الأصل و م: ذكورة (٤) في ظ: آشد الرجال في الذكورة وافضلهم (٥) من ظ و م، و في الأصل: موافقة (٦) من ظ و م، و في الأصل: البواطن. (٧) من ظ و م، و في الأصل: كانت (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد بعده في الأصل: و مقامه، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

ما فى ذلك من حظ النفس الحامل على الجرى مع الدسائس، فكان جديرا
بمزيد الترهيب، و سبب الآية أن أهل العلم لما كانوا أحق بصدر المجلس
لأنهم أوعى لما يقول صاحب المجلس. كان النبى صلى الله عليه و سلم يقول:
ليلينى أولو الأحلام منكم و النهى[1]، و كان صلى الله عليه و سلم يكرم أهل
٥ بدر[2] / من المهاجرين و الأنصار فجاء أناس من أهل بدر منهم ثابت بن ٢٤٩ /
قيس بن شماس و قد سبق غيرهم إلى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله
عليه و سلم فقالوا: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، فرد
عليهم النبى صلى الله عليه و سلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا
عــلى أرجلهم ينتظرون أن يوسع[3] لهم فلم يفعلوا فقال لمن حوله من
١٠ [غير –[4]] أهل بدر: قم يا فلان و أنت يا فلان، فأقام من المجلس
بقدر القادمين من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم، و عرف النبى
صلى الله عليه و سلم الكراهية فى وجوههم، فقال المنافقون: ألستم تزعمون
أن صاحبكم يعدل، فو الله ما عدل على هؤلاء، إن قوما أخذوا مجالسهم
و أحبوا القرب من نبيهم فأقامهم و أجلس من أبطأ عنه مكانهم، فأنزل الله
١٥ هذه الآية، و كان النبى صلى الله عليه و سـلم يقول «لا يقيم الرجل
[الرجل –[4]] من مجلسه ثم يجلس فيه، و لكن افسحوا يفسح الله لكم»
رواه مسلم[5] عن ابن عمر رضى الله عنهما، و قال الحسن[6]: بلغنى أن

(١) والحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٢ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يوسعوا (٤) زيد من ظ وم (٥) فى الصحيح ٢ /٢١٧ (٦) ذكره البغوى عن الحسن وغيره فى المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٣ .

رسول

رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا قاتل المشركين فصف[١] أصحابه رضى الله عنهم للقتال تشاحوا[٢] على الصف الأول فيقول الرجل لإخوانه: توسعوا لنلقى العدو فنصيب الشهادة، فلا يوسعون له رغبة منهم فى الجهاد و الشهادة، فأنزل الله هذه الآية، و هى دالة على [٣]أن الصالح[٣] إن كره مجاورة فاسق منع من مجاورته لأنه يؤذيه و يشغله عن كثير من مهماته، ٥ و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم: لا ضرر و لا ضرار، و قال: أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول. و قال: شر الناس من لا يأمن جاره بوائقه. فقال[٤] تعالى معظما لرسوله صلى الله عليه و سلم و ناهيا عن إبرامه صلى الله عليه و سلم بالسؤال و المناجاة، و نافعا للفقراء و التمييز[٥] بين المخلص و المنافق و محب الآخرة و محب الدنيا، ١٠ و لما نهى عما يحزن من [٦]المقال و المقام[٦]، و كان المنهى عنه من التناجى إنما هو لحفظ قلب الرسول صلى الله عليه و سلم عما يكدره فهو منصرف إلى مناجاتهم غيره، و كان ذلك مفهما أن مناجاتهم له صلى الله عليه و سلم لا حرج فيها، و كان كثير منهم يناجيه و لا قصد له إلا الترفع بمناجاته فأكثروا فى ذلك حتى شق عليه صلى الله عليه و سلم، و كان النافع للانسان ١٥ إنما هو كلام من يلائمه فى الصفات و يشاكله فى الأخلاق، و كان

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: يصف (٢) من م، و فى الأصل و ظ: قساحوا - كذا (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصالح (٤) من م، و فى الأصل و ظ: و قال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تميزا (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ: المقام و المقال.

رسول الله صلى الله عليه و سلم أبعد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل بغض الله لها، أمر من أراد ان يناجيه بالتصدق ليكون ذلك [1] أمارة على [1] الاجتهاد [2] في التخلق [2] بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن [3] الدنيا و الإقبال على الله، و مظهرا له عما سلف من الإقبال [عليها - [4]] فان
٥ الصدقة برهان على الصدق في الإيمان، و ليخفف عنه صلى الله عليه و سلم / ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا يناجيه إلا من قد خلص [5] / ٢٥٠
إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة [كما أن الهدية تكون مهيئة للقبول كما و رد « نعم الهدية أمام الحاجة » - [5]] فقال تعالى: ﴿ يٰأيها الذين آمنوا ﴾ أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة
١٠ أغنياء كانوا او فقراء ﴿ اذا ناجيتم ﴾ أي أردتم أن تناجوا ﴿ الرسول ﴾ صلى الله عليه و سلم أي الذي لا أكمل منه في الرسلية [6] فهو أكمل الخلق و وظيفته تقتضي أن يكون منه الكلام بما أرسله به الملك و تكون هيبته مانعة من ابتدائه بالكلام، فلا يكون من المبلغين إلا الفعل بالامتثال لا غير ﴿ فقدموا ﴾ أي بسبب هذه الإرادة العالية [7] على سبيل الوجوب
١٥ و مثل النجوى كشخص [8] له يدان يحتاج أن يطهر نفسه ليتأهل للقرب من الرسول صلى الله عليه و سلم [فقال - [4]] : ﴿ بين يدي نجواكم ﴾ أي

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: اشارة الى (٢ - ٢) من ظ و م، و في الأصل: بالتخلق (٣) من ظ و م، و في الأصل: الى (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و في الأصل: الرسالة (٧) من ظ و م، و في الأصل: الغالبة (٨) في ظ: شخص.

قبل سركم الذى تريدون أن ترتفعوا به ﴿ صدقة ﴾ تكون لكم[1] برهانا قاطعا على إخلاصكم كما ورد أن الصدقة برهان، فهى مصدقة لكم فى دعوى الإيمان التى هى التصديق بالله تعالى و رسوله[2] صلى الله عليه و سلم و بكل ما جاء به عن الله تعالى، و معظمه الإعراض عن الدنيا و الإقبال على الآخرة، و لذلك[3] استأنف[4] قوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الخلق العالى جدا من ٥ تقديم التصدق قبل المناجاة يا خير الخلق، و لعله أفرده بالخطاب لأنه لا يعلم كل ما فيه من الأسرار غيره. و عاد إلى الأول فقال: ﴿ خير لكم ﴾ أى فى دينكم من الإمساك عن الصدقة ﴿ و اطهر ﴾ لأن الصدقة طهرة و نماء و زيادة فى كل خير، و لذلك[5] سميت زكاة "خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها" و التعبير بأفعل لأنهم مطهرون [قبله -[6]] بالإيمان. ١٠

و لما أمر بذلك، و كانت عادته أن لا يكلف بما فوق الوسع للتخفيف على عباده لاسيما هذه الأمة قال: ﴿ فان لم تجدوا ﴾ أى ما تقدمونه.

و لما كان المعنى الكافى فى التخفيف: فليس عليكم شىء، دل عليه بأحسن منه فقال: ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، و أكده ١٥ لاستبعاد مثله فان المعهود من الملك إذا ألزم رعيته[7] بشىء أنه لا يسقطه[8]

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: له (٢) من ظ و م، و فى الأصل: برسول الله (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شبه ذلك (٤) زيد فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك. (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: رغبته (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لا يسقط.

أصلا و رأسا ، و لاسيما إن كان يسيرا ، و دل على أنه سبحانه لن يكلف بما فوق الطاقة بقوله : ﴿ غفور رحيم ه ﴾ أى له صفتا[1] الستر للمساوئ و الإكرام باظهار المحاسن ثابتتان[2] على الدوام فهو يغفر و يرحم تارة بعدم العقاب للعاصى[3] و تارة للتوسعة للضيق بأن ينسخ ما يشق [إلى ما

٥ يخف -[4]] ، و هذه الآية قيل : إنها نسخت قبل العمل بها ، و قال على رضى الله عنه[5] : ما عمل بها أحد غيرى ، أردت المناجاة و لى دينار فصرفته بعشرة دراهم و ناجيته عشر مرات أتصدق فى كل مرة بدرهم ، ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس ، فنزلت الرخصة فى ترك الصدقة ، و روى النسائى فى الكبرى و الترمذى[6] و قال : حسن غريب و ابن حبان

١٠ و أبو يعلى و البزار[7] عن على رضى الله عنه أنه قال : لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مرهم أن يتصدقوا ، قلت : بكم/ يا رسول الله ؟ /٢٥١ قال : بدينار ، قلت : لا يطيقون ، قال : فنصف دينار ، قلت : لا يطيقون ، قال : فبكم ؟ قلت[8] : بشعيرة : قال[9] رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنك لزهيد ، فأنزل الله تعالى " ءاشفقتم " الآية ، و كان على رضى الله عنه يقول : بى

١٥ خفف الله عن هذه الأمة ، و عدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن يكون لم يجد عند[10] المناجاة شيئا أو أن [لا -[11]] يكون احتاج

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : صفات (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثابتان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للعاصى (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٤٤ (٦) راجع الجامع ٢/١٦٣ (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/١٢٢ (٨) فى ظ وم : قال (٩) زيد فى ظ وم : له (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه (١١) زيد من م .

إلى

إلى المناجاة .

و لما دل ختم الآية على التخفيف ، و كان قد يدعى مدعون عدم الوجدان كذبا[1] فيحصل لهم حرج ، و كان تعالى شديد العناية بنجاة هذه الأمة دل على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه ، فقال موبخا لمن يشح على المال نادبا إلى الخروج عنه من غير إيجاب : ﴿ ءاشفقتم ﴾ أى خفتم ٥ من العيلة لما يعدكم بـه الشيطان من الفقر خوفا كاد أن يفطر قلوبكم ﴿ ان تقدموا ﴾ [أى -[2]] باعطاء الفقراء و هم إخوانكم ﴿ بين يدى نجوىكم ﴾ أى للرسول صلى الله عليه و سلم ، و جمع لأنه أكثر توبيخا[3] من حيث أنـه يدل على أن النجوى تتكرر ، و ذلك يدل على عـدم خوفهم من مشقة النبي صلى الله عليه و سلم من ذلك و وجود خوفهم من فعل ١٠ التصدق فقال : ﴿ صدقت ﴾ و كان بعضهم ترك و هو واجد فبين سبحانه رحمته لهم بنسخها عنهم لذلك فى موضع العقاب لغيرهم عند الترك .

و لما كان من قبلنا [إذا -[2]] كلفوا الأمر الشاق و حملوا على التزامه بمثل رفع الجبل فوقهم ، فاذا خالفوا عوقبوا ، بين فضل هذه الأمة بأنه خفف عنهم ، فقال معبرا بما قد يشعر بأن بعضهم ترك عن قدرة : ١٥ ﴿ فاذ ﴾ أى لحين ﴿ لم تفعلوا ﴾ أى ما أمرتم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا الإشفاق ﴿ و تاب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى كان من شأن ما هو عليه من العظمة أن يعاقب من ترك أمره ﴿ عليكم ﴾ أى رجع

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كذب (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

بمن[1] ترك الصدقة عن وجدان، و بمن تصدق و بمن لم يجد إلى مثل حاله قبل ذلك من سعة الإباحة و العفو و التجاوز و المغفرة و الرخصة و التخفيف قبل الإيجاب و لم يعاقبكم على الترك و لا على ظهور اشتغال ذلك منكم، قال مقاتل بن حيان[2]: كان ذلك عشر ليال [3]ثم نسخ[3]، و قال الكلبي[2]:
٥ ما كانت إلا ساعة من نهار . و على كل منهما[4] فهي لم تتصل بما قبلها نزولا و إن اتصلت بها تلاوة و حلولا ﴿ فاقيموا ﴾ بسبب العفو عنكم شكرا على هذا الكرم و الحلم ﴿ الصلوة ﴾ التي هي طهرة[5] لأرواحكم و وصلة لكم بربكم ﴿ و اتوا الزكوة ﴾ التي هي نزاهة لأبدانكم و تطهير[6] و نماء لأموالكم و صلة باخوانكم، و لا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه،
١٠ فالصلاة نور تهدي إلى المقاصد الدنيوية و الأخروية، و تعين على نوائب الداوين، و الصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة .

و لما خص أشرف[7] العبادات البدنية و أعلى المناسك المالية، عم فقال حاثا على زيادة النور و البرهان اللذين بهما تقع المشاكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن[8] أعظم [9]إقبال و إتفاق[9] فقال: ﴿ و اطيعوا الله ﴾
٢٥٢ / ١٥ / أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إبداعه لكم على ما أنتم عليه أحد

(١) من ظ و م، و في الأصل: من (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٠ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م، و في الأصل: منها (٥) من ظ و م، و في الأصل: ظهر (٦) من ظ و م، و في الأصل: تطهيرا (٧) من ظ و م، و في الأصل: اشراف (٨) من م، و في الأصل وظ: من (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: الاقبال

﴿ و رسوله ؕ ﴾ الذى عظمته من عظمتـــه فى سائر ما يأمر[1] به فانه ما أمركم لأجل إكرام رسولكم صلى الله عليه و سلم إلا بالحنيفية السمحة، و جعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على النجوى .

و لما كان قد عفا عن أمر أشعر السياق بأنه وقع فيه تفريط ، فكان ٥ ذلك ربما[2] جرى على انتهاك الحرمات ، رهب من جنابه باحاطة العلم ، و عبر بالخبر لأن أول الآية و بخ على أمر باطن و لم يبالغ بتقديم الجار لما فيها من الأمور الظاهرة . فقال عاطفا على ما تقديره : فالله يحب الذين يطيعون: ﴿ و الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿ خبير بما تعملون ؏ ﴾ أى تجددون عمله ، يعلم بواطنه كما يعلم ظواهره . ١٠

و لما أخبر باحاطة علمه ردعا[3] لمن يغتر[4] بطول حلمه ، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذى هو أبطن الأشياء ، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق صلى الله عليه و سلم تنبيها على أنه لايفهم ذلك حق فهمه غيره : ﴿ الم تر ﴾ و دل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال : ﴿ الى الذين تولوا ﴾ أى تكلفوا بغاية جهدهم ١٥ أن جعلوا أولياءهم الذين ينزلون بهم أمورهم ﴿ قوما ﴾ ابتغوا عندهم[5] العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة ﴿ غضب الله ﴾ أى الملك

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يأمركم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : امر بما - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ودعا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تعر - كذا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عنده .

الأعلى الذى لا ند[1] له ﴿ عليهم ﴾ أى على المتولين و المتولَّين[2] لأنهم قطعوا ما بينهم و بينه، و الأولون هم المنافقون تولوا اليهود، و زاد فى الشناعة عليهم بقوله مستأنفا: ﴿ ما هم ﴾ أى اليهود المغضوب عليهم ﴿ منكم ﴾ أيها المؤمنون لتوالوهم خوفا من السيف و رغبة فى السلم ﴿ و لا منهم ﴾ أى المنافقين، فتكون موالاتهم لهم[3] لمحبة سابقة و قرابة شابكة، ليكون ذلك لهم عذرا، بل هم مذبذبون. فهم مع المؤمنين بأقوالهم، و مع الكفار بقلوبهم. فما تولوهم إلا عشقا فى النفاق لمقاربة[4] ما بينهم فيه، أو يكون المعنى: ما المنافقون المتولون من المسلمين و لا من اليهود المتولين، و زاد فى الشناعة عليهم بأقبح الأشياء الحامل على كل رذيلة، فقال ذاكرا لحالهم فى هذا الاتحاد: ﴿ و يحلفون ﴾ أى المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار، و دل بأداة الاستعلاء على أنهم[5] فى غاية الجرأة على استمرارهم[6] على الأيمان الكاذبة بأن التقدير: مجترئين ﴿ على الكذب ﴾ فى دعوى الإسلام و غير ذلك مما يقعون فيه من عظائم الآثام، فاذا عوتبوا عليه بادروا إلى الإيمان .

و لما كان الكذب قد يطلق فى اللغة على ما يخالف الواقع و إن كان عن غير تعمد بأن يكون[7] الحالف يجهل عدم مطابقته للواقع، قال

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مذل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المولين.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لتقارب (٥) من م، و فى الأصل و ظ: انه.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: الاستمرار (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كان - كذا.

نافيا لذلك مبينا انهم جراوا على اليمين الغموس: ﴿ و هم يعلمون ﴾ أي أنهم كاذبون فهم متعمدون[1]، و ذلك[2] أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه: يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل و كان أزرق أسمر قصيرا[3] خفيف / اللحية، فقال / ٢٥٣
النبي صلى الله عليه و سلم: علام تشتمني أنت و أصحابك، فحلف بالله ما ٥
فعل، فقال له: فعلت. فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت.

و لما أخبر عن حالهم، أتبعه الإخبار عن مآلهم، فقال دالا - كما[4] قال القشيري - [على أن -[5]] من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب من هو غضبان عليه، فمن تولى مغضوبا عليه من قبل الله استوجب غضب الله[6] و كفى بذلك هوانا [و -[7]] حزنا و حرمانا، معبرا ١٠
بما دل على أنه أمر قد فرغ منه: ﴿ اعد الله ﴾ أي الذي له العظمة الباهرة فلا كفوء له، و عبر بما دل على التهكم بهم فقال: ﴿ لهم عذابا ﴾ أي امرا قاطعا[8] لكل عذوبة ﴿ شديدا ﴾ يعلم من [9]رآه و رآهم[9] أن ذواتهم متداعية إليه ضعيفة عنه.

(١) من م، و في الأصل و ظ: يتعمدون (٢) الحديث ذكره البغوي في المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٠ (٣) من ظ و م، و في الأصل: قصير (٤) من ظ و م، و في الأصل: ولذلك (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و في الأصل: قال عاطفا (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: يراه ويراهم.

و لما اخبر بعذابهم، علله[1] بما دل على[2] انه واقع فى أتم مواقعه فقال مؤكدا تقبيحا على من كان يستحسن افعالهم[3]: ﴿انهم سآء﴾ أى بلغ الغاية مما يسوء، و دل على أن ذلك كان لهم كالجبلة بقوله: ﴿ما كانوا يعملون ﴾ أى يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين ٥ و نصحهم الكافرين و عيبهم للاسلام و أهله، و اجترائهم على الأيمان الكاذبة، و أصروا على ذلك حتى زادهم التمرن عليه جرأة على[4] جميع المعاصى.

و لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم[3] و مداومتهم عليها، أكد ذلك بقوله: ﴿ اتخذوآ ﴾ أى كلفوا فطرهم الأولى المستقيمة لما لهم من ١٠ العراقة فى اعوجاج الطبع و المحبة للأذى[5] ﴿ايمانهم﴾ الكاذبة التى لا تهون على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ﴿ جنة ﴾ أى وقاية و سترة من كل ما يفضحهم من النفاق كائنا ما كان، أو يوجب قتلهم بما يقع منهم من الكفران.

و لما كان علمهم بأنه يرضى منهم بالظاهر و يصدق أيمانهم [6]هو الذى[6] ١٥ جرأهم على العظائم، فكانوا يرغبون الناس فى النفاق بعاجل الشهوات

(١) من ظ و م، و فى الأصل: علل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليه.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: حالهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى الأذى (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الذى هو.

و يثبطونهم[1] عن الدين بما فيه من عاجل الكلف[2] و آجل الثواب ، سبب عن[3] قبول إيمانهم قوله مظهرا بزيادة التوبيخ [لهم -[4]] : ﴿ فصدوا ﴾ أى كان قبول ذلك منهم و تأخير عقابهم سببا لإيقاعهم الصد ﴿عن سبيل الله﴾ أى شرع الملك[5] الأعلى الذى هو الطريق إلى رضوانه الذى هو سبب الفوز الأعظم ، فانهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول ٥ فى الإسلام و يوهون أمره و يحقرونه ، و من رآهم قد خلصوا من[6] المكاره بأيمانهم الحانثة [و -[7]] ردت عليهم الأرزاق استدراجا و حصلت لهم الرفعة عند الناس بما رضونهم من أقوالهم المؤكدة بالأيمان غره ذلك فاتبع سنتهم فى أقوالهم و أفعالهم . و نسج على منوالهم ، غرورا بظاهر أمرهم ، معرضا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزاء خداعهم و مكرهم ، ١٠ و أجرى الأمر على أسلوب التهكم باللام التى تكون فى المحبوب فقال : ﴿ فلهم ﴾ / أى فتسبب عن صدهم أنهم كان لهم ﴿عذاب مهين ۝﴾ جزاء / ٢٥٤ بما طلبوا بذلك[8] الصد [9]إعزاز أنفسهم[9] و إهانة أهل[10] الإسلام .

و لما كان لهم أموال و أولاد يتعززون بها ، قال مستأنفا [دالا -[4]] على أن من استتر بجنة دون طاعته لتسلم دنياه وراءه تكشف لسهام ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يثبطون (٢) فى ظ : الكلفة (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : عنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ملك . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اعزازا لانفسهم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لاهل .

التقدير من حيث لا يشعر، ثم لا دينه يبقى و لا دنياه تسلم: ﴿لن تغنى﴾ أي بوجه من الوجوه ﴿ عنهم ﴾ أي فى الدنيا و لا فى الآخرة بالافتداء و لا بغيره ﴿ اموالهم ﴾ و أكد النفى باعادة النافى للتنصيص على كل منهما فقال: ﴿ و لآ اولادهم ﴾ أي بالنصرة و المدافعة ﴿ من الله ﴾ أى ٥ إغناء[1] مبتدئا من الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿شيئا ط﴾ أى من إغناء و لو قل جدا، فمهما أراد بهم سبحانه كان و نفد و مضى، لا يدفعه شيء تكذيبا لمن قال منهم: لئن كان يوم القيامة لنكون أسعد فيه منكم كما نحن الآن و لننصرن بأنفسنا و أموالنا و اولادنا . و لما انتفى الإغناء المبتدئ من الله [فانتفى - [2]] بانتفائه كل إغناء سواه، أنتج ذلك قوله: ١٠ ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من كل خير [﴿ اصحٰب النار ط﴾ - [2]] و لما أفهمت الصحبة الملازمة، أكدها بقوله: ﴿ هم ﴾ أى خاصة لاضمحلال عذاب غيرهم - لكونهم فى الهاوية - فى جنب عذابهم ﴿ فيها ﴾ أى خاصة دون شيء يقصر عنها ﴿ خٰلدون ٭ ﴾ أى مقيمون باقون دائمون لازمون إلى غير نهاية .

١٥ و لما كان إفسادهم لذات البين سرا، و حلفهم على نفى ذلك جهرا مع الإلزام[3] بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه و تعالى بأنه كذب غائظا موجعا، و كان ربما توهم متوهم أنه تعالى كما ألزم بقبولنا لما ظهر منهم فى دار العمل يأمر بقبولهم فى دار الجزاء، قال نافيا لذلك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مغناه (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اللازم .

معزيا

معزيا للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد[1] كشف الغطاء و تحقيق
الأمور ، لأن الإنسان يبعث على ما مات عليه ، لأن ذلك جبلته التي
لاينفك عنها . و لاينفعهم ذلك ، ذاكرا ظرف الخلود و إظهار التعذيب[2] :
﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ أي الملك[3] الذي له جميع صفات الكمال باحيائهم عما
كانوا [4]فيه من الموت[4] و ردهم إلى ما كانوا قبله ﴿ جميعا ﴾ لايترك أحدا ٥
منهم و لامن غيرهم إلا أعاده إلى ما كان [عليه] قبل موته ﴿ فيحلفون ﴾
أي فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم و معاينة ما كانوا يكذبون به
من البعث و النار أنهم يحلفون ﴿ له ﴾ أي الله في الآخرة أنهم مسلمون
فيقولون : و الله ربنا ما كنا مشركين . و نحوه من الأكذوبات التي
تزيدهم ضررا . و لاتغنى عنهم شيئا بوجه من الوجوه ، جريا على ما طبعوا ١٠
عليه من إيثار[5] الهوى و القصور على النظر في المحسوسات التي ألفوها
﴿ كما يحلفون ﴾ في الدنيا ﴿ لكم ﴾ لكونكم لاتعلمون الغيب مع[6] توقعهم
أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك مرارا ، و حلفهم ناشيء عن اعتقاد بعدهم
من القبول فانه لا يحلف لك[7] إلا من يظن[8] أنك تكذبه ؛ / قال القشيري : / ٢٥٥
عقوبتهم الكبرى ظنهم الأجنبية ، و غاية الجهد كبهم على مناخرهم في ١٥
وهدة ندمهم[9] .

(١) من ظ و م ، و في الأصل : مع (٢) في ظ : التعريف (٣) ليس في ظ و م .
(٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، و في الأصل : اياز
- كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك (٨) في م :
ظن (٩) من م ، و في الأصل و ظ : تذمهم .

و لما كان[1] الذى يحملهم على الإقدام على ذلك ضعف عقولهم و توغلهم فى النفاق و مرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم بأن ذلك لاينجيهم لإحاطة علمه سبحانه، عبر بالحسبان، فقال دالا على أنهم فى الغاية من الجهل و قلة العقل: ﴿ و يحسبون ﴾ أى فى القيامة ٥ بأيمانهم الكاذبة ﴿ انهم على شيء ﴾ أى يحصل لهم به نفع لتخيلهم أن أيمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت [2]فى الدنيا تنجيهم[2].

و لما أفهم ذلك أن أمورهم لاحقائق لها لا فى إخباراتهم و لا فى أيمانهم و لا فى حسبانهم، [قال مناديا عليهم مؤكدا لتكذيب حسبانهم -[3]]: ﴿ الآ انهم ﴾ أى خاصة ﴿ هم الكذبون ۝ ﴾ أى المحكوم بكذبهم فى ١٠ حسبانهم و فى أخبارهم فى الدارين لعراقتهم فى وصف الكذب حيث لا يستحيون من الكذب عند الله.

و لما كان هذا الانهماك فيما لايغنى مما يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه مرة من الدهر، فضلا عن ملازمته، أخبر عن الحامل لهم عليه، فقال مستأنفا: ﴿ استحوذ ﴾ أى طلب ان يغلب ١٥ و يسوق و يسرع و يضرب الحوطة و يحث و يقهر و يستولى ﴿ عليهم الشيطن ﴾ مع [أنه] طريد و محترق، و وجد منه جميع ذلك، و وصل منهم إلى ما يريده، و ملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا

---

(١) زيد فى الأصل: وكان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: تنجيهم فى الدنيا (٣) زيد من ظ و م.

رعيته و أقطاعه. و صار هو محيطا بهم من كل جهة، غالبا عليهم ظاهرا و باطنا، من قولهم: حذت الإبل أى استوليت عليها، و حاذ [1]الحمار العانة[1] - إذا جمعها و ساقها غالبا لها، و الحوذ: السوق السريع[2]، و منه الأحوذى: الخفيف فى المشى لحذقه. و جاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم يبن على حاذ كافتقر[3] فانه لا مجرد له، لم يقولوا: فقر. ﴿ فانسىٰهم ﴾ أى ٥ فتسبب عن استحواذه عليهم أنه أنساهم ﴿ ذكر الله ﴾ أى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى بعد أن كان ذكره مركوزا فى فطرهم الأولى، فصاروا لا يذكرونه أصلا[4] بقلب، لا لسان.

و لما كان ذلك، [5]أنتج و لا بد[5] قوله: ﴿ اولىٓئك ﴾ أى الذين[6] أحلوا أنفسهم[7] أبعد منزل ﴿ حزب الشيطٰن ﴾ أى اتباعه و جنده ١٠ و جماعته و طائفته و أصحابه [8]و المحدقون به[8] و المتحيزون إليه لدفع [ما - [9]] حزبه اى نابه و اشتد عليه، المبعدون المحترقون[10] لأنهم تبعوه و لم يخافوا [فى - [9]] مجازيـــته و إنفاذ ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص و معايب، و هم مطبوعون على بغضه، و تركوا من [له - [9]] الكمال كله، و ذكره وحبه مركوز فى فطرهم، فلذلك كانت ترجمة هذا و نتيجته قوله: ١٥

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: الجهار الغاية (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المربع (٣) من م، و فى الأصل و ظ: فتفر - كذا (٤) زيد فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ، وفى الأصل و م: ولا بد انتج (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الذى (٧) فى م: نفوسهم. (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: المتحرقون.

﴿ الآ ﴾ و أكد لظنهم الربح بما لهم فى الدنيا من الكثرة و ظهور
التعاضد و الاستدراج بالبسط و السعة فقال : ﴿ ان / حزب الشيطن ﴾ ٢٥٦ /
أى الطريد المحترق ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخسرون ه ﴾ أى العريقون
فى هذا الوصف لأنهم لم يظفروا بغير الطرد و الاحتراق .

٥ و لما بين ما أوصلهم[١] إليه نسيان الذكر من الخسار ، بين أنه أوقعهم
فى العداوة ، فقال معللا الخسار [٢]و النسيان و التحزب[٢]، و أكد تكذيبا[٣]
لحالفهم على نفى ذلك مظهرا[٤] موضع الإضمار للتنبيه على الوصف الموقع
فى الهلاك : ﴿ ان الذين يحآدون ﴾ و لعل الإدغام لستره ذلك بالايمان،
و يفهم منه الحكم [على - [٥]] من جاهر بطريق الأولى ﴿ الله ﴾ أى
١٠ يفعلون مع الملك الأعظم الذى لا كفوء له فعل من ينازع آخر فى أرض
فيغلب على طائفة منها[٦] فيجعل لها حدا لايتعداه خصمه ﴿ و رسوله ﴾
الذى عظمته من عظمته .

و لما كانوا لايفعلون ذلك إلا لكثرة اعوانهم[٧] و أتباعهم ، فيظن
من رآهم أنهم الأعزاء الذين لا أحد[٨] أعز منهم ، قال تعالى نفيا لهذا
١٥ الغرور الظاهر : ﴿ اولٓئك ﴾ أى الأباعد الأسافل ﴿ فى الاذلين ه ﴾ [أى - [٥]]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اصلهم (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العداوة و التخويف (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : تاكيدا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مظهر (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منهم . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : انواعهم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : احدا.

الذين يعرفون أنهم اذل[١] الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه[٢] الآذل مطلقا من غير مفضل عليه ليعم [٣]كل من[٣] يمكن منه ذل، و ذلك فى الدنيا و الآخرة سواء كانوا فارس و الروم أو أعظم منهم سواء كانوا ملوكا كفرة كانوا أو فسقة، كما قال الحسن : إن للمعصية فى قلوبهم لذلا، و إن طقطقت بهم اللجم . و لما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك ٥ [بما يدل على - [٤]] أنه[٥] سبحانه لا شريك له باتمام كلماته بنصر أوليائه على ضعفهم و خذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه [غيب -[٦]] محض لا دلالة[٧] عليه إلا بأفعاله فقال: ﴿ كتب ﴾ أى فعل فعل من أبرم أمرا[٨] فرغ منه و كتبه فأوجب و حتم و قضى و بت ﴿الله﴾ [أى الملك -[٦]] الذى لا كفوء له ﴿ لاغلبن ﴾ [٩]اكد لما لهم[٩] من ظن الغلب بالكثرة ١٠ و القوة ﴿انا و رسلى ﴾ أى بقوة الجدال و شدة الجلاد، فهو صادق بالنسبة إلى من بعث بالحرب ، و إلى من بعث بالحجة، و علل هذا القهر بقوله مؤكدا لأن افعالهم [١٠]مع أوليائه[١٠] أفعال من يظن ضعفه : ﴿ ان الله ﴾ [أى -[٦]] الذى له الأمر كله ﴿ قوى ﴾ فهو يفيض من[١١] باطن قوته

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اولى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انه .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : بانه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الاصل : دلة .
(٨) من م ، و فى الاصل : امر (٩ - ٩) من ظ و م ، و فى الأصل : و اكد ضلالهم (١٠ - ١٠) من ظ و م ، و فى الاصل : بأوليائه (١١) من ظ و م ، و فى الاصل : على .

ما يظهر به ظاهر قدرة أوليائه ، فان القوى من له استقلال باطن بما يحمله القائم فى الأمر و لو ضوعف عليه ما عسى أن يضاعف و حمايته مما يتطرق إلى الإخلال بشـــدة و بطش منبعث عن ذلك الاستقلال الباطن ، و ما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة ، فلا اقتدار يظهر من الخلق ٥ إلا بالاستناد إلى القوة بالله ، و لا قيام بالحقيقة لباطن إلا بالله الذى بيده ملكوت كل شيء ، فلذلك كان بالحقيقة لا قوى إلا هو .

و لما كان القوى[1] من المخلوقات[1] قد يكون غيره[2] [أقوى من غيره - [3]] و لو فى وقت ، [نفى - [3]] ذلك[4] بقوله : ﴿ عزيز ﴾ أى غالب غلبة لا يجد معها المغلوب نوع / مدافعة و انفلات[5]، ثابت له هذا الوصف دائما . /٢٥٧

١٠ و لما ظهر بهذا كالشمس أن من والاه[6] سبحانه كان فائزا ، و من عاداه كان خاسرا ، كانت نتيجته قطعا التحذير من موالاة أعداء الله فى سياق النفى المفيد للمبالغة فى النهى عنه و الزجر عن قربانه فقال[7] : ﴿ لا تجد ﴾ أى بعد هذا البيان ﴿ قوما ﴾ أى ناسا لهم قوة على [8]ما يريدون محاولته[8] ﴿ يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان و يديمونه ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الأسماء ١٥ الحسنى و الصفات العلى ﴿ و اليوم الأخر ﴾ الذى هو موضع الجزاء لكل عامل [بكل ما - [3]] عمل ، الذى هو محط الحكمة ﴿ يوآدون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : غير . (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : بينه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : انقلاب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لاذ به (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : محاولة ما يريدونه

أي يحصل منهم ود [لا -[1]] ظاهرا و[2] لا باطنا - بما أشار إليه الإدغام و أقله الموافقة في المظاهرة[3] ﴿من حآد الله﴾ أي عادى[4] بالمناصبة في الحدود الملك[5] الأعلى لذلك فالمحادة[6] لا تخفى و إن كانت باطنة يستتر بها صاحبها، لأن الظاهر عنوان الباطن، و الأفعال دليل [على - [1]] الأقوال، و هذا حامل على زيادة[7] النفرة منهم ﴿و رسوله﴾ فان من حاده فقد حاد ٥ الذي أرسله، بل لا تجدهم إلا يحادونهم، لا أنهم يوادونهم، و زاد ذلك تأكيدا بقوله: ﴿ولو كانوا اباءهم﴾ الذين أوجب الله على الأبناء[8] طاعتهم بالمعروف، و ذلك كما فعل أبو عبيدة عامر[9] بن الجراح رضى الله عنه، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ﴿او ابنآءهم﴾ الذين جبلوا على محبتهم و رحمتهم كما فعل أبو بكر رضى الله عنه فانه دعا ابنه يوم بدر ١٠ إلى المبارزة، و قال: دعني يا رسول الله أكن في الرعلة الأولى. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك بمنزلة سمعي و بصري[10]. ﴿او اخوانهم﴾ [الذين -[11]] هم أعضادهم[12]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: او (٣) من ظ و م، و في الأصل: الظاهر (٤) من ظ و م، في الأصل: عاداه (٥) من ظ و م، و في الأصل: للملك (٦) في ظ و م: المحادة (٧) من ظ و م، و في الأصل: ارادة (٨) من ظ و م، و في الأصل: ابنائهم (٩) الكلمة ساقطة من ظ و م. (١٠) و كل هذا، مع ما يأتي، ذكره البغوي من طريق عبد الله بن مسعود - راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٤٦ (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ، و في الأصل و م: اعضاده.

كما فعل مصعب بن عمير رضى الله عنه ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد و خرق سعد[1] بن أبى وقاص رضى الله عنه الصفوف يومئذ على أخيه عتبة ابن أبى وقاص غير مرة ليقتله فراغ عنه روغان[2] الثعلب ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : أتريد أن تقتل نفسك ، و قتل [محمد - [3]]
٥ ابن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف اليهودى رأس بنى النضير ﴿ او عشيرتهم ﴾ الذين هم أنصارهم و أمدادهم[4] كما فعل عمر رضى الله عنه ، قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة[5] يوم بدر و على[5] و حمزة و عبيدة بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر بنى عمهم عتبة و شيبة ابنى[6] ربيعة و الوليد بن عتبة ، و عن الثورى[7] [8] أن
١٠ السلف[8] كانوا يرون أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان - انتهى .
و مدار ذلك على أن الإنسان يقطع رجاءه من غير[9] الله ، و إن لم يكن كذلك لم يكن مخلصا فى إيمانه .

و لما كان لا يحمل على البراءة ممن[10] هذا شأنه إلا صريح الإيمان ، أنتج قوله : ﴿ اولـٓئك ﴾ أى الأعظمون شأنا الأعلون همما ﴿ كتب ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : سعيد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : رواع . (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م . و فى الأصل : اندادهم (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و على ديره - كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ابنا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : النورى (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عن - مع يسير من البياض (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : دون (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل ممن .

أى

أى / وصل و اثبت وصلا هو فى لحمته كالخرز فى الأديم، و كالطراز[1] / ٢٥٨
فى الثوب الرقيم، فلا انفكاك له ﴿ فى قلوبهم الإيمان ﴾ لجعلها[2] أوعية
له فأثمر ذلك نور الباطن و استقامة الأعمال فى الظاهر ﴿ و ايدهم ﴾
أى قواهم و شددهم و أعانهم و شجعهم و عظمهم و شرفهم ﴿ بروح ﴾
أى نور شريف جدا يفهمون به ما أودع فى كتابه و سنة رسوله صلى الله ٥
عليه و سلم من كنوز العلم و العمل[3] فهو لقلوبهم كالروح للأبدان، فلا
يفعلون شيئا من أحوال [اهل ـ[4]] الجاهلية كالمظاهرة، و زاد هـــذا
التأييد شرفا بقوله: ﴿ منه[3] ﴾ أى أحياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم فى
وقت من الأوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا[5] و باطنا، فقهروا
بالدلائل و الحجج، و ظهروا بالسيف المفنى للهج، و عملوا الأعمال الصالحة ١٠
فكانوا للدنيا كالسرج، فلا تجد شيئا أدخل [6]فى الإخلاص[6] من موالاة
أولياء الله و معاداة أعدائه، بل هو عين الإخلاص، و من جنح إلى
منحرف عن دينه أو داهن مبتدعا فى عقده نزع الله نور التوحيد
من قلبه.

و لما أخبر بما اتاهم فى الدنيا و هو غير مفارق لهم فى الآخرة، ١٥
أخبر بما يؤتيهم[7] فى الآخرة فقال: ﴿ و يدخلهم جنت ﴾ أى بساتين

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الطراز (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جعلها.
(٣) العبارة من هنا الى «فلا انفكاك» ساقطة من ظ (٤) زيد من م (٥) من
ظ و م، و فى الأصل: ظاهر (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: للاخلاص.
(٧) من ظ و م، و فى الاصل: يتوهم.

يستر داخلها من كثرة أشجارها، و أخبر عن ريها بقوله : [﴿ تجرى ﴾ و لما كانت المياه لوعمت الأرض لم يكن بها مستقر، أثبت الجار فقال -[1]] : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ أى فهى لذلك كثيرة الرياض و الأشجار و الساحات و الديار . و لما كان ذلك لايلذ إلا بالدوام قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ .

٥ و لما كان ذلك لايتم الا برضا مالكها قال : ﴿ رضى الله ﴾ أى الملك[2] الأعظم الذى له الأمر كله فلا التفات إلى غيره ﴿ عنهم ﴾ و لما كان ذلك لايكمل سروره إلا برضاهم ليتم حسن المجاورة قال : ﴿ و رضوا عنه ﴾ أى لأنه أعطاهم فوق ما يؤملون . و لما أخبر عنهم بما يسر كل سامع فيشتاق[3] إلى مصاحبتهم و معاشرتهم و مرافقتهم ومقاربتهم[4]،

١٠ و مدحهم و عرفهم بقوله : ﴿ اولئك ﴾ أى الذين هم فى الدرجة العليا من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله علما منهم بأنه ليس النفع [و الضر -[5]] إلا بيده ﴿ حزب الله ﴾ أى جند الملك الأعلى[6] الذى [أحاط -[1]] بجميع صفات الكمال و أولياءه، فانهم[7] هم يغضبون له و لايخافون فيه لومة لائم . و لما تبين مما[8] أعد لهم و أعد لأضدادهم أنهم المختصون بكل

١٥ خير، قال على طريق الإنتاج مما[9] مضى مؤكدا لما لأضدادهم من الأنكاد : ﴿ الآ ان حزب الله ﴾ اى جند الملك الأعلى و هم هؤلاء الموصوفون و من

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ملك .
(٣) من ظ وم ، و فى الأصل : مشتاق (٤) من م ، و فى الاصل ظ : مراقبتهم.
(٥) زيد من م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين هم.
(٨) من ظ ، و فى الأصل و م : ما (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

والاهم ﴿ هم ﴾ أى خاصة [١]لا غيرهم[١] ﴿ المفلحون ؏ ﴾ أى الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين ، و قد علم من الرضى من الجانبين و الحزبية و الإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأبيد ، خصهم بذلك لأن له / العزة و القوة و العلم و الحكمة ، / ٢٥٩
فلذلك علم أمر المجادلة و رحم شكواها لأنها من حزبه و سمع لها ، و من ٥
سمع له فهو مرضى عنه ، و حرم الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته لأنه منابذ للحكمة [٢]لأنه تشبيه[٢] خارج عن قاعدة التشبيهات[٣] ، و فيه امتهان للأم التى لها فى دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التى هى محل الافتراش ، و ختم آيها[٤] بأن من تعدى حدوده فعاود[٥] أحوال الجاهلية فهو يجادله سبحانه فهو من حزب الشيطان ، فقد عاد [٦]آخرها إلى أولها[٦] بأدل دليل ١٠
على أحسن سبيل ، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث و أقوم قيل ، و هذا مقصود التى بعدها ، و لاشك أنه موجب للتنزيه مبعد عن التشريك و التشبيه ، فسبحان من أنزله آية دائمة البيان ، موجبة للايمان ، قامعة للطغيان ، على مدى الدهور و تطاول الأزمان[٧] .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الاصل : بسببه - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشبهات (٤) فى م : أيتها . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فعادوا (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اولها الى آخرها (٧) فى م : الزمان .

سورة الحشر[1] و تسمى سورة النضير[2]

مقصودها بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص باثبات القدرة الشاملة بدليل[3] شهودى على أنه يغلب هو و رسله، و من حاده فى الأذلين. لأنه قوى عزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم
٥ [للحكمة البالغة المستلزمة -[4]] للحشر المظهر لفلاح المفلح و خسار الخاسر على وجه الثبات الكاشف أتم كشف لجميع صفات الكمال، و أدل[5] ما فيها على ذلك تأمل قصة [بنى -[6]] النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر الحقيق بالقدرة عليه بعد إطباق الولى و العدو على[8] ظن أنه لا يكون، فلذا[7] سميت بالحشر و ببنى النضير لأنه سبحانه و تعالى حشرهم بقدرته من المدينة
١٠ الشريفة إلى خيبر و الشام و الحيرة ثم حشرهم [و غيرهم -[6]] من اليهود الحشر الثانى من خيبر إلى الشام الذى هو آية الحشر الأعظم إلى أرض الحشر لقهر هذا النبى الكريم أهل الكتاب المدعين لأنهم[9] أفضل الناس

(١) التاسعة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آيها (٢٤) بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ٢٦٦ (٢) من ظ و م و معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٦، و فى الأصل: النصر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بدل. (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فكذا (٨) من م، و فى الأصل: الحشر. (٩) من م، و فى الأصل و ظ: انهم.

و أنهم مؤيدون بما[1] لهم من الدين الذى أصله قويم[2] بما لوحت إليه الحديد كما قهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح فثبت بظهور دينه على كل دين على حد سواء كما وعد به سبحانه صدقه فى كل ماجاء به بعد التوحيد[3] - الإيمان بالبعث الآخر لأنه محط الحكمة و موضع إظهار النقمة و الرحمة[4] ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى لا راد ٥ لأمره[5] فلا خلف لعباده ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إيجاده فلا محيص عن معاده ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص أهل وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم فيوجب لهم الفوز باسعاده[6] .

/ لما[7] ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته، و مذل أهل معصيته / ٢٦٠ و محادته، علله بتنزهه[8] عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال: ﴿ سبح ﴾ ١٠ أى أوقع التنزيه[9] الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿ لله ﴾ الذى أحاط بجميع [صفات -[10]] الكمال .

و لما كان الكفار من جميع بنى آدم قد عبد بعضهم الشمس

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : لما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قومم . (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لحكمه (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : بالسعادة ، و زيد بعده فى الأصل : فى الدنيا و الآخرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ولما (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بتنزيهه (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : التشبه (١٠) زيد من ظ .

و بعضهم القمر و بعضهم [غيرهما من -[1]] الكواكب ، و كانت الكواكب مبثوثة فى السماوات كلها لا تخص سماء بعينها وكذا الملائكة ، جمع دلالة على أن الكل عبيد فقال: ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كلها . و لما كان الكلام فى النهى عن موادة الذين يحادون الله ، وكان ذلك لمن دون

٥ الخلص ، أكد باعادة النافى لاحتياجهم للتأكيد فقال: ﴿ و ما ﴾ و لما كان جميع ما عبدوه مما أشركوا به من الأرضيات من شجر و صنم و بقر و غيرها لا يعد و الأرض التى هم عليها ، أفرد فقال: ﴿فى الارض ج﴾ .

و لما شمل هذا جميع العالم ، أشار إلى أن عظمته لاتنتهى فقال : ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شىء

١٠ و لايمتنع عليه شىء[2] ﴿الحكيم ۝﴾ الذى نفذ علمه[3] فى الظواهر و البواطن و أحاط بكل شىء فأتقن[4] ما أراد ، فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلا ، و إلى بيان ما له من العزة و الحكمة سبيلا .

و قال الإمام [5]أبو جعفر[5] بن الزبير: لا خفاء باتصال آيها بما[6] تأخر من آى سورة المجادلة ، ألا ترى أن قوله تعالى " يٰا يها الذين امنوا لا تتولوا

١٥ قوما غضب الله عليهم " إنما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء سريرتهم و عظيم جرأتهم ثم قال فى آخر السورة " لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله " فحصل من هذا كله

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حكمه . (٤) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .

تنفيز المؤمنين عنهم و إعلامهم بأن بغضهم من الإيمان و ودهم من النفاق لقبيح ما انطووا عليه و شنيع[1] ما ارتكبوه، فلما أشارت هذه الآي إلى ما ذكر أتبعت بالإعلام في أول سورة الحشر بما عجل لهم من هوانهم[2] و إخراجهم من ديارهم و أموالهم و تمكين المسلمين منهم، جريا على ما تقدم الإيماء إليه من سوء مرتكبهم، و التحمت الآي باتحاد المعنى ٥ و تناسبه[3] و تناسج الكلام، و افتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما أشار إليه غضبه تعالى عليهم إذ لا يكون إلا على أعظم جريمة و أسوإ مرتكب وهو اعتداؤهم وعصيانهم المفصل في مواضع من الكتاب و قد قال تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم "أولئك شر مكانا و أضل عن سواء السبيل" و قال تعالى "لعن الذين كفروا من بني إسراءيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون" فبين تعالى أن لعنته إياهم إنما ترتبت على عصيانهم و اعتدائهم، و قد فصل اعتداءهم أيضا في مواضع، فلما كان الغضب[4] مشيرا إلى ما ذكر من عظيم الشرك، أتبعه سبحانه و تعالى / تنزيه نفسه جل و تعالى فقال "سبح لله ما في السموات و ما / ٢٦١ في الارض" و إنما يرد[4] مثله من التنزيه أثر جريمة تقع من العباد و عظيمة ١٥ يرتكبونها و تأمل ذلك حيث وقع، ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل تعالى بأهل الكتاب مما يتصل[5] بما تقدم، ثم تناسجت الآي - انتهى.

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: تشنيع (٢) من ظ و م، و في الأصل: هوانهم (٣) زيد في الأصل: أيضا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و في الأصل: يسره (٥) من م، و في الأصل و ظ: يتوصل.

و لما نزه نفسه الأقدس دل على ذلك التنزه [و - [1]] على العزة و الحكمة بدليل شهودى من أنه أنفذ ما كتب من أنه يغلب [هو - [2]] و رسله و من [3] أنه كبت الذين حادوه و خيب ظن الذين نافقوا ، فتولوا اليهود من [3] أهل الكتاب ليعتزوا [4] بهم ، فأذل اليهود و طردهم من مهبط
٥ الوحى و أخزى المنافقين الذين جعلوهم محط [5] اعتمادهم و موضع ولايتهم و ودادهم ، فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده من غير إيجاف [6] خيل و لا ركاب ﴿ الذىّ اخرج ﴾ على وجه القهر ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما فى كتبهم من الشواهد [7] التى تشهد [7] لمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه النبى الخاتم و ما فى فطرهم الأولى من أن اتباع الحق أحق ، و قبح عليهم كفرهم
١٠ بقوله موضع "من بنى النضير" أو "اليهود" مثلا : ﴿من اهل الكتب﴾ أى الذى انزله الله على رسوله موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم ، و فى التعبير بـ « كفروا » إشعار بأنهم الذين أزالوا بالتبديل أو الإخفاء ما قدروا عليه مما بقى من التوراة دالا على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .
و لما كان الوطن عديل الروح لأنه للبدن كالبدن للروح ، فكان
١٥ الخروج منه فى غاية العسر ، دل على مزيد قهرهم به بأن قال : ﴿من ديارهم ﴾ و لما كان منهم من جلى من المدينه الشريفة إلى خيبر ، و هم آل أبى الحقيق و آل حيى بن أخطب و لحق سائرهم بأريحا من

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يعزوا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : محل .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : إيجاب (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

أرض

أرض الشام أرض المحشر، و لحق بعضهم بالحيرة، لوح إلى فتح خيبر وحشرهم منها حشرا ثانيا بقوله معللا أو[1] موقتا: ﴿ لاول ﴾ أي لاجل أول أو عند أول ﴿الحشر[1]﴾ و في ذلك إشارة إلى أن كل بلد حشروا إليه سيفتح، و يزلزلون [منه -[2]] زلزلة أخرى، لا تزال مصائبهم بأهل الإسلام قائمة حتى يكون الحشر الأعظم بالقيامة، و الحشر[3]: الجمع من ٥ مكان و السوق إلى غيره بكره، و سمي أولا لأنهم أول من أجلي من اليهود من جزيرة العرب، و الحشر الثاني لهم من خيبر على زمن عمر رضي الله عنه[4]، و عند ابن إسحاق[5] أن إجلاءهم في مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من أحد و فتح قريظة في مرجعه من الأحزاب و بينهما سنتان، قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: اخرجوا، قالوا: إلى أين، ١٠ قال: إلى أرض المحشر، و قال ابن عباس[6] رضي الله عنهما: من شك أن المحشر بأرض الشام فليقرأ هذه الآية. انتهى، [7]و هذا الحشر[7] يدل على المحشر الأعظم و بينه [على قوله -[8]] صلى الله عليه و سلم[9]: بعثت أنا و الساعة كهاتين.

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: و (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) هذا قول الكلبي - كما في المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٨ (٥) و قول ابن إسحاق ذكره البغوي في المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٧ (٦) وقول ابن عباس ذكره البغوي في المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٨ (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: هذه الآية (٨) زيد من ظ و م. (٩) زيد بعده في الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

و لما كان قد أخبر أن حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته ، / استأنف شرح ذلك بقوله : ﴿ما ظننتم﴾ أى أيها المؤمنون ﴿أن يخرجوا﴾ أى يوقعوا الخروج من[1] شيء أورثتموه[2] منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم و شدة بأسهم و شكيمتهم و قرب بنى قريظة [منهم -[3]] فكانوا بصدد مظاهرتهم ، و أهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم وكلهم أهل ملتهم ، و المنافقون من أنصارهم و أسرتهم ، فخابت ظنونهم فى جميع ذلك و فالت آراؤهم و سلط[4] عليهم المؤمنون على قلتهم و ضعفهم ؛ و إذا أراد الله نصرة عبد استأسد أرنبه و اذا أراد قهر عدو استنوق[5] أسده .

و لما كانت الحصون تمنع إلى[6] إتيان الأمداد قال : ﴿وظنوا أنهم﴾ و دل على قوة ظنهم و ثباته بالجملة الاسمية فقال : ﴿مانعتهم حصونهم﴾ أى ثابت لها المنع و لهم الامتناع . قالوا : و فى تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها و منعها إياهم ، و فى جعل ضميرهم[7] اسم "أن" [و -[8]] إسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عز[9]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اريتموه .
(٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : استونق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ضمير اسم (٨) زيد من ظ و م .
(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غير .

و منعة لامطمع معها فى معازّتهم[1]، و دل على ضعف عقولهم بأن[2] عبر عن[2] جنده باسمه و باسمه الأعظم فقال: ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم[3] الذى لا عز[4] إلا له و أنتم جنده، لا تقاتلون إلا فيه و به، بأسكم من بأسه، فقد اجتمع الظنان على شيء واحد. و لما كان إسناد ما للضاف إلى المضاف إليه شائعا فى لسان العرب و كثيرا[4] جدا[5] لأنه لايلتبس على من[6] له إلمام ٥ بكلامهم، و بليغا[7] جدا لما له من العظمة، قال: ﴿ فاتـٰهم الله ﴾ أى جاءهم الملك الأعظم الذى لايحتملون مجيئه بما صور لهم من حقارة[8] أنفسهم التى اضطرتهم إلى الجلاء ﴿ من حيث لم يحتسبوا ق ﴾ أى من الجهة التى لم يحملوا أنفسهم على حسبها[9] و هى خذلان المنافقين لهم رعبا كرعبهم و استضعافا كاستضعاف أنفسهم[9] عن مقاومة جند الله بعد أن كان الشيطان ١٠ زين لهم غير ذلك، و ملأ قلوبهم من الأطماع الفارغة حتى قطعوا بما[10] مناهم و قربه لهم و أغواهم.

و لما كان التقدير: فاوهنهم الله[11] بذلك، عطف عليه قوله: ﴿ و قذف ﴾ أى أنزل إنزالا كأنه قذفه بحجارة، فثبت و ارتكز ﴿ فى قلوبهم الرعب ﴾

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معادهم (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: عين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأعز (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كثير (٥) زيد فى الأصل: ما أفوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بليغ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: بها (١١) سقط من ظ

أى الخوف الذى سكنها قرضها و ملأها و عبر منها إلى جميع قواهم فاجتثها من [1]أصلها، ثم[1] بين حالهم عند ذلك أو[2] فسر قذف الرعب بقوله: ﴿ يخربون بيوتهم ﴾ أى يبالغون - على قراءة أبى عمرو[3] بالتشديد - فى إخرابها، أى إفسادها[4]، فإن الخربة الفساد، و قراءة[5] غيره يفهم الفعل المطلق الذى لاينافى المقيد ﴿ بايديهم ﴾ ضعفا منهم - بما أشار إليه جمع القلة، و يأسا من قوتهم ليأخذوا ما استحسنوا من آلاتها، فكان الرجل منهم [لما -] تحملوا للرحيل يهدم[6] بيته عن نجاف بابه و ما[7] استحسن من خشبه فيضعه على ظهر بعيره فيأخذه / و ينقب الجدار و يهدم السقف حسدا للسلمين أن يسكنوها بعدهم لأن النبى صلى الله عليه و سلم أمرهم أن يخلوا له[8] عن البلد ولهم ما حملت إبلهم.

و لما كان السبب فى تخريب الصحابة رضى الله عنهم لبيوتهم[9] ما أحرقوهم به من المكر و الغدر[10] كانوا كأنهم أمروهم بذلك، فنابوا عنهم فيه، فقال[11] أيضا بجمع القلة للدلالة على أن الفعل له سبحانه وحده: ﴿ و ايدى المؤمنين ق ﴾ أى الراسخين فى الإيمان استيلاء و غلبة عليهم و قد كان المؤمنون يخربون ما ضيق عليهم المجال منها[12] لأجل القتال، و قدم

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اصلابها و (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) راجع نثر المرجان ٧/٢٦٨ (٤) فى ظ و م: فسادها (٥) زيد من م. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يحمل (٧) من م، و فى الأصل: مما (٨) من م، و فى الأصل و ظ: لهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بيوتهم (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: العز (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فقالوا. (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: منهم.

تخريبهم لأنه أعجب .

و لما كان في غاية الغرابة أن يفعل[1] الإنسان في نفسه كما يفعل فيه[2] عدوه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاعتبروا ﴾ أي احملوا أنفسكم بالإمعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا[3] من ظواهر العلم في هذه القضيـة بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن ٥ لاتعدوا لكم ناصرا من الخلق و لاتعتمدوا على غير الله ، فان الاعتبار - كما قال القشيري - أحد قوانين الشرع ، و من لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره - انتهى . و قد احتج بالآية مثبتو القياس فانه مجاوزة من الأصل إلى الفرع ، و المجاوزة اعتبار ، و هو مأمور به في هذه الآية فهو[4] واجب .

و لما كان الاعتبار عظيم النفع ، لايحصل إلا للكمل ، زاده تعظيما ١٠ بقوله تعالى : ﴿ يٰأولى الابصار ه ﴾ بالنظر بأبصاركم و بصائركم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم من إظهار دينه و [5]إعزاز نبيه[5] و لا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المنافقين ، [6]فان من[6] اعتمد على مخلوق أسلمه ذلك إلى صغاره و مذلته ، و لا تلموا بغدر كما أرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه و سلم ١٥ فيطرحوا عليه و هو قاعد بفناء دار من دورهم رحى من السطح ليقتلوه [بها -[7]] - زعموا ، و لاتفعلوا شيئا من قبيح أفعالهم لئلا يحصل لكم مثل

(١) في م : يعمل (٢) من ظ و م ، و في الأصل : في (٣) من ظ و م ، و في الأصل : يصيروا (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : هو (٥-٥) من ظ وم ، وفي الأصل : اعتزاز دينه (٦-٦) من م ، وفي الأصل وظ : وان (٧) زيد من ظ وم .

دكالهم كما أحكمه قوله صلى الله عليه و سلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم" الحديث، و ذلك الغدر منهم بعد أن حرضوا قريشا على غزوة أحد و دلوهم على بعض العورات، و قال البغوى[1]: إن كعب بن الأشرف أتى قريشا بعد أحد فى أربعين راكبا فحالفهم على النبى صلى الله عليه ٥ و سلم فنزل جبريل عليه السلام عليه يخبره بذلك، و قال[2]: إنه لما قصدهم[3] عليه السلام أرسلوا إليه أن يخرج فى ثلاثين و يخرج منهم ثلاثون[4] ليسمعوا منه، فإن آمنوا به آمن الكل. فأجابهم فأرسلوا أن الجمع كثير فأخرج فى ثلاثة ليخرج ثلاثة منا[5]، فأرسلت امرأة منهم إلى أخيها و كان مسلما أنهم اشتملوا على الخناجر يريدون الفتك برسول الله صلى الله عليه ١٠ و سلم فكف صلى الله عليه و سلم عن ذلك، و كل ما ذكر من أسباب قصتهم / [كما ترى -[6]] دائر على المكر بل هو عين المكر.

/٢٦٤

و لما دل هذا على غاية الوهن منهم[7] فكان موضع التعجب من الكف[8] عن قتلهم[8]، بين أن السبب فى ذلك أمره الباهر و عزه القاهر حثا على ما ختم به الآية السابقة[9] من الاعتبار و التدبر و الاستبصار ١٥ فقال: ﴿ و لولآ ان كتب الله ﴾ أى فرض فرضا حتما الملك الذى له

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٦ (٢) راجع العالم بهامش اللباب ٧ / ٤٧ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قدمه (٤) من ظ و م والعالم، و فى الأصل: ثلاثين (٥) من م، وفى الأصل و ظ: منها، وفى العالم: من علمائنا. (٦) زيد من ظ و م (٧) فى ظ: فيهم (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: من قبلهم (٩) من ظ و م. و فى الأصل: السابقة.

الأمر كله، و دل على أنه كتب إذلالا و إخزاء بقوله: ﴿ عليهم ﴾ أى بخصوصهم فيما كتب على بنى إسراءيل فى الأزل كما كتب على بنى قينقاع ﴿ الجلآء ﴾ أى الخروج من ديارهم و الجولان فى الأرض، فاما معظمهم فأجلاهم بخت نصر من بلاد الشام إلى العراق، و أما هؤلاء فحماهم الله بمهاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذلك الجلاء و جعله على ٥ يدى[1] رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأجلاهم فذهب بعضهم إلى خيبر و بعضهم إلى الشام مرة بعد مرة ﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ أى بالسيف كما سيفعل[2] بأخوالهم من بنى قريظة الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء من قتل المقاتلة و سبى الذرية، فانه تعالى قد قضى قضاء حتما أنه يطهر المدينة بلد الوحى منهم. ١٠

و لما كان التقدير: و لكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الآن فى الدنيا لامحالة و إن اجتمع أهل الأرض على نصرهم، عطف عليه قوله على طريق التهكم بالتعبير بأداة النفع: ﴿ و لهم ﴾ أى[3] على كل حال أجلوا أو تركوا ﴿ فى الاخرة ﴾ التى هى دار البقاء ﴿ عذاب النار ﴾ و هو العذاب الأكبر. ١٥

و لما أخبر بما نالهم فى الدنيا و ينالهم فى الآخرة، علله[4] بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر [العظيم -[5]] الذى فعله بهم من الجلاء و مقدماته

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فعل.
(٣) سقط من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٥) زيد من م.

[فى الدنيا -[1]] و يفعله بهم فى الآخرة ﴿ بانهم ﴾ و لما كانوا قد ضموا فى هذه القضية[2] إلى ما كانوا عليه من الكفر الظاهر كفرا[3] باطنا بما أرادوا من إلقاء الرحى و غيره من الأذى مكرا منهم، أدغم[4] فى قوله: ﴿ شآقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة، فكانوا فى شق ٥ غير شقه بأن صاروا فى شق الأعداء المحاربين بعد ما كانوا فى شق الموادعين .

و لما جازى[5] رسول الله صلى الله عليه و سلم إخفاءهم لما أرادوا [أن -[1]] يفعلوا به بالإخفاء[6] لخلاصه منهم بأن رجع إلى المدينة الشريفة و ترك أصحابه رضى الله عنهم عندهم[7] قال: ﴿ و رسوله ج ﴾ الذى إجلاله ١٠ من إجلاله . و لما أخبر بفعله و بسببه، عطف عليه تأكيدا لمضمونه و إفادة لأنه يفعل فى غيرهم ممن كان على أمرهم أعظم من فعلهم فقال: ﴿ و[8] من يشآق الله ﴾ أى يوقع فى الباطن مشاقة الملك الأعلى الذى لا كفوء له فى الحال أو الماضى أو الاستقبال سواء أبطن معها مشاقة أخرى أو لا، و ترك الإدغام على حاله لأنهم ما أظهروا معاداة[9] وإنما كان ما ١٥ فعلوا مكرا و مساترة، و ذلك أخف من المجاهرة، و أظهر[10] فى الأنفال

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: القصة (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حاذى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالاعطاء (٧) من ظ و م. و فى الأصل: عنهم (٨) ليس فى الأصل (٩) فى ظ: المعاداة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: ظهر .

لقوة

لقوة [أمر -[1]] المجاهرين[2] كما مضى، و لم يعد ذكر الرسول تفخيما له [3]بافهام أن[3] مشاقته مشاقة / لله من غير مثنوية أصلا، و إشارة إلى أنهم / ٢٦٥
بالغوا فى إخفاء مشاقتهم، فلم يظهر عليها غير الله، فلم يحصل منهم فى ذلك مفاعلة بينهم و بين الرسول صلى الله عليه و سلم فانه لم يمكر بهم، و إنما جاهرهم[4] حين أعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم فى الأنفال، فان ٥
المقام اقتضى هناك الذكر لأنهم مكروا به كما قال تعالى "و اذ يمكر بك الذين كفروا" الآية و هو صلى الله عليه و سلم أخفى أمر هجرته و أعمل الحيلة فى الخلاص من مكرهم على حسب ما أمره الله به فحصلت[5] المفاعلة فى تحيز كل من الفريقين إلى شق غير شق الآخر خفية ﴿فان الله﴾
أى المحيط بجميع العظمة يشدد عقابه له لأنه ﴿شديد العقاب﴾ و ذلك ١٠
كما فعل ببنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم[6] و أظهروا المشاقة فى غزوة الأحزاب و كما فعل أهل خيبر، و كانوا يماكرون و يساترون فى الأولى[7] عند فتحها و فى الثانية[8] عند إجلائهم منها، فقد سوى بين المساترين و المجاهرين[9] فى العذاب و هو للمجاهرين[10] أشد عذابا كما هو واضح.

و لما دل سبحانه على عزته و حكمته بما فعل ببنى النضير الذين يقولون ١٥

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المجاهدين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٤) فى ظ: جاهدهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لحصل (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عهده (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الأول (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الثانى (٩) من م، و فى الأصل و ظ: المهاجرين (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: للهاجرين.

إنهم أشجع الناس و أشدهم شكيمة بما لهم من الأصالة و الاصطفاء على العالمين، مع التأييد بالكتاب و الحكمة، و ختم بأن من شاق رسوله فقد شاقه، و من شاقه فقد شدد عقابه، أتبعه بيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضى الله عنهم بأمر النبي صلى الله عليه و سلم لنخلهم الذي
٥ هو أعز عليهم من أبكارهم و هم ينظرون إليه لا يغنون شيئا و لامنعة[١] لديهم فقال: ﴿ما﴾ و هي شرطية و أتبعها بشرطها الناصب لها فقال: ﴿قطعتم﴾ أى كل ما قطعتموه، و بين ما [في «ما» -[٢]] من الإبهام بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وأنه[٣] هان عليهم القطع و لان: ﴿من لينة﴾ و هي ضرب من النخل، قال ابن إسحاق: هو ما خالف
١٠ العجوة من النخل، [و -[٤]] قال ابن هشام: اللينة من الألوان، و هي ما لم يكن برنية و لاعجوة من النخل فيما حدثني أبو عبيدة - انتهى. و قال صاحب القاموس: اللون: الدقل من النخل، و هي جماعة واحدتها[٥] لونه و لينة، قال المهدوي: [٦]و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و مجاهد [و غيرهما -[٢]] أنها النخل كله. و عن ابن عباس رضى الله عنهما
١٥ أيضا أنها[٧] لون من النخل، و قال البغوي[٨]: و رواية زاذان[٩] عن

(١) من م، و في الأصل و ظ: صفة - كذا (٢) زيد من م (٣) من م، و في الأصل و ظ: لأنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و القاموس، و في الأصل: واحد منها (٦) العبارة من هنا إلى «عنهما أيضا» ساقطة من ظ.
(٧) من م، و في الأصل و ظ: انه (٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٩.
(٩) من المعالم، و في الأصول: باذان.

ابن عباس رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم [يقطع -[1]] نخلهم إلا العجوة- و أهل المدينة يسمون ما خلا[4] العجوة من التمر الألوان واحدها لون و لينة، و قال عطية و[3] الحسن[2] و مجاهد و ابن زيد و عمرو ابن ميمون: اللينة: النخلة، اسمان بمعنى واحد، و جمعها لين و ليان، و قال سفيان الثورى: اللينة ما تمرها لون و هو نوع من التمر شديد الصفرة ٥ يشف / عن[4] نواة فيرى من خارج، قال البغوى[5]: يغيب فيها الضرس[6]، ٢٦٦/ و كان من أجود تمرهم و أعجبها إليهم، و كانت [النخلة -[1]] الواحدة ثمنها ثمن وصيف احب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم و قالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد و أنتم تفسدون، دعوا هذه النخلة، فانما هى لمن غلب عليها، و قال الرازى فى اللوامع: ١٠ و اختلاف الألوان فيها ظاهر[7] لأنها اول حالها [بيضاء -[8]] كصدف ملىء درا منضدا، ثم غبراء ثم خضراء كأنها قطع زبرجد خلق فيها الماء [ثم -[9]] حمراء كأنها ياقوت رص بعضه ببعض ثم صفراء[10] لأنها شذو عقيان، و لذلك إذا بلغ الارطاب نصفها [سميت -[9]] مجزعة لاختلاف ألوانها كانها الجزع الظفارى. ١٥

و لما كان ما فسر بمؤنث هو اللينة، أعاد الضمير مؤنثا فقال:

---

(١) زيد من ظ و م والمعالم (٢) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: ماعدا. (٣) سقط من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٩ (٦) من ظ و المعالم، و فى الأصل و م: الفرس (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهرة (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: صفى.

﴿ او تركتموها ﴾ و لما كان الترك يصدق ببقائها مغروسة أو مقطوعة قال :
﴿ قآئمة ﴾ و لما كان المراد نخيلا كثيرة لإرادة الجنس قال : ﴿على اصولها﴾
بجمع الكثرة ﴿فباذن الله﴾ أى فقطعها بتمكين الملك الأعظم و رضاه ،
قال القشيرى : و فى هذا دليل على [أن -[1]] الشريعة غير معللة و إذا[2]
٥ جاء الأمر الشرعى بطل طلب[3] التعليل و سكتت الألسنة عن التقاضى
بـ « لِمَ » ، و حضور الاعتراض و الاستقباح بالبال خروج عن حد العرفان .

و لما فطم عن طلب العلل خطابا للكمل ، طيب قلوب من دونهم
بعلة معطوفة على ما تقديره : فليس ذلك بفساد و لكنه صلاح أذن
لكم فيه ليشفى به صدور المؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم ، فقال واضعا
١٠ موضع ضميرهم ظاهرا يدل على ما أوجب خزيهم : ﴿و ليخزى الفسقين ه﴾
الذين هم أصلاء فى المروق[4] من دائرة الحق بأن يذلهم و يفضحهم ببيان
كذبهم فى دعواهم العز و الشجاعة و التأييد من الله لأنهم على الدين الحق
و أنه لا يتطرق إليه نسخ[5] ، و روى أبو يعلى[6] عن جابر رضى الله عنه أنه
قال : رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد [عليهم -[1]] فأتوا النبى صلى الله
١٥ عليهم و سلم فقالوا : يا رسول الله ! علينا إثم فيما قطعنا أو علينا فيما
تركنا ، فأنزل الله الآية - انتهى . و كان ناس من المؤمنين مالوا إلى

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : انما (٣) من م ، و فى الأصل وظ : بطلب (٤) من م . و فى الأصل وظ : الرقة (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع الدر المنثور ٦ /١٨٨ .

الكف

الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا و طائفة أشاروا بالاستمرار على القطع لأنه يغيظهم، فصوب سبحانه فى الآية من أمر بالكف و حلل [من أشاروا بالاستمرار بالقطع -[1]] من الإثم، فدلت الآية على جواز إفساد[2] [أموال -[3]] أهل الحرب[4] على أى حال كان مثمرا[5] كان أو لا بالتحريق و التغريق و الهدم و غيره لإخزائهم بذلك. ٥

و لما كانت الغنائم التى تقسم بين الجيش[6] إنما هى ما قاتلوا عليه، و أما ما أتى منها بغير قتال فهو فئ يأخذه الإمام فيقسمه[7] خمسة أخماس، ثم يقسم خمسا منها[8] خمسة أقسام[9]. أحدها و هو كان للنبى صلى الله عليه و سلم يكون بعده لمصالح المسلمين، و الأقسام الأربعة [الأخرى -[3]] من هذا الخمس لمن ذكر فى الآية بعدها، / و الأربعة الأخماس الكائنة ١٠ / ٢٦٧ من أصل القسمة[10] و هى التى كانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم لأنها حصلت بكفايته و إرعابه للعدو، تفرق بين المرتزقة من جميع النواحى، فكانت الأموال كلها لله[11] إنعاما على من يعبده بما شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة و السلام، كانت أموال الكفار فى أيديهم غصبا غصبوه

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فساد (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: العرب (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مستمرا (٦) زيد فى الأصل: وغيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: ويقسمه (٨) من ظ، و فى الأصل و م: منه.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: اخماس (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: الغنيمة (١١) زيد فى الأصل: انواعا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

من أوليائه، فخص سبحانه رسول الله صلى الله عليه و سلم بأموال بنى النضير يضعها حيث يشاء لأنها فئ فقال: ﴿ و مآ افآء الله ﴾ أى رد الملك الذى له الأمر كله ردا سهلا بعد أن كان فيما يظهر فى غاية العسر و الصعوبة ﴿ على رسوله ﴾ فصيره فى يده بعد أن كان خروجه عنها بوضع أيدى الكفار عليه ظلما و عدوانا كما دل عليه التعبير بالفئ[1] الذى هو عود الظل إلى الناحية التى كان ابتدأ منها ﴿ منهم ﴾ أى ردا مبتدئا من الفاسقين. فبين أن هذا فئ لا غنيمة، و يدخل فى الفيء أموال من مات منهم عن غير وارث و كذا الجزية، و أما الغنيمة فهى ما كان[2] بقتال و إيجاف خيل و ركاب.

و لما كان الحرب إنما هو كر و فر فى إسراع و خفة و رشاقة بمخاتلة[3] الفرسان و مراوغة الشجعان و مغاورة أهل الضرب و الطعان[4]، قال معللا لكونه فيئا: ﴿ فمآ اوجفتم ﴾ أى أسرعتم، و قال ابن إسحاق: حركتم و اتبعتم فى السير - انتهى. و ذلك الإيجاف للغلبة ﴿ عليه ﴾ و أعرق فى النفى بالجار فقال: ﴿ من خيل ﴾ و أكد بإعادة النافى لظن من ظن انه غنيمة لإحاطتهم بهم فقال: ﴿ و لا ركاب ﴾ اى إبل، غلب ذلك عليها من بين المركوبات، و لا قطعتم من أجله مسافة، فلم تحصل لكم كبير مشقة فى حوز أموالهم لأن[5] قريتهم كانت فى حكم المدينة الشريفة ليس بينها

(١) من ظ و م. و فى الأصل: فى الفى (٢) من م، و فى الأصل و ظ: كانت.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لمخاللة (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الطغيان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا.

و بين ما يلي منها مسافة بل هي ملاصقة لإحدى قرى الأنصار التي المدينة اسم لها كلها، و هي قرية بني[1] عمرو بن عوف في قباء بينها[2] و بين القرية [التي - [3]] كان[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم نازلا بها نحو ميلين، فمشى الكل مشيا و لم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يقاتلوا بها قتالا بعد، فلذلك جعلها الله فيئا و لم يجعلها غنيمة، فهي تقسم قسمة ٥ الفيء لاقسمة الغنيمة، فخمسها لأهل خمس الغنيمة و هم[5] الأصناف الخمسة المذكورون في الآية التي بعدها، و ما فضل فهو الأربعة الأخماس له صلى الله عليه و سلم مضمومة إلى ما حازه من خمس الخمس .

و لما كان معنى هذا : فما كان التسليط بكم، استدرك بقوله : ﴿ و لكن الله ﴾ أي الذي له العز كله فلا كفوء له ﴿ يسلط رسله ﴾ أي ١٠ له هذه السنة في كل زمن ﴿ على من يشآء ﴾ بجعل ما آتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب أعدائه، فهو الذي سلط رسوله صلى الله عليه و سلم على هؤلاء / بأن ألقى في روعه الشريف أن يذهب إليهم فيسألهم الإعانة /٢٦٨ في دية العامريين اللذين قتلهما[6] عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه خطأ، فلما جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى جانب بيت من بيوتهم، ١٥ وكانوا موادعين له صلى الله عليه و سلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم بعد أن رحبوا به و وعدوه الإعانة و أمروا أحدهم أن يرمي عليه من

---

(١) من ظ و م، و في الأصل : بين (٢) من ظ و م، و في الأصل : بينهما .
(٣) زيد من ظ و م (٣) زيد بعده في الأصل وظ : فيها، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٤) من ظ و م، و في الأصل : هي (٥) من م، و في الأصل و ظ : قبلهم .

فوق السطح صخرة لتقتله، فأعلمه [الله -[1]] بهذا فذهب و ترك أصحابه[2]
هناك حتى لحقوا به، و هذا بعد ما كان حيي فعل من قدومه مكة و ندمه
لقريش إلى حرب النبي صلى الله عليه و سلم[3] و معاقدته لهم[3] على أن[4] يكون
معهم[4] عليه الصلاة و السلام، و إعلام الله بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
٥ فأرسل إليهم بعد[5] ما أصبح أنكم [قد -[6]] ختم الله و رسوله، فأردتم أن
تفعلوا كذا، و أن الأرض لله و رسوله، فاخرجوا منها و قد أجلتكم
عشرا، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون و دس إليهم ابن أبي و من معه[7]
من المنافقين أنهم معهم في الشدة و الرخاء لايسلمونهم، و قال ابن أبي:
معي ألفان من قومي و غيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون من عند
١٠ آخرهم، و تمدكم قريظة و حلفاؤكم[8] من غطفان فطمع حيي بن أخطب في
ذلك فأرسل انا لانخرج من ديارنا فاصنع[9] ما بدا لك، فقصدهم رسول
الله صلى الله عليه و سلم في المؤمنين يحمل رأيته علي بن أبي طالب رضي
الله عنه فصلى العصر بفنائهم بعد أن استعمل على المدينه ابن [أم -[6]]
مكتوم رضي الله عنه و أقام عليهم ست ليال و هم متحصنون، فقطع من
١٥ نخلهم [و حرق -[1]] فنادوه أن قد كنت تنهى عن الفساد و تعيبه على
من صنعه فما بالك تقطع النخل، و تربصوا نصر ابن أبي و من معه على

---

(١) زيد من م (٢) زيد في م من (٣-٣) في ظ : معاقدتهم له (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل : يكونوا معه (٥) في م : عند (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل : معهم (٨) من ظ و م، و في الأصل : خلفاوهم.
(٩) من ظ و م، و في الأصل : فافعل.

ما

ما قالوا فلم يفوا لهم، فألقى الله الرعب فى قلوبهم فأرسلوا بالإجابة، فقال: لا إلا أن يكون [لى - ١] سلاحكم و ما لم تقدروا على حمله على إبلكم من أموالكم، فتوقفوا ثم أجابوا فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل إلا الحلقة، و ذهبوا على ستمائة بعير، و أظهروا الحلى و [٢] الحلل و أبدى نساءهم زينتهن فلحق بعضهم بخيبر و بعضهم الشام و خلوا الأموال و الحلقة ٥ لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يسلم منهم إلا رجلان يامين [٣] بن عمرو و أبو سعد [٤] بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها [٥] فجعل الله أموال من لم يسلم منهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة به يضعها حيث يشاء كما روى ذلك فى الصحيح عن عمر رضى الله عنه فى قصة مخاصمة على و العباس رضى الله عنهما، و فيه أنه من خصائصه صلى الله عليه و سلم ١٠ فانه قال: إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه و سلم فى هذا الفئ بشئ لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ "ما أفاء الله على رسوله منهم" إلى قوله تعالى: قدير، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه و سلم [٦] و الله / ما احتازها دونكم و لا استأثر بها عليكم قد أعطا كموها و بثها [٧] فيكم حتى / ٣٦٩ بقى [٨] منها هذا المال - يعنى الذى وقع خصامهما فيه، فكان ينفق رسول الله ١٥

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ياس - كذا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: ابو سعيد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فاختارها (٦) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: منهـا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يبقى.

صلى الله عليه و سلم على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله، و فى الصحيح[١] أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و سلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، ٥ فكانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة ينفق [على أهله - [٢]] منها نفقة سنة[٣] ثم يجعل ما بقى فى السلاح و الكراع عدة[٤] فى سبيل الله - انتهى، و قد قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم أموالهم بعد ما تركه لنفسه[٥] بين المهاجرين، لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة شديدة: أبو دجانة سماك بن خرشة و سهل بن حنيف و الحارث ١٠ ابن الصمة رضى الله عنهم، [و كان لسيف ابن أبى الحقيق عندهم ذكر فنفله سعد بن معاذ رضى الله عنه - [٢]] و قال الأصبهانى: إن الفيء كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم على خمسة و عشرين سهما أربعة أخماسها و هى عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل بها[٦] ما يشاء و يحكم فيها ما أراد، و الخمس الباقى على ما يقسم[٧] عليه ١٥ خمس[٨] الغنيمة - يعنى على رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذوى القربى و من بعدهم، هكـــذا كان عمله صلى الله عليه و سلم [فى صفاياه،

---

(١) راجع ٢/٧٢٥ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ساعة.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لنصبه.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يحكم.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: خمسة

فلما توفى كانت إلى إمام المسلمين و كذا جميع ما ترك رسول الله صلى الله عليه و سلم -[١]] لأنه قال : لانورث[٢]، ما تركناه صدقة ، فولى ذلك أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر رضى الله عنه ، فكانا يفعلان [فيها -[١]] ما فعله رسول الله صلى الله عليه و سلم : و قال الأصبهاني رضى الله عنه أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان رضى الله عنه : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله ٥ عنه "انما الصدقت للفقراء" حتى بلغ "[٤]عليم حكيم[٤]" ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ ["واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه" الآية . ثم قال هذه لهؤلاء ، ثم قرأ -[١]] "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى" الآية حتى بلغ "الفقراء المهاجرين و الذين تبوءوا الدار و الإيمان و الذين جاءوا من بعدهم" ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلا له فيها ١٠ حق ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه -[٥] انتهى . و قال ابن عطية : ما أخذ النبي صلى عليه و سلم لبني النضير و من فدك فهو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و ليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها و يقاتل فيها . و مذهب الشافعي رضى الله عنه أن هذه الأموال التي هي فيء كيفية الفيء يقسم على [خمسة - [١]] أسهم : خمس[٦] ١٥ منها للأصناف المذكورة أولها النبي صلى الله عليه و سلم و أربعة أخماسها له صلى الله عليه و سلم وحده ، و أجاب الشافعي عن قول عمر رضى الله عنه ،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يورث (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حكيم عليم (٥) ليس فى ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : خمسة .

" فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة " بانـه عام
أريد به الخاص ، و معناه : فكان ما بقي منها في يد رسول الله صلى الله
عليه و سلم بعد إعطاء الخمس لأربابه خاصا به صلى الله عليه و سلم /، لا يشك ٢٧٠ /
أحد في خصوصيته به ، ثم أنـه مع ذلك ما احتازه[1] دونهم بل كان
٥ يفعل ما ذكر في الحديث من الإيثار ، قال الشافعي رضي الله عنه : لأنا
لا[2] نشك أن النبي صلى الله عليه و سلم أعطى الأصناف المذكورين في
الآية منها حقهم و قد عهدنا أن حق هؤلاء الأصناف من مال المشركين
الخمس كما هو صريح في سورة الأنفال ، [3]و استفيد[3] من قول عمر رضي الله
عنه " انها كانت للنبي صلى الله عليه و سلم " أنه كان له ما كان يشترك[4]
١٠ فيه المسلمون [من الخمس من الغنيمة التي حصلت بما حصل للكفار من
الرعب منهم ، و الذي كان يشترك فيه المسلمون -[5]] بعد الخمس هو
[6]أربعة الأخماس[6] و النبي صلى الله عليه و سلم قام مقام المسلمين فيه إذ هم[7]
لم يوجفوا عليـه بخيل و لا ركاب . و إنما حصل ذلك بالرعب الذي
ألقاه الله لرسوله صلى الله عليه و سلم في قلوب المشركين . فكانت الأربعة
١٥ الأخماس تختص بمن كان السبب في حصول الجميع [كما في الغنيمة ، فعلى
هذا الفيء الغنيمة لا يختلفان في أن الأربعة الأخماس تختص لمن كان السبب

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : اختاره (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ
و م (٣ - ٣) من م ، و في الأصل و ظ : فاستفيد (٤) من ظ : و في الأصل
وم : شرك (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و في الأصل : الأربعة
أخماس (٧) من ظ و م ، و في الأصل : هو (٨) زيد من ظ .

في

في حصول الجميع -[1]] و أن خمس المالين يكون للأصناف المذكورة[2]، و الذي كان له صلى الله عليه و سلم من الفيء من الأربعة الأخماس يكون بعد موته صلى الله عليه و سلم للمقاتلة لأنه حصل بالرعب الحاصل للكفار[3] منهم كأربعة أخماس الغنيمة التي حصلت بقتالهم.

و لما كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط و غيره، أظهر و لم يضمر ٥ فقال: ﴿و الله﴾ أي الملك الذي له الكمال كله ﴿على كل شيء﴾ أي [أي شيء -[4]] يصح أن تتعلق المشيئة به و هو كل ممكن من التسليط و غيره ﴿قدير ﴾ أي بالغ القدرة إلى أقصى الغايات، و الآية تدل على أن إيجاف الخيل و الركاب و قصد العدو إلى الأماكن الشاسعة له وقع كبير في النفوس و رعب[5] عظيم. ١٠

و لما نزع سبحانه أموالهم من أيدي الجيش، بين مصرف[6] غيرها مما كان مثلها بأن فتح له صلى الله عليه و سلم بغير قتال فقال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال: هل يعم هذا[7] الحكم[8] كل في‌ء يكون بعد بني النضير[8]: ﴿مآ أفآء الله﴾ أي الذي اختص بالعزة[9] و الحكمة و القدرة ﴿على رسوله﴾ و لما كان سبحانه محيط العلم بأنه يسلط على أهل وادي القرى و غيرهم ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م، و في الأصل و ظ: المذكورين (٣) من ظ و م، و في الأصل: بالرعب (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: وقع. (٦) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و في الأصل: ذلك (٨-٨) من ظ و م، و في الأصل: في كل تكون معيد النضير - كذا (٩) من ظ و م، و في الأصل: بالعز.

أعظم من هذا التسليط ، قال ليكون علما من أعلام النبوة : ﴿من اهل القرىٰ﴾ أى قرية بنى النضير و غيرها من وادى القرى و الصفراء و ينبع و ما هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى[1] عربية ﴿فلله﴾ أى الملك الأعلى الذى الأمر كله بيده ﴿و للرسول﴾ لأنه أعظم خلقه ، فرتبته

٥ تلى رتبته ، و هذان يترا آى أنهما[2] قسمان و ليس كذلك ، هما قسم واحد ، و لكنه ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا ، فان كل أمر لايبدأ به فهو أجذم ، و تعظيما لرسوله صلى الله عليه و سلم إعلاما بأنه لاهوى له أصلا فى شيء من الدنيا ، و إنما رضاه[3] رضا مولاه ، خلقه القرآن الذى هو صفة الله [فهو -[4]] مظهره و مجلاه ، و سهمه[5] صلى الله عليه و سلم يصرف

١٠ بعده لمصالح المسلمين كالسلاح و الثغور و العلماء و القضاة / و الأئمة . ٢٧١ /

و لما أبان هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه و سلم من الفضل و العظمة ما لايدخل تحت الوصف ، أتبعه تعظيما آخر بتعظيم أقاربه لأجله ، و لذلك أعاد العامل فقال : ﴿و لذى القربىٰ﴾ أى منه[6] لأن رتبتهم من بعد رتبته و هم بنو هاشم و بنو المطلب رهط إمامنا الشافعى

١٥ رضى الله عنه سواء فيه غنيهم و فقيرهم ، لأن أخذهم لذلك بالقرابة لابالحاجة كما هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . و لما ذكر أهل الشرف ، أتبعه أهل الضعف جبرا لوهنهم فقال مقدما أضعفهم : ﴿و اليتمىٰ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : قرية (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انهم .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ارضاها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قسمه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : منهم .

[أى - [1]] الذين هم[2] أحق الناس بالعطف لأن مبنى الدين على التخلق بأخلاق الله التى من أجلها تقوية الضعيف و جبر الكسير[3] ﴿ و المسكين ﴾ [فانهم [4]] فى الضعف [على أثرهم - [4]] و دخل فيهم الفقراء فانه[5] إذا انفرد لفظ الفقير أو المساكين دخل كل منهما فى الآخر[6]، و إنما يفرق إذا جمع بينهما، و كذا الفيء و الغنيمة إذا أفردا[7] جاز أن يدخل كل فى ٥ الآخر، و إذا جمعا فالفيء ما حصل بغير قتال و إيجاف خيل و ركاب، و الغنيمة ما حصل بذلك ﴿ و ابن السبيل [لا] ﴾ و هم الغرباء لانقطاعهم عن أوطانهم و عشائرهم، و قسمة الفيء على هذه الأصناف كما مضى أن يقسم خمسة أقسام : خمس منها[8] لرسول الله صلى الله عليه و سلم [و - [1]] من ذكر معه من المخلوقين و ذكر الله فيهم للتبرك، لأن الأصناف ١٠ المذكورة هى التى يعبر عنها باسمه سبحانه، و الأربعة الأخماس خاصة له صلى الله عليه و سلم ينفق منها نفقة سنة و ما فضل عنه أنفقه فى مصالح المسلمين السلاح و [الكراع و - [4]] نحوه، و ما كان له صلى الله عليه و سلم فى حياته فهو للمصالح بعد وفاته، كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته، قال الشافعى رضى الله عنه [فى الأم - [9]] : و ما أخذ من مشرك ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : هو (٣) زيد فى الأصل : ثم قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من م، و فى الأصل و ظ : فانهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل : الآخرة (٧) من م، و فى الأصل : افرد، و فى ظ : انفردا (٨) من ظ و م، و فى الأصل : منه.
(٩) زيد من ظ، و راجع كتاب الأم ٤ / ٦٤.

بوجه من الوجوه غير ضيافة من [1]مر بهم[1] من المسلمين فهو على وجهين لا يخرج منهما[2]، كلاهما مبين فى كتاب الله تعالى و[على -[3]] سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و فى فعله فأحدهما الغنيمة، قال الله تعالى فى سورة الأنفال "و اعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه و للرسول" الآية[4]،

٥ و الوجه الثانى الفيء، و هو مقسوم فى كتاب الله فى سورة الحشر، قال الله تبارك و تعالى "[5]و ما[5] افاء الله على رسوله منهم - إلى قوله: رؤف رحيم" فهذان المالان اللذان خولهما الله من جعلهما له من أهل دينه، و هذه[6] أموال يقوم بها الولاة لا يسعهم تركها. فالغنيمة و الفيء تجتمعان فى أن فيهما معا الخمس من جميعهما لمن سماه الله تعالى، و من سماه الله

١٠ تعالى فى الآيتين [معا -[7]] سواء مجتمعين غير مفترقين، ثم يفترق الحكم فى الأربعة الأخماس[8] بما بين الله عز و جل على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم و فى فعله فانه[9] قسم أربعة أخماس الغنيمة، و الغنيمة هى الموجف عليها بالخيل و الركاب لمن حضر / من غنى و فقير، و الفيء و هو ما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، فكانت سنة النبى صلى الله عليه و سلم

١٥ فى [10]قرى عرينة[10] التى أفاءها الله عليه أن أربعة أخماسها لرسول الله صلى الله

٢٧٢/

(١-١) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: قربهم (٢) من ظ و م و الأم، وفى الأصل: عنهما (٣) زيد من ظ وم والأم (٤) زيد فى الأصل وظ: انتهى، و لم تكن الزيادة فى م والأم فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما. (٦) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: هذا (٧) زيد من م والأم (٨) من ظ وم والأم، وفى الأصل: اخماس (٩) من م والأم، وفى الأصل وظ: انه. (١٠-١٠) من ظ و م والأم، و فى الأصل: القرى العربية.

عليه

عليه و سلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث أراه[١] الله عز و جل ، ثم ذكر حديث عمر رضى الله عنه من رواية [مالك بن] أوس بن الحدثان رضى الله عنه فى خصام على و العباس رضى الله عنهما ، قال الشافعى[٢] : فأموال بنى النضير التى أفاء الله على رسوله صلى الله عليه ٥ و سلم التى ذكر عمر رضى الله عنه فيها ما بقى منها فى يد النبى صلى الله عليه و سلم[٣] بعد الخمس و بعد أشياء فرقها النبى صلى الله عليه و سلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها أنصاريا [إلا رجلين -[٤]] ذكرا فقرا و هذا مبين فى موضعه ، و فى هذا الحديث دلالة على[٥] أن عمر رضى الله عنه إنما حكى أن أبا بكر رضى الله عنه و هو أمضيا ما بقى من هذه الأموال التى ١٠ كانت بيد رسول الله صلى الله عليه سلم على وجه ما رأيا رسول الله صلى الله عليه و سلم يعمل به فيها ، و انهما[٦] لم يكن لهما مما [لم -[٧]] يوجف عليه المسلمون من الفىء ما كان لرسول صلى الله عليه و سلم و أنهما[٨] إنما كانا فيه أسوة للسلمين ، و ذلك سيرتهما و سيرة من بعدهما ، و الأمر الذى لم يختلف فيه أحد من أهل العلم عندنا علمته[٩] و لم يزل يحفظ[١٠] من

---

(١) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : اراد (٢) راجع الأم ٤/ ٦٤ (٣) زيد فى الأصل و ظ : ما بقى ، ولم تكن الزيادة فى م والأم فحذفناها (٤) زيد من ظ وم والأم (٥) من ظ وم والأم ، و فى الأصل : عن (٦) من ظ وم والأم ، و فى الاصل : وإنما (٧) زيد من م والأم (٨) من ظ وم والأم ، و فى الأصل : انها. (٩) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : علمه (١٠) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : يحفظه .

قولهم أنه ليس لأحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم من صفي الغنيمة و لامن أربعة أخماس ما لم يوجف عليه منها، و قد مضى من كان [ينفق -[1]] عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من أزواجه و غيرهن إن كان معهن، فلم أعلم أحدا من أهل [العلم -[1]] قال لورثتهم
٥ تلك [النفقة التي كانت لهم، و لاخلاف أن تجعل تلك النفقات حيث كان النبي صلى الله عليه و سلم يجعل فضول غلات تلك -[1]]. الأموال فيما فيه صلاح الإسلام و أهله، قال الشافعي[2]: و الجزية من الفيء و سبيلها سبيل جميع ما أخذ مما أوجف من مال مشرك أن يخمس فيكون لمن[3] سمى الله عز و جل الخمس و أربعة أخماسه على ما سأبينه إن شاء الله تعالى،
١٠ وكذلك كل ما أخذ من مشرك من [مال] غير إيجاف، و ذلك[4] مثل ما أخذ منه إذا اختلف في بلاد المسلمين و مثل ما أخذ منه إذا مات و لا وارث له، و غير ذلك مما أخذ من ماله، و قد كان في زمن النبي صلى الله عليه و سلم فيء من غير قرى عرينة، و ذلك مثل جزية أهل البحرين و هجر و غير ذلك فكان له أربعة أخماسها يمضيها حيث أراد الله[5] عز و جل
١٥ و أوفى[6] خمسه من جعله الله له - انتهى.

و لما حكم[7] سبحانه هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في

(١) زيد من ظ و م و الام (٢) راجع الأم ٤/٦٥ (٣) من ظ و م و الأم، و في الأصل: من مال من (٤) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م و الأم فحذفناها (٥) من ظ و م و الأم، و في الأصل: اراد (٦) من ظ و م و الأم، و في الأصل: زاد في (٧) من ظ و م، و في الأصل: احكم.

الجاهلية من [اختصاص -[1]] الأغنياء به[2]. بين علته المظهرة لعظمته سبحانه
و حسن تدبيره و رحمته فقال معلقا بما علق به الجار : ﴿ كى لا يكون ﴾ أى
الفىء الذى سيره الله سبحانه بقوته و ما خص به نبيه صلى الله عليه و سلم من
قذف الرعب فى قلوب أعدائه / و من حقه أن يعطاه الفقراء ﴿ دولة ﴾ / ٣٧٣
أى شيئا يتناوله أهل الغنى و الشرف على وجه القهر و الغلبة إثرة[3] جاهلية - ٥
هذا على قراءة الجماعة ، و قرأ أبو جعفر و هشام عن ابن عامر[4] بالتأنيث
من[5] "كان" التامة و "دولة" بالرفع على أنها فاعل ﴿ بين الاغنيآء منكم[5] ﴾
يتداولونه بينهم فانهم كانوا يقولون : من عزيز ، و منه قال الحسن : اتخذوا
عباد الله خولا و مال الله دولا - يريد من غلب منهم أخذه[6] و استأثر به ،
و قيل : الضم اسم للتداول كالغرفة اسم لما[7] يغترف ، و الفتح التداول . ١٠

و لما كان التقدير : فافعلوا[8] ما أمرتكم من قسمته لمن أمرت بهم ،
عطف عليه قوله : ﴿ و مآ ﴾ أى و كل شىء ﴿ اتىكم ﴾ أى أحضر
إليكم و أمكنكم منه ﴿ الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية من هذا و غيره
﴿ فخذوه ق ﴾ أى وتقبلوه تقبل من حازه ﴿ و ما نهكم عنه ﴾ من جميع
الأشياء ﴿ فانتهوا ج ﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى ، لا يقول و لا يفعل إلا ما ١٥
أمره به الله ربه ، فمن قبل ذلك هانت [9]عليه الأمور[9] كما ورد " القرآن
صعب مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه و تبعه " روى أن الآية

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : ثم (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : اشده (٤) راجع نثر المرجان ٧ /٢٧٤ (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : ما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : ما . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : افعلوا (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : هذه الأمور عليه وغيرها .

نزلت فى ناس من الأنصار قالوا: لنا من هذه[1] القرى سهمنا[2] .

و لما كان الكف عما ألفته النفوس صعبا ، و لا سيما ما كان مع كونه تمتعا[3] بمال على وجه الرئاسة ، رهب من المخالفة فيه بقوله: ﴿ و اتقوا الله ط ﴾ أى اجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم ٥ وقاية من عذاب الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ، و علل ذلك بقوله ، معظما له بإعادة الجلالة مؤكدا لأن فعل[4] المخالف فعل المنكر : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له وحده الجلال و الإكرام على الإطلاق ﴿ شديد العقاب م ﴾ أى العذاب الواقع بعد الذنب ، و من زعم ان شيئا مما فى هذه السورة نسخ بشيء مما فى سورة الأنفال فقد اخطأ ، لأن الأنفال نزلت فى بدر ١٠ و [هى -[5]] قبل هذه بمدة .

و لما نزع سبحانه أموال الفيء و ما كانت عليه فى الجاهلية ، و بين مصرف الفيء من القرى ، و تهدد فى المخالفة فى ذلك لصعوبته على النفوس ، فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد أن أفهم أن أموال بنى النضير لمن سلطه عليهم وهو رسوله صلى الله عليه و سلم ، و كان من المعلوم من حاله صلى الله ١٥ عليه و سلم الإيثار على نفسه و القناعة بما دون الكفاف ، بين المصرف فيها بعد كفايته صلى الله عليه و سلم لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه حاصلا حاضرا ، الموطأ له بأموال أهل القرى ، فقال مبدلا [من -[1]] "لله

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منهما .
(٣) من ظ و م ، و فى الاصل : متمتعا (٤) من ظ و م . و فى الأصل : الفعل .
(٥) زيد من ظ و م .

و للرسول" و ما عطف عليها، لأن [1] من أعطى المهاجرين لهجرتهم و تجردهم من أموالهم و ديارهم فانما أعطاهم لوجه الله و وجه رسوله صلى الله عليه و سلم، و لا يكون بدلا من "ذى القربى" لئلا يختص بفقيرهم، أو يكون جوابا لمن كأنه [2] قال: قد سمعنا و أطعنا فلمن [3] / يكون ما سلط الله و رسوله صلى الله عليه و سلم من أموالهم؟ فقيل له: ﴿للفقرآء﴾ أى الذين كان الإنسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع و يتخذ الحفرة فى الشتاء لتقيه [4] البرد، ما له دثار [5] غيرها بعد أن كان له من الأموال ما يسعه و يفضل منه ما يصل به غيره، و إنما وصفهم بالفقر لأنهم كانوا عند نزولها [6] كذلك، ثم خصص بالوصف فقال: ﴿ المهجرين ﴾ و لما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر [7] من غير مفارقة [8] الوطن فقال: ﴿ الذين اخرجوا ﴾ و بناه للمفعول لأن المنكىء الإخراج، لا كونه من مخرج معين ﴿ من ديارهم ﴾ و لما كان الإخراج هنا مضمنا معنى المنع، و اختير التعبير به [إشارة - [9]] إلى أن المال السترة للانسان لأنه ظرف له، قال: ﴿ و اموالهم ﴾.

/ ٢٧٤

(١) من ظ، و فى الأصل و م: لا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كان.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: فلن (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: زناد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نزول القرآن (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يسره.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: مصادفة (٩) زيد من ظ و م.

و لما كان طلب الدنيا من النقائص ، بين أنه إذا كان [1]من الله[1] لم يكن كذلك ، و أنه لا يكون قادحا فى الإخلاص ، و أن أمر بنى النضير إنما يسر[2] تحقيقا لرجائهم فقال : ﴿ يبتغون ﴾ أى [أخرجوا -[3]] حال كونهم يطلبون[4] على وجه الاجتهاد . و بين انه لا يجب عليه شيء لأحد ٥ بقوله تعالى : ﴿ فضلا من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له لأنه المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا و الدين و الآخرة فيغنيهم بفضله عمن سواه ﴿ و رضوانا ﴾ يوفقهم لما[5] يرضيه عنهم و لا يجعل[6] رغبتهم فى العوض منه قادحا فى الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته .

و لما وصفهم بتعليق بواطنهم به سبحانه و قطعها بالرضا بالإخراج ١٠ عمن [و عما -[3]] سواه ، [وصفهم -[7]] ببذل ظواهرهم له فقال : ﴿ و ينصرون ﴾ [أى -[7]] على سبيل التجديد فى كل وقت و الاستمرار ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم المجيد[8] ﴿ و رسوله ﴾ الذى عظمته من عظمته بأنفسهم و أموالهم ليضمحل حزب الشيطان . و لما بان ما له بهم سبحانه من العناية[9] ترقب السامع من مدحهم ما يليق بهذا الإخبار . فقال مستأنفا ما هو كالعلة ١٥ لتخصيصهم : ﴿ أولئك ﴾ اى العالو الرتبة فى الأخلاق الفاضلة ﴿ هم ﴾

(١-١) من م ، و فى الأصل و ظ : لله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يستر . (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : من النقائص ، بين انه اذا كان من - وهو تكرار فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لايحل (٧) زيد من م (٨) سقط من ظ و م (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : الغاية .

أى خاصة [١]لا غيرهم[١] ﴿الصدقون ع﴾ العريقون فى هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما[٢] ذكر و تركهم لما وصف دل على كمال[٣] صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم حيث نابذوا من عاداهما[٤] و هو القريب الصافى نسبا و دارا و أولوا أولياءهما[٥] من كانوا و إن بعدت دارهم و شط مزارهم ، و هذا يدل على أن مبنى الدين على إقامة البينات[٦] ٥ بالثبات عند الابتلاءات[٧] على أن العون قد[٨] يأتى على قدر البلاء لأن الله تعالى قد[٩] خص المهاجرين بما أذن فيه من أموال بنى النضير .

و لما مدح المهاجرين و أعطاهم فطابت نفوس الأنصار بذلك و كانوا فى كل حال معه صلى الله عليه و سلم / كالميت بين يدى الغاسل، مهما / ٢٧٥ شاء فعل ، و مهما أراد منهم صار إليه و وصل ، أتبعه مدحهم جبرا لهم ١٠ و شكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة : ﴿و الذين تبوّ﴾ اى جعلوا بغاية جهدهم ﴿الدار﴾ الكاملة فى الدور و هى التى أعدها الله فى الأزل للهجرة و هيأها للنصرة و جعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها غالبة عليها محل إقامتهم و ملابستهم و صحبتهم و ملازمتهم لكونها أهلا لأن يعود إليها من خرج منها فلا يهجرها[١٠] أصلا ، فهى محل مناه و ليست ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : لم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عادا الله و رسوله صلى الله عليه و سلم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوليائها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : البيان (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الابتلاء (٨) سقط من م (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يهجر .

موضعا[١] يهاجر منه[٢] لبركتها أو خيرها .

و لما كان المراد الإبلاغ فى مدحهم، قال مضمنا "تبوؤا" معنى لازم: ﴿و الايمان﴾ أى [و - ٣] لابسوه و صحبوه و خصوه بالصحبة و لزموه لزوما هو كلزوم المنزل الذى لاغنى لنازله عنه، و يجوز أن يكون [الإيمان - ٤] وصفا للدار باعادة العاطف للاشارة إلى[٤] التمكن فى كل من الوصفين فيكون كأنه قيل: تبوؤا المدينة التى هى الدار و هى الإيمان لأنها محل تمكن الإيمان و انتشاره و ظهوره فى سائر البلدان، فلشدة ملابستها[٥] [له - ٤] سميت به، و يجوز أن يكون المعنى: و محل الإيمان إشارة إلى أنهم ما أقاموا بها لأجل أن أموالهم بها بل محبة فى الإيمان علما منهم بأنه لايتم بدره، و يكمل شرفه و قدره، و تنشر أعلامه و يقوى ذكره إلا بها، ولولا ذلك لهجروها[٦] و هاجروا إلى النبى صلى الله عليه و سلم فى أى مكان حله، فهو مدح لهم بأنهم متصفون بالهجرة بالقوة مع اتصافهم بالنصرة بالفعل[٧] .

و لما كان انفرادهم باقامة الإيمان فى الدار المذكورة قبل قدوم المهاجرين عليهم مدحا تاما، قال مادحا لهم بذلك دالا باثبات الجار على أنهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين إرسال الرسول صلى الله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مواضعا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منها. (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لهجروا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: والفعل .

عليه و سلم بالأمرين[1]: ﴿ من قبلهم ﴾ أى قبل هجرة المهاجرين لأن وصفهم بالهجرة لم يكن إلا بعد إيجادها فالأنصار جمعوا التمكن فى الإيمان إلى التمكن فى الدار من قبل أن يجمع المهاجرون بينهما بالهجرة .

و لما ابتدأ ذكرهم هذا الابتداء الجليل، أخبر عنهم بقوله: ﴿يحبون﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار، و قيل: العطف على المهاجرين، ٥ و هذه[2] حال فيكون هذا حكما بالمشاركة ﴿ من هاجر ﴾ و زادهم محبة فيهم و عطفا عليهم بقوله: ﴿ اليهم﴾ لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه، و الدليل الشهودى على ما أخبر الله [3]عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين فى أموالهم و عرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم، فأبى المهاجرون ١٠ المشاطرة فى النساء و قبلوا منهم الأموال .

و لما أخبرهم بالمحبة و رغبهم فى إدامتها، عطف على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال: ﴿و لايجدون﴾ [أى -[4]] أصلا ﴿فى صدورهم﴾ التى هى مساكن / قلوبهم فتصدر منها أوامر[5] القلوب فضلا عن [أن -[4]] ٢٧٦ / تنطق ألسنتهم . و لما كان المراد نفى الطلب منهم لما خص به المهاجرين، ١٥ و كان الحامل على طلب ذلك الحاجة، و كان كل أحد[6] يكره أن ينسب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل: بالامرهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل: هذا (٣-٣) من ظ و م . و فى الأصل: به عنهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: اومن (٦) من ظ و م ، و فى الأصل: واحد .

إلى الحاجة و إن أخبر بها عن نفسه فى وقت ما لغرض قال: ﴿حاجة﴾
موقعا اسم السبب على المسبب ﴿مّمآ اوتوا﴾ أى المهاجرون من الفيء
و غيره من أموال بنى النضير و غيرهم من اى مؤت كان فكيف إذا
كان المؤتى هو الله و رسوله صلى الله عليه و سلم، و إذا لم يجدوا حاجة
٥ تدعوهم إلى الطلب فلأن لا يجدوا حسدا و لا غيظا من باب الأولى، فهذه
الآية من أعظم حاث على حسن الإخاء محذر من الحسد و الاستياء.
و لما اخبر عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل[1] فقال:
﴿و يؤثرون﴾ عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى: يوقعون الإثرة
و هى اختيار[2] الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصا لهم بها لا على أحبائهم مثلا
١٠ بل ﴿على[3] انفسهم﴾ فيبذلون لغيرهم [كائنا -[3]] من كان ما فى أيديهم،
و ذكر النفس دليل على [انهم فى -[3]] غاية النزاهة من الرذائل لأن
النفس إذا طهرت كان القلب أطهر، و أكد ذلك بقوله: ﴿و لو كان﴾
أى كونا هو فى غاية المكنة ﴿بهم﴾ [4]أى خاصة لا بالمؤثر[4] ﴿خصاصة ﵦ﴾
أى فقر و خلل فى الأحوال و حاجة شديدة تحيط بهم من كل جانب،
١٥ من خصائص البناء و [هى -[3]] فرجه.

و لما كان التقدير: فمن كان كذلك فهو من الصادقين، عطف
[عليه -[3]] قوله: ﴿و من﴾ و لما كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من
أى جهة كانت. و كان علاج الرذائل صعبا جدا، لا يطيقه الإنسان

(١) من ظ و م، و فى الأصل: على الفضائل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاختيار (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

إلا بمعونة من الله شديدة، بنى للمفعول[1] قوله: ﴿ يوق شح نفسه ﴾ أى يحصل بينه و بين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحول بينه و بينها، فلا يكون مانعا لما عنده، حريصا على ما [2]عند غيره[2] حسدا، قال ابن عمر رضى الله عنه: الشح أن تطمح عين الرجل فيما[3] ليس له، قال صلى الله عليه و سلم[4]: اتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم، حملهم[5] ٥ على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم.

و لما كان النظر [إلى -[6]] التطهير من سفساف الأخلاق عظيما، سبب عنه إفهاما لأنه[7] لايحصل ما سببه عنه بدونه قوله ﴿فاولـٰئك﴾: أى العالو المنزلة ﴿هم﴾ أى خاصة لاغيرهم ﴿المفلحون ۚ﴾ [أى -[8]] الكاملون فى الفوز بكل مراد، [قال القشيرى: و تجرد القلب من الاعراض ١٠ و الأملاك صفة السادة -[6]] و الأكابر، و من أسرته[9] الأخطار و بقى فى شح نفسه فهو فى مصارفة معاملته و مطالبة الناس فى استيفاء حظه، فليس له من مذاقات هذه الطريقة شىء. و شرح الآية [أن -[6]] الأنصار كانوا لما قدم عليهم المهاجرون قسموا دورهم و أموالهم بينهم و بينهم، فلما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و سلم أموال بنى النضير خطب ١٥ النبى صلى الله عليه و سلم فذكر ما صنعوا / بالمهاجرين من إنزالهم إياهم / ٢٧٤

(١) من ظ، وفى الأصل وم: المفعول (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: عنده.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: لما (٤) أخرجه مسلم فى الصحيح: أبواب البر.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: حملوا (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بانه (٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م، و فى الأصل: سرته.

و إثرتهم على أنفسهم، ثم قال: ان احببتم[1] قسمت بينكم و بين المهاجرين ما أفاء الله علىّ من بنى النضير، و كان المهاجرون[2] على ما هم عليه من السكنى فى منازلكم و أموالكم، و إن أحببتم أعطيتهم و خرجوا من دياركم، فقال السعدان رضى الله عنهما: بل يقسم بين المهاجرين خاصة و يكونون ٥ فى دورنا[3] كما كانوا، و قالت الأنصار: رضينا و سلمنا، و فى رواية [أنهم - [4]] قالوا: اقسم فيهم[5] هذه خاصة و اقسم لهم[6] من أموالنا ما شئت، فنزلت[7]، و يؤثرون على أنفسهم - الآية، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار، و قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار، فو الله ما مثلنا و مثلكم ١٠ إلا كما قال الغنوي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنـــا نعلنا فى الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا و لو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منـــا لملت[8]

فهم لعمرى الحقيقون باسم إخوان الصفا، و خلان المروءة و الوفا، و الكرامة و الاصطفا، [9]و رضى الله عنهم و عن تابعيهم من الكرام الخلفا ١٥ و السادة الحنفا[9].

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جيتم (٢) من ظ و م، و فى الاصل: المهاجرين (٣) من ظ، و فى الأصل و م: دونها (٤) زيد من ظ و م. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بهم. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فنزل (٨) زيد فى ظ: انتهى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و لما

و لما أثنى الله سبحانه و تعالى على المهاجرين و الأنصار رضى الله عنهم بما هم أهله، عقب[1] التابعين لهم باحسان ما يوجب لهم الثناء فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى التشريك[2] معهم، أو على أصل القصة من عطف الجمل: ﴿ و الذين جآءو ﴾ أى من أى طائفة كانوا[3]، [و لما كان المراد -[4]] المجيء ولو فى زمن يسير، أثبت الجار فقال: ﴿ من بعدهم ﴾ ٥ أى بعد المهاجرين و الأنصار و هم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح و بعد إيمان الأنصار الذين أسلموا بعد[5] النبى صلى الله عليه و سلم إلى يوم القيامة، ثم ذكر الخبر أو الحال على [نحو -[6]] ما مضى فى الذى قبله فقال تعالى: ﴿ يقولون ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار تصديقا لإيمانهم بدعائهم لمن سبقهم: ﴿ ربنا ﴾ أى [أيها -[6]] المحسن إلينا ١٠ بإيجاد من مهد الدين قبلنا . و لما كان الإنسان و إن اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا: ﴿ اغفر ﴾ أي أوقع الستر [على -[6]] النقائص أعيانها و آثارها ﴿ لنا ﴾ و لما بدأوا بأنفسهم، ثنوا بمن كان السبب فى إيمانهم فقالوا: ﴿ و لاخواننا ﴾ أى فى الدين فانه أعظم أخوة، [7]و بينوا[7] العلة بقولهم: ﴿ الذين سبقونا بالايمان ﴾ و لما لقنهم[8] سبحانه حسن الخلافة ١٥ لمن مهد لهم ما هم فيه، أتبعه تلقين ما يعاشرون بـه أعضادهم الذين هم

(١) من ظ، و فى الأصل: من، و الكلمة ساقطة من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: التشديد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٤) زيد من ظ.
(٥) فى ظ: مع (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: ثم بنوا.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: لقبهم.

معهم على وجه يعم من قبلهم، فقال معلما بأن الأمر كله بيده حثا على الالتجاء إليه من أخطار النفس التى هى أعدى الأعداء[١]: ﴿ ولاتجعل ﴾ و أفهم قوله: ﴿ فى قلوبنا ﴾ أن[٢] رذائل النفس قل[٣] أن تنفك و أنها إن كانت مع صحة القلب أوشك أن [لا -[٤]] تؤثر ﴿ غلا ﴾ أى ٥ ضغنا[٥] / و[٦]حسدا و حقدا[٦] و هو [حرارة و -[٤]] غليان يوجب الانتقام[٧] ٢٧٥ / ﴿ للذين 'امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان و إن كانوا فى أدنى درجاته.

و لما كان هذا دعاء جامعا للخير، لقنهم ما يجيبهم فى لزومه و التخلق به مع ما فيه من التملق للاله و التعريض له بقوة الرجاء فقال: ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن إلينا بتعليم ما لم نكن نعلم، و أكدوا إعلاما بأنهم يعتقدون ١٠ ما يقولونه و إن ظهر من أفعالهم ما يقدح فى اعتقادهم و لو فى بعض الأوقات فقالوا: ﴿ انك رءوف ﴾ أى راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من أفعال الخير ﴿ رحيم ع ﴾ مكرم غاية الإكرام لمن أردته و لو لم يكن له وصلة، فأنت جدير بأن تجيبنا لأنا بين أن يكون لنا وصلة فنكون من أهل الرأفة، أولا فنكون من اهل الرحمة، فقد أفادت ١٥ هذه الآية أن من كان فى قلبه غل على احد من الصحابة رضى الله عنهم

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اى (٣) من ظ و م، و فى الاصل: قبل (٤) زيد من ظ و م (٥) فى ظ: بغضا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: حقدا و حدا.
(٧) زيد فى الأصل: تقدير و لا تجعل شيئا من هذا الغل فى قلوبنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فليس ممن عنى الله بهذه الآية .

و لما دل على [ان - [1]] هذا الثناء[2] للصادقين فى الإيمان بإقامة[3] السنة بالهجرة و الإيثار و الاجتهاد فى الدعاء لمن[4] تبين الإيمان فسهل به طريق الأيمان ، فأخرج ذلك المنافقين و أفهم أنهم لا يفعلون ذلك لأنهم لارسوخ لهم فى الإيمان الحامل على ذلك ، دل على نفاقهم الموجب ٥ لكذبهم بقوله متمما للقصة مخاطبا لأعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يطلع على نفاقهم لما لهم فيه من دقة المكر حق الاطلاع غيره صلى الله عليه و سلم معجبا من حالهم[5] فى عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات و الآيات البينات و يرون من حال المؤمنين من إسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الأمور و النصرة على الجبابرة و الإعراض[6] عن الدنيا مع الإقبال ١٠ على الآخرة و الاجتهاد فى الدين [الذى - [7]] هو وحده داع إلى الإيمان و مرقق للقلوب و مبين للحقائق[8] غاية البيان : ﴿ الم تر ﴾ أى تعلم علما هو فى قوة[9] الجزم [به - [10]] كالمشاهد[11] يا أعلى الخلق ، و بين بعدهم عن جنابه العالى و منصبه الشريف الغالى بأداة الانتهاء[12] فقال تعالى :

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : النداء (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى اقامة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حللهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الا - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : التحقوق (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غلبة (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : كالمشاهدة (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الاستفهام .

﴿الى الذين نافقوا﴾ أى أظهروا غير ما أضمروا، أظهروا[1] الخير و بالغوا فى إخفاء عقائدهم بالشر مبالغة من ساجل[2] غيره، و هم عبد الله بن أبى و أصحابه، قالوا: و النفاق لفظ إسلامى لم تكن العرب تعرفه قبله، و هو استعارة من [3]فعل الضب[3] فى نافقائه و قاصعائه، و صور حالهم بقوله:
٥ ﴿يقولون لاخوانهم﴾ أى فى الموالاة بالضلالة[4].

و لما جمعهم فى الكفر و إن افترقوا فى المساترة و المجاهرة، وصف المجاهرين بنوع مساترة توجب النفرة منهم و تقضى بهلاك من صادقهم فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى غطوا أنوار المعارف التى دلتهم[5] على الحق، و عينهم بما أبلغ فى ذمهم [6]من حيث[6] أنهم ضلوا على علم فقال:
١٠ ﴿من اهل الكتب﴾ و هم بنو[7] النضير هؤلاء، و بكتهم بكذبهم فيما أكدوا الموعد به / لأنه فى حيز ما ينكر من جهة أنهم لايقدرون على /٢٧٩ المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الانصار و النبى صلى الله عليه و سلم فيهم فى قولهم: ﴿لئن اخرجتم﴾ [أى - [8]] من مخرج ما من بلدهم الذى فى المدينة الشريفة فخرجتم من غير أن تقاتلوا
١٥ ﴿لنخرجن معكم﴾ فكان ما قضى به على إخوانهم من الإخراج فالا و كل بمنطقهم.

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: سجل (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لفظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الضلال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: دلت (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: بحيث (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بنى (٨) زيد من ظ و م.

و لما

و لما كان من المعلوم [أن للمنافقين أقارب من أكابر المؤمنين، وكان من المعلوم -[1]] أنهم يقومون عليهم فى منعهم من القيام معهم نصيحة[2] لهم و إحسانا إليهم، و كان تجويز بنى النضير موهنا لذاك[3]، قالوا مؤكدين للكون معهم: ﴿و لانطيع فيكم﴾ اى فى خذلانكم، و المعنى أنه لو فرض أنه صار أحد فى القرب منكم مثل قرب المظروف من الظرف ما أطعناه فى ٥ التقصير فيما يسركم ﴿احدا﴾ أي يسألنا خذلانكم من الرسول و المؤمنين، و أكدوا بقولهم: ﴿ابدا لا﴾ أى ما دمنا نعيش، و بمثل[4] هذا العزم استحق الكافر الخلود الأبدى فى العذاب.

و لما قدموا فى معونتهم ما كان فالا قاضيا عليهم، أتبعوه قولهم: ﴿و ان قوتلتم﴾ أى من أى مقاتل[5] كان فقاتلتم و لم تخرجوا ﴿لننصرنكم[6]﴾ ١٠ فالآية من الاحتباك: ذكر الإخراج أولا دليلا على ضده ثانيا، و القتال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا، و معنى الآية أن النبي صلى الله عليه و سلم أرسل إلى بنى النضير: اخرجوا من بلدى و لا تساكنونى، قد هممتم بالغدر بى و قد أجلتكم عشرا، فمن رئى بعد ذلك منكم ضربت عنقه، فأرسل[5] إليهم ابن أبى بما تقدم. ١٥

و لما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فضيحة (٣) فى ظ: لهم.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: مثل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قاتل.
(٦) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

كونه مؤكدا مع كونه متبدأ من غير سؤال فيه، بين حاله[1] سبحانه بقوله: ﴿ والله ﴾ أي يقولون ذلك [2]والحال[2] أن المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ يشهد ﴾ بما يعلم من بواطنهم في عالم الغيب. ولما كان بعض من يسمع قولهم هذا ينكر أن لا يطابقه الواقع، وكان إخلافهم[3] فيه متحققا ٥ في علم الله، أطلق عليه ما لا يطلق إلا على ما كشف الواقع عن أنه غير مطابق، فقال تشجيعا للمؤمنين على قتالهم مؤكدا: ﴿ إنهم ﴾ أي المنافقون ﴿ لكذبون ﴾ وهذا من أعظم دلائل النبوة لأنه إخبار بمغيب بعيد عن العادة بشهادة ما ظننتم أن يخرجوا لحققه الله عن قريب[4].

ولما كان الكذب في قولهم هذا كونه إخبارا بما [لا -[5]] يكون، ١٠ شرحه بقوله مؤكدا بأعظم من تأكيدهم: ﴿ لئن اخرجوا ﴾ أي بنو النضير من أي مخرج كان ﴿ لا يخرجون ﴾ أي المنافقون ﴿ معهم ﴾ أي حمية [لهم -[6]] لأسباب يعلمها الله ﴿ ولئن قوتلوا ﴾ أي اليهود من أي مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم ﴿ لا ينصرونهم ﴾ أي المنافقون ولقد صدق الله وكذبوا في الأمرين ١٥ معا: القتال والإخراج، لا نصروهم ولا خرجوا / معهم، فكان ذلك / ٢٨٠ من أعلام النبوة، وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين، صدق

(١) من م، وفي الأصل وظ: حالهم (٢ - ٢) من ظ وم، وفي الأصل: فالحال (٣) من ظ وم، وفي الأصل: من اخلاقهم (٤) من ظ، وفي الأصل وم: قرب (٥) نويد من م (٦) زيد من ظ وم.

الكلام على ما لم يكن و لا يكون لو كان كيف [1] كان يكون [1] بصدق الكلام على ما لم يكن و يكون كيف يكون إذا كان في [2] قوله تعالى: ﴿ و لئن نصروهم ﴾ أى المنافقون في وقت من الأوقات ﴿ ليولن ﴾ أى المنافقون و من ينصرونه [3]، و حقرهم بقوله: ﴿ الادبار قف ﴾ . و لما كان من عادة العرب الكر بعد الفر، بين أنهم لا كرة [4] لهم بعد هذه الفرة [5] و إن ٥ طال المدى فقال: ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ أى لا يتجدد لفريقيهم [6] و لا لواحد منهما نصرة في وقت من الأوقات، و قد صدق سبحانه لم يزل المنافقون و اليهود في الذل و لا يزالون .

و لما كان ربما قيل: إن تركهم لنصرهم إنما هو لخوف الله أو غير ذلك مما يحسن وقعه [7]، علل بما ينفي ذلك و يظهر أن محط نظرهم المحسوسات ١٠ كالبهائم فقال مؤكدا له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك و كذا من قرب حاله منهم: ﴿ لأنتم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ اشد رهبة ﴾ أى من جهة الرهبة و هو تمييز محول عن المبتدأ أى لرهبتكم الكائنة فيهم [8] أشد و أعظم [9] ﴿ في صدورهم ﴾ أى اليهود و من ينصرهم [10] مما أفاض [11] إليها من قلوبهم

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: يكون كان (٢) من ظ و م، و في الأصل: قلنا (٣) من م، و في الأصل و ظ: ينصرونهم (٤) من ظ و م، و في الأصل: كثرة (٥) من ظ و م، و في الأصل: الفرقة (٦) من ظ و م، و في الأصل: لفرقتهم (٧) من ظ و م، و في الأصل: وقفة (٨) من ظ و م، و في الأصل: فيكم (٩) في ظ و م: اعظمها (١٠) في ظ: ينصرونهم (١١) من م، و في الأصل و ظ: افاص .

﴿ من الله ﴾ أى من رهبتهم التى يظهرونها لكم منه و إن ذكروه بكل
صفة من صفاته فرهبتهم منكم سبب لإظهارهم أنهم يرهبون الله رياء لكم.
و لما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن علله بقوله: ﴿ ذلك ﴾ اى
الأمر الغريب و هو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف
٥ يزينهم له و عدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته
و لكونه غنيا عنهم ﴿ بانهم قوم ﴾ [أى - [١]] على ما لهم من القوة
﴿ لا يفقهون ﴾ أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم و اعتمادهم على مكرهم
فى وقت من الأوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله هو الذى
ينبغى أن يخشى لا غيره، بل هم كالحيوانات لا نظر لهم إلى الغيب إنما هم
١٠ مع المحسوسات، و الفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلى و غامضه
الخفى بسرعة فطنة و جودة قريحة .

و لما أخبر برهبتهم دل عليها بقوله : ﴿ لا يقاتلونكم ﴾ أى كل
من الفريقين اليهود و المنافقين أو أحدهما . و لما كان الشيء قد يطلق
و يراد بعضه، حقق الأمر بقوله: ﴿ جميعا ﴾ أى [٢] قتالا يقصدونه مجاهرة
١٥ و [هم - [١]] مجتمعون كلهم فى وقت من الأوقات و مكان من الأماكن
﴿ الا فى قرى محصنة ﴾ أى ممنعة [٣] بحفظ الدروب و هى السكك الواسعة
بالأبواب و الخنادق و نحوها ﴿ او من ورآء جدر ﴾ أى محيط بهم سواء
كان بقرية أو غيرها لشدة خوفهم، و قد أخرج بهذا ما حصل من بعضهم [٤]

(١) زيد من م (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها.
(٣) من ظ ، وفى الأصل وم : ممتنعه (٤) من ظ وم، و فى الأصل : لبعضهم .

عن

عن ضرورة كاليسير، و من كان ينزل[١] من أهل خيبر من الحصن يبارز و نحو ذلك، فانه لم يكن عن اجتماع، أو يكون هذا خاصا ببني النضير في هذه الكرة[٢].

و لما كان ربما ظن أن هذا عن عجز منهم لازم لهم دفعه[٣] بقوله إعلاما بأنه إنما هو من معجزات هذا الدين[٤]: ﴿ باسهم ﴾ أي قوتهم[٥] ٥ ما فيهم من الصفات التي يتأثر عنها[٦] العذاب ﴿ بينهم شديد[٥] ﴾ أي إذا أداروا[٧] رأيا أو حارب بعضهم بعضا لجرأ المؤمنين عليهم[٨] بأن ما ينظرونه من[٨] شدتهم و شجاعتهم إذا حاربوا المشركين[٩] لا يكر[٩] عند محاربة[١٠] المؤمنين كرامة[١١] أكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما من أعلام النبوة[١٢] تقوية لإيمانهم[١٢] و إعلاء لشأنهم. ١٠

و لما كانت علة الشدة الاجتماع، شرح حالتي الشدة و الرهبة بقوله مخاطبا للنبي صلى الله عليه و سلم إشارة إلى شدة ما يظهرون[١٣] من ألف

(١) من ظ و م، و في الأصل: يترك (٢) من م، و في الأصل و ظ: الكثرة.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: فقيد (٤) من ظ و م، و في الأصل: النبي.
(٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: شدتهم (٦) من ظ و م، و في الأصل: فيها (٧) من ظ و م، و في الأصل: ارادوا (٨-٨) من ظ و م، و في الأصل: دل مايشير اوله على (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م، و في الأصل: المحاربة (١١) من ظ و م، و في الاصل: كم النعمة (١٢-١٢) من ظ و م، و في الأصل: لتقوية دا يمانيهم (١٣) من ظ و م، و في الأصل: يغرمون.

بعضهم لبعض: ﴿ تحسبهم ﴾ أي اليهود و المنافقين يا أعلى الخلق و يا أيها الناظر من كان لذلك التعاطف[1] الظاهر ﴿ جميعا ﴾ لما هم فيه من اجتماع [الدفاع -[2]] وعن ذلك نشأت الشدة ﴿ و قلوبهم شتىٰ ﴾ أي مفترقة أشد افتراق، و عن ذلك نشأت الرهبة، و موجب هذا الشتات [3]اختلاف ٥ الأهواء[3] التي لا جامع لها من نظام[4] العقل كالبهائم و إن اجتمعوا فى عداوة أهل الحق كاجتماع[5] البهائم فى الهرب من الذئب، قال القشيري: اجتماع النفوس مع تنافر[6] القلوب و اختلافها أصل كل فساد [و -[2]] موجب كل تخاذل، و مقتض لتجاسر[7] العدو، و اتفاق القلوب [8]و الاشتراك[8] فى الهمة و التساوى فى القصد[9] يوجب كل ظفر[10] و كل سعادة[11].

١٠ و لما كان السبب الأعظم فى الافتراق ضعف العقل، قال معللا: ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر الغريب من الافتراق بعد[12] الاتفاق الذى يخيل[13] الاجتماع ﴿ بأنهم قوم ﴾ أي مع شدتهم[14] ﴿ لا يعقلون ج ﴾ فلا دين لهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: متطف (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف الأصل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: النظام. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فاجتماع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تنافرت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لتحاير (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: بل اشتراك (٩) من ظ و م، و فى الأصل: العصمة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الظفر (١١) من ظ و م، و فى الأصل: السعادة. (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: بعده (١٣) من ظ و م، و فى الأصل: يخل. (١٤) زيد فى الأصل: و فوتهم بمحق بان كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

يجمعهم[1] لعلمهم أنهم على الباطل فهم[2] أسرى الأهوية، و الأهوية فى غاية الاختلاف، فالعقل مدار الاجتماع كما[3] كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى زمن النبي صلى الله عليه و سلم [4]كما أن[4] الهوى مدار الاختلاف.

و لما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى دل عليها [5]بأمر مشاهد[5] ٥ فقال: ﴿ كمثل ﴾ أى قصتهم فى عدم فقههم بل عقلهم الذى نشأ عنه إخراجهم هذا و ما[6] سببه من مكرهم و غدرهم[7] و اعتمادهم على ابن أبي و من معه من المنافقين كمثل قصة ﴿الذين من قبلهم﴾ و لما كان إدخال الجار مع دلالته على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن[8]، صرح به فقال: ﴿ قريبا ﴾ و هم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما بنو ١٠ قينقاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأسا شديدا عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه و سلم غزوة بدر فوعظهم و حذرهم بأس[9] الله فقالوا: لايغرنك[10] يا محمد أنك لقيت قوما[11] أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم، و أما و الله لو قاتلتنا[12] لعلمت أنا نحن الناس، ثم مكروا بامرأة من المسلمين فأرادوها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بجيعهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كمال.
(٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : باشد شدهد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عدادهم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بامر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لانعرفك (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : اقواما (١٢) من ظ و م و فى الأصل : قاتله .

/٢٨٢ على كشف وجهها / فأبت فعقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها، فلما قامت انكشفت سوأتها[1] فصاحت فغار لها شخص من الصحابة رضي الله عنهم، فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه، فانتقض عهدهم، فأنزل النبي صلى الله عليه و سلم بساحتهم جنود الله فأذلهم[2] الله و نزلوا من حصنهم ٥ على حكمه صلى الله عليه و سلم و قد كانوا حلفاء[3] ابن أبي، و لم يغن عنهم شيئا غير أنه سأل النبي صلى الله عليه و سلم [فيهم[4]] أن لا يقتلهم و ألح عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير حشر لهم بالإلزام بالجلاء.

و لما كان كأنه قيل: ما [كان[4]] خبرهم؟ قال: ﴿ذاقوا وبال﴾ ١٠ أي وخامة و سوء عاقبة ﴿امرهم ج﴾ [في الدنيا[5]] و هو كفرهم و عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم و حزبه الذين [هم حزب[5]] الله، و سماه أمرا لأنه مما ائتمروا فيه ﴿و لهم﴾ أي في الآخرة ﴿عذاب اليم ج﴾ أي شديد الإيلام.

و لما شبه سبحانه امرهم في [6]طاعتهم لابن[6] أبي و من معه و هم ١٥ البعداء المحترقون بسبب إبعاد المؤمنين لهم بإبعاد الله و احتراق أكبادهم لذلك[7] مع ما أعد[8] لهم في الآخرة بأمر بني قينقاع، شبه قصة الكل بقصة

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: سواقيها (٢) من ظ و م، و في الأصل: فادلهم (٣) من ظ و م، و في الأصل: خلف (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: ضمهم في ابن (٧) من ظ و م، و في الأصل: بذلك (٩) زيد في الأصل: الله، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

الشيطان [و -[1]] من أطاعه من الإنس و الجن[2]، فقال مبينا لمعنى ما حط[3] عليه آخر الكلام: ﴿ كمثل ﴾ أى مثل الكل[4] الواعدين بالنصر و المغترين بوعدهم مع علمهم بأن الله كتب فى الذكر " لاغلبن أنا و رسلى " فى إخلافهم الوعد و إسلامهم إياهم عند ما حق الأمر يشبه مثل[5] ﴿ الشيطن ﴾ أى البعيد من كل خير لبعده من الله المحترق بعذابه، ٥ و الشيطان هنا مثل المنافقين ﴿ إذ قال للانسان ﴾ أى كل من فيه نوس و اضطراب و هو هنا مثل اليهود: ﴿ اكفر ﴾ أى بالله بما [زين -] له و وسوس إليه من اتباع الشهوات القائم مقام الأمر.

و لما كان الإنسان بما يساعد تزيين الشيطان عليه من شهواته و حظوظه و أخلاقه يطيع أمره غالبا قال: ﴿ فلما كفر ﴾ أى[6] أوجد الكفر على ١٠ أى وجه كان، و دلت الفاء على إسراعه فى متابعة تزيينه ﴿ قال ﴾ أى الشيطان الذى هو هنا عبارة عن المنافقين مؤكدا لما لمن تعلق بمن أكد له الوعد بشىء من صادق الاعتماد عليه و التكذيب بأنه[7] يخذله: ﴿ انى برىء منك ﴾ أى ليس بينى و بينك علاقة فى شىء[8] أصلا ظنا منه أن هذه البراءة تنفعه شيئا [9]مما استوجبه[9] المأمور بقبوله لأمره، و ذلك ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الجان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حد (٤) زيد فى الأصل اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦) زيد فى الأصل و م: الانسان، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الاصل: بان (٨) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: لما يستوجبه.

كناية [عن - [1]] أنه فعل معه من الإعراض عنه و التمادي في كل ما يدل على إهماله فعل من أكد البراءة منه، و ذلك كما فعل المنافقون باليهود [2] جرأوهم على أمر ينهى و هو الإقامة في بلدهم، فلما نصبوا الحرب طمعا في نصرهم فعل المنافقون بتباطؤهم عنهم فعل المتبرئ منهم [3]، فكان ذلك أشد عليهم مما لم يطمعوهم في نصرهم لأن هذا بمنزلة انهزامهم [4] عنهم من الصف الموجب لانهزامهم / لامحالة، ثم علل البراءة بقوله: ﴿انی اخاف الله﴾ أي الملك [5] الذي لا أمر لأحد معه فلا تطاق صولته، ثم شرح ذلك بقوله: ﴿ رب العلمين ه﴾ أي الذي أوجدهم من العدم و رباهم بما يدل [على - [6]] جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى، فلا يغني أحد من خلقه عن أحد شيئا إلا باذنه و [هو - [6]] لايغفر أصلا لمن يقدح [7] في ربوبيته و لاسيما إن نسبها إلى غيره، و كان هذا كمثل ما يجد الإنسان بعد الوقوع في المعصية من الندم و الحيرة، فاذا وجد ذلك و هم بالتوبة زين له المعصية و صعب عليه أمر التوبة و عسره وجرأه على المعصيته بعينها أو على ما هو أكبر منها، و لايزال كذلك حتى يتعذر عليه الرجوع فيتحقق هلاكه و هلاك من أوقعه، فلذلك سبب عنه قوله: ﴿ فكان ﴾ و لما كان تقديم الشيء على محله موجبا لروعة تنبه الإنسان للتفتيش [8] عن السبب و التشويق إلى المؤخر قال: ﴿ عاقبتهمآ ﴾ مقدما

(١) زيد من ظ و م (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عنهم (٤) من ظ و م، و في الأصل: اعتزالهم (٥) من ظ و م، و في الأصل: الامر (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و في الأصل: قدح (٨) من ظ و م، و في الأصل: التنفير.

لخبر «كان» ﴿ انهما ﴾ أى الغار[1] و المغرور ﴿ فى النار ﴾ حال كونهما ﴿خلدين فيها﴾ لأنهما ظلما [ظلما -[2]] لا فلاح معه . و لما كان ذلك قد يحمل على أنه [فى -[3]] الإنسان بعينه ، قال معلقا بالوصف[4] ، تعميما و زجرا عنه : ﴿ و ذلك ﴾ أى العذاب الأكبر ﴿جزآؤا الظلمين ﴾ أي كل [من -[2]] وضع العبادة فى غير محلها . ٥

و لما أبلغ سبحانه فى المواعظ فى هذه السورة قولا و فعلا ، و كانت الإيقاعات المذكورة فيها مسببة عن الخيانات ممن كان له عهد فنقضه ، أو ممن كان أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه ، قال سبحانه و تعالى استنتاجا عن ذلك[6] وعظا للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع فى النفس و اعظم فى ترقيق القلب و تحذيره مما يوجب العقوبة : ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ ١٠ مناديا لهم نداء[7] البعد معبرا بأدنى أسنان الإيمان لأنه عقب ذكر من اقر بلسانه فقط ﴿ اتقوا الله ﴾ اى اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه و لا بد[8] أن يستعرض عبيده ، فاحذروا عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى ﴿ و لتنظر نفس ﴾ أى كل نفس تنظر إلى نفاستها و تريد العلو على أقرانها ، و لعله وحدها ١٥ للاشارة مع إفادة التعميم إلى[9] قلة الممتثل لهذا الأمر جدا ﴿ ما قدمت ﴾

---

(١) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعطف (٥) ليس فى الاصل فقط (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها . (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : حـدا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : او .

أى من الزاد الذى يكون به صلاح المنزل الذى من لم يسع فى إصلاحه لم يكن له راحة، هل يرضى الملك ما قدمته فينجيها أو [1]يغضبه فيرديها[1].

و لما كان الأجل مبهم الوقت، فكان لقاء الله فى كل يوم بل كل لحظة للعاقل مترقبا لكونه ممكنا [مع كونه -[2]] على الإطلاق [محققا -[2]] ٥ لايجهله أحد، قال مشيرا بتنكيره و إبهامه إلى تهويله و إعظامه: ﴿لغد ج﴾ أى لأجل العرض بعد الموت أو فى يوم القيامة الذى هو فى غاية القرب لأن هذه الدنيا كلها / يوم واحد يجىء فيـــه ناس و يذهب آخرون، ٢٨٤ / و الموت أو الآخرة غده، لابد [من -[3]] كل منهما، و كل ما لابد منه فهو فى غاية القرب لاسيما إن كان باقيا غير منقض، و كل من نظر ١٠ لغده أحسن مراعاة يومه، و تنوينه[4] للتعظيم من جهات [لا تحصى -[3]].

و لما أمر بتقواه سبحانه خوفا من سطوته أمر بتقواه لأجل مراقبته حياء من جلاله و هيبته تأكيدا للأمر لأن مدار النجاة على التقوى لأن مكايد الشيطان دقيقة، فمن لم يبالغ فى محاسبة نفسه و تفقد[5] ما يمكن أن يكون من الخلل فى أعماله أوشك أن يحبط [الشيطان -[3]] أعماله فقال تعالى: ﴿و اتقوا الله[ط]﴾ ١٥ أى الجامع لجميع صفات الكمال [6]أى اتقوه[6] حياء منه، فالتقوى الأولى لإيجاد صور الأعمال، و هذه لتصفيتها و تزكية أرواحها، و لذلك علل بقوله

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: يعقبه فيزدريها (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بنويه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يفقد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

مرغبا مرهبا: ﴿ان الله﴾ اى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى[1] ﴿خبير﴾ أى عظيم الاطلاع على ظواهركم و بواطنكم و الإحاطة ﴿بما تعملون﴾ فلا تعملون عملا إلا كان بمرأى منه و مسمع فاستحيوا منه، و كرر الاسم الأعظم كراهية أن [2]يظن تقييد[2] التقوى بحيثية من الحيثيات تعظيما لهذا المقام إعلاما بأن شؤنه لا تنحصر[3] و أن إحاطته ٥ لا تخص مقاما دون مقام و لا شأنا سوى[4] شان.

و لما هز إلى تقواه تارة بالخوف و أخرى[5] بالحياء تأكيدا لها، و علل ذلك بما له شعبة [من التحذير -[6]]، و كان الإنسان لما له من النسيان أحوج إلى التحذير، قال مؤكدا لشعبته و إيضاحا لأن التقوى الثانية[7] لمحاسبة النفس فى تصفية العمل: ﴿و لا تكونوا﴾ أيها[8] المحتاجون إلى التحذير ١٠ و هم الذين آمنوا[9] ﴿كالذين نسوا الله﴾ [أى -[6]] أعرضو عن أوامره و نواهيه و تركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ما له من صفات الجلال و الإكرام لما استغواهم به من أمره الشيطان حتى أبعدهم جدا عن العمران ﴿فانسٰهم﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه أنساهم بما له من

(١) زيد فى الأصل: سبحانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يفيد (٣) زيد فى الأصل: ولا تدخل تحت حصر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: دون. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تارة (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اى. (٩) من ظ و م، و فى الأصل: جبلتهم نسيان التقوى.

الإحاطة بالظواهر و البواطن ﴿انفسهم﴾ فلم يقدموا لها ما ينفعها و إن قدموا شيئا كان مشوبا بالمفسدات [1]من الرياء[1] و العجب، فكانوا ممن قال فيه سبحانه و تعالى " وجوه يومئذ خاشعة عاملة [2]ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية[2]"؛ لأنهم لم يدعوا بابا من أبواب الفسق فان رأس الفسق ٥ الجهل بالله، و رأس العلم و مفتاح الحكمة معرفة النفس، فأعرف[3] الناس بنفسه[4] أعرفهم بربه[5] "[6]من عرف نفسه فقد عرف ربه[6]".

و لما كانت ثمرة ذلك أنهم أضاعوها - [6]أي التقوى[6] - فهلكوا قال: ﴿اولٓئك﴾ أي البعيدون من كل خير ﴿هم﴾ أي خاصة [6]دون غيرهم[6] ﴿الفسقون﴾ أي العريقون [7]في المروق[7] من دائرة الدين.

١٠ ولما تم الدليل على أن حزب الله هم المفلحون لما أيدهم به في[8] هذه الحياة الدنيا من النصر و الشدة على الأعداء و اللين و المعاضدة للأولياء و سائر الأفعال الموصلة إلى / جنة المأوى، و صرح في آخر الدليل بخسران حزب الشيطان فعلم أن [6]لهم مع[6] هذا الهوان عذاب النيران، و كان المغرور بعد هذا بالدنيا الغافل عن الآخرة لأجل شهوات فانية ١٥ و حظوظ زائلة عاملا عمل من يعتقد أنه لا فرق [بين -[9]] الشقي بالنار

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: بالرياء (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و في م: الآية (٣) في ظ: فان اعرف (٤) من ظ و م، و في الأصل: بربه (٥) من ظ و م، و في الأصل: بنفسه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: من المروقة (٨) من ظ و م، و في الأصل: من (٩) زيد من ظ و م.

و السعيد بالجنة لتجشمه التجرع لمرارات الأعمال المشتملة عليها، أشبع ذلك قوله منزلا لهم منزلة الجازم بذلك أو الغافل عنه تنبيها لهم على غلطتهم و إيقاظا من غفلتهم : ﴿لا يستوى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿اصحٰب النار﴾ التى هى محل الشقاء الأعظم ﴿و اصحٰب الجنة[1]﴾ التى هى دار النعيم الأكبر لا فى الدنيا و لا فى الآخرة و هى من أدلة أنه لا يقتل مسلم بكافر . ٥

و لما كان نفى الاستواء غير معلم فى حد ذاته بالأعلى من الأمرين، وكان هذا السياق معلما بما حفه من القرائن بعلو أهل الجنة، صرح به فى قوله : ﴿ اصحٰب الجنة هم ﴾ أى[1] خاصة ﴿الفآئزون ﴾ المدركون[2] لكل محبوب الناجون من كل مكروه، و أصحاب النار هم الهالكون فى الدارين كما وقع فى هذه الغزوة لفريق المؤمنين و بنى النضير و من والاهم من ١٠ المنافقين، فشتان ما بينهما .

و لما كان قد مر فى هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكمة هذا القرآن و إعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة تجلو عنه كل إشكال، و تارة بما يشاهد من صدقه فيما أخبر[3] باتيانه من الأفعال، و أخرى بما يتحدى به من الأقوال، و مرة بنظم كل جملة مع ما[4] تقدمها على ما لم يمكن ١٥ لبشر[5] مثله فى الأحوال إلى غير ذلك من أمور لا يحصرها المقال، ترتب على ذلك قوله مبينا أن سبب افتراق[6] الفريقين فى العقبى افتراقهم فى

---

(١) وقع فى الأصل قبل «هم» و الترتيب من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : المذكورون (٣) زيد فى الأصل : به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل : بما (٥) من م، و فى الأصل و ظ : السر (٦) من ظ و م، و فى الأصل : اقتران .

هذا القرآن [في الأولى - ١] تمثيلاً ٢ للقلوب في قسوتها أو لينها عند سماع القرآن و تخييلاً ، توبيخاً للقاسي و مدحاً للعاطف اللين ، لافتاً القول إلى أسلوب العظمة لاقتضاء الحال لها : { لو أنزلنا } بعظمتنا التي أبانها هذا الإنزال { هذا القرآن } أي الجامع لجميع العلوم ، الفارق

٥ بين كل ملتبس ، المبين لجميع الحكم ٣ { على جبل } أي أي ٤ جبل كان { لرأيته } ٥ مع صلابته و قوته ٥ يا أشرف الخلق [إن لم يتأهل غيرك لمثل تلك الرؤية - ١] { خاشعاً } أي مطمئناً مخبتاً على صلابته متذللاً باكياً { متصدعاً } أي متشققاً غاية التشقق كما تصدع ٦ الطور لتجلينا له بما دون ذلك من العظمة التي جلونا كلامنا الشريف لموسى عليه

١٠ السلام في ملابسها { من خشية الله } أي من الخوف العظيم ممن له الكمال كله حذراً من أن لا يكون مؤدياً ما افترض عليه من تعظيم القرآن عند سماعه فما لابن آدم و قد آتاه الله ٧ من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف بحقه ، و يعرض عما فيه من العبر ، و في الآية مدح / للنبي صلى الله عليه ٢٨٦ / و سلم في ثباته ٨ لما لا تثبت ٨ له الجبال ، و ذم للمعرضين بكونهم أقسى

١٥ من الجبال .

و لما كان التقدير تبكيتاً و توبيخاً لمن لم يرق للقرآن " اعلم بأن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بمنكم (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الاحكام (٤) سقط من م (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

(٦) من ظ و م ، و في الأصل : تدع - كذا (٧) سقط من م (٨-٨) من م ، و في الأصل و ظ : مما لم يثبت .

للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق" فانا قد فصلنا لهم الحلال و الحرام و الأمر و النهي و أوضحنا الحكم و دللنا على المتشابه و قصصنا الأقاصيص بعد جعلهم عقلاء ناطقين ، فتلك أقاصيص الماضين[1] لعلهم يعتبرون . عطف عليه قوله: ﴿ و تلك الامثال ﴾ أى التى لا يضاد فيها شيء ﴿ نضربها للناس ﴾ أى الذين يحتاجونها و هم من فيهم تذبذب ٥
و إضطراب ﴿ لعلهم يتفكرون ه ﴾ أى لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى تفكره فى تلك الأمثال فينفعه ذلك إذا أداه[2] التفكر إلى التذكر فرأى تنبيه الرسول الله صلى الله عليه و سلم [له -[3]] أن كل ما فى القرآن من شيء ففيه [مشاهد -[3]] منه فتطابق له كتاب الخلق و[4] كتاب الأمر فتخلى عن الشهوات البهيمية فنجا من الحظوظ النفسية ١٠
فتحلى بالملابس الروحانية فصار بالمجاهدات و المنازلات[5] إلى الصفات الملكية فكان أهلا للمقامات القدسية فى الجنان العلية .

و لما أعلى سبحانه أولياءه بأن فتح السورة [بالإيمان -[3]] بالغيب و هو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل و كل شائبة نقص و ينزل لعباده فى أسباب الصفات و الأفعال إلى أن أوصلهم إلى محسوس ١٥
الأمثال فتأهلوا للفناء فى ذاته و ما على من صفاته الموجبة لخشيته ، رقاهم إلى التفكر فى تفصيل ما افتتح به ، فقال عادلا عن أسلوب العظمة إلى

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : الماضى (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : اداوه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٥) من م ، و فى الأصل : المنازات .

أعظم منها بأسبال حجب العزة[1] على منهاج الحكمة : ﴿ هو ﴾ أي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له أصلاً[2] بوجه من الوجوه، فلا يستحق الوصف بـ « هو » غيره لأنه الموجود دائماً أزلاً و أبداً، فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس، فلذلك يتصدع الجبل ٥ من خشيته،

و لما عبر بأخص أسمائه، أخبر عنه لطفاً بنا و تنزلاً[3] لنا بأشهرها الذي هو مسمى الأسماء كلها فقال: ﴿ الله ﴾ أي المعبود الذي لا ينبغي العبادة إلا له، الذي بطن بما لم تحط[4] و لاتحيط [به - °] العقول من نعوت الكبرياء و العظمة و الإكرام، فظهر بأفعاله[6] التي لا تضاهى بوجه ١٠ غاية الظهور، فتميز غاية التميز، فلم يلحقه شرك أصلاً في أمة[7] من الأمم و لانسمة من النسم، قال الحرالي في شرح الأسماء: و هو لوه[8] القلوب و العقول أي محارها[9] الذي لا تدركه، فلزم الخلق من توحيد اسم الإله ما حصل لهم من توحيد اسم الله [من الأحدية الإحاطية - انتهى - °] فلذلك [كان وصفه " الذي لا إله إلا هو " فإنه لا يجانس له و لا يليق ١٥ و لا يصح و لا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء و الإله أول اسم لله فلذلك - °]

(١) من م، و في الأصل و ظ : العز (٢) سقط من ظ و م (٣) من م، و في الأصل و ظ : تنزيلا (٤) زيد في الأصل : به الأفكار، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و في الأصل و ظ : من العالى (٧) من م، و في الأصل : امته (٨) من ظ و م، و في الأصل : او ه (٩) زيد في الأصل و ظ : اى، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها.

لا يكون احد مسلما إلا بتوحيده فتوحيده فرض و هو أساس كل فريضة[1]، و توحيد سائر الأسماء نفل و هو أساس كل نافلة، فمن وحد [في -[2]] الكل فقد كمل دينه / و تمت النعمة عليه و إلا كان من الذين آمنوا، فان / ٢٨٧
كان ذلك منه قولا عصم من نار الأحكام على الأبدان في الدنيا، و إن كان علما تخلص من نار الهلع[3] على النفوس في الدنيا، و هو الجزع ٥ عند مس الشر، [4]و المنع و البخل[4] عند مس الخير، و لن يشهد التوحيد في هذه الكلمة التي مضمونها توحيد اسم الإله إحسانا إلا بعد إحصاء جميع الأسماء [علما - [5]]، قال الحرالي: و الإله[6]: التعبد و هو التذلل، فمن توهم حاجته بشيء و توهم أن عنده تمام حاجته تذلل [له - [2]] فكان تذلله له تألها[7]، [8]و كل من عبد ما أحاط به عينه[9] فقد خذل عقله عن ١٠ تصحيح معنى الإله الذي يجب أن يكون غيبا[10]، فكان تصحيح معنى الإله[11] أنه غيب قائم مستحق للعبادة و التذلل لأجل قيامه و الاستغناء به.

و لما أخبر بتفرده، دل عليه بآية استحقاقه لذلك، فقال مقدما لما هو متقدم في الوجود: ﴿ علم الغيب ﴾ اي الذي غاب عن علم جميع

(١) من ظ و م، و في الأصل: فرض (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و في الأصل وظ: الهامع (٤) من ظ و م، و في الأصل: اضع - كذا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و في الأصل: الادلة (٧) من ظ و م، وفي الأصل: لقلوها (٨) زيد في الأصل و ظ: هو و، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٩) من ظ و م، و في الأصل: يمينه (١٠) من ظ و م، و في الأصل: سببا (١١) في ظ و م: اله.

خلقه . و لما كان ربما ظن أن وصفه بالغيب أمر نسبي[1] سمى غيبا بالنسبة لناس دون ناس ، دل بذكر الضد على أن المراد كل ما غاب وكل ما شهد فقال تعالى : ﴿ و الشهادة ﴾ أي الذي وجد فكان بحيث يحسه[2] و يطلع عليه بعض خلقه .

٥ و لما تعالى في صفات العظمة و نعوت الجلال و الكبر فبطن غاية البطون ، أخذ في رحمة العباد[3] بالتنزل لهم بالتعرف إليهم بعواطف الرحمة فقال بانيا الكلام على الضمير إعلاما بأن المحدث عنه أولا هو بعينه المحدث عنه ثانيا : ﴿هو الرحمن﴾ أي العام الرحمة، قال الحرالي رحمه الله تعالى : و الرحمة إجراء الخلق على ما يوافق حسبهم[4] و يلائم خلقهم ١٠ و خلقهم و مقصد أفئدتهم ، فاذا اختص ذلك[5] بالبعض كان رحيمية[6]، و إذا استغرق كان رحمانية ، و لاستغراق[7] معنى اسم الرحمن [لم يكن لاتمام معناه وجود في الخلق ، فلم يجر بحق على أحد منهم فلذلك لحق اسمه الرحمن -[8]] في معنى استغراقه[9] - يعني باسم الله .

و لما كانت الرحيمية خاصة بما ترضاه الإلهية قال تعالى : ﴿الرحيم ه﴾ ١٥ أي ذو الرحمة العامة المسعدة[10] في الظاهر و الرحمة الخاصة المسعدة[11] في

(١) من ظ و م ، و في الأصل : سبى (٢) من ظ و م ، و في الأصل : يحثه .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : للعناد (٤) من ظ و م ، و في الأصل : مسهم .
(٥) من م ، و في الأصل و ظ : بذلك (٦) من ظ و م ، و في الأصل : رحمه .
(٧) من ظ و م ، و في الأصل : لاستغراق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و في الأصل : لاستغراقه (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : المستعدة .
(١١) من ظ و م ، و في الأصل : المسعد .

الباطن ، قال [الحرالى - [١]] : الرحمة من الرحيم اختصاص من شملته الرحمانية بمزية ما أوثر به من الرحمة [٢] فى مقابلة من آل أمره إلى نعمه ليجمع مقتضى الاسمين بين عموم الرحمانية و اختصاص الرحيمية [٢] . و لما أظهر على الخلق خصوص الإيثار ، أجرى عليهم اسم الرحيم كرحمة الخلق ابناءهم . و لما كان حق [٣] اسم الرحيم إثبات رحمة [٤] غير مجذوذة [٤] و لم يكن ذلك ٥ للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم إلا الله الذى إذا اختص بالرحمة لم يجدها "فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام / لها [٥] و الله سميع عليم [٥] " ؛ إن الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه ، / ٢٨٨ "و اما الذين سعدوا ففى الجنة خلدين فيها ما دامت السموت و الارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ" فلذلك لا رحيم بالحقيقة إلا الله تحقيق [٦] ١٠ علم كما أنه لا رحمان إلا الله بادى معنى [٧] .

و لما كان الملك [٨] كمال استيلاء على الخلق يقصرهم [٩] به ملكهم على بعض مستطاعهم و يدينهم - اى يجزيهم - على حسب دينهم أى ما وضع لهم من عادة قصره لهم و حكمه عليهم و بحسب إحصائه عليهم دقيق أعمالهم و إحاطته بخفى أحوالهم [١٠] و الاطلاع على سرائرهم بتحقيق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كمال الملك ، فكان لذلك لا تتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون العلم ١٥

---

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احق (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : محدودة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يتحقيق (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : منى (٨) فى ظ و م : للملك (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : يقصر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم .

بالسر و أخفى ، و المحصى الحسيب لمثاقيل الذر ، الخبير بخبأ الكون ، فكان لاملك فى الحقيقة إلا الله ، و لكنه تعالى لما كان قد أولى الخلق من رفعة بعضهم فوق بعض ما أجرى عليهم اسم الملك فتنة لهم فضل [1] بسبب ذلك قوم [1] ادعوا الملك الحقيق ، فغلط من أراد الله من الخلق فيهم ٥ فضلوا بهم ، أعاد التهليل مع اسمه الملك كما ابتدأه مع اسمه الإله أول أسماء الله ، و لذلك أيضا قال النبى صلى الله عليه و سلم فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى رواه الشيخان و أبو داود و الترمذى فى حديث الذى يسمى ملك الملوك فى رواية مسلم : لاملك إلا الله ، فقال مصرحا بما فى باطن اسمى الرحمة من القهر و الجبر على النسق الأول فى البناء على ١٠ الضمير تأكيدا لتعين المحدث عنه [و توحيده - [2]] : ﴿ هو الله ﴾ أى الذى لايقدر على تعميم الرحمة لمن أراد و تخصيصها بمن شاء ﴿ الذى لآ اله ﴾ [3] اي [4] معبود بحق ﴿ الاهو ج الملك ﴾ فلا ملك فى الحقيقة إلا هو لأنه لا يحتاج إلى شيء ، فانه مهما أراد كان .

و لما كان الملك أصل ما لحق الخاق [5] من الآفات لأنه راس ١٥ الشرف الذى هو باب الترف [6] الملازم لمخالفة كتاب الله أما فى الأعمال فيكون فتنة ، و أما فى الرأى فيكون علوا و كبرا و كفرا ، فان أمر الله فى آدم على ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهى نزوله فيكون

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : قوم سبب ذلك (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى ظ و م : إلا هو (٤) زيد فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الحق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اشرف .

ملكا ثم تداعي الأحداث ، فلكان تداعي الملك لموجبات الذم قال عقب صفات الملك : ﴿ القدوس ﴾ مصرحا بما لزم عن تمام ملكه من أنه بليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به[1] ضمير ، فان القدس طهر لايقبل التغير و لا يلحقه رجس فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس، و لمكان ما حوّل سبحانه ٥ الخلق من حال طهر لايظهر فيه تغير [بما ـ[2]] دونه أجرى عليهم اسم القدس كروح القدس المؤيد للشارع ينفث في روعة المؤيد لشاعره[3] في مكافحته[4] عنه ، و لأجل / قصر تخلي الخالق بالملك في قليل متاع[5] الدنيا / ٢٨٩ رغب النبي العبد صلى الله عليه و سلم عنه ، و اختار العبودية الدائمة بدوام العزة لسيده ، فوضح بذلك علم أن لا قدوس[6] إلا الله حقيقة معنى ١٠ و تصحيح إحاطة .

و لما كان سبحانه لتمام ملكه و علو ملكه و كمال قدسه لايتصور أن يلحقه نقص في ذات[7] و لا صفة و لا فعل . فلا يقبح[8] منه إهلاك[9] على حال من الأحوال و لامس بضر في الدنيا و الآخرة في وقت من الأوقات لأنه سبحانه ، لعلمه[10] بالظواهر و البواطن على حد سواء ، يضع الأمور في ١٥

(١) من ظ و م ، و في الأصل : فيه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و في الأصل : لشارعه ، و العبارة من « ينفث » الى هنا ساقطة من ظ (٤) من م ، و في الأصل و ظ : مكافحة (٥) من م ، و في الأصل و ظ : امتاح (٦) زيد في الأصل : حقيقة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك ب ـ كذا (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فلا تصح . (٩) من م ، و في الأصل و ظ : هلاك (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : يعلم .

أحكم [1]مواضعها بما[1] لايدركه غيره أصلا أولا يدركه حق إدراكه فاحتيج إلى ما يؤمن من ذلك، و كان السلام حد ما بين الألفة و الفرقة و حد ما بين الرحمة و السطوة و هو أدنى منال[2] الجاهل من[3] عباد الرحمان، و منال المعتدى[4] من المقتدر، و كان سلام المسلم للجاهل مداراة لئلا يزيد فى جهله عليه، أو ارتقابا لاستقبال مكنة، و كان الله لايعبأ بالخلق و لايحتاج[5] لارتقاب مكنة لأنه لايعجزه شيء فلم يتحقق السلام بكل معنى من وجود[6] السلامة له و إفاضتها[7] على غيره[8] تماما إلا منه [إعفاء من معاجلة استحقاق السطوة و حفيظة لحرمة اختصاص الرحمة، أتبع ذلك مؤمنا -[9]] للعاصى من المعاجلة و للطيع من سوء المعامله قوله: ﴿ السلـٰم ﴾ لأنه حد ما بينهما ظاهرا، و لذلك أردفه بما يتعلق بالباطن لتحصل إحاطة السلامة ظاهرا و باطنا فقال: ﴿ المؤمن ﴾ لأن الأمن[10] حد ما بين المحبة و الكره فيمن لا وسيلة له للحب [و هو أدنى ما يقبله ذو الحق ممن يستحق منه الحب، و لذلك لم يقبل بذل الحق ممن كان ظاهر الوسيلة للحب -[9]] إلا بالحب فلم يثبت إيمان المؤمن بمجرد الإيمان

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: موضعها ما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مثال (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م، و فى الأصل: للتعدى (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وجوه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اضافتها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: عزة (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م. و فى الأصل: المومن.

حبا

حبا له بل إيثارا لمحبته على كل حب و مساواة لأخيه المؤمن فيما يحب لنفسه، و أدناه الأمنة [فى - [1]] الغيب[2] من الغيبة و العيب إلى غاية الأمان من بوائق الغشم[3] و الظلم من الجار المستحق حفظ جاره فى غيبه، فالإخلال بالإيمان لكونه الأمنة فى الغيب نفاق، و الإخلال بالإسلام لكونه السلم فى المواجهة إجرام، فبأدنى إخلال فى جانب الحق أو الخلق ٥ يثلم الإسلام و الإيمان، و ذلك [كله - [1]] إنما هو فى الحقيقة من الله تعالى فهو الذى يعزى إليه الأمن و الأمان بإفادته أسبابه و منع أسباب المخاوف فلا أمن فى الوجود و لا امان إلا و هو مستفاد من جهته.

و لما كان الاطلاع على بيّن ما ذكر ليتحقق معنى السلم و الأمن، و على كل من تلك الحدود خفيا جدا يفتقر إلى مزيد علم، قال: ١٠ ﴿ المهيمن ﴾ فان الهيمنة شهادة خبرة و إحاطة و إبصار لكلية ظاهر الأمر و باطنه بحيث لا يخفى منه خافية هوية و لا بادية ظاهر[4]، و لإحاطة معناه لا يكاد يقع له فى الخلق مسوغ إطلاق إلا مسامحة لأن الخلق لا يشهدون إلا الظواهر و لا يشهدون من الباطن، و لذلك انعجم معناه على كثير من فصحاء العرب، فمفهوم[5] معناه موجب توحيده فواضح إذ لا مهيمن ١٥ / بمعنى أنه شهيد على الوجه المشروح[6] مع الأمانة المأمونة و الحفظ و الرعاية / ٢٩٠ فيكون قائما على [كل - [1]] شىء بكل ما له من رزق و عمل و أجل

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المغيب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: انقسم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهرة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فهو (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المزوح.

إلا هو ، و لذلك كان القرآن الذى هو صفته سبحانه و تعالى مهيمنا على جميع الكتب التى قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب ، فمن كان به أمهر[1] كان بذلك أعلم .

و لما كان تمام الخبرة[2] ملزوما لتمام القدرة ، صرح بهذا اللازم ٥ فقال : ﴿ العزيز ﴾ و العزة غلبة لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة و لا انفلات و لا إعجاز ، فالعزيز الذى صعب على طالبه إدراكه مع افتقار كل شىء إليه فى [كل - [3]] لحظة ، [4]الشديد فى انتقامه الذى لا معجز له فى إنفاذ حكمه ، و لذلك ينظم كثيرا بآيات إمضاء الأحكام متصلا بالحكمة و العلم انباء عن العدل ، قال الغزالى : و هو الذى يقل وجود مثله و تشتد ١٠ الحاجة إليه و يصعب[5] الوصول [إليه - [6]] . و لما كان المغلوب على[7] الشىء فيؤخذ من يده قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر[8] ما غلب عليه للغالب و قد [لا - [3]] يكون العز[9] ظاهرا لكل أحد ، أردفه بقوله : ﴿ الجبار ﴾ و هو العظيم الذى يفوت المقاوم مناله ، فهو على هذا من أسماء الذات و يصلح أمور من يريد من الخلق و يقهرهم على ما يريد . فهم أحقر من أن يعصوه طرفة ١٥ عين بغير إرادته ، و الجبر : طول يلحق الأدنى لما[10] يريد منه الأعلى و يغيب من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : امر (٢) زيد فى الأصل : بذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : بل هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يعصب . (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فيباشر (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : العزيز (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الى ما .

الأعلى ما يحاول مناله [منه -[1]] الأدنى مع الظهور التام الذى تدور مادته عليه، فالجبار لايخرج شيء[2] من قبضته، و تقصر الأيدي عن حمى عز[3] حضرته، و لاينال منه إلا ما نوّل، و هو أبعد شيء عن أوصاف الخلق لمنال الذباب منهم ما شاء و عجزهم عنه، [و -[1]] لما فيه من الإلجاء[4] كان هو الاسم الذى يلجيء النار لقصرها على مراده منها من الحسب الذى جبلها ٥ على ضده من الاستزادة فلا تزال تقول ما جبلت عليه : هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه[5] أى يهينها فان القدم موضع الإهانة[6]، [و هذه الإهانة -[1]] هى من مبدأ ظهور غلبة الرحمة للغضب، فله الملك ظهورا بالأيدى الظاهرة من الإنسان و ما دونه، و له الملكوت بطونا بالأيدى الباطنة من الملك و ما دونه، و له الجبروت اختصاصا من وراء كل ١٠ ملك و ملكوت .

و لما كان الإلجاء قد يكون بنوع ملاطفة، أتبعه قوله : ﴿ المتكبر[1] ﴾ ليعم الإلجاء الظاهر و الباطن فالكبرياء جملة تأدى امر الله و ظاهر خلقه الذى [7]يجد الخلق[7] صغرهم من دونه و كبره عليهم و امتناعه[8] عما لا يريد من مرادهم، لأن الكل حقيرون بالإضافة إلى جلاله و عز[9] جبروته و عظمته ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م . و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : غير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الحاء (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قدميه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اهانة (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يخلق (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امتناعهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غيره .

و كماله ، و لسواء الخلق فى عام حضرة القدرة شملهم الصغر فلم يصح منهم كبر ، و لا شرع لهم تكبر ، فلم يكن للخلق منهم حقيقة حظ و لا لبس حق ، فاختص بهذا الاسم لاستيلائه على الظواهر باظهار / ما له من الكبر لعدم الحاجة إلى شيء و بالجاء غيره إلى الاحتياج إليه و الإيقاع[1] بجبابرتهم و إذلالهم و غير ذلك من الأمور المزعجة المرهبة من غير مبالاة بشيء كما اختص بالجبار لاستيلائه على البواطن .

/ ٢٩١

٥

و لما تقرر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاؤه على الظواهر و البواطن باللطف و العنف ، أنتج ذلك تعاليه عن شوب نقص لاسيما بالشرك فقال سبحانه : ﴿ سبحن الله ﴾ أى تنزه الملك الأعلى الذى اختص بجميع صفات الكمال تنزها لاتدرك العقول منه أكثر من أنه علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شيء من نقص ﴿ عما يشركون ﴾ أى من هذه المخلوقات [من -[2]] الأصنام و[3] غيرها مما فى الأرض أو فى السماء من كبير و صغير و[4] جليل و حقير .

١٠

و لما تم دليل الوحدانية بما حصل من التفهيم بالتدنى إلى الملك ثم بالتعلى إلى التكبر فأنتج هذه الخاتمة ، ابتدأ سبحانه دليلا آخر هو[5] فى غاية التنزل و الوضوح ، فقال مفتتحا بما افتتح به الاول من الترتيب فى المراتب الثلاث ، غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه ،

١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الانتفاع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو .

إعلاما

إعلاما بأنه لا براح عن الإيمان بالغيب ، و من برح عنه هلك ﴿ هو ﴾ اى الذى لاشيء يستحق أن يطلق عليه [هذا الضمير - [1]] غيره لأن وجوده من ذاته و لا شيء غيره إلا و هو ممكن فهو أهل لأن لا يكون فلا يكون له ظهور ليكون له بطون .

و لما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو أظهر الأشياء، أخبر عنه[2] ٥ باشهر الأسماء الذى لم يقع فيه شركة بوجه فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى ليس له سمى[3] فلا كفوء له فهو المعهود بالحق فلا شريك له بوجه. و لما بدأ سبحانه بهذا الدليل الجامع بين[4] الغيب و الظهور، ثنى بتنزل متضمن للعلم و القدرة فهو فى غاية الظهور فقال : ﴿ الخالق ﴾ أى الذى لاخالق على الحقيقة[5] إلا هو لأن الخلق فرض حد و قدر فى مطلق منه لم يكن[6] ١٠ فيه بعد حد و لا قدر كالحاذى يخلق أى يقدر فى الجلد حدا[7] و قدرا لنعل و نحوه و هو سابق للفرى و البرى و نحوه "سبق العلم العمل" فالخالق[8] فى الحقيقة[8] هو الذى كل شيء عنده بمقدار، الذى يقول "يخلقكم فى بطون امهتكم خلقا من بعد خلق" "و ان من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم" و من ناشئة القدر الفرق و الترتيب ، و من ناشئة ١٥

---

(١) زيدت العبارة من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عنهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مسمى (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) زيد فى الأصل : غيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم يكن (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : حد (٨-٨) فى ظ و م : حقيقة .

الفرق و الترتيب الإحياء و الإماتة، و من معاد الفرق [١]و الإحياء والإماتة[١]
على أول أمره الجمع و الرب، فلا يملك الخلق و الفرق إلا من يملك
الجمع و الرب، و قد أوتى الخلق ملكاً ما فى الفرق و الشتات، و لم يملكوا
جمع[٢] ما فرقوا و لا ألف ما شتتوا كالقاطع[٣] عضوا لايقدر على لأمه،
٥ و الهادم بناء لايقدر على رمه على حده، و الكاسر شيئا / لايقدر على وصله، ٢٩٢ /
فلان الخلق لايحيطون بتقدير ما يسرعون فى قدره و لا يقدرون بعد
الفرق و الفرى على رمه و وصله. كان المحيط التقدير فى الشيء من جميع
جهاته و جملة حدوده، القادر على جمع[٤] ما فرق الذى كما بدء أول خلق
يعيده هو أحسن الخالقين. و تلايح تحت هذا اللبس فى إطلاق اسم
١٠ الخالق [على الخالق -[٥]] الحق ذى الحول و القوة و القدرة و الإحاطة
و الإبـداء و الإعادة، و على الخالق من الخلق المقدر بغير إحاطة علم
و لا تأصيل حول و لاقدرة، و لا إتمام إبداء لاحظ من اعادة أنه لاخالق
إلا الله كما انه لامعيد لما ابدأ إلا الله، و أن ليس إطلاق هذا الاسم
على الخلق مبدأ فتنته التى يضل بها من يشاء و يهدى من يشاء، و تحقيق
١٥ أفراد الخالق لله[٦] فيما ظهر[٧] على أيدى أهل الملك و الملكوت و إحاطة
جبروته بما ظهر و ما بطن من اعمالهم وصنائعهم، هو أول مجمع من

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جميع.
(٣) من ظ، و فى الأصل و م: طالقا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: جميع.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الى الله (٧) من ظ
و م، و فى الأصل: يظهر.

بجامع التوحيد ، و هو أساس لإيمان أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، حيث فرض عليهم فى الفاتحة "إياك نعبد و اياك نستعين" فهم خير أمة أخرجت للناس حيث أخلصوا الدين لله ، [1]و لموقع الشرك[1] فيه كانت القدرية مجوس هذه الأمة .

و لما كان [2]الخالق الحق هو من أتقن التقدير و البرئ و إن كان ٥ أغلب الخلق لقصورهم لايفهمون منه إلا مطلق التقدير كما قال شاعرهم[3] :

و لأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لايفرى

أردفه تنبيها على ذلك و تصريحا و تأكيدا قوله : ﴿ البارئ ﴾ [أى -[4]] الذى يدقق[5] بما وقع[6] به التقدير و يقطعه و يصلحه لقبول الصورة على أتم حال ، فان كان من المحيط العلم كان تمام التهيؤ للصورة على كمال ١٠ المشيئة فيها ، و إن كان ممن[7] لايحيط علما طرأ له فى البرئ[8] من النقص عن التمام ما لايمكن معه حصول المقصود فى الصورة ، و لا يكاد يقع الإحسان للخلق فى مصوراتهم إلا وفاقا لايعلمون كنهه و لايثقون بحصوله

و لما كان من يهيئ الأمور للتصوير قد لايتقنه قال : ﴿ المصور ﴾ ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : الموقع للشرك (٢) من ظ و م و فى الأصل : القادر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشاعر (٤) زيد من ظ و م . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لايدقق (٦) زيد فى الأصل و ظ : من ؛ و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الاصل و م : مما (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : البر .

فان التصور إتمام تفصيل الخلق الظاهر و إكمال تخطيطه و إحكام أعضائه و هو حد ما انتهى إليه الخلق فى الظهور، و ليس وراء ظهور الصور كون إلا لطائف تطويرها فى إنسان كمالها بعد بعثها باحيائها بما لها من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا أو غيره إلى غاية كمالها الذى

٥ يعطيه المصور لها إفضالا و مزيدا و يظهره إبداعا، و يتضح[1] الفرق جدا بين الأسماء الثلاثة بالبناء فانه يحتاج أولا إلى مقدر[2] يقدر ما لابد منه من الحجر[3] و اللبن و الخشب و الحديد و مساحة الأرض و عدد الأبنية و طولها و عرضها، و هذا يتولاه المهندس فيرسمه و هو الخلق ثم يحتاج إلى حجار ينحت الحجارة و يهيئها لتصلح لمواضعها[4] التى تكون

١٠ فيها / من الأبواب و أوساط الجدر و أطرافها و زواياها و غير ذلك، ٢٩٣/ و كذا الخشاب و الحداد فى الخشب و الحديد و هو البرئ[5] ثم يأخذ الكل البناء فيضعها مواضعها إلى أن تقوم صورتها التى رسمها المهندس أولا و قدرها، و لا تقوم الصورة[6] بالحق إلا إذا كانت محكمة بحسب الطاقة كما أن البناء يضع الحجارة أولا ثم يجعل[7] الخشب فوقها لا بالاتفاق بل

١٥ بالحكمة، و لوقلب ذلك لم تثبت الصورة و لم يكن لها الاسم إلا على أقل وجوه الضعف[8] فكل من كان أحكم كان تصويره أعظم، و لذلك[9]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يصح (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مقدار. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصخر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تواضعها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: البه (٦) زيد فى الأصل: الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: جعل. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الصنف (٩) من ظ، و فى الأصل: ذلك.

لا

لامصور فى الحقيقه إلا الله الخالق [١]البارئ المصور سبحانه[١]، قال الرازى فى اللوامع: و التصوير موجود فى كل أجزاء العالم و إن صغر حتى فى الذرة و النملة بل فى كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول فى طبقات العين و عددها و هيئاتها و شكلها و مقاديرها و ألوانها، و وجه الحكمة فيها، فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل، و هكذا ٥ القول فى كل صورة لكل حيوان و نبات بل لكل جزء من نبات و حيوان.

و لما علم من هذا أنه لابد أن يكون المصور بالغ الحكمة، أردفه بقوله تعالى: ﴿له﴾ أى خاصة [١]لا لغيره[١] ﴿الاسمآء الحسنىٰ﴾ أى من الحكيم و غيره مما لايتم التصوير إلا به و لا تدركونه [أنتم - [٢]] حق إدراكه.

و لما أخبر سبحانه أول السورة أن الكائنات أوجدت تسبيحه ١٠ خضوعا[٣] لعزته و حكمته، و دل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالأسماء الحسنى، دل على دوام اتصافه [بذلك - [٢]] من يحتاج لما [له - [٢]] من النقص من الخلق إلى التذكير فعبر بالمضارع فقال: ﴿يسبح﴾ أى يكرر[٤] التنزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿له﴾ أى على وجه التخصيص بما أفهمه قصر ١٥ المتعدى و تعديته باللام ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ و لما كان هذا المنزه[٥] الذى استجلى التنزيه من الأسماء الحسنى قد أشرقت انفاسه و لطفت أقطاره

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: خصوصا (٤) فى ظ: ينزه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التنزه.

و أغراسه حتى صار علويا[1] فرأى الأرض عالية كالسماء لما[2] شاركتها به
فى الدلالة على تمام كماله لجعلها معها لأنه لايحتاج إلى تأكيد كالشيء
الواحد باسقاط "ما" وألصقها بها[3] إلا احة إلى ذلك فقال: ﴿و الارض ج﴾
فمن تأمل الوجود مجملا و مفصلا، علم تسبيح[4] ذلك كله بنعوت الكمال
٥ و أوصاف الجلال و الجمال ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿العزيز﴾
[أى -[5]] الذي يغلب كل شيء و لايغلبه شيء و لايوجد له مثل. و يعز
الوصول إليه و يشتد الحاجة إليه.

و لما كان من يكون بهذه الصفة لايتم أمره و يثبت كل ما
يريده إلا إن كان على قانون الحكمة قال: ﴿الحكيم ع﴾ من الحكمة
١٠ و هى[5] إتقان الحكم و إنهاؤها إلى حد لايمكن نقضه، و الحكم قال الحرالى:
المنع عما / يترامى إليه المحكوم إيالة عليه و حمله[6] على ما يمتنع منه نظرا /٢٩٤
له، ففى ظاهره الجهد و فى باطنه الرفق، و فى عاجله الكره. و فى آجله
الرضى و الروح. فوقعه فى الأبدان المداواة "تداووا عباد الله فان الذى
أنزل الداء انزل الدواء" و موقعه فى الأديان التزام الأحكام و الصبر
١٥ و المصابرة على مجاهدة[7] الأعمال و جهاد الأعداء ظاهرا من عدو[8] الدين
و البغى و باطنا من عدو النفس «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك»

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: علوية (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: به (٤) من ظ و م، و فى الأصل: استنتج.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٦) من ظ و م، و فى الأصل: حلمه.
(٧) من م، وفى الأصل وظ: مجاهدات (٨) من ظ و م، وفى الأصل: عدم.

و من بعض[1] الأهل و الولد عدو ، و الشيطان عدو يجري من ابن آدم مجرى الدم " ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا " فالحمل على جميع أنواع الصبر و المصابرة ظاهرا بالإيالة العالية هو الحكم و العلم بالأمر الذي لأجله وجب الحكم من قوام أمر عاجلته و حسن العقبى في آجلته من الحكمة.
فالحكم مباح التعليم للناس عامة بل واجب أن يتعلم كل امرئ من الأحكام ٥ ما يخصه، و أن ينتدب طائفة العلم[2] ما يعم جميع الناس "فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين" و الحكمة التي هي العلم بما لأجله وجب الحكم من[3] مشروطه التعليم بالتزكية " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة[4] و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين[4]" [فما يعلمهم الحكمة -[5]] إلا بعد التزكية ١٠ فمن تزكى فهو من أهلها و من لم يتزك فليس من أهلها. فالحكمة تحلي مرارة جهد العمل بالأحكام فييسر بها ما يعسر دونها ، و الحكم ضيق الأمر للنفس كما أن السجن ضيق الخلق للبدن، و الحكمة توطد محمل ضيق الحكم لأنها تخرج و تؤل إلى سعة الواسع، و لا يتم الحكم و تستوي الحكمة إلا بحسب سعة العلم . و لما لم يكن للخلق[6] من العلم إلا بقدر ما يهبهم ١٥ الله لم يكن لهم من الحكمة إلا مقدار ما يورثهم " و لقد آتينا لقمان

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ابغض (٢) من ظ و م ، و في الأصل : العلم.
(٣) سقط من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من م ، و في الأصل و ظ : للحلق .

الحكمة " و لما كان إنما العلم عند الله كان إنما الحكمة حكمة الله و إنما الحكم حكم الله ، فهو الحكيم الذى لاحكيم إلا هو - انتهى . و قد علم سر اتباع الأسماء الشريفة من غير عطف ، و ذاك أنه لما ابتدأ بـ «هو» و أخبر عنه بالاسم العلم الأعظم المفرد المصون الجامع لجميع معانى ٥ الأسماء الحسنى ، أتبعه تلك الأوصاف العلى من غير عطف إعلاما بأنه لاشيء منها يؤدى جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند أهل اللغة ، و لذلك جمع[1] بعدها الأسماء إشارة إلى أنه لايجمع معناه إلا جميع الأوصاف المنزلة فى كتبه و المأخوذة عن أوليائه التى استأثر بها فى غيبه و ليس شيء مما ذكر ههنا مضادا[2] فى [المعنى - [3]] الظاهرى للآخر كالأول و الآخر ١٠ حتى يظن لأجله نقص فى المعنى بسبب ترك العطف ، و أما ترتيبها هكذا فلأن كل اسم منها كما مضى شارح لما خفى من الذى قبله و مبين للازمه ، و موضح لما ألاح أنه من مضمونه ، / ٢٩٥ / و قد انعطف على افتتاحها ختامها و عانق ابتداؤها تمامها ، و وفى مطلعها مقطعها ، و زاد و بلغ الغاية[4] من الإرشاد إلى سبيل الرشاد ، فسبحان[5] من أنزله برحمته[6] رحمة للعباد ، ١٥ و هاديا إلى الصواب و السداد[7] .

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : جمعها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مضادة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الآية (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحان (٦) سقط من م (٧) زيد فى الأصل : وإلى طريق الرشاد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

سورة الممتحنة[1]

مقصودها براءة من أقر بالإيمان [2]ممن اتسم[2] بالعدوان دلالة على صحة مدعاه كما أن الكفار تبرأوا[3] من المؤمنين و كذبوا بما جاءهم من الحق لئلا يكونوا[4] على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم، و تسميتها بالممتحنة أوضح شيء فيها و أدله على ذلك لأن الصهر أعظم الوصل، ٥ و أشرفها بعد الدين، فاذا نفى[5] و منع دل على أعظم المقاطعة لدلالته على الامتهان بسبب الكفران الذى هو أقبح العصيان ﴿ بسم الله ﴾ الكافى من لجأ إليه فمن تولاه أغناه عمن[6] سواه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد من فلق عن وجوده العدم و براه و شمل برحمته البيان من حاطه بالعقل[7] و رعاه ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص بالتوفيق من ١٠ أحبه و ارتضاه.

لما كان التأديب عقب الإنعام جديرا بالقبول، و كان قد أجرى سبحانه سنته الإلهية بذلك، فأدب عباده المؤمنين عقب سورة الفتح السبى بسورة الحجرات، و كانت سورة الحشر مذكرة بالنعمة فى فتح بنى النضير

(١) الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها (١٣) بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧/٢٩٦ (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: من اقسم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يتبرون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لئلا يكون.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: بقى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عما.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: العقل.

[و -[1]] معلمة بانه لا ولى إلا الله ، و لذلك ختمها بصفتى العزة و الحكمة بعد [2]أن افتتحها[2] بهما ، و ثبت أن من الحكمة حشر الخلق ، و أن أولياء الله هم المفلحون ، و أن أعداءه هم الخاسرون ، و كان الحب فى الله و البغض فى الله أفضل الأعمال و أوثق عرى الإيمان ، و لذلك[3] ذم سبحانه لمن

٥ والى أعداءه و ناصرهم[4] ، و سماهم مع التكلم بكلمة الإسلام منافقين ، أنتج [ذلك -[5]] قطعا وجوب البراءة من أعدائه و الإقبال على خدمته و ولائه[6] ، فقال معيدا للتأديب[7] عقب سورة الفتح على أهل الكتاب بسورة جامعة تتعلق بالفتح الأعظم و الفتح السبى : ﴿ يٰٓأيها الذين ءامنوا[8] ﴾ مناديا بأداة البعد و إن كان من نزلت بسببه من أهل القرب ، و معبرا بالماضى

١٠ إقامة[9] لمن والى الكفار نوع موالاة فى ذلك المحل إلهابا له و تهييجا إلى الرفع عنه[10] لئلا يقدح فى خصوصيته و يحط من[11] علىّ رتبته مع اللطف [به -[12]] بالتسمية له بالإيمان حيث شهد سبحانه على من فعل نحو فعله مع[13] بنى النضير بالنفاق[14] و أحله محل أهل الشقاق ، فحكم على

البعد صح

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فتحها (٣) من ظ وم ، و فى الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يضرهم (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ولايته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للتاب (٨) ليس فى الأصل (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اقامته (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : له (١١) من ظ وم ، و فى الأصل : فى (١٢) زيد من ظ و م (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (١٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بالشقاق .

القلوب فى الموضعين فقــال هنالك " الذين نافقوا " كما قال هنـا " الذين آمنوا " .

و لما كان قد تقدم فى المجادلة النهى الشديد عن إظهار[1] مطلق المودة للكفار ، و فى الحشر الزجر[2] العظيم عن إبطان ذلك فتكفلت[3] السورتان بالمنع من مصاحبة ودهم ظاهرا أو[4] باطنا ، "بكت هنا" من اتصف ٥ بالإيمان و قرعه و وبخه على السعى فى موادتهم و التكلف لتحصيلها ، فان ذلك قادح فى اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة و الحكمة ، فعبر لذلك[6] بصيغة الافتعال فقال بعد التبكيت بالنداء بأداة البعد و التعبير بأدنى أسنان الإيمان : ﴿ لا تتخذوا ﴾ و زاد فى ذلك المعنى من وجهين : التعبير بما منه العداوة تجرئة عليهم و تنفيرا منهم و التوحيد لما يطلق على الجمع لئلا ١٠ يظن أن المنهى عنه المجموع بقيد الاجتماع و الإشارة إلى أنهم فى العداوة على قلب واحد ، فأهل الحق أولى بأن[7] يكونوا كذلك فى الولاية فقال : ﴿ عدوى ﴾ أى و أنتم تدعون موالاتى [و من المشهور أن مصادق العدو أدنى مصادقة لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الأدنى -[8]] و هو فعول من عدى ، و أبلغ فى الإيقاظ بقوله : ﴿ و عدوكم ﴾ أى ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الظهار (٢) زيد فى الأصل : العنيف ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فتكاملت . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أوليا كيا بكبا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : ذلك (٧) لمن م ، و فى الأصل و ظ : ان (٨) زيد من ظ و م .

العريق في عداوتكم ما دمتم على مخالفته في الدين.

و لما وحد لأجل ما تقدم من الإشارة إلى اتحاد الكلمة، بين أن المراد الجمع فقال: ﴿ اولياء ﴾ ثم استأنف بيان هذا الاتحاد بقوله مشيرا إلى غاية الإسراع و المبادرة إلى ذلك بالتعبير بقوله: ﴿ تلقون ﴾

٥ أي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه[1] إلقاء الشيء الثقيل من علو ﴿ اليهم ﴾ على بعدهم منكم حسا و معنى ﴿ بالمودة ﴾ [أي -[2]] بسببها ونهم لما توقع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي ناداهم به بعد التلويح إليه، قال ملهبا و مهيجا إلى عداوتهم بالتذكير بمخالفتهم إياه في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لأنه أشد المخالفة: ﴿ قد ﴾ أي

١٠ و الحال أنهم قد ﴿ كفروا ﴾ أي غطوا جميع ما لكم من الأدلة ﴿ بما ﴾ أي بسبب ما ﴿ جاءكم من الحق[3] ﴾ أي الأمر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شيء أعظم ثباتا منه، ثم استأنف بيان كفرهم بما يبعد من مطلق موادتهم فضلا عن السعي فيها بقوله مذكرا لهم بالحال الماضية زيادة في التنفير منهم و مصورا لها بما يدل على الإصرار بأنهم ﴿ يخرجون الرسول ﴾

١٥ أي الكامل في الرسلية الذي يجب على كل أحد عداوة من عاداه أدنى[3] عداوة[4] و لو كان أقرب الناس فكيف إذا كان عدوا، و بين أن المخاطب [من -[5]] أول السورة من المهاجرين و أن إيراده على وجه الجمع للستر

---

(١) زيد في الأصل و ظ: بين، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: اعة (٤) زيد في الأصل و ظ: كانت و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٥) زيد من م.

و التعميم

و التعميم فى النهى بقوله : ﴿ و ايا كم ﴾ أى من دياركم من مكة المشرفة .

و لما بين كفرهم معبرا بالمضارع إشارة إلى دوام أذاهم لمن آمن،
المقتضى لخروجه عن وطنه، علل الإخراج بما يحقق معنى الكفر
و العداوة فقال : ﴿ ان ﴾ أى أخرجوكم من أوطانكم لأجل أن ﴿ تؤمنوا ﴾
أى توقعوا حقيقة الإيمان مع التجديد و الاستمرار. ٥

و لما كان الإيمان به سبحانه مستحقا من وجهى الذات و الوصف
لفت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليهما فقال : ﴿ بالله ﴾ أى
الذى اختص بجميع صفات الكمال، و لما عبر بما أبان أنه مستحق
للايمان لذاته أردفه بما يقتضى / وجوب ذلك لإحسانه فقال : ﴿ ربكم ﴾ ٢٩٧ /
و لما ألهبهم على مباينتهم لهم بما فعلوا معهم و انقضى ما أريد من ١٠
التنبيه بسياق الغيبة عاد إلى التكلم لأنه أشد تحببا و أعظم استعطافا و أدل
على الرضا فألهبهم بما كان من جانبهم من ذلك [الفعل] أن لا يضيعوه،
فقال معلما ان ولايته سبحانه لا تصح إلا بالإيمان، و لا يثبت الإيمان
إلا بدلائله من الأعمال، و لا تصح الأعمال إلا بالاخلاص، و لا يكون
الإخلاص إلا بمباينة الأعداء : ﴿ ان كنتم ﴾ اى كونا راسخا حين أخرجوكم ١٥
من أوطانكم لأجل إيمانكم بي ﴿ خرجتم ﴾ اى منها و هى أحب البلاد
إليكم ﴿ جهادا ﴾ أى لأجل الجهاد ﴿ فى سبيلى ﴾ أى بسبب إرادتكم

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : ديارهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انكم .
(٣) فى ظ و م : وجهين (٤ - ٤) من ظ وم ، و فى الأصل : مباينتهم له .
(٥) زيد من ظ و م .

تسهيل طريقى التى شرعتها لعبادى أن[1] يسلكوها ﴿ و ابتغآء مرضاتى ۚ ﴾ أى و لأجل تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاى و لكل فعل يكون موضعا له، و جواب هذا الشرط محذوف لدلالة «لا تتخذوا» عليه.

و لما فرغ من بيان [حال -[2]] العدو و شرط إخلاص الولى، ٥ وكان التقدير: فلا تتخذوهم أولياء، بنى عليه قوله مبينا " تلقون " إعلاما بأن الإسرار إلى أحد بما فيه نفعه لا يكون إلا توددا: ﴿ تسرون ﴾ أى توجدون إسرار جميع ما يدل على مناصحتهم و التودد إليهم، و أشار إلى بعدهم عنهم بقوله: ﴿ اليهم ﴾ إبلاغا فى التوبيخ بالإشارة إلى أنهم يتجشمون فى ذلك مستفتين[3] إبلاغ الأخبار التى يريد النبى صلى الله عليه ١٠ و سلم و هو المؤيد بالوحى كتمها عنهم على وجه الإسرار خوف الافتضاح و الإبلاغ إلى المكان البعيد ﴿ بالمودة ۚ ﴾ أى بسببها أو[4] بسبب الإعلام بأخبار يراد بها أو يلزم منها المودة. و لما كان المراد بالإسرار الستر على من يكره ذلك، قال مبكتا لمن يفعله: ﴿ و انا ﴾ أى و الحال أنى ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد من نفس الفاعل ﴿ بمآ اخفيتم ﴾ أى ١٥ من ذلك ﴿ و مآ اعلنتم ۖ ﴾ فأىّ فائدة لإسراركم إن كنتم تعلمون أنى عالم به، و إن كنتم توهمون[5] أنى لا أعلمه فهى القاصمة.

و لما كان التقدير بما هدى[6] إليه العاطف: فمن فعل منكم فقد ظن

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل مستفيتين (٤) من ظ وم، و فى الأصل «و» (٥) من م، وفى الأصل و ظ: تتهمون (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اهدى.

أى لا أعلم الغيب أو فعل ما يقتضي ظن ذلك، عطف عليه [قوله -[1]] :
﴿و من يفعله﴾ أى يوجد الاتخاذ سرا أو علنا أو يوجد الإسرار بالمودة
فالإعلان أولى فى وقت من الأوقات ماض أو حال أو استقبال ». و لما
كان المحب قد يفعل بسبب الإدلال ما يستحق به التبكيت، فاذا بكت
ظن أن ذلك ليس على حقيقته لأن محبته لايضرها شيء، وكان قد ستر ٥
المعايب بأن أخرج[2] الكلام مخرج العموم، صرح بأن هذا العتاب مراد
به الإحباب فقال : ﴿منكم﴾ و حقق الأمر و قربه بقوله : ﴿فقد ضل﴾
أى عمى و مال و أخطأ ﴿سوآء السبيل ه﴾ أى قويم الطريق الواسع الموسع
إلى القصد قويمه و عدله، و سبب نزول هذه الآية روى من وجوه / كثيرة / ٢٩٨
فبعضه فى الصحيح عن علي و منه فى الطبرانى عن أنس و منه فى التفاسير[3] ١٠
أن سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة
و رسول الله صلى الله عليه و سلم يتجهز لفتح مكة فسألها ما أقدمها،
فقالت : ذهبت موالى و قد احتجت حاجة شديدة، وكنتم الأهل و العشيرة
و الموالى، فحث رسول الله صلى الله عليه و سلم بنى عبد المطلب و بنى
المطلب فأعطوها وكسوها و حملوها، فكتب معها حاطب بن أبى بلتعة ١٥
حليف بنى أسد[4] بن عبد العزى « من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة
أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريدكم[5] فخذوا حذركم » فأعطاها عشرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اخرج (٣) راجع مثلا معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/ ٦٢ (٤) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل : سيه.
(٥) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل : يريد.

دنانير ، فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر و عليا و عمارا و الزبير و طلحة و المقداد و أبا مرثد و كانوا كلهم فرسانا فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوه منها و خلوا سبيلها ، و إن لم تدفعه

٥ إليكم فاضربوا عنقها . فانطلقوا[١] تعادى بهم خيلهم ، فأدركوها [٢] في ذلك[٣] المكان فأنكرت و حلفت بالله ، ففتشوها فلم يجدوه[٤] فهموا بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : ما كذبنا و لا كذبنا ، و سل سيفه فقال : أخرجي الكتاب أو لألقين الثياب و[٥] لأضربن عنقك ، فقالت : على أن لا تردوني . ثم أخرجته[٥] من عقاصها قد لفت عليه شعرها ، فخلوا سبيلها ،

١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لحاطب : هل تعرف الكتاب ، قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : لا تعجل يا رسول الله ، و الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششت[٦] منذ نصحتك و لا أحببتهم منذ فارقتهم ، و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من يدفع الله به عن عشيرته ، و كنت غريبا خليفا فيهم[٧] ، و كان أهلي بين ظهرانيهم فأردت أن أتخذ[٨] عندهم

١٥ يدا[٩] يدفع الله بها عن أهلي ، و قد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه ،

---

(١) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : نفذوا (٢ - ٢) من م و المعالم ، و في الأصل وظ : بذلك (٣) من م ، و في الأصل وظ : فلم يجدوا (٤) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : و (٥) زيد في الأصل : عنقها او . ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عشيت ، و في المعالم : غششتك . (٧) من ظ و م ، و في الأصل : بينهم (٨) من م و المعالم ، و في الأصل و ظ : يتخذ (٩) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م و المعالم .

و أن

و أن كتابى لا يغنى عنهم شيئا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: صدق و لا تقولوا له إلا خيرا، فقال [عمر -[1]] بن الخطاب رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: و ما يدريك يا عمر لعل[2] الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر رضى الله عنه ٥ و قال: الله و رسوله أعلم، فأنزل الله "يآيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم" الآيات.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت - يعنى هذه السورة - بوصية المؤمنين على ترك[3] موالاة أعدائهم و نهيهم عن ذلك [و أمرهم -[4]] بالتبرء منهم، و هو المعنى الوارد فى قوله خاتمة المجادلة "لا تجد قوما ١٠ يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو ابناءهم" إلى آخر السورة، و قد حصل [منها -[4]] ان / أسنى / ٢٩٩ أحوال أهل الإيمان و أعلى مناصبهم "اولئك كتب فى قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه" فوصى عباده فى افتتاح الممتحنة بالتنزه عن موالاة الأعداء [5]و وعظهم بقصة[5] إبراهيم عليه الصلاة و السلام و الذين معه فى ١٥ تبرئهم من قومهم و معاداتهم، و الاتصال فى هذا بين. و كأن سورة الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تمهيد الكلام و تنبيه[6] السامع

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: عدوهم - كذا (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بينة.

على ما به تمام الفائدة لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من حاد الله و رسوله و لو[1] كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتنزيهه عن مرتكباتهم، ثم أتبع ذلك ما[2] عجله لهم من النقمة و النكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالاة الأعداء جملة له، ثم لما كان أول سورة ٥ الممتحنة إنما نزل[3] في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وكتابه[4] لكفار قريش بمكة، و القصة مشهورة و كفار مكة ليسوا من يهود، و طلبوا المعاداة [5]للجميع واحد[5]. فلهذا فصل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود، و حينئذ عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعاندين، و التحمت السور الثلاث و كثر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا و العهود، ١٠ و طلب بذلك كله و لهذا المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعة النساء و ما يشترط عليهن في ذلك، فبنى[6] السورة على طلب الوفاء افتتاحا و اختتاما حسب[7] ما بين في التفسير لينزه المؤمن عن حال من قدم ذكره في سورة الحشر [و -[8]] في خاتمة[9] سورة المجادلة - انتهى.

و لما كان ما بينه تعالى من إخراجهم لهم موضحا بعداوتهم و كان[10] ١٥ طول كفهم عن قصدهم بالأذى من سنة الأحزاب سنة خمس إلى سنة

(١) من ظ و م، و في الأصل: لما (٢) من ظ و م، و في الأصل: بما.
(٣) من ظ و م، وفي الأصل: نزلت (٤) من ظ و م، وفي الأصل: كتابته.
(٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: الجميع واحدا (٦) من ظ و م، و في الأصل: مبنى (٧) من ظ و م، و في الأصل: حس (٨) زيد من ظ و م.
(٩) من ظ و م، وفي الأصل: خلقه (١٠) من ظ و م، و في الأصل: كانوا.

ثمان ربما شكك فى أمرها ، و كان سبحانه قد أعز المؤمنين بعد ذلهم و قواهم بعد وهنهم و ضعفهم ، و ثقفهم[1] بعد جهلهم ، بين ظلال معتقد ذلك بأن كف الكفار إنما هو لعجزهم و أنهم[2] لوحصل لهم ما هو للسلمين الآن من القوة لبادروا إلى إظهار العداوة مع أن ذلك فى نصر الشيطان، فأولياء الرحمان أولى باتباع ما آتاهم من الإيمان ، فقال مبينا لبقاء عداوتهم: ٥ ﴿ ان يثقفوكم ﴾ أى يجدوكم فى وقت من الأوقات و[3] مكان من الاماكن و هم يطمعون فى أخذكم بكونهم أقوى منكم أو أعرف بشىء مما[4] يتوصل به إلى الغلبة ، و أشار بأداة الشك إلى أن وجدانهم و هم على صفة الثقافة مما لا تحقق له ، و إنما هو على سبيل الفرض و التقدير ، و أنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون ، مع أنه مما لا يكون ، ١٠ و نبه على عراقتهم فى العداوة بالتعبير بالكون فقال: ﴿ يكونوا لكم ﴾ أى خاصة ﴿ اعدآء ﴾ أى يعدون إلى[5] أذاكم كل عدو يمكنهم و إن وادتموهم . و [لما -[6]] كانت العداوة قد تكون[7] باغراء الغير، عرف أنهم لشدة غيظهم لايقتصرون[8] على ذلك فقال: ﴿ و يبسطوآ اليكم ﴾ أى خاصة / و إن كان هناك فى ذلك الوقت من غيركم من[9] قتل أعز ١٥ / ٣٠٠

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فقهم - كذا (٢) فى م : انه (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : أو (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا تكون (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لاينتصرون (٩) زيد فى الأصل : السعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الناس إليهم ﴿ ايديهم ﴾ أى بالضرب إن استطاعوا ﴿ و السنتهم ﴾ اى بالشتم مضمومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما تجرع من آخر من غيركم من القصص حتى أوجب له غاية السعة ﴿بالسوٓء﴾ أى بكل ما من شأنه أن يسوء .

٥ و لما كان أعدى الأعداء [لك - ١] من تمنى أن يفوتك أعز الأشياء لديك ، وكان أعز الأشياء عند كل أحد دينه ، قال متمما للبيان : ﴿ و ودوا ﴾ أى وقعت منهم هذه الودادة قبل هذا[2] لأن مصيبة الدين أعظم [فهم إليها أسرع لأن دأب العدو القصد إلى أعظم - ١] ضرر يراه لعدوه ، و عبر بما يفهم التمنى[3] الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى

١٠ انهم أحبوا ذلك غاية الحب و تمنوه ، و فيه بشرى بأنه من قبيل المحال ﴿ لو تكفرون ﴾ أى يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم ، [و - ١] قدم الأول لأنه أبين فى العداوة و إن كان الثانى انكأ .

و لما كانت عداوتهم معروفة و إنما غطاها محبة القرابات لأن الحب للشيء يعمى و يصم ، فخطأ رايهم فى موالاتهم بما أعلمهم به من حالاتهم[4] ،

١٥ زهد فيها بما يرجع إلى حال من والوهم لأجلهم بما تورثه من الشقاء الدائم يوم البعث ، فقال مستأنفا إعلاما بأنها خطأ على كل حال : ﴿ لن تنفعكم ﴾ أى بوجه [من الوجوه - ١] ﴿ ارحامكم ﴾ أى قراباتكم الحاملة لكم على

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : الان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : النهى (٤) فى ظ و م : حالهم .

رحمتهم

رحمتهم و العطف عليهم ﴿ و لآ اولادكم ج ﴾ الذين هم أخص ارحامكم إن والتم أعداء الله لأجلهم فينبغى أن لا تعدوا قربهم منكم بوجه أصلا، ثم علل ذلك و بينه بقوله: ﴿ يوم القيمة ج ﴾ أى القيام الأعظم.

و لما كان النافى للنفع وقوع الفصل لا كونه[1] من فاصل معين قال بانيا للفعول على قراءة أبى عمرو و نافع و ابن كثير و أبى جعفر و ابن ٥ عامر[2] من أكثر طرقه إلا أنه شدد الصاد للبالغة فى الفصل: ﴿ يفصل ﴾ أى يوقع الفصل و هو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب ﴿ بينكم ط ﴾ أى أيها الناس فيدخل[3] من شاء من أهل طاعته الجنة، و من شاء من أهل معصيته النار، فلا ينفع أحد أحدا منكم بشيء من الأشياء إلا إن كان [قد -[4]] أتى الله بقلب سليم فيأذن الله فى إكرامه بذلك. ١٠

و لما كان التقدير إعلاما بأن الله هو الفاصل و هو الضار النافع بما دلت [عليه -[4]] قراءة الباقين إلا أن حمزة و الكسائى بضم الياء و فتح الفاء و كسر الصاد مشددة إشارة إلى عظمة هذا الفصل بخروجه عن المألوف عودا إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظم الأمر بانتشار الخلائق و أعمالهم: فالله على ذلك قدير، عطف عليه[5] قوله: ﴿ و الله ﴾ أى الذى ١٥ له الإحاطة[6] التامة ﴿ بما تعملون ﴾ أى من كل عمل فى كل وقت ﴿ بصير ٥ ﴾ فيجازيكم عليه فى الدنيا و الآخرة، و قد مضى غير مرة أن

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لكونه (٢) راجع نثر المرجان ٧/٢٠١ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على ذلك (٦) زيد فى الأصل: الكامل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

تقديم الجار في مثل هذا للتنبه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص و لا لأجل الفواصل .

و لما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك ، و كانت عادته التربية بالماضين ، كان موضع توقع ذلك فقال معبرا بأداة التوقع : ﴿قد كانت﴾ ٣٠١ / ٥ أي وجدت وجودا تاما ، و كان تأنيث الفعل إشارة إلى الرضا / بها و لو كانت على ادنى الوجوه ﴿ لكم ﴾ أي [ايها -[1]] المؤمنون ﴿اسوة﴾ اى موضع اقتداء و تأسية و تسنن و تشرع و طريقة مرضية ﴿حسنة﴾ رغب فيها ﴿ في ابرٰهيم ﴾ أي في قول أبي الأنبياء ﴿ و الذين معه ج ﴾ أي [ممن -[1]] كانوا قبله من الأنبياء ، قال القشيري : و ممن آمن به في ١٠ زمانه كابن أخيه لوط عليهما الصلاة و السلام و هم قدوة أهل الجهاد و الهجرة ﴿ اذ ﴾ أي حين ﴿ قالوا ﴾ و قد كان من آمن به أقل منكم و أضعف ﴿ لقومهم ﴾ الكفرة ، و قد كانوا[2] أكثر من عدوكم و أقوى و كان لهم[3] فيهم أرحام و قرابات و لهم فيهم رجاء بالقيام و المحاولات .

١٥ و لما كان ما ذكر من ضعفهم و قوة قومهم مبعدا لأن يبارزوهم ، أكدوا قولهم فقالوا : ﴿ انا[4] ﴾ أي من غير وقفة و لاشك ﴿ برءٰؤا ﴾ أي متبرؤن تبرئة عظيمة ﴿منكم﴾ و إن كنتم أقرب الناس إلينا و لا ناصر لنا منهم غيركم . و لما تبرؤا منهم أتبعوه ما هو أعظم عندهم منهم و هو سبب العداوة فقالوا : ﴿ و مما تعبدون ﴾ أي توجدون عبادته في وقت

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : كان (٣) من ظ و م ، و في الأصل : لكم (٤) ورد في الأصل بعد « لاشك » والترتيب من ظ و م .

من الأوقات الماضية المفيد[١] التعبير [عنها -[٢]] بالمضارع تصوير الحال أو[٣] الحاضرة أو الآتية كأننا من كان لا يخاف شيئا من ذلك لأن إلٰهنا الذي قاطعنا كل شيء في الانقطاع إليه لايقاويه شيء، و لا تقدرون أنتم مع إشراككم به على البراءة منه.

و لما كانوا مشركين قالوا مستثنين و مبينين لسفول كل شيء عن ٥ متعالي مرتبة معبودهم: ﴿ من دون الله ﴾ أي الملك الأعظم[٤] الذي هو كاف لكل مسلم[٥]. و لما كانت البراءة على أنحاء كثيرة، بينوا أنها براءة الدين الجامعة لكل براءة فقالوا: ﴿ كفرنا بكم ﴾ أي أوجدنا الستر لكل ما ينبغي ستره حال كوننا مكذبين بكل ما يكون من جهتكم من دين و غيره الذي يلزم منه الإيمان. و هو إيقاع الأمان من التكذيب لمن ١٠ يخبرنا بسبب كل ما يضاده مصدقين بذلك[٦]. و لما كان المؤمن على جبلة مضادة لجبلة الكافر، عبر بما يفهم [أن -[٢]] العداوة [كانت موجودة -[٢]] و لكنها كانت مستورة، فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل: ﴿ و بدا ﴾ أي ظهر ظهورا عظيما، و على عظمتها بالدلالة بنزع الخافض على أنها شاملة لجميع البينين فقال: ﴿ بيننا و بينكم ﴾ أي في جمع الحد[٧] الفاصل ١٥ بين كل واحد منا وكل واحد منكم ﴿ العداوة ﴾ و هي المباينة في الأفعال بأن يعدو كل [على -[٢]] الآخر و لا يكون [ذلك -[٢]]

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: المفيدة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: و (٤) زيد في الأصل و ظ: اى، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها. (٥) من ظ و م، و في الأصل: منكم (٦) في م: بتلك المضاد (٧) من ظ، و في الأصل و م: جد.

إلا عند ما - [يستخف -[1]] الغيظ[2] الإنسان لإرادة ان يشق صدره من شدة ما حصل له من حرارة الحنق. فالعداوة مما[3] يمتد فيكون مالئة لظرفها، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلويحه[4] على توضيح صدر الشريعة في أوائله في علاقات المجاز: الفعل المنسوب إلى ظرف الزمان
٥ بواسطة تقدير[5] «في» دون ذكره يقتضي كون الظرف معيارا له[6] غير زائد عليه مثل صمت الشهر، يدل على صوم جميع أيامه بخلاف صمت في الشهر. فاذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون معيارا[6] [له -[1]] فيصح حمل اليوم[7] - في نحو صرت يوم كذا[8] - على حقيقته، وهو / ما يمتد من /٣٠٢ الطلوع إلى الغروب، و إذا لم يمتد الفعل - يعني مثل وقوع الطلاق - لم يمتد
١٠ الظرف، لأن الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد فحينئذ[9] لا يصح حمل اليوم على النهار الممتد بل يجب أن يكون [مجازا -[1]] عن جزء من الزمان الذي لا يعتبر في العرف ممتدا، و هو الآن سواء كان من النهار أو من الليل بدليل قوله تعالى "و من يولهم يومئذ دبره" فان التولي عن الزحف حرام ليلا كان أو نهارا و لأن مطلق الآن جزء من الآن اليومي و هو
١٥ جزء من اليوم، فيكون مطلق الآن جزءا من اليوم، فتحقق العلاقة.

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ و م، و في الأصل: انضبط (٣) من ظ وم، و في الأصل: بما (٤) ص: ٢١٩ (٥) من ظ و م، و في الأصل: تقديره. (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م، و في الأصل: يوم. (٨) زيد في الاصل: او، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و في الأصل: وحينئذ.

و لما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل لتأديب و نحوه قالوا: ﴿ و البغضآء ﴾ اى و هى المباينة بالقلوب بالبغض العظيم . و لما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا: ﴿ ابـدا ﴾ و لما كان ذلك مرئيا من صلاح الحال، و كان قد يكون[1] لحظ نفس، بينوا غايته على وجه عرفت به علته[2] بقولهم: ﴿ حتى تؤمنوا ﴾ أى توقعوا الآمان ٥ من التكذيب لمن آمركم بالإيمان و أخبركم عن الرحمان، حال كونكم مصدقين و معترفين ﴿ بالله ﴾ اى الملك الذى له الكمال كله . و لما كانوا يؤمنون به مع الإشراك قالوا: ﴿ وحدهٗ ﴾ اى تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دونه .

و لما حث سبحانه المخاطبين على التاسى بقول إبراهيم و من معه فى ١٠ ذلك الوقت عليهم السلام استثنى منه فقال تأنيسا لمن نزلت القصة[3] بسببه و استعطافا [له -[4]] و هو حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه: ﴿ الا قول ابرٰهيم ﴾ أى فلا تأسى لكم به ﴿ لابيه ﴾ واعدا له قبل أن يبين له أنه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعا على قلبه، فلا صلاح له . يقال: إن أباه وعده أنه يؤمن فاستغفر له، فلما تبين له، أنه لا يؤمن ١٥ تبرأ منه: ﴿ لاستغفرن ﴾ أى لأوجدن طلب الغفران من الله ﴿لك﴾ فان هذا الاستغفار لكافر، فلا ينبغى لهم أن يتأسوا به فيه مطلقا غير ناظرين إلى علم أنه مطبوع على قلبه أو فى حيز[5] الرجوع .

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا يكون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٣) فى م: القضية (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عصير .

و لما وعده بالاستغفار رغبيا له ، رهبه لئلا يترك السعي في النجاة بما معناه أنه ليس في يدي غير الاستغفار ، فقال : ﴿و ما أملك لك﴾ أي لكونك كافرا ﴿من الله﴾ اي لأنه الملك[1] الأعلى المحيط بنعوت[2] الجلال ، وأعرق في النفي بقوله : ﴿من شيء[3]﴾ و الاستثناء وقع [على -[4]] هذا

٥ القول بقيد الاجتماع ، و لا يلزم منه التعرض للأجزاء ، فلا تكون هذه الجملة على حيالها مستثناة لأن النبي صلى الله عليه و سلم لما نادى: وا صباحاه حين[4] أنزل الله سبحانه و تعالى " و انذر عشيرتك الاقربين "[5] كان يقول لكل من سماه : لا أملك لك[5] من الله شيئا ، حتى قال في آخر ذلك : يا فاطمة بنت محمد ! سليني من مالي[6] ما شئت لا أغن عنك من الله شيئا .

١٠ و لما حثهم على التأسي بقول الخلص . و قدم [منه -[7]] المحافاة لأنها المقصودة ، و استثنى ما لا ينبغي التاسي فيه اعتراضا به بين أجزاء مقالهم بيانا للاهتمام به للتنفير منه[8] من قوله ، أتم ما يؤيسي[9] فيه فقال مبينا أنهم ما أقدموا على مجافاتهم[10] بما قال إلا وقد قرروا جميع ما يقولونه و رضوا به دون موادتهم و انقطعوا إلى الله وحده انقطاعا تاما يفعل

١٥ بهم ما يشاء من تسليطهم عليهم / أو حمايتهم منهم ، لكنهم سألوا الحماية /٣٠٣

---

(١) من ظ و م ، و في الاصل : المالك (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ثبوت (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : لما (٥) سقط من ظ . (٦) من ظ و م ، و في الأصل : مالك (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و في الأصل : به (٩) زيد في الاصل : به ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : محافهم .

لا لذاتها و لا لأنفسهم بل لئلا يزيد [ذلك -[1]] أعـداءهم ضلالا[2]:
﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا بتخليصك لنا من الهلاك باتباعهم
﴿ عليك ﴾ أى لا على غيرك ﴿ توكلنا ﴾ أى فعلنا فى جميع [3]امورنا معك[3]
فعل من يحملها على قوى ليكفيه أمرها لأنا نعلم أنك تكفى إذا شئت
كل ملم[4]، و أنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت و قد عادينا[5] بك ٥
قوما عتاة أقوياء و نحن ضعفاء و رضينا بكل ما يحصل لنا منهم غير ان
عافيتك هى أوسع لنا .

و لما كان الذى ينبغى لكل أحد و إن كان محسنا أن يعد نفسه
مقصرا شاردا عن ربه لأنه اعظم جلاله لا يقدر أحد أن يقدره حق
قدره . و أن يعزم على الاجتهاد فى العبادة قالوا مخبرين بذلك عادين ١٠
ذلك العزم رجوعا : ﴿ و اليك ﴾ أى وحدك [6]لا إلى غيرك[6] ﴿ انبنا ﴾
أى رجعنا بجميع ظواهرنا و بواطننا . و لما كان المعنى تعليلا : فانه منك
المبدأ ، عطف عليه قوله : ﴿ و اليك ﴾ أى وحدك ﴿ المصير ه ﴾ و لما
أخبروا باسلامهم له سبحانه و عللوه بما اقتضى الإحاطة فاقتضى مجموع[7] ذلك
الثناء الأتم ، فلزم منه الطلب ، صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الأداة ١٥
للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الإحاطة : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها
المربى لنا و المحسن إلينا ﴿ لا تجعلنا ﴾ باضعافنا و التسليط علينا ﴿ فتنة ﴾

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هلاكا (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الامور معه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مسلم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عادينك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع .

أى موضع اختبار ﴿للذين كفروا﴾ بأن يعذبونا بعذاب يميلنا عما نحن عليه[1] و يميلهم عما و صلوا[2] إليه بسبب إسلامنا من الزلازل[3] بما يوجب ذلك لهم من اعتقاد لو أنك كنت راضيا بديننا لكنا[4] على الحق و كانوا هم على الباطل ما أمكنت منا، فيزيدهم ذلك طغيانا ظنا منهم أنهم على الحق و أنا ٥ على الباطل.

و لما كان رأس مال المسلم[5] الأعظم الاعتراف بالتقصير و إن بلغ النهاية فى المجاهدة فان[6] الإله فى غاية العظمة و العبد فى نهاية الضعف، فبلوغه [ما يحق له - [7]] سبحانه لا يمكن بوجه قالوا : ﴿ و اغفر لنا ﴾ أى استر ما عجزنا فيه و امح عينه و أثره. و لما طلبوا منه الحياطة من ١٠ جميع الجوانب، عللوه زيادة فى التضرع و الخضوع واستنجاز المطلوب مكررين صفة الإحسان زيادة فى الترقق و الاستعطاف بقولهم : ﴿ ربنا ج ﴾ أى المحسن إلينا، و أكدوا إعلاما بشدة رغبتهم بحسن الثناء عليه[8] سبحانه و اعترافا [9]بأنهم قـد يفعلون[9] ما فيه شيء من تقصير فيكون من مثل أفعال من [لا - [10]] يعرفه سبحانه فقالوا : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك ١٥ لاغيرك ﴿العزيز﴾ الذى يغلب كل شيء و لايغلبه شيء ﴿ الحكيم ه ﴾

(١) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٢) من ظ و م، و فى الأصل : وصوا. (٣) من م، و فى الأصل : انزلزال (٤) من ظ و م، و فى الأصل : وكنا. (٥) من م، و فى الاصل و ظ : السلم (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فى. (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م، و فى الأصل : اليه (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الاصل : بانه قد يفعلوا (١٠) زيد من ظ و م.

الذى

الذى يضع الأشياء فى أوفق محالها فلا يستطاع[1] نقضها ، و من كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أمله فوق ما طلب .

و لما أتم ما حثهم على التأسى فيه بذكر أعظم آبائهم لأن دواعى الإنسان إلى المداراة عما يخاف عليه من أقاربه و آله و جميع أحواله[2] عظيمة جدا إن كان المدارأ عظيما لا سيما إن كان / قد تقدم له صداقة ٥ / ٣٠٤ و به ألفة ، فكان جديرا بعد الوعظ و التأسية أن[3] يبقى عنده بقايا و لا سيما و الناس متفاوتون ، منهم من يرده أيسر وعظ و منهم من يحتاج إلى أكثر من ذلك ، اعاد التأسية تأكيدا لها على وجه بلغ الذروة من جمال[4] الترغيب و جلال الترهيب ، و ليكون فيها أتم دلالة على أن ما بينهما من قول إبراهيم عليه السلام المأمور بالتأسى به من الدعاء و غيره إلا ما ١٠ استثنى لتشتد الرغبة فيه ، فقال مصدرا بما دل على القسم إشارة إلى أن من فعل غير هذا كان فعله فعل منكر[5] لحسن هذا التأسى ، و لذلك ذكر الفعل الذى أنثه فى الأول : ﴿لقد كان لكم﴾ أى أيها الذين ادعوا الإيمان ، و قدم الظرف [6]بيانا للاهتمام به[6] فقال : ﴿فيهم﴾ أى إبراهيم عليه السلام ومن معه ﴿ اسوة حسنة ﴾ و أبدل من " لكم " ما هو الفيصل فى ١٥ الدلالة على الباطل ، فقال مشيرا إلى ان من لم يتأس بهم فى هذا لم يكن راجيا لما ذكر : ﴿لمن كان﴾ أى جبل على أنه ﴿يرجوا الله﴾ أى الملك

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلايساع (٢) فى ظ : اخوانه (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بان (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : كمال (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المنكر (٦-٦) من ظ وم ، و فى الأصل : اهتماما به و بيانا .

المحيط بجميع صفات الكمال، فهو ذو الجلال الذي يجير و لا يجار عليه، و الإكرام الذي هو جدير بأن يعطي جميع ما يسأله ﴿ واليوم الآخر ﴾ الذي يحاسب على النقير و القطمير، و لا تخفى عليه خافية، فمن لم يتأس[1] بهم[2] كان تركه للتأسي دليلاً على سوء عقيدته، فلا[3]
٥ يلومن[4] إلا نفسه، فقد أذن لإمام المسلمين إن عثر عليه في عقوبته. فإن علم الغيب الذي أعلمناه[5] نبينا صلى الله عليه و سلم بأن حاطبا رضي الله عنه صحيح العقيدة[6] غير متأهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه و سلم و لايبقى إلا ما نصبناه من الشعار، و أقمناه من الدلائل.

و لما كان التقدير: فمن أقبل على هذا التأسي لكونه يرجو الله و اليوم
١٠ الآخر فلم يخلد إلى الدنيا، يتوله الله، فإن الله[6] رحيم ودود، عطف عليه قوله: ﴿ و من يتول ﴾ أي يوقع الإعراض عن أوامر الله تعالى في وقت من الأوقات مطلقا لكونه أخلد إلى الدنيا[7] و لم ير اليوم الآخر أعرض الله عنه، و أشار بصيغة التفعل إلى أن ذلك لايقع إلا بمعالجة الفطرة الأولى، و أكد لأن فاعل ذلك كالمنكر لمضمون[8] الكلام فقال:
١٥ ﴿ فإن الله ﴾ أي الذي له الإحاطة [الكاملة -[9]] ﴿ هو ﴾ أي خاصة

(١) في ظ و م: لم يانس (٢) من ظ و م، و في الأصل: به (٣) من ظ و م، و في الأصل: فلا يكون من (٤) من ظ و م، و في الأصل: علمناه (٥) من ظ و م، و في الأصل: العقوبة (٦) زيد في الأصل: غفور، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و في الأصل: الارض (٨) من ظ و م و في الأصل: لمفهوم (٩) زيد من م.

﴿ الغنى ﴾ أى عن كل شىء ﴿ الحميد ۝ ﴾ [أى -[1]] الذى له الحمد المحيط، لإحاطته بأوصاف الكمال فى حال الطاعة له و المعصية فان العاصى عبد لإرادته، كما أن المطيع عبد لأمره و إرادته و لطفه، فلا يخرج شىء عن مراده، و كل شىء خاضع لحكمه، و قد بينت الآية أدب العشرة لما ألهبت و هيجت على المفارقة للعصاة و التبرء منهم حسا و معنى، و إظهار ٥ ذلك لهم قولا و فعلا، إلى [أن -[2]] تحصل التوبة، و من لم يفعل ذلك كان شريكا فى الفعل فيكون شريكا فى الجزاء كما ورد، ثم [لا -[2]] يمنعه ذلك أن يكون أكيله و جليسه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، و لعنهم على ألسنة الأنبياء، و من فعل ما أمره[3] الله به كان فعله جديرا بأن يكون سبب / الوصله و القرب و المودة، فالآية[4] من الاحتباك: ١٠ / ٣٠٥ ذكر الرجاء أولا دليلا على ضده ثانيا. و التولى ثانيا دليلا على ضده أولا، و سره أنه ذكر سبب السعادة ترغيبا و سبب الشقاوة ترهيبا.

و لما أتم وعظهم بما هو الأنفع و الأقرب إلى صلاحهم ففعلوا، و كان ذلك شاقا لما جبل عليه البشر من حب ذوى الأرحام[5] و العطف عليهم، فتشوفت النفوس إلى تخفيف بنوع من الأنواع، أتبعه الترجئة فيما ١٥ قصده حاطب رضى الله عنه بغير الطريق الذى يتوصل به[6] فقال على عادة الملوك فى الرمز إلى ما [7]يريدونه فيقنع[7] الموعود به بل يكون ذلك الرمز

---

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : امر.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل : والآية (٥) من م، و فى الأصل و ظ : الازواج (٦) من ظ و م، و فى الأصل : اليه (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل : يرونه فيقع.

عنده[1] أعظم من البت من غيرهم [لما لهم - [2]] من العظمة التي تقتضي[3] النزاهة عما يلم بشائبة نقص ، و ذلك أعظم في الإيمان بالغيب لأن الوعود لا تزال بين خوف و رجاء جوابا لمن كأنه[4] كان يقول : كيف يكون الخلاص من مثل هذه الواقعة و قد بنيت يا رب هذه الدار على ٥ حكمة الأسباب : ﴿ عسى الله ﴾ أي أنتم جديرون بأن تطمعوا في الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ ان يجعل ﴾ بأسباب لا تعلمونها ﴿ بينكم و بين ﴾ أي في جميع الحد الفاصل بين المجموعين أو بين كل شخصين من الجمعين ﴿ الذين عاديتم ﴾ أي بالمخالفة في الدين ﴿ منهم ﴾ أي من هؤلاء الذين عادوكم بما تقدم باعيانهم[5] من أهل مكة ﴿ مودة ط ﴾ ١٠ و قد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه ، و أجرى سنته[6] الالهية بأن من عاديته فيه جعل عاقبة ذلك إلى ولاية عظيمة ، و من تهاونت[7] في مقاطعته [فيه - [2]] سبحانه أقامه الله ضدا .

و لما كان التقدير : فالله بكم رفيق ، عطف عليه تذكيرا لهم بما له سبحانه من العظمة [قوله - [2]] ﴿ و الله ﴾ أي الذي له [8] الإحاطة ١٥ بالكمال[8] : ﴿ قدير ط ﴾ أي بالغ القدرة على كل ما يريده فهو يقدر على تقليب القلوب و تيسير العسير ، فلما تم الرجاء لم يبق إلا كدر الذنب

(١) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ وم ، و في الأصل : تفيض (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : كان (٥) من ظ و م ، و في الأصل : من اعيانهم (٦) من ظ و م ، و في الأصل : سنة (٧) من ظ و م ، و في الأصل : تهاون (٨ - ٨) في م : كمال الإحاطة .

فأتبعه تطييبا للقلوب مما نزلت هذه الآيات بسببه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى محاء لأعيان الذنوب و آثارها[١] ﴿ رحيم ﴾ يكرم الخاطئين[٢] إذا أراد بالتوبة [ثم -[٣]] بالجزاء غاية الإكرام ، قال الرازى فى اللوامع : كان النبى صلى الله عليه و سلم[٤] استعمل أبا سفيان رضى الله عنه على بعض اليمن ، فلما قبض رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم[٤] أقبل فلقى ذا الحجار مرتدا فقاتله ، فكان أول من قاتل على الردة ، فتلك المودة بعد المعاداة .

و لما تم الوعظ و التأسية و تطييب النفوس بالترجئة ، و كان [وصف -[٣]] الكفار بالإخراج لهم من ديارهم يحتمل أن يكون بالقوة فيعم[٥] ، و يحتمل ان يكون / بالفعل فيخص أهل مكة أو من باشر الأذى ١٠ / ٣٠٦ الذى تسبب عنه الخروج منهم ، بين ذلك بقوله مؤذنا بالإشارة إلى الاقتصاد فى الولاية و العداوة كما قال صلى الله عليه و سلم[٦] : احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، [و أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما -[٣]] . ﴿ لا ينهكم الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال و الإكرام ﴿ عن الذين لم يقاتلوكم ﴾ أى بالفعل ﴿فى الدين﴾ ١٥ أى بحيث تكونون مظروفين له[٧] ليس شيئا من أحوالكم خارجا عنه ،

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لآثارها (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : بالخاطئين . (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : فيقص (٦) راجع جامع الترمذى - البر (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : فيه .

فأخرج ذلك القتال[1] بسبب حق دنيوى لاتعلق له بالدين، و اخرج من لم يقاتل أصلا كخزاعة و النساء، و من ذلك أهل الذمة بل الإحسان إليهم من محاسن الأخلاق و معالى الشيم لأنهم جيران .

و لما كان الذين لم يقاتلوا لذلك[2] ربما كانوا قد ساعدوا على الإخراج قال: ﴿ و لم يخرجوكم ﴾ و قيد بقوله: ﴿ من دياركم ﴾ و لما كان قد وسع لهم سبحانه بالتعميم فى إزالة النهى خص بقوله مبدلا من " الدين" : ﴿ ان ﴾ أى لا ينهاكم عن أن ﴿ تبروهم ﴾ بنوع من أنواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح فى قصد الموادة ﴿ و تقسطوآ ﴾ أى تعدلوا العدل[3] الذى هو فى غاية الاتزان بأن تزيلوا القسط الذى هو الجور، و بين [أن - [4]] المعنى: موصلين لذلك الإقساط ﴿ اليهم[4] ﴾ إشارة إلى أن فعل الإقساط ضمن الاتصال، و إلى أن ذلك لايضرهم و إن تكلفوا الإرسال إليهم من البعد بما أذن لهم[5] فيه فان ذلك من الرفق و الله يحب الرفق فى جميع الأمور و يعطى عليه ما لايعطى على الخرق، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا دفعا لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق، ﴿ ان الله ﴾ [أى - [4]] الذى له الكمال كله ﴿ يحب ﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿ المقسطين ه ﴾ أى الذين يزيلون الجور و يوقعون العدل .

و لما علم الحال من هذا و مما فى أول السورة، أتبعه التصريح بما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتصال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م.

أفاده مجموعا أحسن جمع مصورا أحسن تصوير فقال تعالى: ﴿ انما ينهكم الله ﴾ [أي - ١] الذي له الإحاطة الكاملة علما و قدرة ﴿ عن الذين قٰتلوكم ﴾ متعمدين لقتالكم [كائنين - ١] ﴿ فى الدين ﴾ ليس [شيء من ذلك - ٢] خارجا عنه، لتكون العداوة ٣ في الله ٣ ﴿ و اخرجوكم من دياركم ﴾ أي بأنفسهم لبغضكم ﴿ و ظٰهروا ﴾ أي عاونوا غيرهم ﴿ علٰى اخراجكم ﴾ ٥ و لما تناول هذا المقصودين صريحا، و كان النهي الذي موضعه الأفعال قد علق بأعيانهم تأكيدا له، عرف بالمقصود بقوله: ﴿ ان ﴾ أي إنما ينهاكم عن ٣ المذكورين فى أن ﴿ تولوهم ج ﴾ أي تكلفوا فطركم الأولى أن تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب الحميم الشفيق فتصرحوا بأنهم أولياؤكم و تناصروهم و لو كان ذلك على أدنى الوجوه - بما أشار إليه إسقاط التاء. ١٠

و لما كان التقدير: فمن أطاع فأولئك هم / المفلحون، عطف عليه /٣٠٧ قوله: ﴿ و من يتولهم ﴾ أي يكلف نفسه الحمل على ٤ غير ما يدعو إليه الفطرة الأولى من المنابذة، و أطلق و لم يقيد بـ «منكم» ليعم المهاجرين و غيرهم و المؤمنين و غيرهم: ﴿ فاولٰئك ﴾ أي الذين أبعدوا عن العدل ﴿ هم ﴾ أي خاصة ٥ لا غيرهم ٥ العريقون في أنهم ﴿ الظٰلمون ﴾ أي العريقون ١٥ في إيقاع الأشياء في غير مواضعها كمن ٦ يمشي في مأخذ الاشتقاق بسبب هذا التولي.

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و في الأصل: قه (٣) زيد في الأصل: المقصودين، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و في الأصل: الى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من م، و في الأصل و ظ: لمن.

و لما كان نزول هذه الآيات الماضية فى الفتح الأعظم حين قصد النبى صلى الله عليه و سلم سنة ثمان المسير بجنود الله إلى مكة المشرفة -[1]شرفها الله تعالى[1]- لدخولها عليهم بالسيف حين نقضوا بقتالهم لخزاعة الذين كانوا قد تحيزوا[2] إلى النبى صلى الله عليه و سلم فكانوا فى عقده
٥ و عهده فى صلح الحديبية الذى كان سنة ست على وضع الحرب بينهم و بين النبى صلى الله عليه و سلم [و -[3]] من دخل فى عقده ، و كان من ذلك الصلح أن من جاء إلى النبى صلى الله عليه و سلم من قريش و من دخل فى صلحهم رده إليهم و إن كان مسلما ، و من جاءهم ممن كان مع النبى صلى الله عليه و سلم لم يردوه إليه بحيث قام من ذلك وقعد
١٠ كثير من الصحابة رضى الله عنهم من أعظمهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى سكنه الصديق رضى الله تعالى عنه بما وقر فى صدره من الحكم، و رد إليهم[4] صلى الله عليه و سلم أبا بصير رضى الله عنه ، و كان رده إليهم للوفاء بالعهد بسبب التصديق لقوله صلى الله عليه و سلم « أما من جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجا و مخرجا » و قصته [فى ذلك كله -[5]]
١٥ مشهورة ، و كانت « من » [من -[5]] صيغ العموم ، و كانت دلالة العام قطعية فى الحكم على الأفراد ظنية - كما قال الشافعى رضى الله تعالى عنه - فى الدلالة على الجزئى[6] من تلك الأفراد بخصوصه حيث لا قرينة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تحدروا.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الجزء .

لأن

لأن تلك الصيغ ترد تارة[١] على عمومها و تارة يراد بها بعض الأفراد فتكون من العام الذى أريد به الخصوص، و تارة يقع فيها التخصيص، فتكون من العام [٢]الذى أريد به الخصوص[٢] فطرقها الاحتمال فاحتاج ما دلت عليه من الظاهر[٣] إلى قرينة، و كان دخول النساء تحت لفظ «من» فى صلح الحديبية أما عريا عن القرينة أو أن [القرينة -[٤]] القتال ٥ الذى وقع الصلح [عليه -[٤]] بسببه صارفة عنه، وكذا قرينة التعبير عنهن بـ«ما» دون «من» فى كثير من الكتاب العزيز «فانكحوا ما طاب لكم من النساء أو[٥] ما ملكت ايمانكم» «[و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» «و المحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم -[٤]]» «و أحل لكم ما وراء ذلكم» «فما استمتعتم به منهن» «فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات» «إلا على ١٠ أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم»، وكان قد ختم سبحانه هذه الآيات التى ٣٠٨ / / أدب بها فى غزوة الفتح بما أبان به ما لا يخرج عن الصلح فى عمرة الحديبية عما هو أقرب إلى الخير من البر و العدل، و نهى عن تولى الكفار، فكانت المصاهرة و المناكحة من أعظم التولى، وصل بذلك ما لا يخرج[٦] عنه و لا يحل [٧]بالعهد فى أن[٧] من جاء من[٨] الكفار إلى النبى صلى الله عليه و سلم ١٥ رده إليهم و إن كان مسلما، فقال مخاطبا لأدنى أسنان إهل الإيمان الذين

---

(١) وقع فى الأصل بعد «على عمومها» والترتيب من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و فى م: المخصوص (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المظاهر. (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، و فى الأصل: الا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لم يخرج (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالعدل ممن (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الى.

يحتاجون إلى التفهيم[1]، و أما من هو أعلى منهم فهو عالم بذلك مؤتمر به بما آتاه الله من الفهم و أنار به قلبه[2] الشريف من فنون العلم ليكفوا النبي صلى الله عليه و سلم مقدمات البيعة منه لهن: ﴿يايها الذين امنوا﴾ أى أقروا بالإيمان - و هو إيقاع الأمان من التكذيب - لمن يخبرهم ما ٥ ينبغى التصديق به بسبب تصديقهم بالله سبحانه و تعالى.

و لما كان فى علمه سبحانه و تعالى [أنه] يأتيهم[3] نساء يهربن بدينهن إلى الله، بشرهم بذلك بالتعبير بأداة التحقيق فقال: ﴿ اذا ﴾ أى صدقوا ما ادعيتموه من الإيمان بأنه فى أى زمان ﴿جآءكم﴾ و لما كان لا يهجر داره[4] وعشيرته لاسيما إن كانوا أقارب بسبب كفرهم إلا من رسخ فى الإيمان ١٠ ذكرا كان أو أنثى قال: ﴿ المؤمنت ﴾ أى النساء اللاتى[5] صار وصف[6] الإيمان لهن[7] صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه: ﴿ مهجرت ﴾ للكفار و لأرضهم ﴿ فامتحنوهن ﴾ أى اختبروهن تأكيدا لما دلت عليه الهجرة من الإيمان بالتحليف بأنهن[8] ما خرجن لحدث أحدثنه و لا بغضا فى زوج و لا رغبة فى عشير و لا خرجن إلا حبا لله و رسوله و رغبة فى دين ١٥ الإسلام؛ قال الإمام شهاب الدين ابن النقيب فى الهداية من مختصره للكفاية[9] لفقيه المذهب نجم الدين احمد بن الرفعة فى شرح التنبيه:

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التعميم (٢) من ظ و م، وفى الأصل: قلب.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: ياتيه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: زمانه.
(٥) من م، و فى الأصل و ظ: التى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وصفه.
(٧) من ظ و م، و فى الاصل: لهم (٨) من ظ و م، وفى الأصل: بالايمان.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: فى الكفاية.

و اختلف [قول - [1]] الشافعي رحمه الله تعالى : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم شرط لقريش في الصلح رد[2] النساء ففي قول : لم يشترطه بل أطلق رد من جاءه فتوهموا تناول النساء ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم عالما بعدم دخولهن ، فأطلق ذلك حذيفة يعني و من شرعه أن الحرب خدعة ، و في قول : شملهن الشرط ، لكـــن هل شرطه صريحا أم دخلن في ٥ الإطلاق فيه وجهان أظهرهما الثاني ، و هل كان شرطهن جائزا[3] فيه وجهان: أحدهما نعم ثم نسخ ، و هل ناسخه الآية المذكورة أم منع النبي صلى الله عليه و سلم من الرد فيه وجهان مبنيان على أنه [هل - [1]] يجوز نسخ السنة بالقرآن[4] و فيه قولان للشافعي رحمه الله تعالى ، و مختاره منهما المنع و هو الجديد ، و كذا لا يجوز عنده و عند أصحابه نسخ الكتاب ١٠ بالسنة و إن كانت متواترة[5] - انتهى . و معناه أنه لم يقع فان وقع نسخها بالقرآن كان معه سنة ، و إن وقع نسخه / بالسنة كان معها قرآن[6] ، و هو / ٣٠٩ معنى قول ابن السبكي في جمع الجوامع : قال الشافعي رضي الله عنه : و حيث وقع بالسنة فعها قرآن أو بالقرآن فمعه سنة عاضدة تبين توافق الكتاب و السنة . ١٥

و لما كان الاختبار ربما دل على إيمانهن لا يعلم[7] إلا به ، نفى ذلك بقوله مستأنفا في جواب من يقول : أليس الله بعالم بذلك ، و مفيدا أن علمكم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : فرد (٣) من ظ و م ، و في الأصل : جائز (٤) من ظ و م ، و في الأصل : عن القران (٥) من ظ و م ، و في الأصل : مواترة (٦) من ظ و م ، و في الأصل : قرانا (٧) زيد في الأصل : ذلك ، و لم تكن الزياد في ظ و م فحذفناها .

الذى تصلون إليه بالامتحان ليس بعلم، و إنما [سماه - [1]] به إيذانا
بأن الظن الغالب فى حقكم بالاجتهاد و القياس قائم مقام العلم يخرج من
عهدة "و لا تقف ما ليس لك به علم" : ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء
قدرة و علما ﴿ اعلم ﴾ أى منكم و منهن بأنفسهن ﴿ بايمانهن ج ﴾ هل هو
٥ كائن أو لا على وجه الرسوخ أو لا، فانه محيط بما غاب كاحاطته بما شهد،
و إنما وكل الأمر إليكم فى ذلك سترا للناس و لئلا تكون شهادته
لأحد بالإيمان و [2] الكفران موصلة إلى عين اليقين فيخرج عن مبنى
هــذه الدار، قال القشيرى: و فى الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة،
و جواهر النفس تتبين بالتجربة، و من أقدم على شىء [3] من غير [3] تجربة
١٠ يجنى كأس الندم، قال: ﴿ فان علمتموهن ﴾ أى العلم المتمكن لكم و هو
الظن المؤكد بالأمارات الظاهرة بالحلف و غيره ﴿ مؤمنت ﴾ أى
مخلصات فى الهجرة لأجل [4] الإيمان، و التعبير بذلك للايذان بمزيد الاحتياط .
و لما ذكر هذا الامتحان بين أنه علة لحمايتهن و الدفع عنهن فأتبعه
مسببه فقال: ﴿ فلا ترجعوهن ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ الى الكفار [5] ﴾
١٥ و إن كانوا أزواجا، و من الدليل [على - [1]] أن هذا ظاهر فى
المراد و أن القرائن موضحة له أنه صلى الله عليه و سلم لما [أبى - [1]] أن
يرد إليهم من جاءه [5] من النساء لم يعب أحد من الكفار ذلك، و لانسب

(١) زيد من ظ و م (٢)من ظ و م ، و فى الأصل : و (٢-٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : بغير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : جاء .

إلى

إلى عهده صلى الله عليه وسلم - في حالماه - خللا ، و لولا أن ذلك [كذلك - [1]]
لملؤا الأرض تشغيبا كما فعلوا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه
إلى نخلة التي نزل بسببها "يسئلونك عن الشهر الحرام" الآيات على أن
الأخبار الصحيحة و غيرها ناطقة[2] بأن هذه [الآية - [1]] نزلت في الحديبية
قبل أن ينفصل الأمر غاية الانفصال و يستقر، روى البخاري في ٥
المغازي من صحيحه و البغوي[3] من طريقه و هذا لفظه عن المروان و المسور
ابن مخرمة عن أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قالوا : كاتب سهيل بن عمرو
فكان مما اشترط على النبي صلى الله عليه و سلم أنه[4] لا يأتيك أحد منا
و إن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فكاتبه النبي صلى الله عليه و سلم
على ذلك ، فرد يومئذ أباجندل إلى[5] أبيه سهل بن عمرو ، و لم يأته أحد ١٠
من الرجال إلا رده في تلك المدة و إن كان مسلما ، و جاءت المؤمنات
/ مهاجرات ، و كانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى ٣١٠ /
النبي صلى الله عليه و سلم و هي [عاتق - [1]] فجاء أهلها [6] إلى المدينة [6]
يسئلون النبي صلى الله عليه و سلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم كما
أنزل الله فيهن "اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" و قال البغوي[3] : ١٥
قال ابن عباس رضي الله عنهما : أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم معتمرا

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : قاطعة (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ان (٥) من ظ و م ، و في الأصل : على (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو [مكة - ١] على أن من أتاه [من - ١] أهل مكة رده إليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها، و كان كافر، فقال: يا محمد! اردد علىّ امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا، و هذه طينة ٥ الكتاب لم تجف، فأنزل الله تعالى "يايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن [٢] الله أعلم بايمانهن [٢]" و قال ابن عباس رضى الله عنهما: امتحانها أن تستحلف أنها [٣] ما هاجرت لبغض زوج و لا عشقا لرجل من المسلمين و لا رغبة عن أرض و لا لحدث أحدثته و لا التماس [٤] الدنيا و ما خرجت إلا رغبة [٥] فى الإسلام و حبا لله و رسوله صلى الله عليه ١٠ و سلم، [فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه و سلم - ١] على ذلك فحلفت فلم يردها و اعطى زوجها ما أنفق عليها، فزوجها [٦] عمر رضى الله عنه، وكان صلى الله عليه و سلم يرد من جاءه [٧] من الرجال و يحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان، و يعطى أزواجهن مهورهن، [و - ١] دعوى النسخ ليست بشيء إلا تؤول بأنه لما كان من العام الذى أريد به الخصوص ١٥ أن [٨] بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع، و ذلك بأن [٩] الله لا يأمر باخلاف الوعد فكيف بنقض العهد . و لما نهى عن رد المهاجرات

---

(١) زيد من ظ و م و المعالم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) سقط من م (٤) من م، وفى الأصل و ظ : لا التماس (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حبا (٦) من ظ وم، و فى الأصل: ثم تزوجها (٧) فى ظ و م: جاء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ان .

إلى المشركين و عبر بالكفار تعميما[1]، علل ذلك بقوله مقدما حكمهن[2] تشريفا لهن لهجرتهن: ﴿ لا هن ﴾ أى الأزواج ﴿ حل ﴾ [3]أى موضع[3] حل ثابت ﴿ لهم[4] ﴾ أى للكفار باستمتاع[5] و لا غيره . و لما كان نفى الحل الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لهن[6] و لو على تقدير من التقادير و فرض من الفروض، قال معيدا[7] لذلك و مؤكدا لقطع العلاقة من كل جانب: ٥ ﴿ و لا هم ﴾ أى رجال الكفار ﴿ يحلون ﴾ أى يتجدد فى وقت من الأوقات أن يحلوا ﴿ لهن[4] ﴾ أى للمؤمنات [حتى - [8]] لو تصور أن يكون رجالهن نساء وهن ذكورا ما حلوا لهن بخلاف أهل الكتاب، كذا تنفك الملازمة فى مسألة المظاهرة و الإيلاء فيحل للمرأة أن تستمتع به إذا[9] كان نائما مثلا، و أما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير، و قال ١٠ البيضاوى: الأولى لحصول الفرقة، و الثانية للمنع من الاستئناف - انتهى. [فنفت - [8]] هذه الجملة الفعلية من وجه تجدد الحل للنساء فأفهمت الجملتان عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطييبا لقلوب المؤمنات[10].

و لما نهى عن الرد و علله، أمر بما قدم[11] من الإقساط إليهم

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تتميما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: حكمين. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) ليس فى الأصل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: باستماع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: مقيدا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ان. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: المؤمنين (١١) من ظ و م، و فى الأصل: تقدم.

فقال: ﴿ وءاتوهم ﴾ أى الأزواج ﴿ مآ انفقوا ﴾ أى عليهن من المهور فان المهر فى نظير أصل العشرة و دوامها، و قد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجية و المالية، و أما الكسوة و النفقة فانها لما يتجدد من الزمان.

٥ و لما جزم[1] بتأبيد منعهن[2] عن الكفار، أباحهن للمسلمين فقال على وجه الرفق و اللطف: ﴿ و لا جناح ﴾ أى ميل و حرج ﴿ عليكم ﴾ أيها المشرفون بالخطاب ﴿ ان تنكحوهن ﴾ أى تجددوا زواجكم[3] بهن بعد الاستبراء و إن كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق منهم عنهن و لأن[4] الإسلام فرق بينهم فانه لن يجعل الله للكافرين على

١٠ المؤمنين سبيلا. و لما كان قد أمر برد مهور الكفار، فكان ربما ظن أنه مغن عن تجديد مهر لهن إذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله: ﴿ اذآ ءاتيتموهن ﴾ أى لأجل النكاح ﴿ اجورهن ﴾ و لما قطع [ما -[5]] بين الكفار و المسلمات مع الإعراض عن الكفار لعصيانهم قطع ما بين المؤمنين و الكافرات مع الإقبال عليهم لطاعتهم رفعا لشأنهم فقال: ﴿ ولا ﴾

١٥ و لما كان إمساك المرأة مع عداوتها لمخالفتها فى الدين دليلا على غاية الرغبة فيها، دل على ذلك إشارة إلى التوبيخ[6] بالتضعيف فى قراءة البصريين

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حرم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منعمين (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازواجكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فان (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التناوىح بالتوبيخ.

فقال[1] : ﴿ تمسكوا ﴾ أى بعدم التصريح فى الطلاق ﴿ بعصم الكوافر ﴾ جمع عصمة و هى [2]ما يديم[2] علقة النكاح ﴿ وسئلوا ﴾ أى أيها المؤمنون الذين ذهبت[3] أزواجهم إلى الكفار ﴿ مآ انفقتم ﴾ أى من مهور نسائكم اللاتى اعتصمن عنكم بهم او فررن إليهم . و لما أمر برد مهور المؤمنين إلى الكفار و أذن للمؤمنين فى المطالبة بمهور أزواجهم، أذن للكفار فى ٥ مثل ذلك إيقاعا للقسط بين عباده مسلمهم و كافرهم معبرا بالأمر مع الغيبة إعراضا عنهم إعلاما بشدة كراهته سبحانه للظلم و أنه يستوى فيه الكافر مع عداوته بالمؤمن مع ولايته : ﴿ و ليسئلوا ﴾ أى الكفار ﴿ مآ انفقوا[4] ﴾ أى من مهور أزواجهم اللاتى أسلمن و اعتصمن بكم عنهم ، و هل هذا الحكم باق ، قال قوم : نعم ، و قال عطاء و مجاهد وقتادة : ١٠ نسخ فلا يعطى [الكفار - [4]] شيئا و لوشرطنا الإعطاء .

و لما كان هذا حكما عدلا لايفعله مع عدوه و وليه إلا حكيم . قال مشيرا إلى مدحه ترغيبا فيه بميم[5] الجمع إلى العموم : ﴿ ذلكم ﴾ أى[6] الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيدة بعلو الرتبة عن كل سفه ﴿ حكم الله[4] ﴾ [أى - [4]] الملك الذى له صفات الكمال ، فلا ينبغى ١٥ لشائبة نقص أن يلحقه[7] .

---

(١) زيد فى الأصل : ولا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ثبتت (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بجيم (٦) زيد فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يحق به .

و لما كان هذا مما يفرح به و يغتم عند تقدير فواته ، قال مستأنفا مبشرا بادامة تجديد أمثاله لهم : ﴿ يحكم ﴾ أى الله أو حكمه على سبيل المبالغة ، و دل على استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد و أنه سبحانه لم يهمل[1] شيئا منه باعراء الجار من قوله : ﴿ بينكم ط ﴾ أى فى هذا الوقت /٣١٢
٥ و فى غيره على هذا المنهاج البديع ، و ذلك لأجل الهدنة التى وقعت بين النبى صلى الله عليه و سلم و بينهم ، و أما قبل الحديبية فكان النبى صلى الله عليه و سلم يمسك النساء و لا يرد الصداق .

و لما كان التقدير : فالله حكم عدل ، قال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم لايخفى عليه شىء ﴿ حكيم ه ﴾ أى
١٠ فهو لتمام علمه يحكم كل أموره غاية الإحكام فلا يستطيع أحد نقض شىء منها .

و لما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور نسائهم الكافرات ، قال مداويا لذلك [الداء -[2]] : ﴿ و ان فاتكم ﴾ أى بالانفلات منكم بعد الهجرة أو بادامة الإقامة فى بلاد[3] الحرب ﴿ شىء ﴾
١٥ أى قل أو كثر ﴿ من ازواجكم ﴾ أى من أنفسهن أو مهورهن ﴿ الى ﴾ أى متحيزا أو واصلا[4] إلى ﴿ الكفار ﴾ فعجزتم عنه ﴿ فعاقبتم ﴾ أى تمكنتم من المعاقبة بأن فات الكفار شىء من أزواجهم بالهجرة إليكم أو اغتنمتم[5]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لايهمل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصلا (٥) فى م : غنمتم .

من [أزواج -[1]] الكفار فجاءت نوبة[2] ظفركم بأداء المهر إلى إخوانكم طاعة و عدلا عقب نوبتهم التى اقتطعوا فيها ما أنفقتم عصيانا و ظلما ﴿فآتوا﴾ أى فأحضروا[3] وأعطوا من مهر المهاجرة ﴿الذين ذهبت ازواجهم﴾ [أى -[4]] منكم إن اختاروا الأخذ ﴿مثل مآ انفقوا﴾ على الكافرة الفائتة إلى[5] الكفار مما غنمتم من أموالهم أو بأن تدفعوا إليهم مثل مهور ٥ أزواجهم مما[6] كنتم تعطونه[7] لأزواج المهاجرات، فيكون ذلك جزاء و قصاصا لما فعل الكفار.

و لما كان التجزى فى مثل ذلك عسرا على النفس[8] فان المهور تتفاوت تارة و تتساوى أخرى، و تارة تكون نقودا و[9] تارة تكون عروضا إلى غير ذلك من الأحوال مع أن المعامل عدو فى الدين فلا يحمل ١٠ على العدل فيه إلا خالص التقوى قال: ﴿و اتقوا﴾ أى فى الإعطاء و المنع و غير ذلك[10] ﴿الله﴾ الذى له صفات الكمال و قد أمركم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون، ثم وصفه بما يؤكد صعوبة الأمر[11] و يحث على العدل فقال ملهبا لهم كل الإلهاب هازا لهم بالوصف بالرسوخ[12] فى الإيمان[12]:

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوبته (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فاحصوا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٧) من م، و فى الأصل وظ: تعطون. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: النفوس (٩) من ظ و م، و فى الأصل: او. (١٠) زيد فى الأصل: راقبوا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من ظ و م، و فى الأصل: البر (١٢-١٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالايمان.

﴿الذئ انتم به﴾ أى خاصة ﴿مؤمنون ﴾ اى متمكنون فى رتبة الإيمان.

و لما خاطب سبحانه المؤمنين الذين لهم موضع الذب و الحماية و النصرة بما وطن به المؤمنات فى دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف الإيمان، أمر النبى صلى الله عليه و سلم بعد الحكم بإيمانهن بمبايعتهن فقال:

٥ ﴿ يآيها النبى ﴾ مخاطبا له بالوصف المقتضى للعلم، و دل على [تحقق -[1]] كون ما يخبر به من مجيئهن بأداة التحقيق[2] علما من أعلام النبوة فقال: ﴿ اذا جآءك المؤمنت ﴾ جعل إقبالهن [عليه -[1]] صلى الله عليه وسلم لاسيما مع الهجرة مصححا لإطلاق الوصف عليهن ﴿ يبايعنك ﴾ أى كل واحدة[3] منهن تبايع ﴿على ان لايشركن ﴾ أى يوقعن الإشراك

٣١٣ / ١٠ لأحد من الموجودات / فى وقت من الأوقات ﴿ بالله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له ﴿ شيئا ﴾ أى من إشراك على الإطلاق.

و لما كان الشرك بذل حق الملك لمن لا يستحقه، أتبعه أخذ مال المالك بغير حق[4] لاقتضاء الحال لذلك بتمكن المرأة من اختلاس مال الزوج و عسر تحفظه منها[5] فقال: ﴿ و لا يسرقن ﴾ أى يأخذن مال

١٥ الغير بغير استحقاق فى خفية، و أتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال: ﴿ و لا يزنين ﴾ اى يمكن آحدا من وطئهن بغير عقد صحيح. و لما كان الزنا قد يكون سببا فى إيجاد أو إعدام نسمة بغير حقها، أتبعه إعدام

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م: التحقق (٣) من ظ و م، و فى الأصل: واحد (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المالك (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عنها.

نسمة بغير حقه فقال: ﴿ و لا يقتلن اولادهن ﴾ أى بالوأد[١] كما تقدم فى النحل و سواء فى ذلك كونه من زنا أو لا.

و لما ذكر إعدام نسمة بغير [٢]حق و لاوجه شرعى[٢] أتبعه ما يشمل[٣] إيجاد نسمة بغير حل، فقال مقبحا له على سبيل الكناية[٤] عنه بالبهتان و ما معه بالتصوير له بلوازمه و آثاره لأن استحضار القبيح و تصور صورته ٥ أزجر عنه فقال: ﴿ و لاياتين ببهتان ﴾ أى ولد من غير الزوج يبهت من إلحاقه به حيرة فى نفيه عنه ﴿ يفترينه ﴾ أى يتعمدن كذبه، و حقق المراد [به[٥]] و صوره بقوله: ﴿ بين ايديهن ﴾ [أى[٦]] بالحمل فى البطون[٧] ﴿و ارجلهن﴾ أى بالوضع من الفروج و لأن عادة الولد مع أنه يسقط بين أيدى أمه و رجليها أنه يمشى أمامها، و هذا شامل لما كان ١٠ من شبهة أو لقطة.

و لما حقق هذه الكبائر العظيمة[٨] تعظيما لأمرها لعسر الاحتراز منها، و أكد النهى عن الزنا مطابقة و إلزاما لما يجر إليه من الشرور[٩] القتل فما دونه، و غلظ أمر النسب[١٠] لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بالود (٢-٢) فى ظ و م: وجه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يوجب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: النكاية (٥) زيد من ظ م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل: مدته، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) سقط من م (٩) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناه (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: السبب.

و انتهاك الحرمات ، عم فى النهى فقال : ﴿و لا يعصينك﴾ أى على[١] حال من الأحوال ﴿فى معروف﴾ أى فرد كان منه صغيرا [كان - [٢]] أو كبيرا ، و فى ذكره مع العلم بأنه صلى الله عليه و سلم لا يأمر إلا به إشعار بأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، و قدم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف لأن التخلى عن الرذائل مقدم على التحلى بالفضائل لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح : ﴿فبايعهن﴾ أى التزم[٣] لهن بما[٤] وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفت منهن فى نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعة . و لما كان الإنسان محل النقصان لاسيما النسوان ، رجاهن سبحانه بقوله : ﴿و استغفر﴾ أى اسأل ﴿لهن الله[٥]﴾ أى الملك الأعظم ذا الجلال و الإكرام فى الغفران إن وقع منهن تقصير و هو واقع لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره .

و لما كانت عظمته سبحانه مانعة لعظيم الهيبة من سؤاله ما طمع به ، علله بقوله معيدا الاسم الأعظم لئلا يظن باضماره و تقيده[٥] بحيثية الهجرة من النساء و نحو ذلك مؤكدا لما طبع الآدمى عليه من / أنه لا يكاد يترك المسيء[٦] من عقاب أو عتاب فضلا عن التفضل بزيادة الإكرام : ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات[٧] الجلال و الإكرام[٧] فلو أن الناس لا يذنبون

/ ٣١٤

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الزم (٤) من ظ و م . و فى الأصل : ما (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعبده - كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المنهي (٧-٧) فى ظ و م : الكمال .

لجاه بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم لتظهر صفة إكرامه ﴿غفور﴾ أى بالغ الستر للذنوب عينا و أثرا ﴿رحيم﴾ أى بالغ الإكرام بعد الغفران فضلا منه و إحسانا، و قد حقق سبحانه ذلك و صدق، و من أصدق من الله قيلا، فأقبل النساء للبيعة عامة ثانى يوم الفتح على الصفا بعد فراغه[1] صلى الله عليه و سلم من بيعة الرجال فنزلت هذه الآية و هو على الصفا فقام عمر ٥ ابن الخطاب رضى الله أسفل منه يبايعهن بأمره و يبلغهن عنه و هند بنت عتبة[2] متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يعرفها، فلما ذكر الشرك قالت[3]: و الله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على [الرجال - [4]]، و بايع الرجال يومئذ[5] على الإسلام و الجهاد، فقال "و لا يسرقن" فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح و إنى اصيب[6] ١٠ من ماله هنات فلا أدرى أيحل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شىء فيما مضى و فيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم و عرفها فقال: و إنك لهند بنت عتبة[2]، قالت: نعم، فاعف عنى ما سلف عفا الله عنك، فقال: "و لا يزنين" فقالت: أو تزنى الحرة، فقال "و لا يقتلن اولادهن" فقالت: ربيناهم [صغارا - [4]] ١٥ و قتلتموهم كبارا و أنتم و هم أعلم، و كان ابنها[7] حنظلة بن أبى سفيان

(١) فى ظ و م: ما فرغ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: عقبة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يوم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: به (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابنه.

قتل يوم بدر فضحك [عمر رضى الله عنه حتى استلقى و تبسم - [١]]
رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر البهتان و هو أن تقذف ولدا
على زوجها ليس منه، قالت هند: و الله إن البهتان لقبيح و ما تدعونا
إلا إلى الرشد و مكارم الأخلاق، فقال " و لا يعصينك [٢] في معروف [٢] "
٥ فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا و في أنفسنا أن نعصيك في شيء،
و ما مست يد رسول الله صلى الله عليه و سلم يد امرأة لا تحل له، وكانت
أسماء بنت يزيد بن السكن في المبايعات فقالت: يا رسول الله ابسط
يدك نبايعك، فقال: إني لا أصافح النساء لكن آخذ عليهن، و عن الشعبي
أنه صلى الله عليه و سلم دعا بقدح من ماء فغمس يده [فيه - [٣]] ثم غمسن
١٠ أيديهن فيه، و عنه أنه صلى الله عليه و سلم لقنهن في المبايعة "فيما [٤] استطعتن
و أطقتن" فقالت: الله و رسوله أرحم بنا [من - [١]] أنفسنا.

و لما ذكر ما أمر به [نبيه - [١]] صلى الله عليه و سلم في المبايعات
بعد أن عد الذين آمنوا أصلا في [امتحان - [١]] المهاجرات فعلم من ذلك
أن تولى النساء مع أنه لا ضرر فيهن بقتال و نحوه لا يسوغ إلا بعد العلم
١٥ بإيمانهن، وكان الختم بصفتي الغفران [٥] و الرحمة مما جرأه على محاباة
المؤمنين لبعض الكفار من أزواج او غيرهم / لقرابة أو غيرها لعلة يبديها /٣١٥
الزوج أو غير ذلك من الأمور، كرر سبحانه الأمر بالبراءة من كل
عدو، ردا لآخر السورة على أولها تأكيدا للإعراض عنهم و تنفيرا

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ و م، و في الأصل: ما (٥) من ظ و م، و في الأصل: الغفر.

من

من توليهم كما أفهمته آية المبايعة و آية الامتحان، فقال ملذذا لهم بالإقبال بالخطاب كما فعل أولها بلذيذ العتاب: ﴿ يٰآيها الذين ءامنوا ﴾ .

و لما كان الميل عن الطريق الأقوم على خلاف ما تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا عن[1] معالجتها، [عبر -[2]] بالتفعل كما عبر به أول السورة بالافتعال فقال: ﴿ لا تتولوا ﴾ أى تعالجوا أنفسكم[3] أن تتولوا ٥ ﴿ قوما ﴾ أى[4] ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب الأولى ﴿ غضب الله ﴾ أى أوقع الملك الأعلى الغضب ﴿ عليهم ﴾ لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولا أوليا .

و لما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب، قال معللا و مبينا أنه ١٠ لا خير فيهم يرجى و إن ظهر خلاف ذلك: ﴿ قد يئسوا ﴾ أى تحققوا عدم الرجاء ﴿ من الأخرة ﴾ أى من ان ينالهم منها[5] خير ما لإحاطة معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها[6] و لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، فيوشك من والاهم يكتب[7] منهم[8] فيحل به الغضب ﴿ كما يئس ﴾ من نيل الخير [منها -[2]] ﴿ الكفار ﴾ و لما كان[9] من مات فصار أهلا ١٥ للدفن كشف [له -[2]] عن أحوال القيامة فعرف أنه ناج أو هالك، و كان الموتى أعم من الكفار، و موتى الكفار أعم ممن يدفن منهم [فقال]:

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: قبل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: او (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: امامها. (٧) فى ظ و م: يكتسب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: كانت.

﴿من أصحٰب القبور ع﴾ فان الكفار منهم قد علموا يأسهم من حصول الخير منها علما قطعيا، و يجوز أن يكون "من" ابتدائية فيكون المعنى: كما يئس عباد الأوثان من لقاء من مات، فدفن باعتقاد أنه لا اجتماع بينهم[1] أصلا لأنه لايمكن بعثه لا إلى الدنيا و لا إلى الآخرة[2] لأنه لا آخرة[3] عندهم
٥ أصلا[4] لاسيما إن كان مدفونا فى قبر. و على هذا[5] يكون[6] الظاهر وضع [موضع -[7]] المضمر للدلالة على [أن -[8]] الذى أياسهم تغطية الدلائل مع وضوحها لو أنصفوا، فلا تتولوا من هذه صفته فيكون بينكم و بينه[9] ما بين القريب [مع قريبه -[7]] من تولى كل منهم من الآخر ما يتولاه القريب الصديق لقريبه فان توليهم[10] ضرر لا نفع فيه فان من
١٠ غضب عليه الملك الشهيد لكل حركاته و سكناته لايفلح هو ولامن تولاه، و أقل ما فى ولايته من الضرر أنها تنقطع المعاونة فيها، و المشاركة بالموت و إن كان بعد الموت مشاركة فى العذاب الدائم [11]المستمر الذى لاينقطع عنهم[11] و الخزى اللازم، و قد علم أن هذا الآخر هو أولها، و هذا الموصل مفصلها. فسبحان من أنزله كتابا معجزا
١٥ [حكيما - [7]]، و قرآنا موجزا جامعا عظيما.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: نهم (٢) فى م: دنيا (٣) فى م: الآخرة.
(٤) سقط من م (٥) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: وضع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: توليه.
(١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

* * *

خاتمة

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء التاسع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١٠ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ ﻫ = ٢ / يوليو سنة ١٩٨٢ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء العشرون باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الصف .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية